نام کتاب: الحیاة السیاسیة للإمام الرضا علیه السلام

نویسنده: جعفر مرتضی العاملی

وفات: معاصر

تعداد جلد واقعی: ۱

زبان: عربی

موضوع: امام رضا علیه السلام

ناشر: جامعه مدرسین

مکان نشر: قم

سال چاپ: ۱۴۱۶ ق

ص: ۵

الإهداء

إلیک یا أعز من فی الوجود علیّ ... یا من تعیش لأجلی، و تشعر بآلامی، و تحسّ بمشاکلی ... دون أن أراک، و دون أن أعرف مکانک، بل و حتی دون أن أفطن فی کثیر من الأحیان لوجودک ...

إلیک یا أملی الحی، الذی یمدنی بالقوة، و یجدد فیّ العزیمة ...

و یا قبس الهدی و النور، الذی لولاه لکنت أعیش فی الظلام، ...

ظلام الوحدة، و الحیرة، و الضیاع ...

إلیک. یا من تملأ الأرض قسطا، و عدلا، بعد ما ملئت ظلما، و جورا ...

إلیک ... یا سیدی، و مولای، یا صاحب الزمان ... أرفع کتابی هذا ...

راجیا منک القبول ...

جعفر.

ص: ۷

مقدمة الطبعة الثانية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الخلق و أعز المرسلين، محمد و آله الطيبين الطاهرين.

و بعد:

فهذه هى الطبعة الثانية لهذا الكتاب، نخرجها إلى القراء الكرام، بعد حوالى ثلاث سنوات من ظهور طبعته الاولى، التى نفدت نسخها بسرعة.

و اننى إذ أعتزّ باقبال القراء على هذا الكتاب، لا يسعنى إلا أن أقف موقف التقدير و الاكبار لهذه الرغبة الصادقة منهم فى الاطّلاع و المعرفة، و هو أمر يبعث على الأمل، و يبشر بمستقبل مشرق إن شاء اللّه تعالى ...

هذا الكتاب:

لقد جاء التفكير فى هذا الكتاب فى نفس الوقت الذى نشرت فيه مجلة لبنانية مقالا لبعض السطحيين، من طالبى الشهرة و المال!! يتهجم فيه على ساحة قدس الإمامين العظيمين: الحسن المجتبى عليه السلام؛ لصلحه مع معاوية ...

و الامام الرضا عليه السلام؛ لقبوله بولاية العهد، من قبل المأمون العباسى ...

ص: ۸

فاما قضية الصلح فقد كان قد بحثها الباحثون، و اهتم بها العلماء و المؤرخون، و كشفوا عن جانب كبير من ظروفها و ملابساتها؛ و من هنا فقد انصبّ اهتمامى آنئذ على بحث قضية ولاية العهد، و التى كان البحث فيها شاقا و صعبا للغاية، لاسباب لا يجهلها من له أدنى اطلاع على واقع الكتب التاريخية، و مؤلفيها، و ظروف تأليفها ...

و لعل ذلك المقال نفسه أيضا، قد كان هو الحافز لسماحة العلامة البارع، السيد محمد جواد فضل اللّه رحمه اللّه، ليكتب كتابه الشّيق، الذى أسماه:

«حياة الامام الرضا (ع)»، و عقد فيه فصلا للحديث عن ولاية العهد أيضا؛ فشكر اللّه سعيه، و تغمده برحمته، و جزاه خير جزاء المحسنين ...

الجديد فی الکتاب:

و أودّ أن أشیر هنا، إلی أنه ... إما لسوء حظی، أو لحسن حظّ القارئ!! لم تتهیأ لی الفرصة لاعادة النظر فی الکتاب من جدید، بشکل یسمح لی بالتعدیل و التطویر فیه؛ و لذا فقد اکتفیت باصلاح کثیر من الأخطاء المطبعیة، مع زیادات طفیفة، لا تکاد تذکر.

تنبیه و ختام.

و بعد هذا ... فإننی أود أن انبه: علی أن کلمة «التشیع» الواردة فی هذا الکتاب لا یراد بها المعنی الخاص إلا نادرا ... کما أن المقصود من کلمة: «علوی» و «علویین» هو کل من یتصل نسبه بأمیر المؤمنین علی بن ابی طالب صلوات اللّه و سلامه علیه و علی ابنائه الطیبین الطاهرین ...

و فی الختام ... فاننی أعود فأکرر رجائی الأکید من کل القراء الکرام أن یکتبوا الی بملاحظاتهم، و وجهات نظرهم، و أنا لهم من الشاکرین.

و الحمد للّه، و له المنة، و به الحول، و علیه التکلان.

۲۲/ ۱/ ۱۴۰۰ ه. ق.

جعفر مرتضی الحسینی العاملی

ص: ۹

تقدیم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* و الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی خیر خلقه أجمعین، محمد و آله الطیبین الطاهرین:

و بعد:

فقد کان هذا الکتاب نتیجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بین مد و جزر ... و هو یبحث فی ظروف و أسباب حدث تاریخی هام فی التاریخ الاسلامی ... ألا و هو: «أخذ البیعة للامام الرضا علیه السلام بولایة العهد للمأمون» ...

و رغم الأهمیة البالغة لهذا الحدث، و کونه جدیرا بالدراسة، و البحث، و التمحیص ... فاننا رأینا المؤرخین و الباحثین- و لأسباب مختلفة- یضربون عنه صفحا، و یحاولون تجاهله، و التقلیل من أهمیته ...

و علی کل حال ... و مهما کانت الحقائق التی أوردتها فی هذا الکتاب موافقة لهوی قوم، و مثیرة لحنق آخرین ... فإن ما أرید أن أؤکد علیه هو:

ص: ١٠

إنی لثقتی من نفسی بأننی ما ادخرت وسعا، و لم آل جهدا فی تمحیص الحقائق، و ابراز المعالم الأصیلة للصورة، التی أرید- لسبب أو لآخر- طمسها، و تشویه معالمها. و أیضا لحسن ظنی بالقارئ، و ثقتی بنزاهته، و نظرته الواعیة ...

من أجل ذلک أقول- و بکل رضی، و ارتیاح، و اطمئنان-:

إننی لا أرید أن أفرض ما فی هذا الکتاب من آراء، و استنتاجات علی أحد ... بل سوف أترک الحکم فی ذلک للقارئ نفسه، الذی یمتلک کامل الحریة فی أن یقبل، أو أن یرفض، إذا اقتضی الأمر أیا من الرفض، أو القبول ...

و اللّه ولینا ... و هو الهادی إلی سواء السبیل ...

جعفر مرتضی الحسینی العاملی

ص: ١١

تمهید

صلة الماضی بالحاضر و المستقبل:

... بدیهی أن بعض الأحداث التاریخیة، التی تمر بالأمة، تؤثر تأثیرا مباشرا، أو غیر مباشر فی واقعها، إن حاضرا، و إن مستقبلا ...

بل و قد تؤثر فی روح الأمة، و عقلها، و تفکیرها ... و من ثم علی مبادئها العامة، التی قامت علیها قوانینها و نظمها، التی تنظم لها مسیرتها، و تهمین علی سلوکها ... فقد تقوی من دعائمها، و تؤکد وجودها، و استمرارها، و قد تنسفها من أسسها، إن کانت تلک المبادئ علی درجة کبیرة من الضعف و الوهن فی ضمیر الأمة و وجدانها ... و علی صعید العمل فی المجال العملی العام ...

فمثلا ... نلاحظ أن الاکتشافات الحدیثة، و التقدم التقنی قد أثر أثرا لا ینکر حتی فی عاطفة الإنسان، التی یفرضها واقع التعایش ...

و حتی فی مواهبه و ملکاته، فضلا عن سلوکه، و أسلوب حیاته ...

و حیث إن المبادئ الاجتماعیة لم تکن علی درجة من الرسوخ و القوة فی ضمیر الإنسان و وجدانه، و لم تخرج عن المستوی الشکلی فی حیاته العملیة- و إن انغرست فی أعماق بعض أفراده أحیانا فی دورات تاریخیة

ص: ١٢

قصيرة- نرى أنها بدورها قد تأثرت بذلك، و نسفت او كادت من واقع هذه الأمة، و عدمت أو كادت من دائرة حياتها ... و ليكون البديل- من ثم- عنها لدى هذا الكائن هو «الذاتية» الكافرة بكل العواطف الاجتماعية، و العوض عنها فى نفسه هو المادة الجافة، التى لا ترحم و لا ترثى، و لا تلين، لا يجد لذة العاطفة، و لا حلاوة الرحمة، و ليعود الانسان- بعد لأى- متشائما حاقدا، لا يثق بمستقبله، و لا يأمن من يحيط به، و لا يطمئن إلى أقرب الناس إليه ...

و بطبيعة الحال، سوف يتأثر النشء الجديد بذلک، ثم ينتقل ذلک إلى الجيل الذى يليه ... و هكذا ...

و هكذا ... فإن الحدث التاريخى الذى كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتى فى واقع حياتنا التى نعيشها اليوم.

و إذن ... فنستطيع أن نستخلص من هذا: أن الأحداث التاريخية مهما بعدت، و من أى نوع كانت تؤثر فى وضع الأمة، و فى تصرفاتها، و فى حياتها، و سلوكها على المدى الطويل ... و تتحكم- إلى حد ما- فى مستقبلها. و ان العامل التاريخى له أثر كبير فى فرض المستوى الذى يعيشه المجتمع بالفعل، سواء فى ذلک الأدبى منه، أو العلمى، أو الدينى، أو السياسى، أو الاقتصادى، أو غير ذلک ...

و غنى عن القول هنا ... أن التأثر بالأحداث يختلف من أمة لأخرى، و من عصر لآخر ...

لما ذا كان تدوين التاريخ:

و من هنا تبرز أهمية التاريخ، و نعرف أنه يلعب دورا كبيرا فى حياة

ص: ١٣

الأمم: مما يجعلنا لا نجد كثير عناء فى الإجابة على سؤال: لما ذا عنيت الأمم على اختلافها بالتاريخ، تدوينا، و درسا، و بحثا. و تمحيصا؟! فان ذلک لم يكن إلا لأنها تريد أن تستفيد منه، لتتعرف على واقعها الذى تعيشه؛ لتستفيد من ذلک لمستقبلها الذى تقدم عليه ... و لتكتشف منه عوامل رقيها، و انحطاطها، و لتنطلق من ثم لبناء نفسها على أسس متينة و سليمة ...

فمهمّة التاريخ إذن- تاريخ الأمة المدوّن- هى: أن يعكس بأمانة و دقة ما تمر به الأمة من أحوال و أوضاع، و أزمات فكرية، و اقتصادية، و ظروف سياسية: و اجتماعية، و غير ذلک.

و نحن ... هل نملک تاريخا؟!!

و نحن أمة ... لكننا لا نملک تاريخا- و أقصد بذلک كتب التاريخ- نستطيع أن نستفيد منه الكثير فى هذا المضمار؛ لأن اكثر ما كتب لنا منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، و الهوى المذهبى، و التزلف للحكام.

و أقصد ب «النظرة الضيقة»: عملية ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره و أسبابه التى تلقى الضوء الكاشف على حقيقته و واقعه ...

نعم ... إننا بمرارة- لا نملک تاريخا نستطيع أن نستفيد منه الكثير؛ لأن المسيرة قد انحرفت، و الأهواء قد لعبت لعبتها «۱» و أثرت أثرها المقيت

---

(۱) و من أراد أن يعرف المزيد عن ذلک، فليراجع: النصائح الکافية لمن يتولى معاوية من ص ۷۲ إلى ص ۷۹، و الغدير ج ۵ ص ۲۰۸ إلى ص ۳۷۸، و ج ۱۱ من ص ۷۱، إلى ص ۱۰۳، و ج ۹ من ص ۲۱۸ إلى آخر المجلد، و غير ذلک من مجلدات هذا الکتاب و صفحاته و الاحتجاج للطبرسی، و خمسون و مائة صحابى مختلق للعسکری، و غير ذلک کثير ...

البغيض، حتى فى تدوين التاريخ نفسه.

و إنه لمما يدمى قلوبنا، و يملأ نفوسنا أسى و ألما، أن نکون قد فقدنا تاريخنا، و دفناه تحت رکام من الانانيات، و العصبيات، و الأطماع الرخيصة، حتى لم يبق منه سوى الرسوم الشوهاء، و الذکريات الشجية ...

و مرة أخرى أقول: إن کل ما لدينا هو- فقط- تاريخ الحکام و السلاطين، الذين تعاقبوا على کراسى الحکم. و حتى تاريخ الحکام هذا، رأيناه مشوها، و ممسوخا؛ حيث لم يستطع أن يعکس بأمانة وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئک الحکام، و أعمالهم و تصرفاتهم؛ و ما ذلک إلا لأن المؤرخين لم يکونوا أحرارا فى کتابتهم للتاريخ. بل کانوا يؤرخون و يکتبون حسب ما يريده الحکام أنفسهم، و يخدم مصالحهم ...

إما رهبة من هؤلاء الحکام، او رغبة، او تعصبا لمذهب، أو لغيره ...

و من هنا ... فليس من الغريب جدا أن نرى المؤرخ يعتنى بأمور تافهة و حقيرة؛ فيسهب القول فى وصف مجلس شراب، أو منادمة، حتى لا يفوته شىء منه، أو يختلق و يفتعل أحداثا لم يکن لها وجود إلا فى عالم الخيالات و الأوهام، أو يتکلم عن أشخاص لم يکن لهم شأن يذکر، بل قد لا يکون لهم وجود أصلا ... بينما نراه فى نفس الوقت يهمل بالکلية شخصيات لها مکانتها، و خطرها فى التاريخ، أو يحاول تجاهل الدور الذى لعبته فيه ... و يهمل أو يشوه أحداثا ذات أهمية کبرى، صدرت من الحاکم نفسه، أو من غيره، و من بينها ما کان له دور هام فى حياة الأمة، و مستقبلها، و أثر کبير فى تغيير مسيرة التاريخ، أو يحيطها- لسبب أو لآخر- بستار من الکتمان، و الابهام.

و من تلک الأحداث ...

و فى طليعة تلک الأحداث التى کان نصيبها ذلک: «البيعة للامام

ص: ۱۵

الرضا علیه السلام بولایة العهد ...»، من قبل الخلیفة العباسی عبد اللّه المأمون!! ...

هذا الحدث الذی لم یکن عادیا، و طبیعیا، کسائر ما یجری و ما یحدث، و الذی کان نصیبه من المؤرخین أن یتجاهلوه، و یقللوا ما أمکنهم من اهمیته، و خطره، و أن یحیطوا أسبابه و دوافعه، و ظروفه بستائر من الکتمان ... و عند ما کانت تواجههم الأسئلة حوله تراهم یرددون تلک التفسیرات التی أراد الحکام أن یفهموها للناس، دون أن یکون من بینها ما یقنع، أو ما یجدی ...

إلا أننا مع ذلک، لم نعدم فی هذا الذی یسمی، ب «التاریخ» بعض الفلتات و الشذرات المتفرقة هنا و هناک، التی تلقی لنا ضوءا، و تبعث فینا الرجاء و الأمل بالوصول إلی الحقائق التی خشیها الحکام؛ فقضوا علیها- بکل قسوة و شراسة- بالعدم، و الاندثار ...

و لو فرض: أنه کان للمؤرخین القدامی العذر- إلی حد ما- فی تجاهل هذا الحدث، و التقلیل من أهمیته، لظروف سیاسیة، و اجتماعیة، و مذهبیة معینة .... فان من الغریب حقا أن نری الباحثین الیوم- مع أنهم لا یعیشون تلک الظروف، و ینعمون بالحریة بمفهومها الواسع- یحاولون بدورهم تجاهل هذا الحدث، و التقلیل من أهمیته، عن قصد أحیانا، و عن غیر قصد أخری، و إن کنا نستبعد هذا الشق الأخیر؛ إذ أننا نشک کثیرا فی أن لا یسترعی حدث غریب کهذا انتباههم، و یلفت أنظارهم ...

و أیا ما کان السبب فی ذلک، فان النتیجة لا تختلف، و لا تتفاوت؛ إذ انها کانت فی الواقع الخارجی سلبیة علی کل حال.

ص: ۱۶

و بدافع من الشعور بالواجب ...

و من هنا ... و بدافع من الشعور بالمسؤولیة، رأیت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف علی حقیقة دوافعه و أسبابه، و واقع ظروفه و ملابساته ...

و کانت نتیجة تلک الدراسة، التی استمرت ثلاث سنوات ما بین مد و جزر هی: هذا الکتاب الذی بین یدیک ...

و لا أدعی: أن کل ما فی هذا الکتاب من آراء و استنتاجات، لا تعدو الحقیقة، و لا تشذ عن الصواب.

و لا أدعی أیضا: أننی استطعت أن أضع یدی علی کل خیوط القضیة، و أن أنفذ إلی جمیع جذورها العمیقة و الرئیسة؛ فان ذلک لیس من الأمور السهلة بالنسبة لأی حدث تاریخی مضی علیه العشرات و المئات من السنین؛ فکیف إذا کان إلی جانب ذلک مما قد أرید له- کما قلنا- أن تبقی دوافعه و أسبابه طی السریة و الکتمان، و ظروفه و ملابساته رهن الابهام و الغموض ...

لا ... لا أدعی هذا، و لا ذاک ... و إنما أقول:

إن هذا الكتاب قادر- و لا شک- على أن يرسم علامة استفهام كبيرة حول «طبيعية» هذا الحدث، و حول المأمون، و نواياه، و تصرفاته المشبوهة ...

و انه- على الأقل يمكن أن يعتبر خطوة على طريق الكشف الكامل عن جميع الحقائق، و التعرف على كافة العوامل و الظروف، التى اكتنفت هذا الحدث التاريخى الهام ....

ص: ١٧

تقسيم الكتاب ... باختصار ...

و من أجل استيفاء البحث من جميع جوانبه، كان لا بد لنا من تقسيم الكتاب إلى أقسام أربعة:

الأول: يتناول قيام الدولة العباسية، و أساليب دعوتها، و يعطى لمحة عن موقف العلويين، و العباسيين، كل منهما من الآخر، و ردود الفعل لذلک، و غير ذلک من أمور ...

الثانى: يبحث حول ظروف البيعة، و أسبابها، و نتائجها ...

الثالث: يتکفل بالقاء أضواء كاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلى المأمون، أو بالنسبة إلى الإمام (ع) ...

الرابع: نعرض فيه لبعض الأحداث التى تلقى لنا ضوءا على حقيقة نوايا المأمون، و تكشف لنا عن بعض مخططاته ... و غير ذلک مما يتصل بذلک، و يرتبط به، بنحو من الارتباط و الاتصال ...

هذا:

و قد وضعنا فى آخر الكتاب بعض الوثائق التاريخية الهامة، التى آثرنا أن يطلع القارئ بنفسه على نصها الكامل ...

و نسأل اللّه أن يوفقنا جميعا ... و يهدينا سبيل الرشاد ...

ص: ١٩

القسم الأوّل ممهدات ...

١- قيام الدولة العباسية.

٢- مصدر الخطر على العباسيين.

٣- سياسة العباسيين ضد العلويين.

۴- سياسة العباسيين مع الرعية ...

۵- فشل سياسة العباسيين ضد العلويين.

ص: ۲۱

قيام الدولة العباسية

العلويون فى الماضى البعيد ...

بعد أن أمعن الأمويون فى الانحراف عن الخط الاسلامى القويم، و أصبح واضحا لدى كل أحد، أن هدفهم ليس إلا الحكم و السيطرة، و التحكم بمقدرات الأمة و امكاناتها ... و أن كل همهم كان مصروفا إلى الملذات و الشهوات، أينما كانت، و حيثما وجدت ... و ليس لمصلحة الأمة، و سعادتها، و رفاهها عندهم أى اعتبار ...

و بعد أن لجوا فى عدائهم لأهل البيت عليهم السلام، و بلغوا الغاية فيهم، قتلا، و عسفا، و تشريدا ... و خصوصا ما كان منهم فى وقعة كربلاء التى لم يعرف التاريخ أبشع، و لا أفظع منها ... و جعلهم لعن على عليه السلام سنة لهم، يشب عليها الصغير، و يهرم عليها الكبير ...

ثم ملاحقتهم لولده، و لكل من يتشيع لهم، تحت كل حجر و مدر، و فى كل سهل و جبل؛ ليعفوا منهم الآثار، و يخلوا منهم الديار ...

بعد كل هذا ... و بفضل جهاد أهل البيت المتواصل، فى سبيل توعية الامة، و تعريفها بأحقيتهم، و بحقيقة، و واقع تلك الطغمة الفاسدة ... كان من الطبيعى أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت

ص: ۲۲

و يزيد، كلما ازداد نفورهم من الأمويين، و نقمتهم عليهم؛ و ذلک تبعا لتزايد وعيهم، و تكشف الحقائق لهم، و لأنهم أدركوا من واقع الأحداث التى مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السلام هم: الركن الوثيق، الذى لا نجاة لهم إلا بالالتجاء إليه، و ذلک الأمل الحى، الذى تحيا به الأمة، و تحلو معه الحياة ...

العرش الأموى فى مهب الريح ...

و لهذا نجد: أن الثورات و الفتن ضد الحكم الاموى كانت تظهر من كل جانب و مكان، طيلة فترة حكمهم. حتى أنهكت قواهم، و اضعفتهم إلى حد كبير، و فنوا و أفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، و لا السيطرة على العباد ...

و كانت تلك الثورات تتخذ الطابع الدينى على العموم، مثل: ثورة أهل المدينة المعروفة ب «وقعة الحرة»، و ثورة قراء الكوفة و العراق، المعروفة ب «دير الجماجم» سنة ۸۳ ه ... و قبلها ثورة المختار و التوابين سنة ۶۷ ه. و أيضا ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد؛ للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، سنة ۱۲۶ ه. و كذلك ثورة عبد اللّه بن الزبير، الذى تغلب على البلاد ما عدا دمشق، و ما والاها مدة من الزمن ... ثم الثورة التى قامت ضد هشام فى افريقيا.

و ثورة الخوارج بقيادة المتسمى ب «طالب الحق» سنة ۱۲۸ ه ...

و أيضا ثورة الحارث بن سريح فى خراسان، داعيا إلى كتاب اللّه، و سنة رسوله سنة ۱۱۶ ه. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

ص: ۲۳

و اما ما كان منها بدافع غير دينى، بل من أجل الحكم، و السلطان، فنذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سنة ۱۰۲ ه. و ثورة مطرف بن المغيرة ...

و أما فى زمن مروان ...

و فى زمن مروان بن محمد الجعدى، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع فى السوء و التدهور قد بلغ الغاية، و أوفى على النهاية؛ حيث بلغ من انشغال مروان بالثورات و الفتن، التى كانت قد شملت اكثر الاقطار: أنه لم يستطع أن يصغى إلى شكوى عامله فى خراسان نصر بن سيار، الذى كان بدوره يواجه الثورات و الفتن، و من جملتها دعوة بنى العباس، التى كانت تزداد قوة يوما بعد يوم، بقيادة أبى مسلم الخراسانى ...

من خلال الاحداث ...

كل ذلك يكشف عن مدى تبرم الناس بحكم بنى أمية، و بسلطانهم، الذى كان قائما على أساس من الظلم و الجور، و الابتزاز، و التحكم بمقدرات الأمة، و امكاناتها ... و يتضح لنا ذلك جليا إذا لاحظنا:

أن ما كان يتقاضاه الولاة لا يمكن أن يخطر على قلب بشر؛ و يكفى مثالا على ذلك أن نشير إلى أن خالدا القسرى، كان يتقاضى راتبا سنويا قدره «۲۰» مليون درهم، بينما ما كان يختلسه كان يتجاوز

ص: ۲۴

ال «۱۰۰» مليون «۱». و إذا كان هذا حال الولاة، فكيف ترى كان حال الخلفاء، الذين كانوا يحقدون على كل القيم، و المثل، و الكمالات الانسانية ... و الذين وصف الكميت رأيهم فى الناس، فقال:

رأيه فيهم كرأى ذوى الثلّة فى الثائجات جنح الظلام.

جزّ ذى الصوف و انتقاء لذى المخّة، نعقا و دعدعا بالبهام «٢».

نعم ... لقد كانت الأمة قد اقتنعت اقتناعا كاملا و نهائيا: بأن بنى أمية ليس لهم بعد حق فى أن يفرضوا أنفسهم قادة للامة، و لا روّادا لمسيرتها؛ لأن نتيجة ذلک ستکون- حتما- هى جرّ الامة إلى الهاوية، حيث الدمار و الفناء؛ فلفظتهم، و انقلبت عليهم، تأخذ منهم بعض الحقوق التى لها عندهم. إلى أن تمكنت أخيرا من أن تخلى منهم الديار، و تعفى منهم الآثار ...

و كان نجاح العباسيين طبيعيا ...

و من هنا نعرف: أن نجاح العباسيين فى الاستيلاء على مقاليد الحکم-

---

(١) السيادة العربية ص ٣٢، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، و محمد زكى ابراهيم.

و فى البداية و النهاية ج ٩ ص ٣٢٥: أن دخل خالد القسرى كان فى كل سنة «١٣» مليون دينار، و دخل ولده يزيد بن خالد كان «١٠» ملايين دينار سنويا. و لا بأس بمطالعة كتاب السيادة العربية، ليعرف ما أصاب الناس، و خصوصا العراقيين و الخراسانيين فى عهد الامويين ...

(٢) الهاشميات ص ٢٦، ٢٧. و الثلة: القطعة الكثيرة من الضان. و الثائجات: الصائحات.

و انتقاء: اختيار. و أراد بذى المخة: السمينة. و نعقا: أى صياحا. و الدعدعة:

زجر البهائم ...

يقول: رأى الواحد من هؤلاء الخلفاء فى رعيته، و معاملته لها كرأى أصحاب الغنم فى غنمهم؛ فلا يراعون العدل، و لا الانصاف فيهم ...

ص: ٢٥

فى ذلک الحين- لم يكن ذلک الأمر المعجزة، و الخارق للعادة. بل كان أمرا طبيعيا للغاية؛ إذا ما أخذت الحالة الاجتماعية، و الظروف و الملابسات آنئذ بنظر الاعتبار؛ فان الامة كانت مهيأة نفسيا لقبول التغيير، أى تغيير ... بل كانت تراه أمرا ضروريا، لا بد منه، و لا غنى عنه؛ إذا كانت تريد لنفسها الحياة الفاضلة، و العيش الكريم ...

و لهذا ... فليس من الغريب أن نقول:

إنه كان بامكان أية ثورة أن تنجح، لو أنها تهيأت لها نفس الظروف، و سارت على نفس الخط، و اتبعت نفس الأساليب، التى اتبعها العباسيون فى دعوتهم، و ثورتهم.

و نستطيع أن نتبين أساليب العباسيين تلک فی ثلاثة خطوط عريضة و واضحة ...

الخط الأول:

«كانوا يصورون أنفسهم على أنهم ما جاءوا إلا لينقذوا الأمة من شرور بنى أمية، و ظلمهم، و عسفهم، الذى لم يكن يقف عند حدود.

و كانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشير بالخلاص، و أنهم سوف يقيمون حكما مبدؤه العدل، و المساوات، و الأمن و السلام. و قد كانت و عودهم هذه كسائر الوعود الانتخابية، التى ألفناها من ساسة العصر الحديث ... بل لقد كانت الأمانى التى خلقتها الدعوة العباسية فى الجماهير مسئولة الى حد كبير عن ردود الفعل العنيفة، التى حدثت ضد الحكم العباسى بعد ذلک؛ حيث كان حكمهم قائما على الطغيان المتعطش إلى سفک الدماء «١» ...».

---

(١) راجع: امبراطورية العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خيرى حماد.

ص: ٢۶

الخط الثانی:

إنهم لم يعتمدوا كثيرا على العرب، الذين كانوا يعانون من الانقسامات الداخلية الحادة، و إنما استعانوا بغير العرب، الذين كانوا فى عهد بنى أمية محتقرين، و منبوذين، و مضطهدين، و محرومين من أبسط الحقوق المشروعة، التى منحهم إياها الاسلام ... حتى لقد أمر الحجاج أن لا يؤم فى الكوفة إلا عربى ... و قال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربى «١» ...

كما طرد غير العرب من البصرة، و البلاد المجاورة لها، و اجتمعوا يندبون: وا محمدا و أحمدا. و لا يعرفون أين يذهبون، و لا عجب أن نرى أهل البصرة يلحقون بهم، و يشتركون معهم فى نعى ما نزل بهم من حيف و ظلم «٢».

بل لقد قالوا: «لا يقطع الصلاة إلا: حمار، أو كلب، أو مولى «٣» ...»

و قد أراد معاوية أن يقتل شطرا من الموالى، عند ما رآهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلک «۴» ...

و تزوج رجل من الموالى بنتا من أعراب بنى سليم، فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينة، و واليها يومئذ ابراهيم بن هشام بن اسماعيل،

---

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢۴، و العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٧، و مجلة الهادى، السنة الثانية العدد الأول ص ٨٩، و تاريخ التمدن الاسلامى المجلد ٢ جزء ۴ ص ٣۴٣.

(۲) السيادة العربية ص ۵۶، ۵۷، و لا بأس بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول ج ۲ ص ۲۷۴.

(۳) العقد الفريد طبع مصر سنة ۱۹۳۵ ج ۲ ص ۲۷۰، و تاريخ التمدن الاسلامى جزء ۴ ص ۳۴۱.

(۴) المصدران السابقان ...

ص: ۲۷

فشكا إليه ذلک، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه و بين زوجته، و ضربه مأتى سوط، و حلق رأسه، و حاجبه، و لحيته ... فقال محمد ابن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة و حكمت عدلا و لم ترث الخلافة من بعيد«۱»

و لم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلک «۲».

و يقول أبو الفرج الاصفهانى: «... كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربى من السوق، و معه شىء، و رأى مولى، دفعه إليه، فلا يمتنع «۳».»

بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من أمهات أعجميات «۴».

و أخيرا ... فان البعض يقول: إن قتل الحسين كان: «الكبيرة، التى هونت على الأمويين أن يقاوموا اندفاع الايرانيين؟ إلى الدخول فى الاسلام «۵» ...».

و بعد هذا ... فان من الطبيعى أن يبذل الموالى أرواحهم، و دماءهم و كل غال و نفيس فى سبيل التخلص من حكم يعاملهم هذه المعاملة، و له فيهم هذه النظرة؛ فاعتماد الدعوة العباسية على هؤلاء كان منتظرا

---

(۱) الأغانى ج ۱۴ ص ۱۵۰، و ضحى الاسلام ج ۱ ص ۲۳، ۲۴.

(۲) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ۴۰، و لا بأس أيضا بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الأول، الجزء الثانى ص ۲۸۲، ۲۸۳.

(۳) ضحى الاسلام ج ۱ ص ۲۵.

(۴) ضحى الاسلام ج ۱ ص ۲۵، و العقد الفريد ج ۶ ص ۱۳۰، ۱۳۱، طبعة ثالثة، و مجلة الهادى، السنة الثانية، العدد الأول ص ۸۹.

(۵) الصلة بين التصوف و التشيع ص ۹۵.

ص: ۲۸

و متوقعا، كما أن اندفاع هؤلاء فى نصرة الدعوة العباسية كان متوقعا، و منتظرا أيضا ...

الخط الثالث:

أنهم- أعنى العباسيين- قد حاولوا فى بادئ الأمر أن يربطوا دعوتهم و ثورتهم بأهل البيت عليهم السلام ...

و طبيعة البحث تفرض علينا أن نتوسع فى بيان هذه النقطة بالذات و ذلک لمالها من الأهمية البالغة، بالنظر لما تركته من آثار بارزة على مدى التاريخ، و لأنها كانت الناحية التى اعتمد العباسيون عليها اعتمادا كليا، و تعتبر السبب الرئيس فى وصول العباسيين إلى السلطة، و حصولهم على مقاليد الحكم ... و لهذا ... فنحن نقول:

دولة بنى العباس فى صحيفة ابن الحنفية:

قد نقل ابن أبى الحديد «۱»، عن أبى جعفر الاسكافى: أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، و عن غيرهم من أرباب الحديث، أنه: لما مات على أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمد بن الحنفية من أخويه: الحسن، و الحسين ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو اطلعاه على غيرها لهلک. و كان فى هذه الصحيفة ذكر لدولة بنى العباس. فصرح ابن الحنفية لعبد اللّه بن العباس بالأمر، و فصله له ...

و الظاهر أن تلک الصحيفة انتقلت منه لولده أبى هاشم، و عن طريقه وصلت إلى بنى العباس. و يقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء

---

(۱) شرح نهج البلاغة ج ۷ ص ۱۴۹، ۱۵۰.

ص: ۲۹

حربهم مع مروان بن محمد الجعدى «۱»، آخر خلفاء الأمويين ...

و قد ذكرت هذه الصحيفة فى كلام بنى العباس، و خلفائهم كثيرا، و سيأتى لها ذكر فى رسالة المأمون للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟

و بعد هذا ... فان الشىء المهم هنا هو تحديد الزمن الذى بدأ به العباسيون دعوتهم، و كيف؟.

و نستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، و بالتحديد من قبل أبى هاشم، عبد اللّه بن محمد بن الحنفية. و هو الذى نظم الدعاة، و رتبهم، و قد انضوى تحت لوائه: محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس، و معاوية ابن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، و عبد اللّه بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، و غيرهم ... و هؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، و أطلعهم على أمر دعاته ...

و قد قرأ محمد بن على، و معاوية بن عبد اللّه تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، و وجد كل منهما ذكرا للجهة التى هو فيها ...

و لهذا نلاحظ: أن كلا من محمد بن على، و معاوية بن عبد اللّه، قد ادعى الوصاية من أبى هاشم؛ مما يدل دلالة واضحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، و إنما عرفهما دعاته فقط ...

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٩.

هذا ... و بعد موت معاوية بن عبد اللّه، قام ابنه عبد اللّه يدعى الوصاية من أبيه، من أبى هاشم ... و كان له فى ذلك شيعة، يقولون بامامته سرا حتى قتل ...

و أما محمد بن على فقد كان بمنتهى الحنكة و الدهاء، و قد تعرف- كما قلنا- من أبى هاشم على الدعاة، و استطاع بما لديه من قوة الشخصية، و حسن الدهاء أن يسيطر عليهم، و يستقل بهم «١»، و يبعدهم عن معاوية بن عبد اللّه، و عن ولده، و يبعدهما عنهم ...

و استمر محمد بن على يعمل بمنتهى الحذر و السرية ... و كان عليه أن:

١- يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، و أبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم- إن استطاع- لصالحه، و صالح دعوته ...

و لقد فعل ذلك هو و ولده كما سيتضح ...

٢- و كان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التى لن يكون تعامله معها فى صالحه، و فى صالح دعوته ...

٣- و الأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، و عن نشاطاته، و يضللهم، و يعمى عليهم السبل ...

و لذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعاته إليها، و أوصاهم بوصيته

---

(١) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٠.

المشهورة، التى يقسم فيها البلاد و الامصار: هذا علوى، و ذاك عثمانى، و ذلک غلب علیه أبو بكر و عمر، و الآخر سفيانى ... إلى آخر ما سيأتى «١» ...

---

(١) و لقد بذل محمد بن على جهدا جبارا فى إنجاح الدعوة، و كانت أكثر نشاطاته فى حياة والده، على بن عبد اللّه، الذى يبدو أنه لم يكن له فى هذا الأمر دور يذكر. و توفى والده على ما يظهر فى سنة ١١٨ ه. و كان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأيدينا من الدلائل التاريخية من سنة ١٠٠ ه. أى بعد وفاة أبى هاشم بسنتين. إذ فى: سنة ١٠٠ ه. وجه محمد بن على من أرض الشراة ميسرة إلى العراق و وجه محمد بن خنيس، و أبا عكرمة السراج، و هو أبو محمد الصادق، و حيان العطار إلى خراسان.

و فيها أيضا جعل اثنى عشر نقيبا، و أمر دعاته بالدعوة إليه، و إلى أهل بيته ...

و فى سنة ١٠٢ ه. وجه ميسرة رسله إلى خراسان، و ظهر أمر الدعوة بها و بلغ ذلک سعيد خذينة، عامل خراسان؛ فأرسل، و أتى بهم، و استنطقهم، ثم أخذ منهم ضمناء و أطلقهم ...

و فى سنة ١٠٤ ه. دخل أبو محمد الصادق، و عدة من أصحابه، من أهل خراسان إلى محمد بن على؛ فأراهم السفاح فى خرقة، و كان قد ولد قبل خمسة عشر يوما، و قال لهم: «و اللّه، ليتمن هذا الأمر، حتى تدركوا ثاركم من عدوكم».

و فى سنة ١٠٥ ه. دخل بكير بن ماهان فى دعوة بنى هاشم ... و فيها مات ميسرة؛ فجعل محمد بن على بكيرا هذا مكانه فى العراق ...

و فى سنة ١٠٧، أو ١٠٨ ه. وجه بكير بن ماهان عدة من الدعاة إلى خراسان، فظفر بهم عامل خراسان؛ فقتلهم، و نجا منهم عمارة؛ فكان هو الذى أخبر محمد ابن على بذلک.

و فى سنة ١١٣ ه. صار جماعة من دعاة بنى العباس إلى خراسان؛ فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم؛ فقتله، و قال: «من اصيب منهم فدمه هدر».

و فى سنة ١١٧ ه. أخذ عامل خراسان أسد بن عبد اللّه وجوه دعاة بنى العباس، و فيهم النقباء، و منهم سليمان بن كثير؛ فقتل بعضهم، و مثل ببعضهم، و حبس آخرين ...

و فی سنة ۱۱۸ وجه بکیر بن ماهان عمار بن یزید- و هو خداش- والیا علی شیعة بنی العباس؛ فنزل مروا، و دعا إلی محمد بن علی؛ ثم غلا ...

و أمرهم- أعنی الدعاة بالتحاشی عن الفاطمیین، لکنه ظل هو شخصیا، و من معه من العباسیین، الذین استنوا بسنته، و ساروا من بعده بسیرته- ظلوا- یتظاهرون للعلویین بأنهم معهم، و أن دعوتهم لهم. و لم یکن إلا القلیلون یعرفون بأنه: کان یدبر الأمر للعباسیین.

و قد أعطی دعاته شعارات مبهمة، لا تعین أحدا، و صالحة للانطباق علی کل فریق، کشعار: «الرضا من آل محمد» و «أهل البیت»، و نحو ذلک ...

مدی سریة الدعوة:

و الظاهر ... أن عبد اللّه بن معاویة کان من جملة أولئک المخدوعین بهذه الشعارات؛ إذ قد ذکر المؤرخون، و منهم أبو الفرج فی مقاتل الطالبیین ص ۱۶۸، و غیره: أنه بعد ان استظهر ابن ضبارة علی عبد اللّه ابن معاویة توجه عبد اللّه إلی خراسان، و کان أبو مسلم قد ظهر بها؛ فخرج إلی أبی مسلم طمعا فی نصرته!! فأخذه أبو مسلم؛ فحبسه، ثم قتله ...

و فی سنة ۱۲۰ ه. و جهت شیعة بنی العباس سلیمان بن کثیر إلی محمد بن علی فی أمر خداش.

و فی سنة ۱۲۴ ه. قدم جماعة من شیعة بنی العباس الکوفة یریدون مکة. و فیها أیضا اشتری بکیر بن ماهان أبا مسلم ...

راجع فی ذلک کله:

تاریخ الطبری مطبعة الاستقامة ج ۵ ص: ۳۱۶، ۳۵۸، ۳۶۸، ۳۸۷، ۳۸۹، ۴۲۵، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۶۷، ۵۱۲، و غیر ذلک من کتب التاریخ.

و هذا یدل دلالة واضحة علی أن عبد اللّه بن معاویة کان یظن أن أبا مسلم سوف ینصره، و أنه- یعنی أبا مسلم- کان یدعو إلی أهل البیت، و الرضا من آل محمد علی الحقیقة، و لم یخطر فی باله: أن الدعوة کانت للعباسیین، و بتدبیر من أعظم داهیة فیهم!! ..

بل لعلنا نستطیع أن نقول: إن محمد بن علی قد استطاع أن یخفی هذا الأمر حتی عن ولدیه: السفاح، و المنصور، و لذا نراهما قد التحقا مع جمیع بنی هاشم العباسیین و العلویین علی حد سواء، و بعض الأمویین «۱» و وجوه قریش بعبد اللّه بن معاویة

الخارج سنة ۱۲۷ ه. فی الکوفة، ثم فی شیراز؛ حیث تغلب علی: فارس، و کورها، و علی حلوان، و قومس، و اصبهان، و الری و علی میاه الکوفة، و علی میاه البصرة، و علی همدان، و قم، و اصطخر، و عظم أمره جدا «۲».

و قد تولی المنصور من قبل عبد اللّه بن معاویة هذا علی «إیذج» «۳» کما تولی غیره غیر ذلک من الأمصار ... فقبول المنصور لولایة «إیذج» من قبله، باعتباره من الهاشمین یکشف عن أنه لم یکن یعلم: أن والده کان ابتداء من سنة مائة، أی قبل خروج عبد اللّه بن معاویة ب «۲۸» سنة یسعی جاهدا، و یشقی و یتعب فی تدبیر الامر للعباسیین، و ترکیز الدعوة لهم ... و انما کان یعلم أن الدعوة کانت لأهل البیت، و الرضا من

---

(۱) الأغانی ج ۱۱ ص ۷۴، و مقاتل الطالبیین ص ۱۶۷، و الوزراء و الکتاب ص ۹۸.

(۲) راجع أنساب الأشراف ص ۶۳، و الأغانی ج ۱۱ ص ۷۴، و مقاتل الطالبیین ص ۱۶۷، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۵، ۲۶، و ص ۳، و عمدة الطالب، و زاد فی تاریخ الجنس العربی: المدائن، و نیسابور ...

(۳) أنساب الأشراف للبلاذری ص ۶۳، و عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب طبع بمبئی ص ۲۲، و الوزراء و الکتاب ص ۹۸ و ۹۹، و فرج المهموم فی تاریخ علماء النجوم ص ۲۱۰. و فیه: أن سلیمان بن حبیب بن المهلب أخذه؛ فحبسه، و أراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف علی القتل ... و لیراجع الجهشیاری أیضا.

آل محمد، المنطبق- بالطبع- علی العلویین أکثر من غیرهم علی الاطلاق ...

و إلا فلو کان لمحمد بن علی دعوة واضحة، و مشهورة، و متمیزة، و کان المنصور یعلم بها لکان تولیه لإیذج من قبل عبد اللّه بن معاویة مضرا جدا فی دعوة أبیه، و ضربة قاضیة لها ...

اللهم إلا أن یکون ثمة غرض آخر أهم؛ فیکون ذلک منهم حنکة و دهاء ... کأن یکون نظرهم إلی أنه: لو نجحت دعوتهم، فبها ...

و إلا ... فلو نجحت دعوة عبد اللّه بن معاویة، فباستطاعتهم أن یحتفظوا فیها بمراکزهم، و نفوذهم؛ إذ لهم أن یقولوا: إننا کنا من المعاونین و المساهمین فی هذه الدعوة ... کما أن بذلک تنصرف أنظار الحکام عنهم، و یأمن العلویون جانبهم؛ فلا یناهضون دعوتهم و لا یقفون فی وجهها ...

و بهذه الاسباب نستطیع أن نفسر بیعة العباسیین جمیعا، اکثر من مرة لمحمد بن عبد اللّه العلوی، و به أیضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد اللّه هذا، حیث قال: «هذا محمد بن عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن، مهدینا أهل البیت» و یأخذ برکابه، و یسوی علیه ثیابه «۱».

و أيضا قوله فى مجلس البيعة لمحمد هذا: «ما الناس أصور أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم لهذا الفتى ...» كما سيأتى ...

و مما يوضح أيضا مدى تكتم العباسيين بأمر دعوتهم، أن: إبراهيم الامام قد بشر بأنه قد أخذت له البيعة بخراسان- و هو فى نفس الاجتماع الذى كان قد عقد ليجددوا فيه البيعة لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن ... و سيأتى المزيد من الشواهد لهذا أيضا إن شاء اللّه تعالى.

و هكذا ... فان النتيجة تكون هى: أن العباسيين ظلوا يتسترون

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٩، ٢٤٠.

بالعلويين، و يخدعونهم، على اعتبار أنهم لو نجحوا فى دعوتهم السرية، فان بيعتهم للعلويين، و دعوتهم لهم لا تضرهم، و إذا ما فشلوا فانهم سوف يحتفظون بنفوذهم و مراكزهم فى دولة أبناء عمهم ...

هذا مجمل الكلام بالنسبة للدعوة العباسية، و لكن طبيعة البحث تفرض علينا التوسع فى بيان المراحل التى مرّت بها هذه الدعوة، و لا سيما فيما يتعلق بربطها بأهل البيت عليهم السلام، و العلويين، و مدى اعتمادهم على هذا الربط ... فنقول:

لا بد من ربط الثورة بأهل البيت ...

إنه كان لا بد للعباسيين من ربط الثورة و الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم كانوا بحاجة إلى:

أولا: صرف انظار الحكام عنهم ...

ثانيا: كسب ثقة الناس بهم، و الحصول على تأييدهم لهم.

ثالثا: أن لا تقابل دعوتهم بالاستغراب، و الاستهجان، حيث إنهم لم يكونوا معروفين فى أقطار، و انحاء الدولة الاسلامية المترامية الأطراف، و لا كان يعرف أحد لهم حقا فى الدعوة لأنفسهم، كما هو الحال بالنسبة إلى العلويين، مما يجعل الدعوة لهم مع وجود العلويين مستغربة و مستهجنة إلى حد ما ...

رابعا:- و هو أهم ما فى الامر- أن يطمئن إليهم العلويون، و يثقوا بهم، حتى لا تكون لهم دعوة فى مقابل دعوتهم، لأن ذلك بلا شك سوف يضعفهم، و يوهن قوتهم، لما يتمتع به العلويون من نفوذ و مكانة فى نفوس الناس بشكل عام ...

و لهذا نرى أبا سلمة الخلال، يعتذر لابى العباس السفاح، عن كتابته

ص: ۳۶

للامام الصادق عليه السلام، بأن يجعل الدعوة باسمه، و يبايعه- يعتذر- بأنه: «كان يدبر استقامة الأمر «۱»».

نعم ... لقد كان لربطهم الثورة بأهل البيت عليهم السلام أثر كبير فى نجاح ثورتهم، و ظهور دعوتهم. و قد أكسبها ذلک قوة و منعة، و جعلها فى منأى و مأمن من طمع الطامعين، و تطلع المتطلعين، الذين كانوا يرجون لأنفسهم حظا من الحياة الدنيا، و ما أكثرهم ...

كما و أن ذلک قد أثر أثرا بالغا فى اكتسابهم عطف الأمة، و تأييدها، و خصوصا الخراسانيين، الذين كانوا لا يزالون يعيشون الإسلام بعيدا عن أهواء المبتدعين، و تلاعب المتلاعبين، و الذين: «و إن كانوا أقل غلوا (أى من أهل الكوفة)، فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لأهل البيت» «۲»؛ و ذلک لأنهم لم يعاملوا معاملة حسنة فى الواقع، و لم يسر فيهم بسيرة محمد و القرآن إلا على بن أبى طالب عليه السلام «۳» ...

كما أنهم لم ينسوا بعد ما لا لاقوه فى الدولة الأموية من العسف و التنكيل؛ و لذا فمن الطبيعى أن نراهم مستعدين لتقبل أية دعوة لأهل البيت عليهم السلام، و التفاعل معها، بل و التفانى فى سبيلها. كما أن بلدهم كان بعيدا من مركز الخلافة بالشام و لم يكن فيه فرق و أحزاب متناحرة كالعراق الذى كان فيه شيعة و خوارج و مرجئة و غير ذلک. و كانت وطأة الحكم العباسى على العراق و مراقبتهم لكل حركة فيه أشد منها فى خراسان ...

و بالفعل لقد شيد الخراسانيون، الذين كانوا يحبون أهل البيت عليهم السلام أركان دولة بنى العباس، و قامت خلافتهم على أكتافهم، و استقامت

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۷.

(۲) السيادة العربية، و الشيعة، و الاسرائيليات ص ۱۰۶.

(۳) نفس المصدر ص ۳۹.

ص: ۳۷

لهم الامور بفضل سواعدهم، و أسيافهم، و سيأتى إن شاء اللّه المزيد من الكلام عن الايرانيين، و عن سر تشيعهم، و خاصة الخراسانيين منهم فى فصل: ظروف المأمون الخ ... و غيره من الفصول ...

المراحل التى مرت بها عملية الربط:

و لقد مرت عملية الربط هذه بثلاثة مراحل أو أربعة، طبقا للظروف التى كانت قائمة آنذاک ... و إن كانت هذه المراحل قد تبدو متداخلة، و غير مميزة فى أحيان كثيرة «۱» ... إلا أن ذلک كان تبعا للظروف المكانية، و الزمانية، و الاجتماعية، التى كانت تتفاوت و تختلف باستمرار إلى حد كبير ... و هذه المراحل هى:

الأولى: دعوتهم فى بادئ الأمر «للعلويين».

الثانية: دعوتهم إلى: «أهل البيت»، و «العترة».

الثالثة: دعوتهم إلى «الرضا من آل محمد».

الرابعة: ادعاؤهم الخلافة بالارث، مع حرصهم على ربط الثورة بأهل البيت، بدعوى: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و ليرفعوا عنهم الظلم الذى حاق بهم ...

المرحلة الأولى:

و إذ قد عرفنا أن الدعوة كانت فى بدء أمرها للعلويين، فلا يجب

---

(۱) قال فى العيون و الحدائق ص ۱۸۰: «و كان قد انتشر فى خراسان دعاة من الشيعة، و قد انقسموا قسمين: قسم منهم يدعو إلى آل محمد على الاطلاق. و القسم الثانى يدعو إلى أبى هاشم بن محمد بن الحنفية، و كان المتولى لهذه الدعوة إلى آل رسول اللّه (ص) ابن كثير، و كان الدعاة يرجعون فى الرأى و الفقه إلى أبى سلمة الخ ...».

ص: ۳۸

أن نستغرب كثيرا، إذا قيل لنا: إن جلة العباسيين، حتى ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور كانوا قد بايعوا للعلويين اكثر من مرة، و فى اكثر من مناسبة، فإن ذلک ما كان الا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعناية فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلويين خاصة، و مع الناس بشكل عام ...

و يمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هى المرحلة الأولى من تلک المراحل المشار إليها آنفا ...

فنراهم عدا عن تعاونهم الواضح مع عبد اللّه بن معاوية، قد بايعوا محمد بن عبد اللّه بن الحسن أكثر من مرة أيضا، فقد:

«اجتمع آل عباس، و آل على عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، و هناک قال صالح بن على: «إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم اللّه فى هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا فى الآفاق، فادعوا اللّه، لعل أن يفتح عليكم، و ينصركم»، فقال أبو جعفر، أى المنصور: «لأى شىء تخدعون أنفسكم؟ و اللّه، لقد علمتم: ما الناس أصور (أى أميل) أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى»، يريد محمد بن عبد اللّه العلوى ...

قالوا: «قد و اللّه صدقت، إنا لنعلم هذا»، فبايعوا جميعا محمدا، و بايعه ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور، و صالح بن على، و سائر من حضر» طبعا ما عدا الامام الصادق عليه السلام ...».

و خرج دعاة بنى هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب و ولده، و ما لحقهم من القتل، و الخوف، و التشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه ...

و لم يجتمعوا (أى المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن

ص: ٣٩

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى ابراهيم الامام، فشاوره بشىء، فقام و تبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلک، فاذا الرجل قد قال لإبراهيم: «قد أخذت لک البيعة بخراسان، و اجتمعت لک الجيوش ...».

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد اللّه العلوى مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. و الأخرى: بالمدينة. و بايعه مرة ثالثة أيضا:

فى نفس مكة، و فى المسجد الحرام بالذات ...

و من هنا نعرف السبب فى حرص السفاح و المنصور على الظفر بمحمد ابن عبد اللّه العلوى، فان ذلک لم يكن إلا بسبب ما كان له فى اعناقهما من البيعة «١» ...

---

(١) قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، و خصوصا: مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الاصفهانى، صاحب الأغانى ص ٢٣٣، ٢٣۴، ٢۵۶، ٢۵٧، ٢٩۵، و غيرها ... و على كل فان كون الدعوة العباسية كانت فى بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شک فيه، و مما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، و النصوص التاريخية، التى سوف نشير إلى شطر منها فى هذا الفصل ...

و لا بأس أن يراجع بالاضافة إلى مقاتل الطالبيين فى الصفحات المشار إليها: النصوص التى وردت فى: النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵٠، و تاريخ ابن خلدون ج ۴ ص ٣، و ج ٣ ص ١٨٧، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١۶۴، ١۶۵، و تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ ص ٣٩٧، ٣٩٨، و البحار ج ۴٧ ص ١٢٠ و ص ٢٧٧، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨۴، و الخرائج و الجرائح ص ٢۴۴، و جعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الاهل ص ١١۵، فما بعدها، و غاية الاختصار ص ٢٢، و إعلام الورى ص ٢٧١، ٢٧٢، و ارشاد المفيد ص ٢٩۴، ٢٩۶، و كشف الغمة ج ٢ ص ٣٨٣، ٣٨۴، و ابن اعثم الكوفى فى كتابه: الفتوح على ما نقله فى طبيعة الدعوة العباسية، ... و أشار الطبرى إلى ذلک فى تاريخه ج ١٠ ص ١۴٣، فقال:

قد ذكروا أن محمدا كان يذكر أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بنى مروان ... و أشار إلى ذلك أيضا ابن الأثير ج ۴ ص ۲۷۰، و يراجع أيضا شرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۴، و ص ۱۰۴.

۱۰۵. و غير هؤلاء كثير ...

و قد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه البيعة فى قصيدته المشهورة، المعروفة ب «الشافية»، فقال:

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن ... أباهم العلم الهادى و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ... و لا يمين، و لا قربى، و لا ذمم

و ذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل محمد إلى البصرة، فأخذ و أتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟!. قال له عثمان:

بايعته أنا و أنت بمكة، فوفيت ببيعتى، و غدرت ببيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل «۱» ...

و ذكر البيهقى: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد اللّه بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال لمطير بن عبد اللّه: «أ ما تشهد أن محمدا بايعنى؟.» قال: «أشهد باللّه، لقد أخبرتنى أن محمدا خير بنى هاشم، و أنك بايعت له ...» قال: يا ابن الزانية الخ:

و كانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوتد فى عينيه، فما نطق!!. «۲»

إلى آخر ما هنالک من النصوص الكثيرة، التى يتضح معها بما لا مجال معه للشک: أن الدعوة كانت فى بدء أمرها لخصوص العلويين، و باسمهم، ثم استغلت بعد ذلک لمصلحة العباسيين ...

المرحلة الثانية ...

ثم رأينا بعد ذلک: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين،

---

(۱) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۲.

(۲) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۴۸۲.

ص: ۴۱

و تتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، و السياسة، حيث اقتصروا فى دعوتهم- بعد ذلک- على أنها ل «أهل البيت»، و «العترة»، و هذه هى المرحلة الثانية من المراحل الأربع التى أشرنا إليها ...

و كان الناس لا يفهمون من كلمة: «أهل البيت» إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند اطلاق هذه العبارة، و ذلک بسبب الآيات و الروايات الكثيرة، التى استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم ...

فهذا أبو داود يقول للنقباء: «... أ فتظنونه- أى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- خلفه- أى العلم- عند غير عترته، و أهل بيته، الأقرب، فالأقرب؟! ...

إلى أن قال: ا فتشكون أنهم معدن العلم، و أصحاب ميراث رسول اللّه (ص)؟! .. «۱»»

و هذا أبو مسلم الخراسانى القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يقول: «إنى دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فان رغبت فيه، فأنا أبايعک؟.».

فأجابه الامام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «.. ما أنت من رجالى، و لا الزمان زمانى»، ثم جاء أبو مسلم، و بايع السفاح، و قلده الخلافة «۲».

و قال السيد امير على بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبى هاشم: «.. و قد لاقت هذه القصة بعض القبول فى بعض المناطق الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد،

---

(۱) الطبرى، طبع ليدن ج ۹ ص ۱۹۶۱.

(۲) الملل و النحل للشهرستانى، طبع مؤسسة الحلبى فى القاهرة ج ۱ ص ۱۵۴، و طبع العنانية ص ۸۷، و ينابيع المودة للحنفى ص ۳۸۱، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخارى.

ص: ۴۲

فقد ظل دعاة العباسيين يؤكدون لهم أنهم يعملون لحساب: أهل البيت.

و حتى ذلک الوقت كان العباسيون يظهرون الولاء التام لبنى فاطمة، و يخلعون على حركتهم، و على سياساتهم مظهر الوصول إلى هدف ضمان العدالة، و الحق لأحفاد محمد .. و كان ممثلوا أهل البيت، و محبوهم، لا يخامرهم الشک فى الغدر، الذى تبطنه هذه الاعترافات من العباسيين؛ فشملوا محمد بن على، و جماعته بعطفهم و حمايتهم، الذين كانوا فى حاجة إليهما ..» «۱».

و يقول: «... و كانت كلمة: «أهل البيت» هى السحر الذى يؤلف بين قلوب مختلف طبقات الشعب، و يجمعهم حول الراية السوداء ...» «٢».

المرحلة الثالثة:

ثم تأتى المرحلة الثالثة، و يتقلص ظل العلويين، و أهل البيت عن هذه الدعوة، أكثر فأكثر، كلما ازدادت قوتها، و اتسع نفوذها، حيث رأينا أخيرا انها اتسعت بحيث تستطيع أن تشمل العباسيين أيضا مع العلويين.

حيث أصبحت إلى: «الرضا من آل محمد»، و إن كانوا لا يزالون يذكرون فضل على، و ما لحق ولده من القتل و التشريد، كما يتضح بأدنى مراجعة لكتب التاريخ ...

و هذه العبارة، و إن كانت لا تختلف كثيرا عن عبارة: «العترة، و أهل البيت»، و نحوها ... إلا أنها كانت فى أذهان العامة أبعد من أن يراد بها العلويون على الخصوص ... و لكن مع ذلک بقيت الجماهير

(١- ٢) روح الاسلام ص ٣٠٦ و ٣٠٨. و لا بأس بمراجعة ما ورد فى كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ١ جزء ٢ ص ٥٣٢. و السيادة العربية و الشيعة و الإسرائيليات ص ٩٤. و امبراطورية العرب ص ٤٠٦، و طبيعة الدعوة العباسية، و غير ذلک.

ص: ٤٣

تعتقد أن الخليفة سيكون علويا، كما كان العلويون يعتقدون ذلک ...» «١»

على حد تعبير أحمد شلبى ... و إذا صح هذا، و فرض- و لو بعيدا- أن شعار: الرضا من آل محمد لا يختلف عن شعار: العترة، و أهل البيت فى أذهان عامة الناس، فلسنا نصر على جعل هذا مرحلة مستقلة، بل يكون داخلا فيما سبقه، و تكون المراحل حينئذ ثلاثة، لا أربعة ...

ملاحظات لا بد منها فى المرحلة الثالثة:

و قبل الانتقال إلى الكلام على المرحلة الرابعة، و الأخيرة. لا بد من ملاحظة أمور:

أ:

انهم فى نفس الوقت الذى نراهم فيه يبعدون الدعوة عن أهل البيت، كما يدلنا عليه قول محمد بن على العباسى لبكير بن ماهان:

«و حذر شیعتنا التحرک فی شیء مما تتحرک فیه بنو عمنا آل أبی طالب؛ فإن خارجهم مقتول، و قائمهم مخذول؛ و لیس لهم من الأمر نصیب، و سنأخذ بثأرهم ...» «۲».

و کما یدلنا علیه ما رواه الطبری من أن محمد بن علی نهی دعاته عن رجل اسمه: غالب؛ لأنه کان مفرطا فی حب بنی فاطمة «۳» ...

نراهم من جهة ثانیة: و حتی لا یصطدموا بالعلویین وجها لوجه ...

کانوا فی جمیع مراحل دعوتهم یتکتمون جدا باسم الخلیفة، الذی یدعون الناس إلیه، و إلی بیعته، بل إن الشخص الذی کانوا یدعون

---

(۱) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة لأحمد شلبی ج ۳ ص ۲۰.

(۲) طبیعة الدعوة العباسیة ۱۵۲، نقلا عن: مخطوطة العباسی ص ۹۳ أ، ۹۳ ب.

(۳) راجع: تاریخ الجنس العربی ج ۸ ص ۴۱۱.

الناس إلیه، و إلی بیعته ... بل و کان الناس یبایعونه ما کانوا یعرفونه، بل یعرفه الدعاة فقط، و علی الناس أن یبایعوا إلی «الرضا من آل محمد» و لا بأس بمراجعة نص البیعة فی تاریخ التمدن الاسلامی، المجلد الأول، الجزء الاول ص ۱۲۵.

و لعل هدفهم من ذلک کان أیضا: هو أن لا یربطوا الدعوة بفرد معین، حتی لا تضعف إذا ما مات، أو اغتیل ...

و علی کل فقد نص ابن الأثیر فی الکامل ج ۴ ص ۳۱۰، حوادث سنة ۱۳۰ علی أن أبا مسلم کان یأخذ البیعة إلی الرضا من آل محمد ...

و مثل ذلک کثیر فی کلمات المؤرخین، و إلیک بعض النصوص التاریخیة، التی تدل علی ذلک:

ففی الکامل ج ۴ ص ۳۲۳ نص علی أن محمد بن علی بعث داعیا إلی خراسان یدعو إلی «الرضا من آل محمد» و لا یسمی أحدا، و لعل الذی أرسله هو أبو عکرمة الآتی ذکره ...

و قد قال محمد بن علی العباسی لأبی عکرمة: «فلتکن دعوتک إلی: «الرضا من آل محمد»؛ فاذا وثقت بالرجل، فی عقله، و بصیرته، فاشرح له أمرکم ...

و ليكن اسمى مستورا من كل أحد، إلا عن رجل عدلک فى نفسک، و توثقت منه، و أخذت بيعته ...».

ثم أمره بالتحاشى عن الفاطميين «۱» ...

و يقول أحمد شلبى: «... كانوا (أى العباسيون) يوهمون العلويين بأنهم يعملون لهم، و لكنهم فى الواقع كانوا يعملون لأنفسهم» «۲» ...

---

(۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۱۵۵، نقلا عن:DIC .PO ص ۹۵ أ/ ۹۵ ب.

(۲) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۲۰.

ص: ۴۵

و يقول أحمد أمين: «... و مع هذا فكان من إحكام أمرهم أنهم لم يكونوا يصرحون عند دعوتهم فى كثير من المواقف باسم الإمام؛ ليتجنبوا انشقاق الهاشميين بعضهم على بعض ...» «۱».

و لو كان الخليفة معينا و معروفا عند الناس، لما استطاع أبو مسلم، و أبو سلمة، و سليمان الخزاعى، أن يكاتبوا الإمام الصادق عليه السلام، و غيره من العلويين، أنهم يبايعونهم، و يجعلون الدعوة لهم، و باسمهم ...

و قد تقدمت رسالة أبى مسلم للإمام الصادق عليه السلام، التى يصرح فيها بأنه: إنما دعا الناس إلى موالاة أهل البيت فقط، أى من دون تصريح باسم أحد ...

و قد قال أحدهم: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السلام، فأتاه كتاب أبى مسلم؛ فقال: «ليس لكتابک جواب. أخرج عنا» «۲».

و قال السيد أمير على عن أبى مسلم: «و قد ظل إلى هذا الوقت مواليا، بل مخلصا، بل متحمسا لابناء على «۳»».

و قال صاحب قاموس الأعلام: «و عرض أبو مسلم الخراسانى الخلافة ابتداء على الامام الصادق، فلم يقبلها «۴»».

---

(۱) ضحى الاسلام ج ۳ ص ۳۸۰، ۳۸۱.

(۲) روضة الكافى ص ۲۷۴، و البحار ج ۴۷ ص ۲۹۷.

(۳) روح الاسلام ص ۳۰۶.

(۴) راجع المجلد الأول، الجزء الأول من كتاب: الامام الصادق و المذاهب الأربعة ص ۵۷، نقلا عن: قاموس الاعلام ج ۳ ص ۱۸۲۱ طبع استانبول، تأليف:

ش. سامی ...

و رغم أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات قامت باسم العلويين، على ما فى كتاب:

طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۵۱، ۲۵۳، فاننا نعتقد أن رسائله هذه، و رسائله التى أرسلها إلى المنصور يظهر فيها الندم على أنه زوى الأمر عن أهله، و وضعه فى غير

ص: ۴۶

و أما أبو سلمة: فانه عند ما خاف من انتقاض الامر عليه، بسبب موت ابراهيم الإمام، أرسل- و السفاح فى بيته- إلى الامام الصادق عليه السلام يطلب منه القدوم عليه ليبايعه، و تكون الدعوة باسمه، كما أنه كتب بمثل ذلک إلى عبد اللّه بن الحسن ... لكن الامام عليه السلام، الذى كان فى منتهى اليقظة و الحزم. رفض الطلب، و أحرق الكتاب، و طرد الرسول «۱» ...

و قد نظم أبو هريرة الأبّار، صاحب الامام الصادق عليه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

و لما دعا الداعون مولاى لم يكن ليثنى إليه عزمه بصواب

و لما دعوه بالكتاب أجابهم بحرق الكتاب دون رد جواب

محله ... هى السر، و السبب الحقيقى الكامن و راء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسية (و من سل سيف البغى قتل به)، و مشيد أركانها ... و قد استظهر ذلک أيضا المستشرق العلامة (بلوشيه) على ما فى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۵۱، و أشار إليه أيضا السيد أمير على فى كتابه: روح الاسلام ص ۳۱۱.

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۳، ۲۵۴، و ينابيع المودة ص ۳۸۱، و تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۶، و الوزراء و الكتاب ص ۸۶، و هامش ص ۴۲۱ من امبراطورية العرب، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۵۴، ۱۵۵، و روح الاسلام ص ۳۰۸، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ۸۲، ۸۳، و الكامل لابن الأثير ...

و نقله فی المناقب لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۲ عن ابن کادش العکبری فی: مقاتل العصابة ... لکنهما (أعنی المناقب و البحار) ذکرا أن الذی کتب للامام هو أبو مسلم ... و فی المناقب ج ۴ آخر ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳ نقلا عن رامش الافزاری أن الذی کتب إلی الامام هو أبو مسلم الخلال!!! ...

و واضح أن هذا هو السبب الحقیقی لقتل أبی سلمة، و قد صرح بذلک جمع من المؤرخین و الباحثین.

و ما کان مولای کمشری ضلالة   و لا ملبسا منها الردی بثواب

و لکنه للّه فی الارض حجة   دلیل الی خیر، و حسن مآب«۱»

و کتب إلیه أبو سلمة أیضا مرة ثانیة، عند ما أقبلت الرایات: «إن سبعین الف مقاتل وصل إلینا، فانظر أمرک». فأجابه الامام بالرفض أیضا «۲» ...

و أما سلیمان الخزاعی: المدبر الحقیقی للثورة فی خراسان، فانه اتصل بعبد اللّه بن الحسین الأعرج، و هما یسایران أبا جعفر المنصور فی خراسان، عند ما أرسله السفاح إلیها، قال سلیمان لعبد اللّه: «إنا کنا نرجو أن یتم أمرکم، فاذا شئتم فادعونا إلی ما تریدون!!»، فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سلیمان هذا «۳» ...

بل إن هذا إن دل علی شیء فانما یدل علی أن کثیرا من الدعاة ما کانوا یعرفون: أن الخلیفة سیکون عباسیا، فضلا عن أن یکونوا یعرفونه باسمه الصریح ...

قال الدکتور فاروق عمر: «علی أننا نستطیع القول: إن اسم الامام کان معروفا لدی الحلقات الخاصة من الشیعة الهاشمیة، أو العباسیة، و أن الکثیر من الأنصار، الذین ساندوا الثورة، و منهم ابن الکرمانی نفسه، لم یکن یعرف أن «الرضا من آل البیت» سیکون عباسیا، مع أن ابن الکرمانی کان قائدا کبیرا، و کان یطمع إلی الاستیلاء علی

---

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۳۰. و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۴۷.

(۳) الطبری ج ۱۰ ص ۱۳۲، و الامامة و السیاسة ج ۲ ص ۱۲۵.

خراسان «۱» ...».

ب:

يلاحظ أن العباسيين قد موهوا على الناس، و استطاعوا أن يخدعوهم، حيث خيلوا لهم فى بادئ الأمر أن الثورة كانت للعلويين ...

ثم بدءوا يعدون العدة لما سوف يقولون للناس عند اكتشافهم لحقيقة الأمر؛ فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من على بن أبى طالب، إلى محمد ابن الحنفية، فإلى أبى هاشم، فإلى على بن عبد اللّه بن العباس ...

و هكذا ... و هى فى الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية، كما سنشير إليها فى بعض الهوامش الآتية.

و قد جازت حيلتهم هذه على الناس، الذين كانوا يظنون أنهم يعملون للعلويين «۲»، حتى لقد خفى أمرهم عن عبد اللّه بن معاوية حسما قدمنا، بل لقد كان من جملة المخدوعين، الذين اكتشفوا الحقيقة بعد فوات الأوان، سليمان الخزاعى، الذى تقدم أنه- باعترافه- كان يرجو هذا الأمر للعلويين، و أبو مسلم الخراسانى الذى صارح المنصور بأن السفاح كان قد خدعه ... و أنه خدع أيضا من قبل ابراهيم الإمام، حيث ادعيا الوصاية و الامامة، و حرفا الآيات الواردة فى أهل البيت لتنطبق عليهم، مما كان من نتيجته أن زوى الأمر عن أهله، و وضعه

---

(۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۰۹ ... و لقد اشتبه الأمر على الدكتور فاروق عمر؛ فان ابن الكرمانى كان من عمال الامويين، و لم يكن من الشيعة فى أى وقت من الأوقات، و انما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به ... و لم يكن أبو مسلم و لا غيره من الدعاة و النقباء ليصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذى يخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتى عمن هم مثل المنصور.

(۲) امبراطورية العرب ص ۲۰۶، و غير ذلک كثير ...

ص: ۴۹

فى غير محله «۱».

أما انخداع ابن الكرمانى فهو من الامور الواضحة و المعروفة. بل لقد رأينا البعض يذكر أن أبا سلمة الخلال كان أيضا من جملة المخدوعين، حيث كان يتوهم: أن الخليفة سيكون علويا لا عباسيا «۲» ...

ج:

و مما تجدر الاشارة إليه هنا، هو ما تقدم: من رفض الامام القاطع لعرض كل من أبى سلمة، و أبى مسلم فى جعل الدعوة له، و باسمه ...

و ما ذلک إلا لعلمه علیه السلام: بأن هؤلاء لیس لهم من هدف، إلا الوصول إلی مآربهم من الحکم و السلطان، ثم یتخلصون من کل من لا یعودون بحاجة إلیه، إذا اعتبروه عقبة فی طریقهم ... کما کان الحال فی قتلهم أبا مسلم، و سلیمان بن کثیر، و أبا سلمة ... و غیرهم ... شاهدنا علی ذلک جواب الإمام علیه السلام لأبی مسلم: «ما أنت من رجالی، و لا الزمان زمانی» ... و کذلک المحاورة التی جرت بینه علیه السلام، و بین عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاءه کتاب من أبی سلمة مثل کتابه ...

و أیضا قوله علیه السلام: مالی و لأبی سلمة، و هو شیعة لغیری ... بل و مما یدل علی ذلک دلالة قاطعة ... ما قدمناه من اعتذار أبی سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، و غیره من العلویین، بأنه: «کان یدبر استقامة الأمر» بل یذکر الطبری ج ۶ ص ۱۰۲ و ابن الأثیر ج ۵

---

(۱) الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء ۲ ص ۵۳۳، و سنشیر إلی مصادر اخری لذلک فیما یأتی إن شاء اللّه ...

(۲) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۲۵۴. و فی کتاب: السیادة العربیة لفان فلوتن ص ۹۷: أن النقباء أمروا بعض الدعاة بستر اسم المدعو له، و أخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر ...

ص ۴۳۷: أنه عند ما جمع السفاح خاصته لیستشیرهم بقتل أبی سلمة و أخبرهم بمکاتبته للعلویین ... نجد أن بعض خاصته انبری لیقول: ما یدریکم لعل ما صنع أبو سلمة کان من رأی أبی مسلم «۱». و علیه فلا یصح قول صاحب العیون و الحدائق ص ۱۸۱: «و لم یکن هوی أبی سلمة معهم، و إنما کان هواه مع الصادق جعفر الخ ...» فإن لجوءه إلی الصادق إنما کان لأجل استقامة الأمر. بل إن بعض المحققین لا یستبعد أن یکون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلک، إلی الصادق، و عبد اللّه ابن الحسن، و غیرهما من العلویین ... هو معرفة إن کان هؤلاء یطمحون إلی الحکم، و یرغبون فیه أولا ... و ذلک لیستعد العباسیون- من ثم- لمواجهة دعوتهم، و رصد کل حرکاتهم، و سکناتهم، و من ثم شل حرکتهم، و القضاء علیهم ... و هذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لکن الإمام الصادق علیه السلام تنبه للمکیدة، و عمل علی احباطها ...

د:

و تصریح أبی سلمة هذا و موقف الإمام منه، و قوله: إنه شیعة لغیره یلقی لنا ضوءا علی الروایات التی تتهمه، و تتهم أبا مسلم بمیول علویة ... و أن أبا مسلم أراد أن یعلن خلافة علویة، بمجرد وصوله إلی خراسان، کما عن الذهبی، و شارح شافیة أبی فراس، و تاریخ الخمیس. فان ذلک لا شاهد له إلا رسائلهما التی أشرنا إلیها ... مع أنها لم یکن الهدف منها إلا استقامة الأمر للعباسیین ... خصوصا إذا لاحظنا أن أبا مسلم قد قضی علی عدة ثورات للعلویین، و باسمهم- کما أشرنا إلیه-

(١) و أما كتابه للصادق فهو لا يدل على اخلاصه له، بل هو فقط- كان يدبر استقامة الأمر، و قتله من قبل العباسيين بهذا الجرم ليس إلا تغاضيا عن حقيقة الأمر بهدف الوصول إلى أهدافهم فى التخلص منه بطريقة مشروعة.

ص: ٥١

و أنه كان يلاحقهم تحت كل حجر و مدر، و فى كل سهل و جبل، على حد تعبير الخوارزمى «١» ...

المرحلة الرابعة:

ثم تأتى المرحلة الرابعة و الاخيرة، و هى: ادعاؤهم الخلافة بالإرث، كما أشرنا إليه ... و لكنهم استمروا يربطون الثورة بأهل البيت عليهم السلام من ناحيتين:

الأولى: ادعاؤهم الخلافة بالارث عن طريق على بن أبى طالب، و محمد بن الحنفية، كما سيأتى بيانه.

الثانية: ادعاؤهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين ... فأما ادعاؤهم استحقاقهم الخلافة بالارث، عن طريق على بن أبى طالب عليه السلام، و احتجاجهم بقرباهم النسبية من رسول اللّه (ص)، فاننا نلمحها فى كثير من مواقفهم، حيث كانوا يستطيلون على الناس بهذه القربى، و يحتجون بها فى مختلف المناسبات «٢» ...

(١) و لكننا لا نجد فيما بأيدينا من الشواهد التاريخية، ما يؤيد دعوى الخوارزمى هذه عدا ما ذكروه من أنه: قتل عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر، و عبيد اللّه بن الحسين بن على بن الحسين.

(٢) حيث قد ظلوا بحاجة لأن يصلوا حقهم الذى كانوا يدعونه ... بحق على بن أبى طالب عليه السلام، و وصايتهم بالوصاية التى له، و التى لا يجهلها أحد، و ليصححوا بهذه الوسيلة خلافتهم، و يتقبلها الناس ... فكانت السلسلة التى سيأتى بيانها هى معتمدهم، مضيفين إليها تبرأهم من أبى بكر و عمر و عثمان ...

و فى الحقيقة أن تلك هى عقيدة الكيسانية انتحلوها لأنفسهم يوحى من مصالحهم الخاصة ...

حتى إذا ما وصلوا إلى الحكم نراهم قد قطعوا حبل صلتهم بعلى، و ولده، و جعلوا

ص: ٥٢

فقد قال داود بن على، أول خطيب لهم على منبر الكوفة، فى أول كلام له أمام السفاح: «... و إنما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبنى عمنا «١» ...».

و نرى السفاح فى خطبته الأولى أيضا فى مسجد الكوفة، بعد أن ذكر عظمة الرب تبارک و تعالى، و فضل النبى (ص) «قد قاد الولاية و الوراثة، حتى انتهيا إليه، و وعد الناس خيرا «٢» ...».

و يقال: إن من جملة ما قاله السفاح فى خطبته الأولى: «... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، و أوجب عليهم حقنا و مودتنا، و أجزل من الفىء، و الغنيمة نصيبنا، تكرمة لنا و فضلا علينا ...

و زعمت السبائية الضلال: أن غيرنا أحق بالرياسة و السياسة ... إلى أن قال: ورد علينا حقنا «٣» ...»

الخلافة حقا للعباس و ولده ... ثم تخلوا عن ذلک كله فيما بعد، و رجعوا إلى العقيدة التى أسسها معاوية، و لكنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا عليا، و جعلوه فى المرتبة الرابعة، و كان ذلک بداية وجود أهل السنة بخصائصهم، و مميزاتهم المذهبية، و لهذا البحث مجال آخر، و اللّه هو الموفق و المستعان.

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ ص ٣١، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٤١، و شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥۴، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ٣٢۵.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٩، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢۵۶، و الطبرى ج ١٠ ص ٣٧، طبع ليدن.

(٣) الطبرى ج ١٠ ص ٣٩، ۴٠، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢۵٧، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ۴١، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ٣٢۴، ٣٢۵ ...

لكن الظاهر أن لعن السبائية (و هم الشيعة الامامية حسب مصطلحهم) مفتعل على لسان السفاح؛ لأن كلمة داود بن على المتقدمة تدل على إنكار العباسيين- فى بدء أمرهم- خلافة أبى بكر، و عمر، و عثمان، و تمسكهم بخلافة على عليه السلام، حيث يصلون حبل وصايتهم بها ... و إن كانوا قد رجعوا عن هذه العقيدة بعد ذلک حسبما أشرنا إليه إلى العقيدة التى كان قد روجها معاوية ... و لكن من المؤكد أنهم استمروا على عقيدتهم تلک، أعنى إنكار خلافة الثلاثة، و وصلهم حبل وصايتهم بعلى عليه السلام، إلى زمن المنصور، الذى كان أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين كما سيأتى ...

ص: ۵٣

و يقول داود بن على فى خطبته الأولى فى مسجد الكوفة أيضا:

«... و أحيا شرفنا و عزنا، ورد إلينا حقنا و إرثنا ...» «١».

---

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٣٢، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ٣٢۵.

(أمر هام لا بد من التنبيه عليه:) إننا إذا تتبعنا الأحداث التاريخية، نجد: أن كل مطالب بالخلافة كان يدعى أول ما يدعى الرحمية و القربى من رسول اللّه (ص). و أول من بدأ ذلک أبو بكر فی يوم السقيفة، و تبعه على ذلک عمر؛ حيث قررا أن ليس لأحد الحق فی أن ينازعهم سلطان محمد؛ إذ أنهم أمس برسول اللّه رحما (على ما فی نهاية الإرب ج ٨ ص ١۶٨، و عيون أخبار ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣، و العقد الفريد ج ۴ ص ٢۵٨، طبع دار الكتاب العربی، و الأدب فی ظل التشيع ص ٢۴، نقلا عن البيان و التبيين للجاحظ)؛ و لأنهم هم أولياؤه و عشيرته، على ما ذكره الطبرى ج ٣ ص ٢٢٠، طبع دار المعارف بمصر، و الامامة و السياسة ص ١۴، ١۵ طبع الحلبی بمصر، و شرح النهج المعتزلی ج ۶ ص ٧، ٨، ٩، ١١، و الامام الحسين للعلائلی ص ١٨۶، و ص ١٩٠، و غيرهم. او لأنهم عترة النبی (ص) و أصله و البيضة التی تفقأت عنه كما فی العثمانية للجاحظ ص ٢٠٠. فأسقطا بذلک دعوى الأنصار عن الاعتبار.

كما أن أبا بكر قد استدل على الأنصار بالحديث الذی صرح باستفاضته جهابذة أهل السنة (على ما فی ينابيع المودة للحنفی)، و هو قوله (ص) مشيرا إلى خلفائه الاثنی عشر:

«يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الامة، كلهم من قريش».- استدل به- بعد أن تصرف فيه، بأن حذف صدره، و اكتفى بذكر: أن الأئمة من قريش على ما فی صواعق ابن حجر ص ۶، و غيره ...

و أصبح كون الأئمة من قريش تقليدا متبعا، بل و من عقائد أهل السنة المعترف بها، و قد استدل ابن خلدون على ذلک بالاجماع.

و لكن قول عمر: لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته، قد أوقع ابن خلدون، كما أوقع غيره من جهابذة أهل السنة فی حيص بيص؛ لعدم كون سالم قرشيا، فضلا عن أن يكون أمس رحما برسول اللّه من غيره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص ١٩۴، و غيره من كتبهم ...

أما ابن كثير فانه قد استشكل بالأمر من ناحية اخرى؛ حيث قال- و هو يتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الكندی-: «... و العجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالامارة،

و ليس هو من قريش، و انما هو كندی من اليمن؛ و قد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا فی قريش، و احتج عليهم الصديق بالحديث فی ذلک، حتى أن الانصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلک ... ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عبادة، الذی دعا إلى ذلک أولا، ثم رجع عنه» ... انتهى ... راجع البداية و النهاية ج ٩ ص ۵۴.

فتراه يستشكل فى عمل من بايعوا محمد بن الاشعث بامرة المؤمنين، التى رآها مخالفة للاجماع المدعى يوم السقيفة ... و تراه يعترف بمخالفة سعد ثم يدعى أنه رجع عن ذلک ...

و لست أدرى كيف رجع عنه، مع أنه من المتسالم عليه تاريخيا: أنه استمر على الخلاف معهم، حتى اغتيل بالشام- اغتالته السياسة، على حد تعبير طه حسين فى كتابه: من تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ١۴۶، و غيره ... و ذلک أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

و على كل حال ... فان ما يهمنا هو الاشارة إلى أن كون الأئمة من قريش ليس فقط أصبح تقليدا متبعا، بل قد أصبح من عقائد أهل السنة المعترف بها ...

و لكن ما تأتى به السياسة، تذهب به السياسة؛ إذ بعد تسعمائة سنة جاء السلطان سليم، و خلع الخليفة العباسى، و تسمى هو ب: «أمير المؤمنين»، مع أنه لم يكن من قريش.

و بهذا يكون قد الغى هذا التقليد عملا من عقائد طائفة من المسلمين، و أبطله ...

و مهما يكن من أمر فان أول من ادعى استحقاق الخلافة بالقربى النسبية من رسول اللّه (ص) كان أبو بكر، ثم عمر، و جاء بعدهما بنو أميّة؛ فعرفوا أنفسهم بأنهم ذوى قربى النبى (ص) حتى لقد حلف عشرة من قواد أهل الشام، و أصحاب النعم و الرئاسة فيها- حلفوا- للسفاح:

على أنهم لم يكونوا يعرفون إلى أن قتل مروان، أقرباء للنبى (ص)، و لا أهل بيت يرثونه غير بنى أميّة ... فراجع النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٢٨، و شرح النهج للمعتزلى ج ٧/ ١۵٩، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ و فتوح ابن أعثم ج ٨ ص ٩۵
بل لقد ذكر المسعودى و المقريزى: أن إبراهيم بن المهاجر البجلى، الموالى للعباسيين قد نظم قضية هؤلاء الامراء شعرا، فقال:

أيها الناس اسمعوا أخبركم	عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس إنهم	فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا	دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا و اللّه ما فعلمه	يحرز الميراث إلا من قرب

و يقول الكميت عن دعوى بنى أميّة هذه:

و قالوا: ورثناها أبانا و امنا	و لا ورثتهم ذاک أم و لا أب

ص: ۵۵

و فى العقد الفريد ج ۲/ ۱۲۰ طبع دار الكتاب العربى: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاوية: «... و نبينا (ص) هو المنصور؛ فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول اللّه (ص)، و نحن أقرب إليه منكم، و أولى بهذا الأمر الخ ...».

ثم جاء العباسيون، و ادعوا نفس هذه الدعوى، كما هو واضح من النصوص التى ذكرناها، و نذكرها ... بل لقد ادعى نفس هذه الدعوى أيضا أكثر إن لم يكن كل من خرج مطالبا بالخلافة، سواء كان خروجه على الامويين أو على العباسيين ...

و هذا يعنى أن العامل النسبى قد لعب دورا هاما فى الخلافة الاسلامية، و كان الناس بسبب جهلهم، و عدم وعيهم لمضامين الاسلام يصدقون و يسلمون بأن القربى النسبية تكفى وحدها فى أن تجعل لمدعيها الحق فى منصب الخلافة. و لعل أكثر ما ورد فى القرآن الكريم، و السنة النبوية الشريفة من الوصايا بأهل البيت عليهم السلام، و الأمر بمودتهم، و محبتهم، و التمسک بهم جعل الناس يظنون أن سبب ذلک هو مجرد قرباهم النسبية منه (ص) ... و كان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطئ هذا ... بل لقد حاولوا ما أمكنهم تكريسه، و تثبيته ...

إلا أن حقيقة الأمر هى غير ذلک؛ فان منصب الخلافة فى الاسلام، لا يدور مدار القربى النسبية منه. بل هو يدور مدار الأهلية و الجدارة، و الاستعداد الذاتى لقيادة الامة قيادة صالحة، كما كان النبى (ص) يقودها، يدلک على ذلک أننا لو رجعنا إلى النصوص القرآنية، و إلى ما ورد عن النبى (ص) بشأن الخليفة بعده، فلعلنا لا نعثر على نص واحد منها يفهم منه أن استحقاق الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص)، و حسب.

و كل ما ورد فى القرآن، و عنه (ص) من الأمر بموالاة أهل بيته، و حبهم، و التمسک بهم، و من تعيينه خلفاءه منهم، فليس لأجل قرباهم النسبية منه (ص). بل لأن الأهلية، و الجدارة الحقيقية لهذا المنصب قد انحصرت فى الخارج فيهم. فهو على حد تعبير الاصوليين:

من باب الاشارة إلى الموضوع الخارجى ... و ليس تصريحه (ص) بالقربى لأجل بيان الميزان و المقياس و الملاک فى استحقاقهم الخلافة.

و واضح أنه كان لا بد من الالتجاء إلى اللّه و رسوله لتعيين الشخص الذى له الجدارة و الأهلية لقيادة الامة؛ لأن الناس قاصرون عن إدراک حقائق الامور، و نفسيات، و غرائز، و ملكات بعضهم البعض ... إدراكا دقيقا و حقيقيا، و عن إدراک عدم طرو تغير أو تبدل عليه فى المستقبل ... و نقد عينه (ص) بالفعل، و دل عليه بمختلف الدلالات،

ص: ۵۶

بالقول: تصريحا، و تلويحا، و كناية، و نصا، و وصفا، و غير ذلک ... و بالفعل أيضا، حيث أمره على المدينة، و على كل غزوة لا يكون هو (ص) فيها، و لم يؤمر عليه أحدا، و غير ذلک ...

هذا هو رأى الشيعة، و هذا هو رأى أئمتهم فى هذا الأمر، و كلماتهم طافحة و مشحونة بما يدل على ذلک. و لا يبقى معه مجال لأى لبس أو توهم؛ فراجع كلام الامام على فى شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۱۲، و غيره مما قد يتعسر استقصاؤه ...

و مما ذكرنا نستطيع أن نعرف أن ما ورد عن الامام على عليه السلام، أو عن غيره من الأئمة الطاهرين، من قولهم: أنهم هم الذين عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فانما يقصدون به الميراث الخاص، الذى يختص اللّه به من يشاء من عباده، أعنى: ميراث العلم؛ على حد قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...» و قد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم. و على كل فلقد أنكر على عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقرابة و الصحابة أشد الإنكار، فقد جاء فى نهج البلاغة قوله عليه السلام: «وا عجبا!! أ تكون الخلافة بالصحابة و القرابة؟!!». هكذا فى نهج البلاغة، شرح محمد عبده، و لكن الظاهر هو أنها محرفة، و أن الصحيح هو ما فى نسخة ابن ابى الحديد، و هى هكذا: «وا عجبا!! أن تكون الخلافة بالصحابة، و لا تكون بالصحابة و القرابة!!».

و أما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول اللّه (ص)، فانما اقتضاه الحجاج مع الخصوم؛ فهو من باب: «الزموهم بما الزموا به أنفسهم». و يدل على هذا المعنى و يوضحه ما قاله الإمام على عليه السلام لأبى بكر، عند ما جىء به ليبايع؛ فكان مما قاله: «... و احتججتم عليهم (أى على الأنصار) بالقرابة من النبى (ص) ...

و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى الخ» ... راجع: الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۸.

و يشير أيضا عليه السلام- إلى هذا المعنى فى بعض خطبه الموجودة فى نهج البلاغة فمن أراد فليراجعه ... كما و يشير إليه أيضا ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما فى نهج البلاغة) و هو قوله:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرک أولى بالنبى و أقرب

و لكن أحمد أمين المصرى فى كتابه: ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۶۱، و ص ۳۰۰، و ص ۲۲۲، و ص ۲۳۵. و كذلک سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الاسلام ص ۵

و الخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١٦٦: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص) و حسب ... رغم اعتراف أحمد أمين فى نفس الكتاب، و بالتحديد فى ص ٢٠٨، ٢١٢: بأن الشيعة يحتجون بالنص فى خصوص الخليفة بعد الرسول ... بل و الخضرى يعترف بذلك أيضا حيث قال: «أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوى، فانه كان منظورا فيه إلى الوراثة الخ» ...

و هى نسبة غريبة حقا- بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، و من غيرهم- فان عقيدة الشيعة- تبعا لأئمتهم هى ما ذكرنا، أى ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه (ص)، و أدلة الشيعة تنطق و تصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأى حال من الأحوال استحقاق الخلافة، و إنما لا بد من النص المعين لذلک الشخص الذى يمتلک الجدارة و الأهلية و الاستعداد الذاتى لها ...

إنهم يستدلون على خلافة على عليه السلام بالنصوص القرآنية، و النبوية المتواترة عند جميع الفرق الاسلامية، و لا يستدلون بالقربى إلا من باب: ألزموهم ... أو من باب تكثير الأدلة، أو فى مقابل استدلال أبى بكر و عمر بها، و إذا ما شذ واحد منهم، و استدل بذلک، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، و قلة معرفة، أو لفهمه- خطأ- ما ورد عنهم عليهم السلام، من أن عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، و من ثم القول بأن ذلک هو قولهم، و أن تلک هى عقيدتهم ...

و لعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!! أو أنه راجعها، و اشتبه عليه الأمر!! أو أنه ... لا هذا ... و لا ذاک ... و إنما أراد التشنيع عليهم؛ فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم! و يدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامة على عليه السلام بالنص، لا بالقربى!! ...

و خلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هى الملاک فى استحقاق الخلافة. و لم تكن دعوى أنها كذلک، لا من الأئمة، و لا من شيعتهم. و إنما كانت من قبل أبى بكر، و عمر، ثم الامويين، فالعباسيين.

و إذا كان أهل السنة- تبعا لأئمتهم- قد جعلوا كون الإمامة فى قريش من عقائدهم.

و إذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، و هللوا و كبروا لها ... فمن الحق لنا إذن أن نقول:

ص: ٥٨

و عند ما ذهب داود بن على إلى مكة، واليا عليها، من قبل أخيه السفاح، و أراد أن يخطب فى مكة خطبته الأولى، طلب منه سديف بن ميمون أن يأذن له فى الكلام؛ فأذن له؛ فوقف؛ و قال من جملة ما قال:

«... أ تزعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بتراثه؟! و لم؟! و بم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابة، دون ذوى القرابة؟

الشركاء فی النسب، و الورثة للسلب ...» «۱».

و یقول داود بن علی فی نفس المناسبة، أعنی فی أول خطبة له:

«لم یقم فیکم إمام بعد رسول اللّه (ص)، إلا علی بن أبی طالب، و هذا القائم فیکم ...» و أشار إلی السفاح «۲».

«رمتنی بدائها و انسلت».

و أخیرا ... فلقد کان من أبسط نتائج هذه العقیدة لدی أهل السنة، و قبولهم أن القربی النسبیة تجعل لمدعیها الحق فی الخلافة ... أن سنحت الفرصة لأن یصل أشخاص إلی الحکم من أبرز ممیزاتهم، و خصائصهم جهلهم بتعالیم الدین، و انسیاقهم وراء شهواتهم، أینما کانت، و حیثما وجدت، جاعلین الحکم و السلطان وسیلة إلیها، مسدلین علی حماقاتهم هنا، و تفاهاتهم هناک ستارا من القربی النسبیة منه (ص) ... و هو من هؤلاء و أمثالهم بریء ...

و لما لم یعد ذلک الستار یقوی علی المنع من استکناه واقعهم، و حقیقة نوایاهم و تصرفاتهم، کان لا بد لهم من الالتجاء إلی أسالیب اخری، تبرر لهم واقعهم، و تحمی تصرفاتهم، و تؤمن لهم الاستمرار فی الحکم.. و لعل بیعة المأمون للامام الرضا علیه السلام بولایة العهد هی من تلک الأسالیب، کما سیتضح إن شاء اللّه تعالی ...

(۱) تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۹، و العقد الفرید، طبع دار الکتاب ج ۴ ص ۴۸۵

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷ و ۲۵۶، و الطبری ج ۱۰ ص ۳۳ و ۳۷، و عیون الأخبار لابن قتیبة ج ۲ ص ۲۵۲، و تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۷، ۸۸، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۶، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۲۹ و ۱۷۳، و امبراطوریة العرب ص ۴۲۲، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۴۲، و شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۵۵، و فیه: «إنه لم یخطب علی منبرکم هذا خلیفة حق إلخ» ... و بروایة اخری فیه: «اقسم باللّه قسما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، أحق به من علی بن أبی طالب، و أمیر المؤمنین هذا» ...

و قال المنصور فی خطبة له: «و أکرمنا من خلافته، میراثنا من نبیه ...» «۱».

و لکنهم بعد المنصور- بل و حتی من زمن المنصور نفسه کما سیتضح- قد غیروا سلسلة الارث هذه، و جعلوها عن طریق العباس، و ولده عبد اللّه، و لکنهم أجازوا بیعة علی؛ لأن العباس نفسه کان قد أجازها ...

کما سیأتی بیانه .. فکانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلی الارث عن هذا الطریق ...

فنرى المنصور يبين فى رسالة منه لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس فى جملة ما ورثه من النبى (ص)، و أنها فى ولده «۲» ...

و كان الرشيد يقول: «ورثنا رسول اللّه، و بقيت فينا خلافة اللّه «۳»».

و قال الأمين عند ما بويع له، بعد موت أبيه الرشيد: «... و أفضت خلافة اللّه، و ميراث نبيه إلى أمير المؤمنين الرشيد «۴» ...».

و مدح البعض المأمون، و عرض بأخيه الذى غدر به، فقال فى جملة أبيات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد و وصى كل مسدد و موفق «۵»

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۰۱، و الطبرى ج ۱۰ ص ۴۳۲.

(۲) الطبرى ج ۱۰ ص ۲۱۵، و العقد الفريد طبع دار الكتاب ج ۵ ص ۸۱، إلى ۸۵، و صبح الأعشى ج ۱ ص ۳۳۳، فما بعد، و الكامل للمبرد، و طبيعة الدعوة العباسية ...

(۳) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۱۷.

(۴) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۶۳.

(۵) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۹۹.

إلى غير ذلک مما لا مجال لنا لتتبعه ... و لنعد إلى ما كنا فيه أولا، فنقول:

دعوى الأخذ بثارات العلويين:

و أما ادعاؤهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و استمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، و تسلمهم لأزمة الحكم و السلطان- و هذه هى الناحية الثانية من المرحلة الرابعة- فذلک أوضح من أن يخفى ... و قد تقدم قول محمد بن على لبكير بن ماهان:

«و سنأخذ بثارهم ...» يعنى بثارات العلويين. و تقدم أيضا قول داود ابن على: «و انما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبنى عمنا ...» ...

و يقول السفاح، عند ما أتى برأس مروان: «ما أبالى متى طرقنى الموت، فقد قتلت بالحسين، و بنى أبيه من بنى أمية مائتين، و أحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على، و قتلت مروان بأخى ابراهيم ...» «۱».

و يقول صالح بن على لبنات مروان: «أ لم يقتل هشام بن عبد الملک، زيد بن على بن الحسين، و صلبه فى كناسة الكوفة؟. و قتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفى؟! أ لم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، و صلبه بخراسان؟!

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۷، و فى شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۳۱، و حياة الامام موسى بن جعفر للقرشى ج ۱ ص ۳۳۷، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا ... «... و قد قتلت بالحسين ألفا من بنى أميّة ... إلى أن قال: و قتلنا سائر بنى أميّة بحسين، و من قتل معه، و بعده من بنى عمنا أبى طالب» ...

ص: ۶۱

أ لم يقتل الدعى عبيد اللّه بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟! أ لم يقتل يزيد بن معاوية الحسين «۱»؟! ...

و برواية ابن أبى الحديد، أنه قال لهن: «... إذن، لا نستبقى منكم أحدا؛ لأنكم قد قتلتم ابراهيم الإمام، و زيد بن على، و يحيى بن زيد، و مسلم بن عقيل.

و قتلتم خير أهل الأرض حسينا، و إخوته، و بنيه، و أهل بيته، و سقتم نساءه سبايا- كما يساق ذرارى الروم- على الأقتاب إلى الشام ...» «۲».

و لا بأس بمراجعة ما قاله داود بن على عند ما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة «۳».

و كذلک فانهم ما لقبوا أبا سلمة الخلال، أول وزير فى الدولة العباسية ب «وزير آل محمد»، و أبا مسلم الخراسانى ب «أمين، أو أمير آل محمد «۴»» ... إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، و لتبقى- من ثم- محتفظة بقوتها، و حيويتها ...

و أخيرا ... فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن و الاسى

(۱) الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۳۳۲، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۴۷، و لا بأس بمراجعة خطبة السفاح فى مروج الذهب أيضا ج ۳ ص ۲۵۷.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۲۹.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۹۲.

(۴) الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۱۵۵، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۷۱، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۵۴، و الطبری ج ۱۰ ص ۶۰، و تاریخ التمدن الاسلامی، المجلد الأول، جزء ۱ ص ۱۵۲، و غیرهم. فانه مما نص علیه أکثر المؤرخین ...

ص: ۶۲

لما نال أهل البیت فی عهد بنی أمیة «۱» ...

و هکذا ... یتضح، بما لا مجال معه للشک: أنهم کانوا یستغلون سمعة العلویین، و دماءهم الزکیة فی محاولاتهم للوصول إلی الحکم، و تثبیت أقدامهم فیه ...

بل إن من الملاحظ أن کثیرا من الثورات التی قامت بعد ثورة بنی العباس، کانت تحاول ذلک- بطریقة أو بأخری- أی أنها کانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البیت علیهم السلام، و أنها تحظی بتأییدهم، و موافقتهم، و کثیر منها کان یرفع شعار: «الرضا من آل محمد».

نهایة المطاف ...

و بعد کل ما تقدم ... یتضح لنا بجلاء، الاسلوب الذی انتهجه

---

(۱) هذا یصح بالنسبة للملابس السوداء ... و أما کون الرایات سوداء؛ فیحتمل أن یکون لأجل ذلک، حسبما صرح به ابن خلدون ص ۲۵۹، و یحتمل أن یکون لما ورد من أن رایة علی علیه السلام یوم صفین کانت سوداء، علی ما نص علیه فان فلوتن فی هامش: ص ۱۲۶ من کتابه السیادة العربیة. أو لأن رایات النبی (ص) فی حروبه مع الکفار کانت سوداء؛ یقول الکمیت مشیرا إلی ذلک:

و إلا فارفعوا الرایات سودا علی أهل الضلالة و التعدی

و فی صبح الأعشی ج ۳ ص ۳۷۰، نقلا عن القاضی الماوردی فی کتابه: «الحاوی الکبیر»: أن السبب فی اختیارهم السواد هو أن النبی (ص) قد عقد فی یوم حنین و یوم الفتح لعمه العباس رایة سوداء ... و فی صبح الأعشی أیضا ج ۳ ص ۳۷۱ نقل عن أبی هلال العسکری فی کتابه «الأوائل» أن سبب ذلک هو قتل مروان لإبراهیم الامام، حیث لبس شیعته السواد حدادا علیه؛ فلزمهم ذلک، و صار شعارا لهم ...

و نرجح أن حادثة قتل یحیی بن زید، و لبس الخراسانیین السواد علیه سبعة أیام، هی التی شجعت العباسیین علی اتخاذ السواد شعارا لهم؛ إظهارا للحزن و الأسی لما نال أهل البیت فی الدولة الامویة. و یذهب إلی هذا الرأی السید عباس المکی فی نزهة الجلیس ج ۱ ص ۳۱۶. بل صرح البلاذری فی أنساب الأشراف ج ۳ ص ۲۶۴ بما یدل علی ذلک فراجع.

ص: ۶۳

العباسيون، و الخطة التى اتبعوها، من أجل كسب ثقة الناس بهم، و تأييدهم لهم، و صرف أنظار الحكام عنهم ...

و أيضا الطريقة التى اتبعوها فى ابعاد العلويين عن مجال السياسة، و أن بيعتهم لهم ما كانت إلا خداعا و تمويها، من أجل تنفيذ خطتهم، و انجاح دعوتهم ...

كما و ظهر أن كون الدعوة- فى بادئ الأمر- باسم العلويين، لم يكن أمرا عفويا، و تلقائيا ... و انما كان ضمن خطة دقيقة، و مدروسة، وضعت بعناية فائقة، كما توضحه لنا النصوص المتقدمة ...

و ظهر أيضا: كيف أن العباسيين قد حرصوا كل الحرص على ربط الثورة بأهل البيت عليهم السلام، و كانوا يعتمدون على هذا الربط كل الاعتماد، و يصرون، و يؤكدون عليه، كلما سنحت لهم الفرصة، و واتاهم الظرف، حتى عند ما وصلوا إلى الحكم، و فازوا بالسلطان ...

و قد انقاد الناس لهم فى البداية، و استقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نيتهم، و سلامة طويتهم ...

و لكن ... ما ذا كانت النتيجة بعد ذلک، بالنسبة للناس عامة، و بشكل خاص بالنسبة للعلويين، الذين قامت الثورة باسمهم و نجحت بفضلهم؟! و ما ذا كان نصيبهم، و مصيرهم، من هذه الثورة و معها؟! هذا ... ما سوف نحاول الاجابة عليه فيما يأتى من الفصول.

ص: ۶۴

مصدر الخطر على العباسيين

العلويون هم مصدر الخطر:

قد تقدم معنا: أن الدولة العباسية إنما قامت- فى بداية أمرها- على الدعوة لخصوص العلويين، ثم لأهل البيت، ثم إلى الرضا من آل محمد ... و أن سرّ نجاحها ليس إلا ربطها بأهل البيت عليهم السلام ...

و إن كانت قد انحرفت فيما بعد، حيث تحكم العباسيون و تسلطوا على الأمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الاكرم (ص).

و من هنا ... فان من الطبيعى، أن يكون الخطر الحقيقى الذى يتهدد العباسيين، و خلافتهم، هو من جهة ابناء عمهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجة، و أقرب إلى النبى (ص) منهم، باعتراف العباسيين أنفسهم «۱» ...

---

(۱) سيأتى اعتراف عيسى بن موسى بذلک، و اعتراف الرشيد للكاظم عليه السلام و المأمون للرضا عليه السلام فى الكتاب

الذى سنورده فى أواخر هذا الكتاب، و أيضا قوله للرضا عليه السلام: أنتم و اللّه أمس برسول اللّه رحما، و بيعة السفاح و المنصور و غيرهم لمحمد بن عبد اللّه العلوى و كلام المنصور فى مجلس البيعة يدل على ذلک أيضا، إلى غير ذلک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

ص: ۶۵

فادعاؤهم الخلافة إذن، له مبرراته الكاملة، و لا سيما و أن من بينهم من له الجدارة و الأهلية، و يتمتع بأفضل الصفات و المؤهلات لهذا المنصب من العلم، و العقل، و الحكمة، و بعد النظر فى الدين و السياسة ... هذا بالاضافة إلى ما كان يكنه الناس لهم، من مختلف الفئات و الطبقات، من الاحترام و التقدير، الذى نالوه بفضل تلک المميزات و الصفات، و بفضل سلوكهم المثالى، و ترفعهم عن كل المشينات، و الموبقات ...

أضف إلى ذلک كله ... أن رجالات الاسلام، و أبطاله، كانوا هم آل أبى طالب «رضى اللّه تعالى عنه»؛ فأبو طالب مربى النبى (ص) و كفيله، و على عليه السلام وصيه و ظهيره، و كذلک الحسن، و الحسين، و على زين العابدين، و باقى الأئمة. و منهم زيد بن على الخارج على بنى أمية، و غيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم، رضوان اللّه عليهم أجمعين.

و لقد كانت بطولات العلويين، و مواقفهم على كل شفة و لسان، و فى كل قلب و فؤاد، حتى لقد ألفت الكتب الكثيرة فى وصف تلک البطولات، و بيان هاتيک المواقف ...

و خلاصة الأمر: إنه لم يكن هناک مجال لانكار نفوذ العلويين الواسع فى تلک الفترة، أو تجاهله؛ فان ذلک إما أن يكون عن قصر نظر، و قلة معرفة، أو مكابرة و عنادا ...

تخوف العباسيين من العلويين:

و قد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ، للعلويين، و يتخوفون منه، منذ أيامهم الأولى فى السلطة. و مما يدل على ذلک:

ص: ۶۶

أن السفاح، من أول عهده كان قد وضع الجواسيس على بنى الحسن؛ حيث قال لبعض ثقاته، و قد خرج وفد بنى الحسن من عنده: «قم بانزالهم و لا تأل فى الطافهم. و كلما خلوت معهم؛ فأظهر الميل إليهم، و التحامل علينا، و على ناحيتنا، و أنهم أحق بالأمر منا، و أحص لى ما يقولون، و ما يكون منهم فى مسيرهم، و مقدمهم «۱» ...».

و قد تنوعت هذه المراقبة، و تعددت أساليبها بعد عهد السفاح، يظهر ذلک لكل من راجع كتب التاريخ «۲» ...

خوف المنصور من العلويين

و مما يدل على مدى تخوف العباسيين من العلويين وصية المنصور لولده المهدى، التى يحثه فيها على القبض على عيسى بن زيد العلوى، يقول المنصور:

«... يا بنى، إنى قد جمعت لک من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، و جمعت لک من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى، و بنيت لک مدينة لم يكن فى الاسلام مثلها. و لست أخاف عليک إلا أحد رجلين:

عيسى بن موسى، و عيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطانى من العهود و المواثيق ما قبلته، و و اللّه، لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليک؛ فأخرجه من قلبک. و أما عيسى بن زيد؛ فانفق هذه الأموال، و اقتل هؤلاء الموالى، و اهدم هذه المدينة، حتى تظفر به،

---

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ٧٥٢، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ٧۴، و تاريخ التمدن الاسلامى، و غير ذلک ...

(٢) و قد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبة فى بعض خطبه؛ فراجع: الطبرى ج ١٠ ص ۴٣٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١.

ثم لا ألومک «١» ...».

و ليس تخوف المنصور إلى هذا الحد من عيسى بن زيد لعظمة خارقة فى عيسى هذا، و انما كل ما فى الأمر أن المجتمع الاسلامى كان قد قبل- فى تلک الفترة من الزمن- أن الخلافة الشرعية إنما هى فى ولد على عليه السلام ... و إذا ما قام عيسى بن زيد بثورة، فانه سوف يلقى تأييدا واسعا؛ فهو من جهة ابن زيد الشهيد، الثائر على بنى أمية ...

و من جهة أخرى. كان من المعاونين لمحمد بن عبد اللّه العلوى- قتيل المدينة- الذى كان السفاح و المنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، و الذى ادعى على نطاق واسع- باستثناء الامام الصادق عليه السلام- أنه مهدى هذه الأمة ... كما أنه- أى عيسى بن زيد- كان من المعاونين لإبراهيم أخى محمد بن عبد اللّه الآنف الذكر، و الذى خرج بالبصرة، و قتل بباخمرى ...

و مما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عند ما كان مشغولا بحرب محمد بن عبد اللّه، و أخيه ابراهيم، كان لا ينام الليل فى تلک الايام. و أهديت له جاريتان؛ فلم ينظر إليهما؛ فكلم فى ذلک؛ فنهر المتكلمة، و قال: «... ليست هذه الايام من أيام النساء، لا سبيل لى إليهما، حتى أعلم: أ رأس ابراهيم لى، أم رأسى لإبراهيم؟ «٢»».

(١) الطبرى طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٤٨.

و تحسن الاشارة هنا إلى أن الأموال التى خلفها المنصور للمهدى تبلغ ٦٠٠ مليون درهم، و ١٤ مليون دينار ... راجع امراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ٣٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، و الطبرى ج ١٠ ص ٣٠٦، و تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١١٤، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٩٣، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨.

و أنساب الأشراف ج ٣ ص ١١٨، و لكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور.

و هيئت له آنئذ عجة من مخ و سكر، فاستطابها، فقال: «أراد ابراهيم أن يحرمنى هذا و أمثاله «١»».

و أرسل إلى كل باب من أبواب عاصمته- و هى الكوفة آنئذ- إبلا و دوابا، حتى إذا أتى إبراهيم و جيشه من ناحية، هرب هو إلى الرى من الناحية الأخرى «٢» ...

و فى حربه- أى المنصور- مع محمد بن عبد اللّه اتسخت ثيابه جدا، حيث لم ينزعها عن بدنه أكثر من خمسين يوما «٣» ...

و كان لا يستطيع أن يتابع كلامه من كثرة همه «٤» ...

و أخيرا ... فكم من مرة رأيناه يجلب الامام الصادق عليه السلام، و يتهدده و يتوعده، و يتهمه بأنه يدبر للخروج عليه و على سلطانه.

فكل ذلک يدل دلالة واضحة على مدى رعب المنصور، و خوفه من العلويين، و ما ذلک إلا لإدراكه مدى ما يتمتعون به من التأييد، فى مختلف الطبقات، و عند جميع الفئات ...

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٨ و هذا يعبر بوضوح عن نوعية تفكير خليفة المسلمين و نوعية طموحاته ...

(٢) الطبرى ج ١٠ ص ٣١٧، طبع ليدن، و تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١١٣، و مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٩، و شرح ميمية أبى فراس ص ١١٦، و فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠، نقلا عن تجارب الامم لابن مسكويه ج ٤ ...

(٣) الطبرى ج ١٠ ص ٣٠٦، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨، و المحاسن و المساوى ص ٣٧٣، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٩٣، و أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٣ ص ١١٨.

(۴) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۹۳. و قال اليافعى فى مرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۸، ۲۹۹:

«... و لم يأو إلى فراش خمسين ليلة، و كان كل يوم يأتيه فتق من ناحية ... هذا، و مائة ألف سيف كامنة له بالكوفة؛ قالوا: و لو لا السعادة لسل عرشه بدون ذلک» ...

حتى إنه عند ما سئل عن المبايعين لمحمد بن عبد اللّه أجاب: «...

ولد على، و ولد جعفر، و عقيل، و ولد عمر بن الخطاب، و ولد الزبير بن العوام، و سائر قريش، و أولاد الانصار «۱»».

و سيمر معنا أن المنصور ادعى أن ولده هو المهدى، عند ما رأى أن الناس- ما عدا الامام الصادق عليه السلام- قد قبلوا بمهدوية محمد بن عبد اللّه العلوى ... و سيمر معنا أيضا طرف من معاملته للعلويين فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى ...

خوف المهدى من العلويين:

و أما خوف المهدى من العلويين، فذلک لعله من أوضح الواضحات، فمثلا نرى أنه: عند ما أخرج الامام الكاظم عليه السلام من السجن، يطلب منه أن لا يخرج عليه، و لا على أحد من ولده «۲».

كما أنه قد مكث مدة يطلب عيسى بن زيد، و الحسن بن ابراهيم، بعد هربه من السجن ... فقال المهدى يوما لجلسائه: «لو وجدت رجلا من الزيدية، له معرفة بآل حسن، و بعيسى بن زيد، و له فقه؛ فاجتلبه عن طريق الفقه؛ فيدخل بينى و بين آل حسن، و عيسى بن زيد»؛ فدله الربيع على يعقوب بن داود؛ فلم يزل أمره يرتفع عند الخليفة المهدى، حتى استوزره، و فوضه جميع أمور الخلافة، و خرج كتابه على الدواوين

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۹۴، ۲۹۵.

(۲) راجع: مروج الذهب، و ابن خلكان، ترجمة الامام الكاظم، و فصل الخطاب، و ينابيع المودة، و كشف الغمة، و مرآة الجنان، و صفة الصفوة.

و صرح فى ينابيع المودة ص ۳۸۲، ۳۸۳ باتفاق المؤرخين على ذلک.

بأنه: قد آخاه «۱» ... كل ذلک من أجل أن يدله على الحسن بن ابراهيم، و عيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا كان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، و المهدى هو الذى أطلقه ...

و لكنه لما لم يدله على عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالىء الطالبيين فسجنه «۲»، و بقى فى السجن إلى زمن الرشيد؛ فأخرجه، و قد كف بصره و صار شعره كالانعام ...

خوف الرشيد من العلويين:

و أما الرشيد «الذى ثارت الفتن فى زمنه بين أهل السنة و الرافضة «۳»»،

---

(۱) الطبرى، طبع ليدن ج ۱۰ ص ۴۶۴، ۵۰۷، ۵۰۸، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۱۲، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۸۴، ۱۸۵، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص ۱۵۵ و غير ذلک. و سيأتى فى فصل: ظروف البيعة المزيد من الكلام حول نفوذ يعقوب هذا ... و نكتفى هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول أبياته المشهورة:

بنى أميّة هبوا طال نومكم	إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا	خليفة اللّه بين الزق و العود

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۱۲، و ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۲، و الطبرى، و غير ذلک ... و فى مرآة الجنان ج ۱ ص ۴۱۹ و غيره: أنه حبسه فى بئر، و بنى عليه قبة، و ليراجع الوزراء و الكتاب ص ۱۵۵ أيضا.

و قد دخل مروان بن أبى حفصة على المهدى بعد أن سجن يعقوب، و قال له:

«إن يعقوب رجل رافضى» ...

و مع ذلک ... فاننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذى وشى للرشيد بالامام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۷۳، و غيره ...

(۳) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۷.

ص: ۷۱

فقد كان معنيا بالمسألة عن آل على، و كل من كان ذا نباهة و شأن منهم. كما سيأتى.

و قضيته مع يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، الذى كان قد خرج فى الديلم، و حالته السيئة، و همومه فى أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان ... و كيف لا تأخذه الهموم، و تذهب به الوساوس، و قد اتبع يحيى «خلق كثير، و جم غفير، و قويت

شوکته، و ارتحل إلیه الناس من الکور و الأمصار؛ فانزعج لذلک الرشید، و قلق من أمره» ... و کان الساعی بالصلح بینه و بین یحیی هو الفضل بن یحیی، و بسبب تمکنه من إخماد ثورة یحیی عظمت منزلته عند الرشید جدا، و فرح بذلک الصلح فرحا عظیما «۱». و إن کان قد غدر بیحیی بعد ذلک، کما هو معروف و مشهور ...

کما انه عند ما ذهب إلی المدینة لم یعط الامام موسی بن جعفر علیه السلام، سوی مائتی دینار، رغم أنه کان یعطی من لا یقاسون به الآلاف منها، و کان اعتذاره عن ذلک لولده المأمون: أنه لو أعطاه اکثر من ذلک لم یأمن أن یخرج علیه من الغد مائة الف سیف من شیعته، و محبیه صلوات اللّه و سلامه علیه «۲» ...

---

(۱) راجع فی ذلک کله: البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۱۶۷، و عمدة الطالب، طبع بیروت ص ۱۲۴، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۹۰.

(۲) عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۹۲، و البحار ج ۴۸ ص ۱۳۱، ۱۳۲.

و قد رأینا أن العباسیین ابتداء من المنصور، بل السفاح- مع الامام الصادق علیه السلام- کانوا دائما یتهددون الأئمة- الذین ما کانوا یجدون الفرصة لأی تحرک، و من أی نوع، کما سنوضحه- و یتهمونهم بأنهم کانوا یدبرون فی الخفاء للخروج علیهم؛ لیجدوا الوسیلة من ثم- للتضییق علیهم، و المبرر لسجنهم، و مصادرة أموالهم و و ...

و کان الأئمة ینفون ذلک، و یدحضون تلک التهم باستمرار ... لکنهم ما کانوا یقبلون منهم ذلک!!

ثم عاد و سجنه بعد ذلک بحجة أنه کان یجبی إلیه الخراج، ثم یدس إلیه السم، و یتخلص منه، و ذلک هو مصیر اکثر الائمة علی ید الخلفاء قبله و بعده ...

و أما فی زمن المأمون!!

و أما فی زمن المأمون: فقد کان الأمر أعظم، و أمر، و أدهی؛ حیث قد شملت الثورات و الفتن الکثیر من الولایات و الأمصار، حتی لم یعد یعرف المأمون من أین یبدأ، و لا کیف یعالج. و أصبح یری، و یؤلمه أن یری مصیره، و مصیر خلافته فی مهب الریح، تتقاذفه الانواء، و یضری به الإعصار.

عقدة الحقارة لدی العباسیین:

و کان ذلک بطبیعة الحال یزید من رعب العباسیین، و یضاعف من مخاوفهم ...

لا سیما بملاحظة أنهم کانوا یعیشون عقدة الحقارة و المهانة ...

يقول أبو فراس مشيرا إلى ذلك:

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم / و مالهم قد فيها و لا قدم

لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا / و لا يحكم فى أمر لهم حكم

و لا رآهم أبو بكر و صاحبه / اهلا لما طلبوا منها و ما زعموا

فهل هم يدعوها غير واجبة / أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا

و قد كتب ابو مسلم للمنصور، من جملة رسالة له: «... و أظهركم اللّه بعد الاخفاء، و الحقارة و الذل، ثم استنقذنى بالتوبة الخ ...» «۱».

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۶۴. و غيره.

ص: ۷۳

و فى رسالة أخرى: «... حتى عرفكم من كان جهلكم «۱»».

بل لقد صرح المنصور بذلک لعمه عبد الصمد بن على؛ حيث قال له: «نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء؛ فليس تتمهد هيبتنا إلا باستعمال العقوبة، و نسيان العفو ...» كما سيأتى ...

فى مواجهة الخطر:

و إذا كان العباسيون يدركون: أن الخطر الحقيقى الذى يتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلويين، فان عليهم إذن ... أن يتحركوا ...

أن يفعلوا شيئا ... أن يواجهوا الخطر المحدق بهم بكل وسيلة، و بأى أسلوب كان ... سيما و هم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين، و تأييدهم، و مساندتهم لكل دعوة من قبلهم ...

فكيف عالج العباسيون الموقف؟! ...

و ما هو مدى نجاحهم فى ذلک؟ إن كان قدر لهم النجاح!!.

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۶۹، و الامامة و السياسة ج ۲ ص ۱۳۳، و غير ذلک.

ص: ۷۴

سياسة العباسيين ضد العلويين:

مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما يدل على مدى نفوذ العلويين، و على المكانة التى كانوا يتمتعون بها على العموم ... و أنهم هم الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقى على العباسيين، و مركزهم فى الحكم ...

و قد كان العباسيون يدركون بالفعل هذه الحقيقة، فكان عليهم أن يبعدوهم عن مجال السياسة بأى وسيلة كانت و أن يحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، و يضعفوا ما أمكنهم من قوتهم ...

و قد اتبعوا من أجل ذلک أساليب شتى، و طرقا متنوعة:

فحاولوا فى بادئ الأمر أن يقارعوهم الحجة بالحجة ...

تطوير نظرية الارث:

و كان من جملة أساليبهم فى ذلک أنهم غيروا و بدلوا فى السلسلة، التى كانوا يواجهون بها الناس فى تقريرهم لشرعية خلافتهم من النبى (ص) ...

ص: ۷۵

و ذلک لأنهم كانوا فى بداية أمرهم يصلون حبل وصايتهم بأمير المؤمنين عليه السلام، ثم منه إلى ولده محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه أبى هاشم، ثم إلى على بن عبد اللّه بن العباس، فإلى ولده محمد بن على، فإبراهيم الامام، ثم منه إلى أخيه السفاح «۱» و هكذا ... هذا ... مع إنكارهم لشرعية خلافة أبى بكر و عمر، و عثمان، و غيرهم من خلفاء الامويين، و غيرهم ...

و يتضح انكارهم و تبرؤهم هذا من كثير من النصوص التاريخية ... فمن ذلک قصة أبى عون مع المهدى، التى ستأتى فى بعض هوامش هذا الفصل ...

و من ذلک أيضا قول أبى مسلم فى خطبته فى أهل المدينة فى السنة التى حج فيها فى عهد السفاح، قال: «... و ما زلتم بعد نبيه تختارون تيميّا مرة، و عدويا مرة، و أسديا مرة و سفيانيا مرة، و مروانيا مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه، و لا بيته

[يعنى نفسه] يضربكم بسيفه؛ فأعطيتموها عنوة، و أنتم صاغرون، ألا و إن آل محمد أئمة الهدى، و منار سبيل التقى، القادة الذادة السادة الخ «٢» ...». و تقدم قول داود ابن على: «لم يقم فيكم امام بعد رسول اللّه الخ ...»

و روى أبو سليمان الناجى، قال: «جلس المهدى يوما يعطى قريشا صلات لهم، و هو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم، ثم بسائر قريش.

فجاء السيد [أى الحميرى]؛ فرفع إلى الربيع حاجب المنصور رقعة مختومة، و قال: ان فيها نصيحة للامير؛ فأوصلها إليه. فأوصلها؛ فإذا فيها:

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٣، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٨، و وفيات الأعيان ج ١ ص ۴۵۴، ۴۵۵، طبع سنة ١٣١٠، و امبراطورية العرب ص ۴٠۶، و غير ذلك، و قد أشرنا إلى أن هذه هى عقيدة الكيسانية، فراجع ...

(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١۶١، ١۶٢.

قل لابن عباس سمى محمد لا تعطين بنى عدى درهما

احرم بنى تيم بن مرة انهم شر البرية آخرا، و مقدما

إن تعطهم لا يشكروا لک نعمة و يكافئوک بأن تذم و تشتما

و إن ائتمنتهم أو استعملتهم خانوک، و اتخذوا خراجک مغنما

و لئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنع؛ إذ ملكوا و كانوا أظلما

منعوا تراث محمد أعمامه و ابنيه، و ابنته عديلة مريما

و تأمروا من غير ان يستخلفوا و كفى بما فعلوا هنالک مأثما

لم يشكروا لمحمد انعامه أ فيشكرون لغيره إن أنعما

و اللّه من عليهم بمحمد و هداهم، و كسا الجنوب، و أطعما

ثم انبروا لوصيه و وليه بالمنكرات، فجرعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى عبد اللّه معاوية بن يسار، الكاتب للمهدى، ثم قال: اقطع العطاء؛ فقطعه. و انصرف الناس. و دخل السيد إليه؛ فلما رآه ضحک، و قال: قد قبلنا نصيحتک يا إسماعيل ... و لم يعطهم شيئا «۱» ...».

و نرى السيد الحميرى فى مناسبة أخرى ينشد المنصور أبياتا يهجو بها سوارا القاضى، من جملتها:

إن سوار بن عبد اللّه من شر القضاة

نعثلى، جملى، لكم غير مواتى«۲»

---

(۱) الأغانى ج ۷ ص ۱۶، طبع دار الفكر، و الغدير ج ۲ ص ۲۵۴، ۲۵۵، و الأدب فى ظل التشيع ص ۲۰۷، و مستدرک أخبار السيد الحميرى للمرزبانى ص ۵۸، باختصار و ديوان السيد الحميرى ص ۳۷۷، ۳۷۸، نقلا عن الأولين، و عن:

أعيان الشيعة ج ۱۲ ص ۱۷۸، و تاريخ الاسلام ج ۲ ص ۱۴۷، و تاريخ آداب اللغة العربية ج ۲ ص ۶۷، ۶۸.

(۲) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۳۴، و الأغانى ج ۷ ص ۲۶۱، و الغدير ج ۲ ص ۲۵۶

و يقول القاسم بن يوسف:

هاشم فخر قصى كلها أين تيم وعدى و الفخار

لهم أيد طوال فى العلى و لمن ساماهم أيد قصار

لهم الوحى و فيهم بعده آمر الحق و فى الحق منار

و هم أولى بأرحامهم فى كتاب اللّه إن كان اعتبار

ما بعيد كقريب سببا لا و لا يعدل بالطرف الحمار

إلى أن قال:

خسر الآخذ ما ليس له | عمد عين و الشريک المستشار
و لفيف ألفوا بينهم | بيعة فيها اختلاط و انتشار
و رسول اللّه لم يدفن فما | شغل القوم اغتمام و انتظار
کان منهم قبل آل المصطفى | أن يلوا الأمر حذار و نفار«۱»

إلى آخر الابيات ...

و القاسم بن يوسف معاصر لکل من الرشيد و المأمون، و توفى سنة ۲۱۳ ه.

و کل ما ذکرناه يدل على انکار العباسيين لشرعية خلافة أبى بکر و عمر ...

و مثل ذلک کثير لا مجال لنا هنا لاستقصائه، و حسبنا هنا أقوال المؤرخين، فانها القول الفصل، و الحکم العدل ...

هذا ما کان فى بداية الأمر ... أى أنهم کانوا يصلون حبل وصايتهم بعلىّ عليه السلام، و ينکرون شرعية خلافة الثلاثة، ثم عدلوا عن ذلک بعد فترة ... و ذلک لما يتضمنه من الاعتراف بأن الوصاية کانت فى ولد علىّ عليه السلام.

---

(۱) الأوراق للصولى ص ۱۸۰، و أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص ۱۰۸- ۱۰۹.

ص: ۷۸

فأسس المهدى فرقة «۱» تدعى: أن الامام بعد رسول اللّه (ص) هو العباس بن عبد المطلب، ثم ابنه عبد اللّه، ثم ابنه على، ثم ابنه محمد ... و هکذا إلى أن ينتهى الأمر إليهم ... هذا ... مع الاستمرار على البراءة من أبى بکر، و عمر، و عثمان. و لکنهم أجازوا بيعة على ابن أبى طالب؛ لأن العباس نفسه کان قد أجازها «۲». و تسمى هذه الفرقة ب: «الراوندية و الشيعة العباسية».

و لکننا لا نجد لهذه الفرقة أثرا فى عصر المأمون، لأن سياسة الخليفة قد اقتضت تجميد هذه المقالة، و لو لفترة من الزمان کما سنوضحه و على کل حال فيقول منصور النمرى يمدح الرشيد و يشير الى ذلک:

لو لا عدى و تيم لم تکن وصلت | إلى أمية تمريها و ترتضع
إن الخلافة کانت إرث والدکم | من دون تيم، و عفو اللّه متسع«۳»

(۱) هذا ... و لكن الذى يبدو هو أن صاحب الفكرة الحقيقى هو المنصور. كما يظهر من رسالته لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و من كثير من كلماته، و خطبه ... و المهدى كان هو المنفذ لها، و المخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل ... بل لقد سار المنصور فى إشاعة هذه الفكرة، و تركيزها شوطا بعيدا، حتى لقد تقرب إليه بها الشعراء؛ فهذا السيد الحميرى يقول- على ما يرويه لنا المرزبانى فى أخباره ص ۳۷ و يروى أيضا مكافأة المنصور المهمة له على ذلک- يقول السيد:

يا رهط أحمد إن من أعطاكم ملک الورى و عطاؤه أقسام

رد الخلافة و الوراثة فيكم و بنو أميّة صاغرون رغام

لمتمم لكم الذى أعطاكم و لكم لديه زيادة و تمام

أنتم بنو عم النبى عليكم من ذى الجلال تحية و سلام

و ورثتموه و كنتم أولى به إن الولاء تحوزه الأرحام

إلى غير ذلک مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه.

(۲) فرق الشيعة للنوبختى ص ۴۸، ۴۹، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۳، و مروج الذهب للمسعودى ج ۳ ص ۲۳۶، إلا أن النوبختى ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعة على أيضا.

(۳) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۲۴۴، و الشعر و الشعراء ص ۵۴۶.

ص: ۷۹

تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

و قد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو فقل هذا الاتجاه. و استمروا يناصرونه إلى زمن هارون ...

و قد حصل مروان ابن أبى حفصة من الخليفة العباسى «المهدى» على أعظم جائزة تعطى لشاعر فى تلک الفترة، على قوله مخاطبا آل على:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبى فقالها

نزلت من الأنفال آخر آية   بتراثهم، فأردتم ابطالها

يشير إلى آية: «أولو الأرحام ...».

فزحف المهدى من صدر مصلاه إعجابا، و أعطاه مائة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. و كانت هذه أول مائة ألف تعطى لشاعر فى دولة بنى العباس «١».

و أعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مائة ألف أيضا.

كما أن المهدى قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون و ليس ذاک بكائن   لبنى البنات وراثة الأعمام

أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، و كساه جبة، و مطرفا، و فرض على أهله و مواليه ثلاثين ألفا أيضا «٢».

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١۴۴، ١۴۵، و مرآة الجنان ج ١ ص ٣٢١.

(٢) و لكن فى العقد الفريد ج ١ ص ٣١٢، الطبعة الثالثة، و المحاسن و المساوى ص ٢١٩:

أنه أخذ منه ثلاثين، و من أهل بيته سبعين. و لعل هذا هو الأقرب إلى الواقع؛ فقد

ص: ٨٠

و ينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلک ...

و بعد ذلک يقف مروان بن أبى الجنوب (و يقال: بل مروان بن أبى حفصة، و قد أنشدها المتوكل، على ما فى الغدير ج ۴ ص ١٧۵)، و ينشد الخليفة قصيدته التى مطلعها:

لكم تراث محمد   و بعدلكم تشفى الظلامة

إلى أن يقول:

ما للذين تنحلوا   ميراثكم إلا الندامة

فيخلع عليه أربع خلع، و ينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، و يعطيه عشرة آلاف درهم، ... ثم يعقد له- مع ذلك كله- ولاية على البحرين و اليمامة «۱» بل لقد تمادى هارون، و أراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن ينكر حتى شرعية خلافة الامام على عليه السلام، فأحضر «أبا معاوية الضرير» و هو أحد محدثى المرجئة «۲»، و قال له: «هممت أنه من يثبت خلافة على فعلت به و فعلت ...». فنهاه أبو معاوية عن ذلک، و استدل له بما أعجبه، فارتدع، و انصرف عما کان عزم علیه «۳» ...

ذكر فى المحاسن و المساوى ص ۲۲۰: أن مروان هذا قال فى هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشى من حبائه و ما نالها فى الناس من شاعر قبلى

بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته ...

و فى طبقات الشعراء ص ۵۱ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما ...

(۱) راجع: الكامل لابن الأثير ج ۷ ص ۳۸، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثانى، جزء ۳ ص ۲۲۸.

(۲) المرجئة الاولى كانوا لا يتولون عثمان و لا عليا، و لا يتبرءون منهما.

(۳) راجع تفصيل ذلک فى تاريخ بغداد ج ۵ ص ۲۴۴، و نكت الهميان فى نكت العميان ص ۲۴۷.

ص: ۸۱

بل إن بعض النصوص التاريخية تفيد أن المهدى أيضا كان لا يريد أن يجيز بيعة على عليه السلام «۱».

الامام على فى ميزان الاعتبار:

و إذا ما عرفنا أن اظهار المأمون حبه لعلى بن أبى طالب، و ولده، ليس إلا لظروف سياسية معينة كما سيأتى توضيحه ... فاننا سوف نرى أنفسنا مقتنعين بأن تأرجح الامام على عليه السلام فى ميزان الاعتبار فى تلك الفترة و التى بعدها عند العباسيين، لم يكن إلا أمرا ظاهريا أملته الظروف السياسية، و الاجتهادات المختلفة فى أساليب مواجهة العلويين ...

و لهذا نرى ارتباكهم فى ذلک ظاهرا للعيان من وقت لآخر، و من فترة لأخرى ... و هكذا ... نجد أن الإمام عليا لم يكن معتبرا عند المأمون،

(١) فقد ذكر ابن الأثير فى الكامل ج ٥ ص ٧٢، و الطبرى فى تاريخه حوادث سنة ١٦٩ ه.: أن المهدى عند ما رأى فى وصية القاسم بن مجاشع التميمى المروزى عبارة:

«... و يشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أن على بن أبى طالب وصى رسول اللّه، و وارث الامامة من بعده ... الخ» ... رماها من يده، و لم ينظر فى باقيها ...

كما أنه عند ما ذهب لعيادة أبى عون، الذى كان من كبار رجال الدعوة، و الذى أرسله أبو مسلم فى ثلاثين ألفا فى طلب مروان بن محمد، و كان هو الذى أنهى أمره فى مصر على ما فى الامامة و السياسة ج ٢ ص ١١٦، ١١٩، ١٢٠.- عند ما ذهب المهدى لعيادته-، و طلب منه أبو عون أن يرضى عن ولده، الذى كان يرى رأى الشيعة فى الخلافة، أجاب: أنه على غير الطريق، و على خلاف رأينا. فقال له أبو عون: هو و اللّه يا أمير المؤمنين، على الأمر الذى خرجنا عليه، و دعونا إليه؛ فان كان قد بدا لكم، فمرونا، حتى نطيعكم ... راجع الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء ٢ ص ٥٦٩، و قاموس الرجال ج ٥ ص ٣٧٣، و الطبرى، و غير ذلک ...

ص: ٨٢

غير معتبر عند المنصور و الرشيد، بل هو غير معتبر عندهم جميعا.

و لسنا هنا فى صدد تحقيق هذا الأمر، و لكن قد تكفى الاشارة فى كثير من الأحيان.

استغلال لقب المهدى:

هذا ... و نلاحظ: أن المنصور أيضا قد حاول أن يقارع العلويين بالحجة، و لكن بنحو آخر، و أسلوب آخر ...

فانه عند ما رأى أن الناس قد قبلوا على نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق عليه السلام) بأن محمد بن عبد اللّه العلوى هو المهدى ... حاول أن يموه هو بدوره على النّاس، فلقب ولده، و الخليفة بعده ب «المهدى»، من أجل أن يصرف الناس عن محمد بن عبد اللّه هذا ...

فقد أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد اللّه، و قال له:

«اجلس عند المنبر، فاسمع ما يقول محمد»، قال: فسمعته يقول:

«إنكم لا تشكون أنى أنا المهدى، و أنا هو» فأخبرت بذلک أبا جعفر، فقال: «كذب عدو اللّه، بل هو ابنى «١»» ...

ثم ... و من أجل اقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من يضع له الاحاديث، و يكذب على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و طبق واضعوها «مهدى الامة» على ولده الخليفة «المهدى» «٢». و يقول القاضى النعمان الاسماعيلى فى أرجوزته:

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۲۴۰، و المهدية فى الاسلام ص ۱۱۷.

(۲) تجد بعض هذه الأحاديث فى: الصواعق المحرقة ۹۸، ۹۹، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۷۲، و البداية و النهاية ج ۶ ص ۲۴۶، ۲۴۷، و غير ذلك.

من انتظاره و قد تسمى	بهذه الاسماء ناس لما
تغلبوا ليجعلوها حجة	فعدلوا عن واضح المحجة
إذ مثلوا الجوهر بالاشباه	منهم محمد بن عبد اللّه
ابن على من بنى العباس	ذوى التعدى الزمرة الارجاس
إذ وافق الاسم تسمّى مهدى	و هذه من الدواهى عندى«۱»

و قد أقر أحمد أمين المصرى بكذب هذه الاحاديث، و وضعها «۲»، كما أقر غيره بذلک ...

بل إن المنصور نفسه- الذى كان قد اعترف بمهدوية محمد بن عبد اللّه العلوى، و تبجح، و افتخر بها «۳»- قد كذب نفسه فى ذلک، و كذبها فى مهدوية ولده أيضا ...

يقول مسلم بن قتيبة: «أرسل إلى أبو جعفر، فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمد بن عبد اللّه، و تسمى بالمهدى، و و اللّه، ما هو به، و أخرى أقولها لک، لم أقلها لأحد قبلک، و لا أقولها لأحد بعدک ... و ابنى و اللّه، ما هو بالمهدى، الذى جاءت به الرواية. و لكنى تيمنت به، و تفاءلت به «۴» ...». و الخليفة المهدى نفسه يقر بأن أباه فقط يروى أنه المهدى الذى بعده فى الناس «۵».

و أما اتخاذهم الزندقة ذريعة للقضاء على خصومهم، سواء من العلويين، أو من غيرهم ... فسيأتى توضيحه إن شاء اللّه تعالى ...

(۱) الارجوزة المختارة ص ۳۱.

(۲) ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۴۰.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۲۳۹، ۲۴۰، و المهدية فى الاسلام ص ۱۱۶، و جعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ص ۱۱۶.

(۴) مقاتل الطالبيين ص ۲۴۷، و المهدية فی الاسلام ص ۱۱۷.

(۵) الوزراء و الكتاب ص ۱۲۷.

ص: ۸۴

و كل ذلک لم يكفهم:

و لكن العباسيين قد وجدوا أن ذلک كله لم يكن ينطلى على أحد.

و أن الامور- مع ذلک- تسير فی غير صالحهم؛ و لهذا فان من الافضل و الأجدى لهم أن لا يفسحوا المجال للعلويين للمنطق و الحجاج؛ فان ذلک من شأنه أن يظهر كل ما كان يتمتع به العلويون من خصائص و مميزات عليهم. هذا إن لم ينته الأمر بفضيحة ساحقة للعباسيين، و كشف حقيقتهم و واقعهم أمام الملأ، الأمر الذی كان يزعجهم، و يقض مضاجعهم إلى حد كبير ...

و إذن ... فإن من الحكمة أن يتبعوا أساليب أخرى من أجل القضاء على العلويين ...

و لم تكفهم مراقبتهم لهم، حتى لم يكونوا يغفلون عنهم طرفة عين أبدا، من أجل التعرف على أحوالهم، و إحصاء كل حركاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء على ذلک من بعده ...

كما لم يكفهم ... التهديد و الوعيد الذی كانوا يواجهونهم به؛ بهدف إضعاف شخصياتهم، و تحطيم معنوياتهم ...

كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، و هدم بيوتهم، و منعهم من السعی من أجل الحصول على لقمة العيش، حتى لقد بلغ البؤس بهم أن:

العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة «۱».

و كذلک لم يكفهم ... عزلهم عن الناس، و منع كل أحد من الوصول إليهم، تمهيدا لتشويه سمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكذب و الافتراء،

---

(۱) كان ذلک فی زمن المتوكل، راجع: بند تاريخ ج ۱ ص ۷۲، و مقاتل الطالبيين ص ۵۹۹.

ص: ۸۵

و إن كانت سيرتهم الحميدة، و خصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، و سلوكهم المثالی يدحض كل افتراء ...

و أما الاضطهاد و التشريد، و زج العشرات و المئات منهم فى السجون الرهيبة، التى كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها؛ حيث إن دخول السجن إنما كان يعنى فى الحقيقة دخول القبر ... و أما دسهم السم لكل شخصية لا يستطيعون الاعتداء عليها جهارا- أما ذلک- فلم يكن ليكفيهم أيضا، و لا ليقنعهم قطعا ... حيث انهم إنما كانوا متعطشين إلى الولوغ فى دمائهم، و مشتاقين إلى التفنن فى تعذيبهم، و اختراع أساليب جديدة فى ذلک؛ فسمروا بالحيطان من سمروا، و أماتوا جوعا من أماتوا، و وضعوا فى الاسطوانات منهم من وضعوا ... إلى غير ذلک مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، و تاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين ...

و أما قتلهم لهم جماعات، فأشهر من أن يحتاج إلى بيان ... و قضية المنصور مع بنى حسن لا يكاد يخلو منها كتاب تاريخى ... و كذلک قضية الستين علويا، الذين قتلوا بأمر من الخليفة «المنصور» باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضيه «۱».

---

(۱) هذا ما نقله فى شرح شافية أبى فراس ص ۱۷۴ عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذى رأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة، يضرع إلى اللّه بالمغفرة، و أقر له بأنه بنى على هؤلاء ما عدا الغلام المذكور بأمر من المنصور ... و فى عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۰۸، فما بعدها، و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۷۶، ۱۷۷، و البحار ج ۴۸ ص ۱۷۶ فما بعدها ... قصة شبيهة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الذى كان يفطر فى شهر رمضان، ليأسه من مغفرة اللّه، لأنه قتل ستين علويا فى ليلة واحدة بأمر من الرشيد ... و لكن الظاهر أن ذكر الرشيد اشتباه من الراوى، و لعله عمدى؛ لأن حميدا قد مات سنة ۱۵۸، على ما صرح به فى البحار ج ۴۸ ص ۳۲۲، و خلافة هارون الرشيد إنما بدأت سنة ۱۷۰، و لعل القصة الحقيقية هى ما عن أحمد بن حنبل، و انما حرفها المحرفون لحاجة فى نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، و الناقد البصير.

موقف كل خليفة منهم على حدة:

و إننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:

أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين: «... و كانت حياته حياة سفک للدماء، و قضاء على المعارضين «۱» ...».

و قال عنه الجنرال جلوب: «... و كان السفاح و المنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، و لذا وطدا ملكهما- بعد نجاح الثورة- بكثير من سفک الدماء، و لا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بنى أمية، و بنى على بن أبى طالب «۲» ...».

و يقول الخوارزمى عن السفاح: «... و سلط عليهم (يعنى على العلويين) أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم فى كل سهل، و جبل «۳» ...».

و من ذلک یعلم أن اظهاره اللین تجاههم أمام الناس ما کان إلا من أجل تثبیت دعائم حکمه، و تحکیم قواعد سلطانه، لکنه لم یغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، و التجسس علی أحوالهم، بل و قتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلک، کما قدمنا ...

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۱ ص ۱۰۵.

(۲) امبراطوریة العرب ص ۴۹۹.

(۳) رسائل الخوارزمی ص ۱۳۰، و ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۶، ۲۹۷، و سیأتی شطر من هذه الرسالة ... راجع ما علقناه علی هذه الفقرة فی فصل: قیام الدولة العباسیة.

ص: ۸۷

و أما المنصور:

الذی لم یتورع عن قتل ابن أخیه السفاح «۱»، و عمه عبد اللّه بن علی ...

و أبی مسلم، مؤسس دولته ... و الذی سافر سنة ۱۴۸ ه. إلی الحج، و عزم علی القبض علی الامام الصادق (ع)، و إن کان لم یتم له ذلک «۲» ...

و الذی سمی نفسه المنصور بعد انتصاره علی العلویین «۳».

أما المنصور هذا ... فهو أول من أوقع الفتنة بین العباسیین و العلویین «۴».

و قد اعترف عند ما عزم علی قتل الإمام الصادق علیه السلام، بعدد ضخم من ضحایاه من العلویین، حیث قال:

«... قتلت من ذریة فاطمة ألفا، أو یزیدون، و ترکت سیدهم، و مولاهم، و إمامهم، جعفر بن محمد ...» «۵».

و لقد کان هذا القول منه فی حیاة الإمام الصادق علیه السلام، أی فی صدر خلافة المنصور ... فکیف بمن قتلهم بعد ذلک!! و قد ترک خزانة رءوس میراثا لولده المهدی، کلها من العلویین، و قد علق بکل رأس ورقة کتب فیها ما یستدل به علی صاحبه، و من بینها رءوس شیوخ، و شبان، و أطفال «۶».

---

(۱) تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۹۴، نقلا عن: نفح الطیب ج ۲ ص ۷۱۵.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۶

(۳) التنبيه و الاشراف ص ۲۹۵، و طبيعة الدعوة العباسية ص ۱۱۹.

(۴) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۱، و مروج الذهب ج ۴ ص ۲۲۲. و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۷، و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۲، ۲۳.

(۵) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۵۹، و الأدب فى ظل التشيع ص ۶۸.

(۶) تاريخ الطبرى ج ۱۰ ص ۴۴۶، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۲، و غير ذلك.

و هو الذى يقول لعمه عبد الصمد بن على، عند ما لامه على أنه يعاجل بالعقوبة، حتى كأنه لم يسمع بالعفو- يقول له-: «إن بنى مروان لم تبل رممهم، و آل أبى طالب لم تغمد سيوفهم- و نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا الا بنسيان العفو، و استعمال العقوبة «۱» ...».

و هو الذى يقول للامام الصادق عليه السلام: «لأقتلنک، و لا قتلن أهلک، حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سوط «۲» ...».

و عند ما قال المنصور للمسيب بن زهرة: إنه رأى أن الحجاج أنصح لبنى مروان ... أجابه المسيب: «يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج إلى أمر، فتخلفنا عنه، و اللّه، ما خلق اللّه على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا (ص)، و قد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناک، و فعلنا، فهل نصحناک؟!» «۳».

و هو أول من سن هدم قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء «۴» ...

و هو الذى كان يضع العلويين فى الاسطوانات، و يسمرهم فى الحيطان- كما نص عليه اليعقوبى، و غيره- و يتركهم يموتون فى المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الكريهة، حيث لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لازالة الضرورة. و كان يموت أحدهم، فيترک معهم، حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا، و هم فى أغلالهم- كما فعل ببنى حسن، كما هو معروف و مشهور.

---

(۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۷، و امبراطورية العرب ص ۴۹۱، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء ۲ ص ۵۳۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۳۵۷، و البحار ج ۴۷ ص ۱۷۸.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۲۴.

(۴) تاریخ کربلاء، لعبد الجواد الکلیدار آل طعمه ص ۱۹۳.

ص: ۸۹

و لقد قال أحد العلويين، و هو أبو القاسم الرسى بن ابراهيم بن طباطبا، اسماعيل الديباج، عند ما هرب من المنصور إلى السند:

لم يروه ما أراق البغى من دمنا فى كل أرض فلم يقصر من الطلب

و ليس يشفى غليلا فى حشاه سوى أن لا يرى فوقها ابن لبنت نبى«۱»

و على كل: فإن معاملة المنصور لأولاد على، تعتبر من أسوأ صفحات التاريخ العباسى «۲» ...

و ستأتى عبارة الخضرى عنه عن قريب ...

و أما المهدى:

الذى حبس وزيره يعقوب بن داود، و بنى على المطبق الذى هو فيه قبة، و بقى فيه حتى عمى، و طال شعر بدنه، حتى صار كالأنعام- حبسه- لاتهامه إياه بأنه يمالىء الطالبيين، كما قدمنا ...

المهدى الذى عرفنا فيما تقدم موقفه من أبى عون، و ولده، الذى كان يذهب مذهب الشيعة فى الخلافة ... و كذلک موقفه من وصية القاسم ابن مجاشع ...

أما المهدى هذا فقد اتخذ الزندقة ذريعة للقضاء على كل مناوئيه، و خصوصا العلويين، و المتشيعين لهم:

قال الدكتور أحمد شلبى: «إن الرمى بالزندقة اتخذ وسيلة للإيقاع بالأبرياء فى كثير من الأحايين ...» «۳».

---

(۱) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۱.

(۲) مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ۱۸۴.

(۳) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۲۰۰.

ص: ۹۰

و قال الدكتور أحمد أمين المصرى: «الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم. سواء فى ذلک: الشعراء، و العلماء، و الأمراء، و الخلفاء» «۱».

و قد ألف له- أى للمهدى- ابن المفضل كتابا فى الفرق، اخترع فيه فرقا من عند نفسه، و نسبها لأولئک الذين يريد المهدى أن يتتبعهم، و يقضى عليهم. مع أنهم لم يكونوا أصحاب فرق أصلا ... كزرارة، و عمار الساباطى، و ابن أبى يعفور، و أمثالهم؛ فاخترع فرقة سماها «الزرارية»، نسبة لزرارة. و فرقة سماها «العمارية» نسبة لعمار، و فرقة سماها «اليعفورية»، و أخرى سماها «الجواليقية»، و أصحاب سليمان الأقطع ...

و هكذا ... إلا أنه لم يذكر «الهشامية» نسبة لهشام بن الحكم «۲» ...

---

(۱) ضحى الاسلام ج ۱ ص ۱۵۷ ... هذا ...

و قد اتهم شريک بن عبد اللّه القاضى بالزندقة، لأنه لم يكن يرى الصلاة خلف الخليفة المهدى؛ فراجع: البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۱۵۳، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۷، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ۳ ص ۲۳۲.

و أيضا ... فقد أراد هارون أن يقتل عمه، الذى قال: كيف لقى آدم موسى؟ عند ما ذكرت رواية مفادها ذلک ... و ذلک بتهمة الزندقة. راجع: تاريخ بغداد ج ۱۴ ص ۷، ۸ و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۱۵، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۸، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۸۵، و البصائر و الذخائر ص ۸۱ ...

و هذا يعنى أن لفظ الزنديق قد اطلق على كل من يناقش فى أحاديث الصحابة، و على كل من يعارض نظام الحكم، و الحكام و أهواءهم، و اطلق أيضا على كل ماجن خليع كما يبدو لمن راجع رواية شريک القاضى فى مظانها و غيرها ...

و لا بأس بمراجعة عبارة هامة لأحمد أمين تتعلق بهذا الموضوع فى كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثانى جزء ۳ ص ۲۳۲.

(۲) رجال المامقانى ج ۳ ص ۲۹۶، و قاموس الرجال ج ۹ ص ۳۲۴، و البحار ج ۴۸ ص ۱۹۵، ۱۹۶، و رجال الكشى ص ۲۷ طبع كربلاء ... و أشار إلى ذلک المسعودى أيضا؛ فراجع: ضحى الإسلام ج ۱ ص ۱۴۱. و اليعقوبى فى كتابه مشاكلة الناس لزمانهم ص ۲۴.

ص: ۹۱

و قال عبد الرحمن بدوى: «إن الاتهام بالزندقة فى ذلک العصر، كان يسير جنبا إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلک الاستاذ (فيدا) ...» «۱».

يقول أبو حنيفة أو الطغرائى فى جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وصموه بالإلحاد«٢»

إلى غير ذلک مما لا يمكننا تتبعه و استقصاؤه فى مثل هذه العجالة ...

و أما الهادى:

«فقد أخاف الطالبيين خوفا شديدا، و ألح فى طلبهم، و قطع أرزاقهم و اعطياتهم. و كتب إلى الآفاق بطلبهم «٣» ...».

و لم تكن واقعة فخ المشهورة إلا بسبب الاضطهاد الذى لحق العلويين، و المعاملة القاسية لهم، حسبما نص عليه المؤرخون ... و التى بلغ عدد الرءوس فيها مائة و نيفا، و سبيت فيها النساء و الأطفال، و قتل السبى حتى الاطفال منهم على ما قيل ...

و أما الرشيد:

«الذى حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الامامة»، على حد تعبير الخوارزمى ...

---

(١) من تاريخ الإلحاد فى الاسلام ص ٣٧.

(٢) نسبه إلى الأول فى ملحقات احقاق الحق ج ٩ ص ٦٨٨ نقلا عن مفتاح النجا فى مناقب آل العبا للعلامة البدخشى ص ١٢ مخطوط و عن قلندر الهندى الحنفى فى روض الأزهر ص ٣٥٩ طبع حيدرآباد و هو منسوب للطغرائى أيضا و هو مثبت فى احدى قصائده فى ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء فى ذلک ...

(٣) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٣٦، ١٣٧.

ص: ٩٢

و الذى «لم يكن يخاف اللّه، و أفعاله بأعيان آل على (ع)، و هم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من اللّه تعالى «١» ...».

و الذى كان على حد تعبير أحمد شلى: «يكره الشيعة و يقتلهم «٢» ...»

و الذى بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل على عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ ...

أما الرشيد هذا ...

فقد أقسم على استئصالهم، و كل من يتشيع لهم، فقال: «... حتام أصبر على آل بنى أبى طالب، و اللّه لأقتلنهم، و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و أفعلن «۳» ...».

و عند ما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبيين جميعا من بغداد، إلى المدينة «۴»، كرها لهم و مقتا ...

«و كان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، و يقتلهم «۵» ...».

«... و أمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا «۶»».

و كان: «يقتل أولاد فاطمة و شيعتهم «۷»» ...

---

(۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۰.

(۲) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳. ص ۳۵۲.

(۳) الأغانى، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ۵ ص ۲۲۵.

(۴) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۸۵، و الطبرى ج ۱۰ ص ۶۰۶، و غير ذلک.

(۵) العقد الفريد ج ۱ ص ۱۴۲.

(۶) الولاة و القضاة للكندى ص ۱۹۸، و ليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۶.

(۷) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۸۰.

ص: ۹۳

و كان «مغرى بالمسألة عن آل أبى طالب، و عمن له ذكر و نباهة منهم «۱»».

و عند ما أرسل الجلودى لحرب محمد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبى طالب فى المدينة، و يسلب ما على نسائهم من ثياب، و حلى، و لا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا «۲» ...

و عند ما حضرته الوفاة كان يقول: «... وا سوأتاه من رسول اللّه «۳»».

و هدم قبر الحسين، و حرث أرض كربلاء، و قطع السدرة التى كان يستظل بها الزائرون لتلک البقعة المباركة، و ذلک على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسى «۴».

ثم توج موبقاته كلها، و فظائعه تلك، بقتل سيد العلويين، و قائدهم، الامام موسى بن جعفر، صلوات اللّه و سلامه عليه ...

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۹۳، و بعد ذلک قال: «فسأل يوما الفضل بن يحيى- بعد أن عاد من خراسان-: هل سمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا و اللّه، و لقد جهدت فما ذكر لی أحد منهم، إلا أنی سمعت رجلا إلخ» ...

(۲) أعيان الشيعة، طبعة ثالثة، ج ۴ قسم ۲ ص ۱۰۸، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۱، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶.

(۳) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۳۰، و يلاحظ هنا: أن الانسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. و قول الرشيد هذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، و يبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ...

(۴) تاريخ الشيعة ص ۸۹، و أمالی الشيخ، طبع النجف ص ۳۳۰، و الكنى و الالقاب ج ۱ ص ۲۷ و شرح ميمية أبی فراس ص ۲۰۹، و المناقب لابن شهرآشوب ج ۲ ص ۱۹، و تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۷، ۱۹۸، نقلا عن:

نزهة أهل الحرمين ص ۱۶، و البحار ج ۱۰ ص ۲۹۷، و تظلم الزهراء ص ۲۱۸، و مجالی اللطف ص ۳۹، و أعيان الشيعة ج ۴ ص ۳۰۴، و تسلية المجالس، لمحمد بن أبی طالب، و غير ذلک ...

ص: ۹۴

و لقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

«... و كأنهم خافوا على قبرک أن ينبشه أشياع علی، رضی اللّه عنه، فدفنوک فی قبر الامام العلوی، لتأمن فيه النبش و المهانة بعد الممات ...

فمن عجب أن يلوذ أبناء علی بملكک الطويل العريض، فيضيق بهم، و أن يبحث أتباعک عن ملاذ يحتمی به جثمان صاحب الملک الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه فی قبر واحد من أولئک الحائرين اللائذين بأكناف البلدان، من غير قرار، و لا اطمينان «۱» ...».

يشير بذلک إلى قبر علی بن موسى الرضا عليهما السلام؛ حيث إن الرشيد مدفون إلى جانبه كأنه يريد أن يقول: إن دفن المأمون للرضا عليه السلام إلى جانب أبيه الرشيد كان لأجل الحفاظ على قبر أبيه من النبش.

و لكن من المعلوم: ان العلويين و شيعتهم ما كانوا ليقدموا على امر كهذا، مهما بلغ بهم الحقد و الغضب بسبب اضطهاد الحكام لهم ...؛ يقول محمد بن حبيب الضبی، رحمه اللّه مشيرا إلى ذلک:

قبران فی طوس الهدى فی واحد و الغی فی لحد ثراه ضرام

قرب الغوى من الزكى مضاعف لعذابه، و لأنفه الارغام

و يقول دعبل رحمه اللّه:

قبران فى طوس خير الناس كلهم و قبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و ما على الزكى بقرب الرجس من ضرر

و لقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن جعل الناس يعتقدون فيه بغض على عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن نفسه،

---

(۱) راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۹، نقلا عن: مجلة «الهلال»، عدد اكتوبر سنة ۱۹۴۷ م. ص ۲۵، من مقال بعنوان: «حديث مع هارون الرشيد» للاستاذ العقاد

و يقسم على أنه يحبه، قال اسحاق الهاشمى: «كنا عند الرشيد، فقال:

بلغنى أن العامة يظنون فىّ بغض على بن أبى طالب. و و اللّه، ما أحب أحدا حبى له، و لكن هؤلاء (يعنى العلويين) أشد الناس إلخ ...» «۱».

ثم يلقى التبعة فى ذلک عليهم، و يقول: إنهم إلى بنى أمية أميل منهم إلى بنى العباس الخ كلامه ...

بل لقد رأيناه يعلن أمام أعاظم العلماء عن توبته مما كان منه من أمر الطالبيين و نسلهم «۲» ...

و ذلک أمر طبيعى بعد أن كان يتتبع خطواتهم و يقتلهم «و بعد أن كانت سجون العباسيين، و خصوصا المنصور و الرشيد، قد امتلأت من العلويين، و كل من يتشيع لهم» على حد تعبير أحمد أمين «۳» ...

و أخيرا ... فقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن توهم البعض أن المأمون إنما بايع للرضا بولاية العهد؛ من أجل أن يمحو ما كان من أمر الرشيد فى آل على عليه السلام، كما عن البيهقى، عن الصولى «۴»

و أما المأمون:

فستأتى الاشارة إلى بعض ما فعله فى آل على فى تضاعيف الفصول الآتية إن شاء اللّه تعالى ...

و الشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:

و هكذا ... يتضح لنا كيف أن العباسيين قد انقلبوا- بدافع من

---

(۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۹۳.

(۲) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۲۷.

(۳) راجع: ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۶، ۲۹۷.

(۴) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۲، و غير ذلک ...

خوفهم- على العلويين يوسعونهم قتلا، و عسفا و تشريدا، و أذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التى لم تكن لتخطر على قلب بشر؛ بهدف استئصالهم من الوجود، و محو آثارهم؛ ليصفو لهم الجو، و لا يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذى يجب أن يكون لهم وحدهم ... أو بالأحرى حتى لا يبقى من من شأنه ذلک ... حتى لقد نسى الناس فعال بنى أمية معهم، عند ما رأوا فعال بنى العباس بهم ... و حتى لقد رأينا أحد شعراء ذلک الوقت يقول:

تاللّه ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس«۱»

و قال آخر- و هو أبو عطاء، أفلح بن يسار السندى، المتوفى سنة ۱۸۰ ه. و هو من مخضرمى الدولتين: الاموية و العباسية: قال فى زمن السفاح.

يا ليت جور بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار«۲»

و قال منصور بن الزبرقان النمرى، المتوفى فى خلافة الرشيد:

آل النبى و من يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمة التوحيد فى أزل«۳»

و قد أنشد الرشيد هذين البيتين بعد موت منصور هذا، فقال الرشيد، بعد أن أرسل إليه من يقتله، فوجده قد مات: «لقد هممت أن انبش

---

(١) شرح ميمية أبى فراس ص ١١٩.

(٢) المحاسن و المساوى ص ٢٤۶، و الشعر و الشعراء ص ۴٨۴، و نظرية الإمامة ص ٣٨٢، و المهدية فى الاسلام ص ۵۵، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٢.

(٣) الأزل: الضيق و الشدة.

ص: ٩٧

عظامه فأحرقها «١»» ... بل فى رسالة الخوارزمى، الآتى شطر منها:

أن قبره قد نبش بالفعل.

و يقول ابو حنيفة أو الطغرائى على اختلاف النسبة فى جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم	قتلوه أو وصموه بالإلحاد

و يقول إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، يذكر العلويين، الذين قتلهم المنصور، و يقال: إن القائل هو غالب الهمدانى.

أصبح آل الرسول أحمد فى النا	س كذى عرة به جرب

و يقول دعبل بن على الخزاعى فى رثاء الرضا، و هو شعر معروف، و مشهور، و قد أنشده للمأمون نفسه:

و ليس حى من الأحياء نعلمه	من ذى يمان، و لا بكر، و لا مضر
إلا و هم شركاء فى دمائهم	كما تشارك أيسار على جزر
قتلا، و أسرا، و تحريقا، و منهبة	فعل الغزاة بأهل الروم و الخزر
أرى أمية معذورين إن فعلوا	و لا أرى لبنى العباس من عذر

أما أبو فراس الحمدانی فیقول:

---

(۱) زهر الآداب ج ۲ ص ۷۰۵ و الشعر و الشعراء ص ۵۴۷، و الامام الصادق و المذاهب الاربعة، المجلد الاول جزء ۱ ص ۲۵۴، و طبقات الشعراء ص ۲۴۶، و فیه فی ص ۲۴۴: أن الرشید بعد سماعه لمدائح النمری فی اهل البیت، أمر أبا عصمة الشیعی بأن یخرج من ساعته إلی الرقة؛ لیسل لسان منصور من قفاه، و یقطع یده، و رجله، ثم یضرب عنقه. و یحمل إلیه رأسه، بعد أن یصلب بدنه. فخرج أبو عصمة لذلک. فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمری؛ فرجع إلی الرشید فأعلمه؛ فقال له الرشید «و یلی علیک یا ابن الفاعلة؛ فألا إذا صادفته میتا فأحرقته بالنار»!!.

ما نال منهم بنو حرب و إن عظمت — تلک الجرائر إلا دون نیلکم«۱»

و یقول علی بن العباس، الشاعر المعروف بابن الرومی، مولی المعتصم من قصیدة له:

بنی المصطفی کم یأکل الناس شلوکم — لبلواکم عما قلیل مفرج

أ کلّ أوان للنبی محمد — قتیل زکی بالدماء مضرج

إلی أن قال مخاطبا لنبی العباس:

أ فی الحق أن یمسوا خماصا و أنتم — یکاد أخوکم بطنة یتبعج

و تمشون مختالین فی حجراتکم — ثقال الخطی اکفالکم تترجرج

ولیدهم بادی الطوی و ولیدکم — من الریف ریان العظام خدلج

و لم تقنعوا حتی استثارت قبورهم — کلابکم فیها بهیم و دیزج

و القصیدة طویلة جدا، من أرادها فلیراجعها ...

نصوص اخری:

يقول فان فلوتن: «... و لا غرو، فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا فى عهد الأولين من خلفاء بنى العباس ...» «۲».

و يقول الخضرى: «... فكان نصيب آل على فى خلافة بنى هاشم، أشد و أقسى مما لاقوه فى عهد خصومهم من بنى أمية، فقتلوا، و شردوا كل مشرد، و خصوصا فى زمن المنصور، و الرشيد، و المتوكل من بنى العباس. و كان اتهام شخص فى هذه الدولة بالميل إلى واحد من

---

(۱) سوف نورد قصيدة أبى فراس، و هى المعروفة ب «الشافية» و كذلک شطرا من قصيدة دعبل، فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

(۲) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ۱۳۳.

بنى على كافيا لاتلاف نفسه، و مصادرة ماله. و قد حصل فعلا لبعض الوزراء، و غيرهم الخ ..» «۱».

و لما دخل ابراهيم بن هرمة، المعاصر للمنصور المدينة، أتاه رجل من العلويين؛ فسلم عليه؛ فقال له إبراهيم: «تنح عنى، لا تشط بدمى ..» «۲».

بل يظهر من قضية أخرى لابن هرمة أن العباسيين كانوا يعاقبون حتى على حب أهل البيت عليهم السلام فى زمن الامويين؛ فإنه- أعنى ابن هرمة- عند ما سئل فى عهد المنصور عن قوله فى عهد الامويين:

و مهما ألام على حبهم فإنى أحب بنى فاطمة

أجاب: «من عض ببظر أمه».

فقال له ابنه: أ لست قائلها؟!! قال: بلى ...

قال: فلم تشتم نفسک؟! قال: «أ ليس يعض الرجل ببظر أمه خير له من أن يأخذه ابن قحطبة؟ ...» «۳».

بل إن الجلودى الذى أمره الرشيد بالاغارة على دور آل أبى طالب- كما قدمنا- قد قال للمأمون، عند ما جعل ولاية العهد للرضا:

(۱) محاضرات تاریخ الامم الاسلامیة ج ۱ ص ۱۶۱.

(۲) تاریخ بغداد ج ۶ ص ۱۲۹، و حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۸۴.

(۳) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۲۰، ۲۱، و الأغانی ج ۴ ص ۱۱۰، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۲۶۹، نقلا عن تنبیه البکری. و ملحقات احقاق الحق ج ۹ ص ۶۹۰ نقلا عن الحضرمی فی رشفة الصادی ص ۵۶ طبع القاهرة.

«اعیذک باللّه یا أمیر المؤمنین أن تخرج هذا الأمر الذی جعله اللّه لکم، و خصکم به، و تجعله فی أیدی أعدائکم، و من کان آباؤک یقتلونهم، و یشردونهم فی البلاد ...» «۱».

و أمر الرشید عامله علی المدینة: بأن یضمن العلویون بعضهم بعضا ...» «۲»

و کانوا یعرضون علی السلطات؛ فمن غاب منهم عوقب!!.

و المأمون أیضا یعترف:

و جاء فی کتاب المأمون، الذی أرسله إلی العباسیین، بعد ما ذکر حسن سیاسة الإمام علی علیه السلام مع ولد العباس ما یلی:

«... حتی قضی اللّه بالأمر إلینا؛ فأخفناهم، و ضیقنا علیهم، و قتلناهم أکثر من قتل بنی أمیه إیاهم. و یحکم، إن بنی أمیة قتلوا من سل سیفا، و انا معشر بنی العباس قتلناهم جملا ... فلتسألن أعظم الهاشمیة بأی ذنب قتلت، و لتسألن نفوس القیت فی دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد، و الکوفة أحیاء الخ ...». و سنورد الروایة، و نذکر مصادرها فی أواخر هذا الکتاب إن شاء اللّه ...

جانب من رسالة الخوارزمی لأهل نیشابور:

و حسب القارئ أن یرجع إلی مقاتل الطالبیین لابی الفرج الأصفهانی،

(۱) بحار الأنوار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۷.

(۲) لقد کان ذلک قبل الرشید أیضا فراجع تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۱۵، فانه قال:

«... و ما زال آل أبی طالب یکفل بعضهم بعضا، و یعرضون؛ فغاب إلخ» ...

ثم يسوق واقعة فخ المشهورة، و بعض أسبابها ... و لا بأس بمراجعة الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۷۵ و غيره ...

ص: ۱۰۱

مع أنه لم يستوف كل شيء، و إنما اكتفى بذكر بعض منهم ... و كذلک إلى ما ذكره ابن الساعى فى مختصر أخبار الخلفاء ص ۲۶، و غيرها.

و غير ذلک من كتب التاريخ و الرواية، ليعلم مقدار الظلم و العسف الذى حاق بأبناء على، و شيعتهم فى تلک الحقبة من الزمن ...

و حسبنا هنا بعد كل الذى قدمناه، أن نذكر فقرات من رسالة أبى بكر الخوارزمى، التى أرسلها إلى أهل نيشابور، يقول أبو بكر، بعد أن ذكر كثيرا من الطالبيين، الذين قتلهم الامويون، و العباسيون- و منهم الرضا الذى سم بيد المأمون-:

«فلما انتهكوا ذلک الحريم، و اقترفوا ذلک الاثم العظيم، غضب اللّه عليهم، و انتزع الملک منهم، فبعث عليهم «أبا مجرم»، لا أبا مسلم، فنظر لانظر اللّه إليه إلى صلابة العلوية، و إلى لين العباسية، فترک تقاه، و اتبع هواه، و باع آخرته بدنياه، بقتله عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب. و سلط طواغيت خراسان، و اكراد أصفهان، و خوارج سجستان على آل أبى طالب، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم فى كل سهل و جبل، حتى سلط عليه أحب الناس إليه، فقتله كما قتل الناس فى طاعته، و أخذه بما أخذ الناس فى بيعته، و لم ينفعه:

أن أسخط اللّه برضاه، و أن ركب ما لا يهواه. و خلت من الدوانيقى «۱» الدنيا، فخبط فيها عسفا، و تقضى فيها جورا و حيفا. و قد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة، و معدن الطيب و الطهارة، قد تتبع غائبهم، و تلقط حاضرهم، حتى قتل عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه الحسنى بالسند، على يد عمر بن هشام الثعلبى، فما ظنک بمن قرب متناوله عليه، و لان مسه على يديه.

---

(۱) فى مجمع الفوائد: «و خلت إلى الدوانيقى» و لعله هو الصواب.

ص: ۱۰۲

و هذا قليل فى جنب ما قتله هارون منهم، و فعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن «۱» بن على بفخ من موسى، و ما اتفق على على بن الافطس الحسينى من هارون، و ما جرى على احمد بن على الزيدى، و على القاسم بن على الحسينى من حبسه، و على غسان بن حاضر الخزاعى، حين أخذ من قبله، و الجملة أن هارون مات و قد حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الإمامة.

و أنتم أصلحكم اللّه، أعظم نصيبا فى الدين من الأعمش، فقد شتموه، و من شريک، فقد عزلوه، و من هشام بن الحكم، فقد أخافوه، و من على بن يقطين، فقد اتهموه ...».

إلى أن يقول، بعد كلام له عن بنى أمية:

«... و قل فى بنى العباس، فإنک ستجد بحمد اللّه مقالا، و جل فى عجائبهم، فانک ترى ما شئت مجالا.

يجبى فيؤهم، فيفرق على الديلمى، و التركى، و يحمل إلى المغربى، و الفرغانى. و يموت إمام من أئمة الهدى، و سيد من سادات بيت المصطفى، فلا تتبع جنازته، و لا تجصص مقبرته، و يموت (ضراط) لهم، أو لاعب أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول و القضاة، و يعمر مسجد التعزية عنه القواد و الولاة ...

و يسلم فيهم من يعرفونه دهريا، أو سوفسطائيا، و لا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا، و يقتلون من عرفوه شيعيا، و يسفكون دم من سمى ابنه عليا ...

و لو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلى بن خنيس، قتيل داود

---

(۱) الظاهر أن الصحيح هو: «الحسين» كما فى مجمع الفوائد.

ابن على، و لو لم يحبس فيهم غير أبى تراب المروزى، لكان ذلک جرحا لا يبرأ، و ثائرة لا تطفأ، و صدعا لا يلتئم، و جرحا لا يلتحم.

و كفاهم أن شعراء قريش قالوا فى الجاهلية أشعارا يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام، و يعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم، و دونت أخبارهم، و رواها الرواة، مثل: الواقدى، و وهب بن منبه التميمى، و مثل الكلبى، و الشرقى ابن القطامى، و الهيثم بن عدى، و دأب بن الكنانى. و أن بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى، بل ذكر معجزات النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛ فيقطع لسانه، و يمزق ديوانه، كما فعل بعبد اللّه بن عمار البرقى، و كما أريد بالكميت بن زيد الأسدى، و كما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى، و كما دمر على دعبل بن على الخزاعى. مع رفقتهم من مروان بن أبى حفصة اليمامى، و من على بن الجهم الشامى؛ ليس إلا لغلوهما فى النصب، و استيجابهما مقت الرب؛ حتى إن هارون بن الخيزران، و جعفرا المتوكل على الشيطان، لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالا، و لا يبذلان نوالا، إلا لمن شتم آل أبى طالب، و نصر مذهب النواصب، مثل: عبد اللّه ابن مصعب الزبيرى، و وهب بن وهب البخترى، و من الشعراء مثل:

مروان بن أبى حفصة الاموى، و من الادباء مثل: عبد الملک بن قريب الأصمعى. فأما فى أيام جعفر فمثل: بكار بن عبد اللّه الزبيرى، و أبى السمط ابن أبى الجون الاموى، و ابن أبى الشوارب العبشمى ...»

و بعد كلام له عن بنى أمية أيضا قال:

«و ما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رءوسهم بالحق، و إن كرهوه، و بتفضيل من نقصوه و قتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون:

ص: ۱۰۴

آل النبى و من يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمة التوحيد فى أزل

و قال دعبل، و هو صنيعة بنى العباس و شاعرهم:

أ لم تر أنى مذ ثمانين حجة أروح، و أغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم فى غيرهم متقسما و أيديهم من فيئهم صفرات

و قال على بن العباس الرومى، و هو مولى المعتصم:

تأليت أن لا يبرح المرء منكم يشل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنى العباس تصبر منكم و يصبر للسيف الكمى المدجج«۱»

لكل أوان للنبى محمد قتيل زكى بالدماء مضرج«۲»

و قال ابراهيم بن العباس الصولى- و هو كاتب القوم و عاملهم- فى الرضا لما قربه المأمون:

يمن عليكم بأموالكم و تعطون من مائة واحدا

و كيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا و سغبا و يملئون ديار الترك و الديلم فضة و ذهبا، يستنصرون المغربى و الفرغانى، و يجفون المهاجرى و الأنصارى، و يولون أنباط السواد وزراتهم، و تلف العجم و الطماطم قيادتهم، و يمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم، و فىء جدهم.

يشتهى العلوى الاكلة، فيحرمها، و يقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها، و خراج مصر و الاهواز، و صدقات الحرمين و الحجاز، تصرف إلى ابن أبى مريم المدينى، و إلى إبراهيم الموصلى، و ابن جامع السهمى، و إلى زلزل الضارب، و برصوما الزامر، و أقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل

---

(١) فى مقاتل الطالبيين: «لذاک بنى العباس يصبر مثلكم و يصبر للموت».

(٢) فى مقاتل الطالبيين: «أكل أوان» ...

ص: ١٠٥

بلد، و جارى بغا التركى، و الافشين الأشروسنى كفاية أمة ذات عدد ...

و المتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر الف سرية، و السيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية، أو سندية. و صفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، و على موائد المخاتنة، و على طعمة الكلابين، و رسوم القرادين، و على مخارق و علوية المغنى، و زرزر، و عمر بن بانة المهلبى، و يبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربة، و يصارفونه على دانق و حبة، و يشترون العوادة بالبدر، و يجرون لها ما يفى برزق عسكر.

و القوم الذين أحل لهم الخمس، و حرمت عليهم الصدقة، و فرضت لهم الكرامة و المحبة، يتكففون ضرا، و يهلكون فقرا، و يرهن أحدهم سيفه، و يبيع ثوبه، و ينظر إلى فيئه بعين مريضة، و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة. ليس له ذنب إلا أن جده النبى، و أبوه الوصى، و أمه فاطمة، وجدته خديجة، و مذهبه الايمان، و إمامه القرآن ... و حقوقه مصروفة إلى القهرمانة و المضرطة و إلى المغمزة، إلى المزررة، و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، و القردة، و على رءوس اللعبة و اللعبة، و على مرية الرحلة ...

و ما ذا أقول فى قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، و أجروا لعبادة و ذويه الجرايات، و حرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، و نفوا زواره إلى البلدان. و ما أصف من قوم هم: نطف السكارى فى أرحام القيان؟ و ما ذا يقال فى أهل بيت منهم نبع البغا، و فيهم راح التخنيث و غدا، و بهم عرف اللواط؟!. كان ابراهيم بن المهدى مغنيا، و كان المتوكل مؤنثا موضعا، و كان المعتز مخنثا، و كان ابن زبيدة معتوها مفركا، و قتل المأمون أخاه، و قتل المنتصر أباه، و سم موسى بن المهدى أمه، و سم المعتضد عمه. و لقد كان فى بنى أمية مخازى تذكر، و معايب تؤثر ...».

ص: ١٠٦

و بعد أن عدد بعض مخازى بنى أمية، و معايبهم قال:

«... و هذه المثالب مع عظمها و كثرتها، و مع قبحها و شنعتها، صغيرة و قليلة فى جنب مثالب بنى العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، و فرقوا فى الملاهى و المعاصى أموال المسلمين ... إلى آخر ما قال ...» «۱».

هذا جانب من رسالة الخوارزمى، و قد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكننى رأيت أن المجال لا يتسع لذلک ... و على كل فإن:

ذلک كله غيض من فيض ... و لعل فيما ذكرناه كفاية ...

---

(۱) راجع: رسائل الخوارزمى طبع القسطنطينية سنة ۱۲۹۷ من ص ۱۳۰، إلى ص ۱۴۰. و نقل شطرا كبيرا منها: سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الاسلام ابتداء من ص ۵۸ و ذكر شطرا منها أيضا الدكتور احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۷ فما بعدها؛ فراجع. و هى موجودة بتمامها فى مجموعة خطية من تأليف سيدى الوالد أيده اللّه، سماها: «مجمع الفوائد، و مجمل العوائد» ابتداء من ص ۴۵ ...

ص: ۱۰۷

سياسة العباسيين مع الرعية

نظرة عامة:

لا نريد فى هذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائح، التى كان العباسيون يمارسونها؛ فإن ذلک مما لا يمكن الالمام به و استقصاؤه فى هذه العجالة.

و إنما نريد فقط أن نعطى لمحة سريعة عن سيرتهم السيئة فى الناس، و مدى اضطهادهم و ظلمهم لهم، و جورهم عليهم، الأمر الذى أسهم إسهاما كبيرا فى كشف حقيقتهم، و بيان واقعهم أمام الملأ ... حتى لقد قال الشعراء فى وصف الحالة العامة فى زمن خلفائهم الشىء الكثير؛ فمن ذلک قول سليم العدوى فى الثورة على الوضع القائم:

حتى متى لا نرى عدلا نسرّ به / و لا نرى لولاة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به / إذا تلون أهل الجور ألوانا

يا للرجال لداء لا دواء له / و قائد ذى عمى يقتاد عميانا«۱»

و قال سديف:

(١) المستطرف ج ١ ص ٩٧، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٢، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٧.

إنا. لنأمل أن ترتد ألفتنا بعد التباعد و الشحناء و الإحن

و تنقضى دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدى وثن

فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن على بأن: يدفنه حيا؛ ففعل «١».

و قد ذكر أبو الفرج ابياتا كثيرة بالاضافة الى هذين البيتين، و نسبها يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، بحضرة الرشيد، إلى عبد اللّه بن مصعب الزبيرى، و من جملتها قوله:

فطالما قد بروا فى الجور اعظمنا برى الصناع قداح النبع بالسفن«٢»

و قال آخر، و هو أحمد بن أبى نعيم، الذى نفاه المأمون بسبب هذا البيت إلى السند:

ما أحسب الجور ينقضى و على الن اس أمير من آل عباس«٣»

و قد تقدم قول أبى عطاء السندى، المتوفى سنة ١٨٠ ه:

يا ليت جور بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار

و قال الدكتور أحمد محمود صبحى: «... لكن ذلک المثل الاعلى للعدالة، و المساواة الذى انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح و هما من الاوهام، فشراسة المنصور و الرشيد، و جشعهم، و جور أولاد على بن

(١) راجع: العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٧٥، ٧٦، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٨٧، و هامش طبقات الشعراء ص ٤١.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٣) راجع: وفيات الأعيان، ترجمة يحيى بن أكثم، و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٥، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٨، و نهاية الارب ج ٨ ص ١٧٥، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، و طبقات الشعراء ص ٣٧٨، لكنه نسبه لابن أبى خالد، لكن فى العقد الفريد ج ٦ ص ٤١٨، قد نسب يحيى بن أكثم هذا البيت إلى دعبل.

و فيه: أنه هو الذى نفى إلى السند ...

ص: ١٠٩

عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين، يذكرنا بالحجاج، و هشام، و يوسف ابن عمرو الثقفى، و عم الاستياء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد اللّه، المعروف ب «السفاح»، و كذلک المنصور بالاسراف فى سفک الدماء، على نحو لم يعرف من قبل «١» ...».

و يقول صاحب امبراطورية العرب: «... إنه بالرغم من أن جيش خراسان هو الذى أوصل العباسيين إلى الملک، فان الفتن فى خراسان ظلت قائمة فى عهد العباسيين، كما كانت فى عهد الامويين. و كان الشعار الذى رفعه الخراسانيون الآن: أنهم هم الذين أوصلوا «آل البيت» إلى الحكم، لإقامة عهد من الرحمة و العدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغيان، المتعطش إلى سفک الدماء ... إلى أن يقول:

لكن الشىء الذى لا ريب فيه: هو أن الاحلام باقامة عهد السلام و العدل، التى كانت السبب فى الثورة العامة ضد الامويين قد تبخرت الآن، و لو لم يكن العباسيون أسوأ حالا من الامويين، فانهم لم يكونوا- على أى حال- خيرا منهم «٢» ...». و قريب منه كلام غيره «٣» و ستأتى فى فصل: آمال المأمون إلخ ... عبارة فان فلوتن الهامة، و القيمة عن الحكم العباسى، و سياساته مع الرعية ... فانتظر ...

و لعل قصيدة أبى العتاهية، التى مطلعها:

من مبلغ عنى الاما / م نصائحا متوالية

---

(١) نظرية الامامة ص ٣٨١. لكن كنية السفاح هى: «أبو العباس»، لا أبو عبد اللّه.

و عبد اللّه هو: اسمه، و اسم المنصور أيضا، الذى كان أكبر من السفاح.

(٢) امبراطورية العرب ص ٤٥٢.

(٣) راجع: حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١۶٢ عن كتاب: «النكبات» للريحانى، و ضحى الاسلام ج ١ ص ١٢٧ حتى ١٣١.

ص: ١١٠

تعبر تعبيرا صادقا عن الحالة العامة، التى كانت سائدة آنذاک، و هى معروفة و مشهورة، و مذكورة فى ديوانه ص ٣٠۴. و هى بحق من الوثائق الهامة، المعبرة عن واقع الحياة فى تلک الفترة من الزمن ...

تفصيل مواقف الخلفاء مع الرعية:

و بعد هذا ... و إذا ما أردنا أن نقف عند بعض جنايات و جرائم كل واحد منهم فإننا نقول:

أما السفاح:

الذى أظهر نفسه فى صورة مهدى «١» ...

فهو الذى يقول عنه المؤرخون: إنه: «كان سريعا إلى سفک الدماء؛ فاتبعه عماله فى ذلک، فى المشرق و المغرب، و استنوا بسيرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، و صالح بن على بمصر، و خازم بن خزيمة، و حميد بن قحطبة، و غيرهم ...» «٢».

حتى لقد خرج عليه شريک بن شيخ المهرى، الذى كان- على ما يظهر- من دعاة العباسيين- خرج عليه- ببخارا، فى أكثر من ثلاثين ألفا؛ فقال: «ما على هذا بايعنا آل محمد، تسفک الدماء،

---

(١) البداية و النهاية ج ١٠ ص ۶٩، و التنبيه و الاشراف ص ٢٩٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٢٢٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢۵٩.

و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٢، و ليراجع امبراطورية العرب ص ۴٣۵.

ص: ١١١

و يعمل بغير الحق «١» ...»، فوجه إليه السفاح أبا مسلم، فقتله، و من معه ...

و قضية عامل السفاح- و هو أخوه، و قيل: ابن اخيه، يحيى- مع أهل الموصل، حيث ذبح الآلاف الكثيرة منهم فى المسجد ... هذه القضية معروفة و مشهورة.

و ينص المؤرخون، على أنه: لم يبق من أهل الموصل على كثرتهم إلا أربع مائة إنسان، صدموا الجند، فأفرجوا لهم ... كما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثة أيام يقتلون النساء، لأنه سمع أنهن يبكين رجالهن ... و ينص المؤرخون أيضا: على أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلك المذبحة، و لم يسمع لهم بعدها صوت، و لا قامت لهم قائمة «٢» ...

و عند ما سألت السفاح زوجته أم سلمة، بنت يعقوب بن سلمة:

«لأى شىء استعرض ابن أخيک أهل الموصل بالسيف؟!. قال لها:

و حياتک ما أدرى «٣» ....»!!.

و قد تقدمت عبارة الدكتور أحمد محمود صبحى عن السفاح و المنصور معا عن قريب ...

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ٣۴٢، و الامامة و السياسة ج ٢ ص ١٣٩، و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣۵۴ طبع صادر، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ۵۶، و تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ۴٠٢، و غيرهم ... و فى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٣٠ قال: إنه «لذلک نقل ولاءه للعلويين، و ثار ببخارا، و انضم إليه أنصار العلويين فى خراسان، و كذلک ولاة العباسيين على بخارا، و برزم، و كانت حركته شعبية.

و جابه أبو مسلم صعوبات كبيرة فى القضاء عليها ...» انتهى.

(٢) راجع تفاصيل هذه القضية فى: النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴٨، ۴٩، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ٢١٢، حوادث سنة ١٣٢، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٧، و غاية المرام للموصلى ص ١١۵، و تاريخ اليعقوبى، طبع صادر ج ٢ ص ٣۵٧، و شرح ميمية أبى فراس ص ٢١۶.

(٣) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴٩، و غير ذلک ...

ص: ١١٢

و أما المنصور:

الذى أظهر نفسه فى صورة مهدى كما يظهر من قول أبى دلامة مخاطبا أبا مسلم الذى قتله المنصور:

أبا مجرم ما غير اللّه نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أ فى دولة المهدى حاولت غدرة ... ألا إن أهل الغدر آباؤک الكرد«١»

و الذى قتل خلقا كثيرا حتى استقام له الأمر «٢» ...

فأمره فى الظلم و الجور و انتهاک الحرمات أشهر من أن يذكر، حتى لقد أنكر عليه ذلک: «... رجل من أعظم الدعاة قدرا، و أعظمهم غناء. و هو أبو الجهم بن عطية، مولى باهلة. و هو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمة، حفص بن سليمان الخلال، و حرسه، و قام بأمره حتى بويع بالخلافة؛ فكان أبو العباس يعرف له ذلک. و كان أبو مسلم يثق به، و يكاتبه ...

فلما استخلف أبو جعفر المنصور، و جار فى أحكامه؛ قال أبو الجهم:

ما على هذا بايعناهم، إنما بايعناهم على العدل؛ فأسرّها أبو جعفر فى نفسه، و دعاه ذات يوم؛ فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق اللوز؛ فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع؛ فتوهم: أنه قد سم؛ فوثب، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟! فقال: إلى حيث أرسلتنى. و مات بعد يوم أو يومين فقال:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢۶ و الكنى و الألقاب ج ١ ص ١۵٨. و يحتمل أن يقصد بالمهدى هنا: السفاح.

(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢۵٩، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢۴.

ص: ١١٣

احذر سويق اللوز لا تشربنه فان سويق اللوز أردى أبا الجهم.«١»

و أنكر عليه ذلک أيضا- بالاضافة إلى عمه كما تقدم- جماعة من قواده، فقاموا عليه، و دعوا الناس إلى موالاة أهل البيت، فحاربهم عبد الرحمن الازدى سنة ١۴٠ ه. فقتل طائفة منهم، و حبس آخرين «٢» ...

و قال الطبرى فى حوادث سنة ١۴٠ ه. أيضا: «... و فيها ولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، و ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد على بن أبى طالب، منهم:

مجاشع بن حريث الانصارى، و أبو المغيرة، مولى لبنى تميم، و اسمه خالد ابن كثير، و هو صاحب قوهستان، و الحريش بن محمد الذهلى، ابن عم داود، فقتلهم و حبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلى، و معبد بن الخليل المزنى، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، و حبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان «٣» ..».

و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المنصور كان يعاشر الراوندية القائلين بالوهيته، و لا ينهاهم و لا يردعهم عن مقالتهم تلک، و عند ما سأله أحد المسلمين عن ذلک قال له- على ما فى تاريخ الطبرى-:

«لأن يكونوا فى معصية اللّه و طاعتنا، أحب إلىّ من أن يكونوا فى طاعة اللّه و معصيتنا.».

و لكنه عند ما ثاروا عليه فى الهاشمية، وضع فيهم السيف و قتلهم، و لكن لا لاجل مقالتهم الشنيعة تلک، و إنما لأجل عدم طاعتهم له!! ...

---

(١) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٥٢، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص ١٣٦- ١٣٧ و فيه: أن أبا الجهم كان وزيرا للسفاح.

(٢) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٧٥.

(٣) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ ص ١٢٨.

هذا ... و عند ما قال لعبد الرحمن الافريقى، رفيق صباه:

«كيف رأيت سلطانى من سلطان بنى أمية؟».

أجابه عبد الرحمن: «ما رأيت فى سلطانهم شيئا من الجور إلا رأيته فى سلطانک ...» «١».

و عند ما قدم عليه عبد الرحمن هذا من إفريقيا، و دخل عليه، بعد أن بقى ببابه شهرا، لا يستطيع الوصول إليه، قال له عبد الرحمن:

«ظهر الجور ببلادنا، فجئت لا علمک؛ فإذا الجور يخرج من دارک. و رأيت أعمالا سيئة، و ظلما فاشيا، ظننته لبعد البلاد منک، فجعلت كلما دنوت منک كان الأمر أعظم».

فغضب المنصور، و أمر باخراجه «٢» ...

و قال لابن أبى ذؤيب: «أى الرجال أنا؟».

فأجابه: «أنت و اللّه عندى شر الرجال، استأثرت بمال اللّه، و رسوله، و سهم ذوى القربى، و اليتامى. و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت القوى، و أمسكت أموالهم ...» «٣» ... و حج أبو جعفر فدعا ابن أبى ذئب، فقال: نشدتک اللّه، أ لست أعمل

بالحق؟ أ ليس ترانى أعدل؟ فقال ابن أبى ذئب: أما إذ نشدتنى باللّه فأقول: اللهم لا، ما أراک تعدل، و إنک لجائر، و إنک لتستعمل الظلمة، و تترک أهل الخير «۴».

---

(۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۸، و غيره.

(۲) تاريخ بغداد ج ۱۰ ص ۲۱۵، و الامام الصادق، و المذاهب الأربعة المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۷۹.

(۳) الامامة و السياسة ج ۲ ص ۱۴۵.

(۴) صفة الصفوة ج ۲ ص ۱۷۵.

ص: ۱۱۵

و عند ما كان يطوف بالبيت سمع أعرابيا يقول: «اللهم إنى أشكو إليک ظهور الفساد، و ما يحول بين الحق و أهله، من الطمع.»؛

فطلبه المنصور، فأتى به، فاستمع المنصور منه إلى شرح واف عن الظلم، و الجور، و الفساد، الذى كان فاشيا آنذاک، و هى قصة طويلة لا مجال لذكرها، و على مريدها المراجعة إلى مظانها «۱».

و لا بأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبيد، فى موعظته الطويلة له، و من جملتها: «... إن وراء بابک نيرانا تتأجج من الجور، و اللّه، ما يحكم وراء بابک بكتاب اللّه، و لا بسنة نبيه إلخ ...» «۲».

و قد لقى أعرابيا بالشام؛ فقال له المنصور: «احمد اللّه يا أعرابى، الذى رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت».

فأجابه الاعرابى: «إن اللّه أعدل من أن يجمعكم علينا و الطاعون».

فسكت، و لم يزل يطلب له العلل حتى قتله «۳».

---

(۱) المحاسن و المساوى من ص ۳۳۹، إلى ص ۳۴۱، و العقد الفريد للملک السعيد ص ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، و حياة الحيوان للدميرى ج ۲ ص ۱۹۰، ۱۹۱، طبع سنة ۱۳۱۹، و عيون الأخبار، لابن قتيبة ج ۲ ص ۳۳۳، إلى ص ۳۳۶، و العقد الفريد ج ۲ ص ۱۰۴، ۱۰۵، طبع سنة ۱۳۴۶، و ضحى الاسلام ج ۲ ص ۴۰، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۲ ص ۴۸۰، نقلا عن: تاريخ ابن الساعى ص ۱۹، و الفتوحات الاسلامية لدحلان ج ۲ ص ۴۴۵ حتى ۴۴۸ مطبعة مصطفى محمد. و الموفقيات ص ۳۹۲، ۳۹۳.

(٢) مرآة الجنان لليافعی ج ١ ص ٣٣۶، ٣٣٧، و المحاسن و المساوی، طبع صادر ص ٣٣٨، ٣٣٩، و عيون الأخبار، لابن قتيبة باختصار ج ٢ ص ٣٣٧، و نور القبس ص ۴۴.

(٣) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٨۶ و أساس الاقتباس، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٢٣، تاريخ الخلفاء للسيوطی ص ٢۶۵، و فی كتاب ربيع الابرار ج ١ ص ۶٨٨، طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر III ص ٣٩١: أن الذی قال للمنصور ذلک هو منصور بن جعونة الكلابی: و أن قوله له هو: «إن اللّه أعدل من أن يسلط علينا الطاعون و العباسيين معا ...».

ص: ١١۶

و قد كتب له سديف، الذی كان من المتحمسين للدولة العباسية:

أسرفت فی قتل الرعية ظالما فاكفف يديک اظلها «مهديها«١» «

و يريد ب «مهديها» محمد بن عبد اللّه بن الحسن علی ما يظهر ...

و قضية الرجل الهمدانی، الذی أراد عامل المنصور أن يسلبه ضيعته؛ فأبی عليه ذلک؛ فكبله بالحديد، و سيره إلی المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا يسأل عنه أحد، هذه القضية معروفة، و مشهورة «٢» ...

و عند ما بنی مدينة: «المصصية» قد أخذ أموال الناس، حتی ما ترک عند أحد فضلا «٣»، و عند ما أراد أن يبنی مدينة أخری ثار الناس عليه و وقع القتال؛ لأنهم علموا أنه سوف لا يبقی عندهم فضلا أيضا.

و أما ما فعله عبد الوهاب ابن أخی المنصور فی أهل فلسطين؛ فذلک يفوق كل وصف و يتجاوز كل بيان «۴».

بعض ما يقال عن المنصور:

و أخيرا ... فقد قال عنه البيهقی إنه: «كان يعلق الناس من أرجلهم، حتی يؤدّوا ما عليهم ...» «۵».

---

(١) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربی ج ۵/ ٨٨. و يقال: إن هذا هو سبب قتل سديف ...

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٨١، ٢٨٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٨.

(٣) تاريخ اليعقوبی ج ٣/ ١٢١.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ١٣٧.

(۵) المحاسن و المساوی ص ۳۳۹.

ص: ۱۱۷

هذا ... و قد وصف الیافعی و الذهبی المنصور بأنه کان: «فیه جبروت و ظلم» «۱».

و وصفه السید أمیر علی بأنه: «کان غادرا خداعا، لا یتردد البتة فی سفک الدماء ... إلی أن قال: و علی الجملة: کان أبو جعفر سادرا فی بطشه، مستهترا فی فتکه، و تعتبر معاملته لأولاد علی من أسوأ صفحات التاریخ العباسی» «۲».

و لا بأس بمراجعة ما قاله الریان، مولی المنصور لجعفر بن أبی جعفر، حیث ینص علی أنه قتل أهل الدنیا، ممن لا یعد و لا یحصی، و ان فرعون لا یقاس به «۳».

و أما المهدی.

الذی اتخذ الزندقة ذریعة للفتک بالأبریاء ... فقد کفانا الجهشیاری مؤونة الحدیث عنه؛ حیث قال: إنه فی زمن المهدی هذا:

«کان أهل الخراج یعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، و الزنابیر و السنانیر ...» «۴» ... و قد خرج علیه یوسف البرم بخراسان، منکرا علیه أحواله، و سیرته، و ما یتعاطاه «۵».

---

(۱) العبر للذهبی ج ۱/ ۲۳۰، و مرآة الجنان للیافعی ج ۱/ ۳۳۴.

(۲) مختصر تاریخ العرب و التمدن الاسلامی ص ۱۸۴. و لیراجع تاریخ التمدن الاسلامی ج ۴/ ۳۹۹، و التاریخ الإسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳/ ۶۱.

(۳) الوزراء و الکتاب ص ۱۳۰.

(۴) الوزراء و الکتاب ص ۱۴۲.

(۵) البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۱۳۱.

ص: ۱۱۸

و أما الهادی:

فقد کان: «یتناول المسکر، و یحب اللهو و الطرب، و کان ذا ظلم و جبروت» «۱».

و كان «سيّئ الأخلاق، قاسى القلب، جبارا، يتناول المسكر، و يلعب.» «٢».

و قد قال عنه الجاحظ: «كان الهادى شكس الأخلاق، صعب المرام، سيئ الظن. قل من توقاه، و عرف أخلاقه إلا أغناه، و ما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال. و كان يأمر للمغنى بالمال الخطير الجزيل ...» «٣».

و قال الجهشيارى: «كان فظا قاسيا، غير مأمون على وفاء بوعد» «۴».

نعم ... لقد كان يأمر للمغنى بالمال الجزيل الخطير- من بيت مال المسلمين- كما يقول الجاحظ ... و قد بلغ من إسرافه فى إجازة الخلعاء و المغنين، أن دفع إسحاق الموصلى لأن يقول: «لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب و الفضة» «۵».

و أخيرا ... فقد قال عنه الذهبى: «قد كان جبارا ظالم النفس» «۶».

إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

---

(١) تاريخ الخميس ج ٢/ ٣٣١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٧٩، و غيره.

(٣) التاج للجاحظ ص ٨١.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ١٧۴.

(۵) الأغانى، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ۵/ ١۶٣.

(۶) العبر للذهبى ج ١/ ٢۵٨. و لا بأس بمراجعة: مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢۴.

ص: ١١٩

و أما الرشيد:

فسيرته تكفى عن كل بيان ... و يكفيه أنه- كما ينص المؤرخون- يشبه المنصور فى كل شيء إلا فى بذل المال «١»؛ حيث يقولون إن المنصور كان بخيلا ...

و قد تسلط- كالمنصور- بعد مدة من خلافته على الامور؛ فأفسد الصنائع، و أحب جمع الأموال «٢».

«و كان جبارا سفاكا للدماء، على نمط من ملوك الشرق المستبدين» «٣».

و قد عسف عامله أهل خراسان، و قتل ملوكها، و وجوه أهلها و أشرافها و صناديدها، و أخذ أموالهم، فأرسلها إلى الرشيد، الأمر الذى كان سببا فى انتقاضها عليه «۴».

و كان يعذب الناس فى الخراج؛ حيث: «أخذ العمال، و التنّاء، و الدهاقين، و أصحاب الصنائع، و المبتاعين للغلات، و المقبلين. و كان عليهم أموال مجتمعة؛ فولى مطالبتهم عبد اللّه بن الهيثم بن سام، فطالبهم بصنوف من العذاب ... إلى أن دخل عليه ابن عياض؛ فرأى الناس يعذبون فى الخراج؛ فقال: ارفعوا عنهم؛ إنى سمعت عن رسول اللّه (ص) يقول: من عذب الناس فى الدنيا عذبه اللّه يوم القيامة.؛ فأمر بأن يرفع العذاب عن الناس؛ فرفع ...» «۵».

---

(۱) و لكن لا فى سبيل اللّه، و إنما على ملذاته و شهواته، و على المغنين و المضرطين كما فى رسالة الخوارزمى المتقدمة، و كما ينص عليه أى كتاب تاريخى يتحدث عن سيرته و أفعاله.

(۲) التنبيه و الإشراف ص ۲۹۹.

(۳) هذا قول الأمير شكيب أرسلان، فى تعليقته على: حاضر العالم الإسلامى، نقلها عنه:

محمد بن عقيل هامش ص ۲۰ من كتابه: العتب الجميل ... و هو من منشورات هيئة البحوث الاسلامية فى اندونيسيا.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ۲۲۸.

(۵) تاريخ اليعقوبى ج ۳/ ۱۴۶.

ص: ۱۲۰

و كان قد ولى رجلا يضرب الناس، و يحبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج «۱».

و قال أبو يوسف، فى عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج:

«بلغنى أنه: قد يكون فى حاشية العامل، أو الوالى جماعة، منهم من له حرمة، و منهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار و لا صالحين، يستعين بهم، و يوجههم فى أعماله، يقتضى بذلک الذمامات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، و لا ينصفون من يعاملونه. إنما مذهبهم أخذ شيء، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم انهم يأخذون ذلک كله- فيما بلغنى- بالعسف، و الظلم، و التعدى «۲» ...

و قال: و بلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج فى الشمس، و يضربونهم الضرب الشديد، و يعلقون عليهم الجرار، و يقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، و هذا عظيم عند اللّه، شنيع فى الاسلام ...» «۳».

و بعد ... فقد كان فى قصره أربعة آلاف امرأة: من الجوارى و الحظايا «۴» و كان على حد تعبير بعضهم: «حريصا على اللذات المحرمة، و سفک

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۱۸۴.

(۲) الخراج لأبى يوسف ص ۱۱۶ ط سنة ۱۳۹۲ ه.

(۳) المصدر نفسه ص ۱۱۸.

(۴) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۲۰، نقلا عن الطبرى ... و فى نفس الجزء من البداية و النهاية ص ۲۲۲ قال: «قال بعضهم: إنه كان فى داره أربعة آلاف جارية سرارى حسان» ...

و جاء فى ضحى الاسلام ج ۱/ ۹. أنه: «كان للرشيد زهاء ألفى جارية: من المغنيات، و الخدمة فى الشراب فى أحسن زى، من كل نوع من أنواع الثياب و الجوهر ...». و إذن فكيف بالسرارى الذين هم أربعة آلاف، و بقية الجوارى، اللواتى يحتاج إليهن فى كثير من الشؤون ... فالرقم الحقيقى أكثر من أربعة آلاف بكثير، بل لعله يزيد عما كان عند المتوكل، الذى كان يتسرى باثنى عشر ألف سرية، كما نص عليه الخوارزمى فيما تقدم، و جبور عبد النور فى كتاب الجوارى ص ۳۶ من سلسلة اقرأ.

ص: ۱۲۱

الدماء، و غصب حقوق الناس، و كان ظالما لأهل البيت (ع)، و كانت جوائزه خاصة لأهل اللهو، و اللعب، و المغنين، و الراقصات ...».

و ستأتى عبارة فان فلوتن عنه فى فصل: آمال المأمون الخ ... فانتظر ...

و حسب الرشيد ... رسالة سفيان، التى أرسلها إليه من غير طى، و لا ختم. و التى تلقى لنا ضوءا على جانب من سيرته و سلوكه ... و لسوف نثبتها- نظرا لا هميتها- مع الوثائق الهامة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ...

و أما الأمين.

«... الذى رفض النساء، و اشتغل بالخصيان، و وجه إلى البلدان فى طلب الملهين، و استخف حتى بوزرائه، و أهل بيته ...» «۱».

فقد كان: «قبيح السيرة، ضعيف الرأى، سفاكا للدماء، يركب هواه، و يهمل أمره، و يتكل فى جليلات الامور على غيره الخ ...» «۲».

و يضيف هنا القلقشندى قوله: منهمكا فى اللذات و اللهو ...» «۳».

و يكفيه أن كلا من العبرى، و ابن الاثير الجزرى يقول عنه: إنه:

«لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره ...» «۴».

و لقد كانت أيامه على الناس، أيام حروب، و ويلات، و سلب

---

(۱) مآثر الانافة ج ۱/ ۲۰۵، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۰۱، و مختصر تاريخ الدول ص ۱۳۴، و الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵/ ۱۷۰، و الطبرى، و غير ذلک.

(۲) التنبيه و الاشراف ص ۳۰۲.

(۳) مآثر الانافة فى معالم الخلافة للقلقشندى ج ۱/ ۲۰۴.

(۴) مختصر أخبار الدول ص ۱۳۴، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲.

و نهب، و ما إلى ذلک، مما لا تقره شريعة، و لا يرضى به خلق كريم ...

و أما المأمون:

فإنه لم يكن فى كل ما ذكرناه أفضل من أسلافه، و لا كانت أيامه بدعا من تلک الأيام، كما سنوضح ذلک فى أواخر فصل: آمال المأمون و آلامه، حيث سيتضح أن حال الرعية فى أيامه كان قد تناهى فى السوء، و بلغ الغاية فى التدهور.

وصية ابراهيم الإمام:

و بعد كل الذى قدمناه، لم يعد يخفى على أحد، كم سفک العباسيون من الدماء البريئة- عدا عما سفكوه من دماء بنى عمهم العلويين- و نزيد هنا: أن إبراهيم الامام أرسل إلى أبى مسلم يأمره: «بقتل كل من شک فيه، أو وقع فى نفسه شىء منه، و إن استطاع أن لا يدع بخراسان من يتكلم بالعربية إلا قتله فليفعل، و أى غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله، و أن لا يخلى من مضر ديارا» «۱».

و لعل سر أمره له بقتل كل عربى يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلک يرضى الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدى العرب ... كما أنه كان يعلم أن العرب لن يستجيبوا له استجابة واسعة ضد الامويين، لأن الدولة الاموية كانت ترضى غرور العربى، و تؤكد اعتزازه بجنسه و محتده ...

---

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ٩/ ص ١٩٧٤، و ج ١٠/ ٢٥، و الكامل لابن الأثير، ج ۴/ ٢٩٥، و البداية و النهاية ج ١٠/ ٢٨، و ص ۶۴، و الإمامة و السياسة ج ٢ ص ١١۴، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴۵، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ۴/ ۴٧٩، و شرح النهج للمعتزلى ج ٣/ ٢۶٧، و ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٢.

ص: ١٢٣

يضاف إلى ذلک ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التى كانت تمزق صفوفهم و توهن قوتهم ...

و أما المضرية فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالى للامويين، و اليمانية كانوا جماعة ابن الكرمانى المناهض لنصر «١» ...

أبو مسلم ينفذ الوصية:

و قد حرص أبو مسلم على تنفيذ وصية ابراهيم الامام كل الحرص ...

حتى لقد قتل- كما يقول الذهبى و اليافعى-: «خلقا لا يحصون محاربة و صبرا، و كان حجاج زمانه «٢» ...».

و يقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسلم صبرا قد بلغ «ست مائة الف نفس» من المسلمين، من المعروفين، سوى من لم يعرف، و من قتل فى الحروب، و تحت سنابک الخيل «٣» ...

و قد اعترف المنصور نفسه بذلک، عند ما عاتب أبا مسلم، ثم قتله، فكان من جملة ما عاتبه به قوله: «فأخبرنى عن ست مائة الف من المسلمين، قتلتهم صبرا؟!» ... و لم ينكر أبو مسلم ذلک، و إنما أجابه بقوله:

---

(١) راجع: تاريخ الجنس العربى ج ٨/ ۴١٧.

(٢) العبر للذهبى ج ١/ ١٨۶، و مرآة الجنان ج ١/ ٢٨۵.

(٣) البداية و النهاية ج ١٠/ ٧٢، و وفيات الأعيان ج ١/ ٢٨١، طبع سنة ١٣١٠ ه.

و مختصر تاريخ الدول ص ۱۲۱، و الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۳۵۴، و شرح شافية أبى فراس ص ۲۱۱، و غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمرى الموصلى ص ۱۱۶ و تاريخ ابن الوردى ج ۱/ ۲۶۱، و مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ۱/ ۱۷۸، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴۶.

ص: ۱۲۴

«لتستقيم دولتكم» «۱»!!.

و اعترف جعفر البرمكى بذلک أيضا «۲».

و أبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمائة الف منها أيضا فى مناسبة أخرى «۳».

و أما من قتلهم فى حروبه مع بنى أمية و قوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف و ستمائة ألف «۴» ...

و كل ذلک غير بعيد ... إذا ما عرفنا أن ثورة أبى السرايا قد كلفت جيش المأمون فقط (۲۰۰) الف جندى، كما سيأتى ... و كذلک إذا ما لاحظنا ما يذكره المؤرخون عن عدد القتلى فى الوقائع المختلفة، التى خاضها أبو مسلم ...

و بعد هذا ... فاننا نرى أبا مسلم نفسه يقول فى رسالة منه للمنصور:

«فوترت أهل الدنيا فى طاعتكم، و توطئة سلطانكم ...» «۵».

و فى رسالة أخرى منه له أيضا يقول: «... إن أخاک أمرنى أن أجرد السيف، و آخذ بالظنة، و أقتل على التهمة، و لا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمات حتم اللّه صونها، و سفكت دماء فرض اللّه حقنها، و زويت الأمر عن أهله، و وضعته فى غير محله ...» «۶».

يقصد ب «أهله»: أهل البيت (ع)، و قد أوضح ذلک فى رسالته

---

(۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۴۵، نقلا عن العينى فى: دولة بنى العباس و الطولونيين و الاخشيديين ص ۳۰، فما بعدها ...

(۲) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۲/ ۴۳۵، نقلا عن: زينة المجالس (فارسى).

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳/ ۱۰۲، و تاريخ ابن خلدون ج ۳/ ۱۰۳.

(۴) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۱۴، و ليراجع صبح الأعشى ج ۱/ ۴۴۵ أيضا.

(۵) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۶۹.

(۶) تاريخ بغداد ج ۱۰/ ۲۰۸، و البداية و النهاية ج ۱۰/ ۱۴، و لا بأس بمراجعة ص ۶۹، و النزاع و التخاصم ص ۵۳، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲/ ۵۳۳.

ص: ۱۲۵

الاخرى للمنصور التى يقول فيها: أن أخاه قد استخف بالقرآن و حرفه.

و أنه أوطأه فى غيرهم من أهل بيتهم العشوة، بالإفک و العدوان، و أنه ظهر له بصورة مهدى ...

أى أن أخا المنصور قد حرف الآيات الواردة فى أهل البيت (ع) لتنطبق على العباسيين، و أنه بذلک تمكن من إغراء أبى مسلم بالعلويين؛ ففعل بهم ما فعل بالإفک و العدوان ... و يصرح بذلک فى رسالة أخرى للمنصور؛ فيقول: «و أوطات غيركم من كان فوقكم من آل رسول اللّه بالذل و الهوان، و الإثم و العدوان ...» يشير بذلک إلى العلويين «۱».

و على كل فإننا سوف لا نستغرب إذا رأينا أنه قد بلغ من ظلم أبى مسلم أنه عند ما حج: «هربت الأعراب عن المناهل، التى يمر بها ذهابا و إيابا؛ فلم يبق منهم أحد؛ لما كانوا يسمعونه من سفكه للدماء» «۲».

و قال المقريزى: «و قتل (يعنى أبو مسلم) زياد بن صالح؛ من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول: إنما بايعنا على اقامة العدل، و إحياء السنن، و هذا جائر ظالم، يسير بسيرة الجبابرة، و إنه مخالف.

و كان لزياد بلاء فى إقامة الدولة؛ فلم يرع له؛ فغضب عيسى ابن ماهان، مولى خزاعة لقتل زياد، و دعا لحرب أبى مسلم سرا؛ فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته إلخ ...» ثم ذكر كيفية احتيال أبى مسلم عليه و قتله إياه «۳» ...

---

(۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۳۳، الفتوح لابن أعثم الكوفى، ج ۸ ص ۲۲۳ ... و لا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلک فيما تقدم من المراجع، و فى النزاع و التخاصم ص ۵۲، ۵۳، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲/ ۵۳۳، ۵۳۴، و البداية و النهاية ج ۱۰/ ۶۹، و الإمامة و السياسة ج ۲/ ۱۳۲، ۱۳۳، و غير ذلک.

(۲) النزاع و التخاصم ص ۴۶.

(۳) نفس المصدر و الصفحة.

ص: ۱۲۶

و قد قال أبو مسلم ليونس بن عاصم عند ما قال له: هذا جزائى؟! «و من جازيناه بجزائه؛ وضعت سيفى فلم يبق بر و لا فاجر إلا قتلته» «۱».

و قال أبو مسلم أيضا: «إنى أطفيت من بنى أمية جمرة، و ألهبت من بنى العباس نيرانا، فإن أفرح بالاطفاء، فوا حزنا من الالهاب» «۲».

و قال أبو مسلم أيضا: «إنى نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبنى العباس، فكم من صارخ الخ.» «۳».

و لا مجال ثمة للشک:

کل ذلک يدل دلالة قاطعة على مدى الظلم الذى كان يمارسه العباسيون مع الناس بصورة عامة، و مع العلويين بشكل خاص ... و المتتبع للأحداث التاريخية يرى أن الامة كانت تعيش فى رعب دائم و مستمر، خصوصا و أن كل أحد كان يرى و يعلم: كيف أن الآلاف من الناس، كانوا يذبحون لأتفه الأسباب و أحقرها ...

و أعود فأذكر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمى، التى تعتبر بحق من الوثائق الهامة، كما اعترف به غير واحد من الباحثين ...

و بعد فلا بد لنا من كلمة اخرى:

كانت تلک- كما قلنا- لمحة خاطفة عن حالة العباسيين مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة ... و لعل من الظلم للحقيقة و للتاريخ هنا،

---

(۱) النزاع و التخاصم ص ۴۷.

(۲) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۲۹۸، طبع صادر و شرح ميمية أبى فراس ص ۲۱۴.

(۳) المحاسن و المساوى طبع مصر ج ۱/ ۴۸۲، و الكنى و الألقاب ج ۱/ ۱۵۷/ ۱۵۸ نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشرى.

أن نمضى و لا نعطى للقارئ لمحة عن حياتهم الخاصة، و سلوكهم الخلقى.

و لذا نرى لزاما علينا: أن نلم المامة سريعة ببعض ما يحدثنا به التاريخ فى هذا الموضوع، فنقول:

العباسيون فى حياتهم الخاصة:

أما حياتهم الخاصة، و ما كان يمر بها من رذائل و قبائح، يندى لها جبين الانسان الحر الما و خجلا، و يقطر قلبه لها دما و ألما، فتلک حدث عنها و لا حرج ... و قد تقدم فی رسالة الخوارزمی بعض ما يشير إلی ذلک ...

و حيث أن الاستقصاء فی هذا الموضوع مما تنوء به العصبة أولو القوة، فاننا لن نحاول التصدی لذلک، و لا سيما و أن هذا الكتاب غير معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

و لعل الكلمة التی تجمع صفات بنی العباس الخلقية هی الكلمة التی كتبها المأمون، و هو فی مرو فی رسالة منه للعباسيين، بنی أبيه فی بغداد، و التی قلنا إننا سوف نوردها فی أواخر هذا الكتاب مع الوثائق الهامة، إن شاء اللّه تعالی ...

و المأمون: هو من أهل ذلک البيت، الذين هم أدری من كل أحد بما فيه؛ لأنهم عاشورا فی خضم الأحداث، و شاهدوا كل شیء، و كل القضايا عن كثب ... يقول المأمون فی تلک الرسالة:

«... و ليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فی عقله، و تدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر ... و اللّه، لو أن بنی أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا؛ فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا علی ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا.

ليس منكم إلا من إذا مسّه الشر جزع، و إذا مسّه الخير منع. و لا

ص: ١٢٨

تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية؛ و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالی أن ينال شهوته بقتل ألف نبی مرسل، أو ملک مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فی فاحشة، تنظفه المخمورة الخ ...».

فهذه القطعة تبين لنا بجلاء- كما يتبين من كثير أمثالها- كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين فی الملذات و الشهوات ... و تبين لنا نظرتهم للحياة و أهدافهم منها ... و لو لا أن المقام يطول لأوردنا سيلا من الشواهد و الدلائل علی مدی استهتارهم، و انتهاكهم للحرمات، و ارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، و كذلک أقوال الخوارزمی، و غيرهما مما تقدم غير مبالغ فيها، و أن الحقيقة هی أعظم من ذلک بكثير و أن ذلک ليس إلا غيضا من فيض ... و كتب التاريخ و الأدب خير شاهد علی ذلک، و إن حاولت بعض الأيدی الأثيمة تشويه الحقيقة، و التستر علی واقعهم ذاک المزری و المهين ...

و فی نهاية المطاف:

و إذا كانت تلک هی سيرة العباسيين فی حياتهم الخاصة، و تلک هی سياساتهم مع الناس و مع خصومهم، فما ذا يمكن أن تكون حالة وزرائهم و قوادهم، و سائر رجال دولتهم؟! التاريخ وحده هو الذی يتولی الاجابة علی هذا السؤال ...

أما نحن ... فنكتفى بهذا القدر، و ننتقل إلى الحديث عن بعض نتائج سياسات العباسيين تلك ... و خصوصا ما كان منها يتعلق بالعلويين ...

ص: ۱۲۹

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

سؤال لا بد منه:

و الآن ... و بعد أن عرفنا موقف العباسيين من العلويين، و قدمنا لمحة عن معاملتهم للرعية، التى لم تكن أحسن حالا، و لا أهدأ بالا من العلويين. سيما و أنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على الناس فئة لا تفقه للرحمة معنى، و لا تجد الشفقة إلى قلوبها أى سبيل، همها الدنيا، و غايتها الاستئثار بكل شىء، و تتمتع بحماية مطلقة من قبل الخلفاء، حتى عند ما كانت تعبث بأموال الناس، و حتى فى دمائهم و أعراضهم ...

و كيف لا!! و الخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، و لا أقل انحرافا، و بعدا عن تعاليم السماء، و الخلق الانسانى منها ...

بعد أن عرفنا ذلك ... و غيره مما تقدم؛ فإن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

ما هى نتائج و آثار سياسات العباسيين تلك؟ ... و هل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ و عما كانوا يرونه منهم من تميعهم، و استهتارهم بكل القيم، و الفضائل الأخلاقية؟ ...

و هل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الامة، بعد أن فعلوا بها، و بأهل بيت نبيها ما فعلوا؟! ...

ص: ۱۳۰

أما الجواب:

الواقع ... أن نتيجة ذلك كانت وبالا على العباسيين: «و لا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله ...». فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة و سيرة ولاتهم مع الرعية، و كان من الطبيعى جدا أيضا: أن يثير الناس و يسوؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد فى حياتهم الخاصة، و إيثارهم اللذات المحرمة على كل شىء، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتجب عن الناس منهمكا بلذاته و شهواته ... و قد كان الرشيد يحمد اللّه على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم «۱»، و تركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الانسان الحر ألما و خجلا، و كذلک كانت حال والده المهدى من قبل، و على ذلک جرى ولده الأمين من بعد ...

و غيرهم و غيرهم ممن لا نرى ضرورة لتعداد أسمائهم ... و حسبنا تلک الشواهد الكثيرة فى التاريخ، الذى قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا و تجد فيها ما لا يسر، و ما لا يغبط عليه أحد ...

و كان مما ساعد على إدراک الناس لحقيقة نوايا العباسيين، و واقعهم، الذى طالما جهدوا فى التستر عليه، و اخفائه، بحيث لم يعد ثمة شک فى انهم ليسوا بأفضل من الامويين، إن لم يكونوا اكثر منهم سوءا ... هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبنى عمهم آل أبى طالب، الذين ضحوا بكل شىء فى سبيل هذا الدين، و أعطوا و بذلوا حتى أرواحهم فى سبيل هذه الامة ... و الذين كانوا هم الأمل الحى لهذه الامة المضطهدة، و المغلوبة على أمرها، التى كانت ترى فيهم كل الفضائل، و الكمالات الانسانية ...

و الذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين فى الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

---

(١) الوزراء و الكتاب ص ٢٢٥.

ص: ١٣١

لقد رأوهم جميعا متفقين- حتى المأمون كما سيتضح- على العداء لهم، و وجوب التخلص منهم، لكن الفرق هو أن الخلفاء الذين سبقوا المأمون كانت أساليبهم تجاههم، تتميز- عموما- بالعنف و القسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جديدا، و فريدا فى القضاء عليهم، و التخلص منهم ...

و لقد كان هذا الموقف مفاجأة للامة، و صدمة لها، و لذا فمن الطبيعى أن يتسبب فى ردود فعل عنيفة فى ضمير الامة و وجدانها، و بخيبة أمل قاسية لها فى العباسيين ...

بل لقد كان ذلک سببا فى زيادة تعاطفها مع آل على، و مضاعفة احترامها لهم- و لو بدافع انسانى بحت- و من هنا نلاحظ أنهم كثيرا ما يذكرون فى سبب نكبات الوزراء، و العمال، بل و العلماء أيضا- صدقا كان ذلک أو كذبا- أنه أجار علويا، أو أطلقه من السجن، و دله على طريق النجاة. و قد ذكرت هذه المنقبة للامام أحمد بن حنبل أيضا «١»، و أما موقف أبى حنيفة، و الشافعى، و غيرهم من العلماء؛ فهو أشهر من أن يذكر.

و لعل الأهم من ذلک كله:

و لعل الأهم من ذلک كله أن الناس الذين كانوا يرون سلوک العباسيين مع العلويين، و مع الناس عامة، و أيضا سلوكهم اللاأخلاقى فى حياتهم الخاصة ... كانوا يرون فى مقابل ذلک: زهد العلويين، و ورعهم، و ترفعهم عن كل الموبقات و المشينات، و خصوصا الأئمة منهم عليهم السلام.

و قد جعلهم ذلک ينساقون معهم لا إراديا؛ حيث رأوا أنهم هم الذين يمتلكون كل المؤهلات، و يتمتعون بكافة الفضائل و المزايا، التى

---

(١) راجع كتاب: شيخ الامة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزيز سيد الأهل.

تجعلهم جديرين بخلافة محمد (ص)، و أهلا لقيادة الامة، قيادة صالحة و سليمة، كما كان النبى (ص) يقودها من قبل ...

و واضح أن تلک الخصائص: و هاتيک المؤهلات و المميزات لأئمة أهل البيت (ع)، و ذلک السلوک المثالى لهم- کل ذلک- کان يغرى العباسيين بمضايقتهم، و ملاحقتهم أشد الاغراء، و کان أيضا يدفع الحساد للوشاية بهم، و تحريض الخلفاء على الايقاع و التنکيل فيهم.

و لهذا نرى أن الخلفاء!! لم يکونوا يألون جهدا، أو يدخرون وسعا فى ملاحقتهم، و اضطهادهم، و سجنهم. حتى إذا تمکنوا منهم قضوا عليهم، بالوسائل التى تضمن- بنظرهم- عدم إثارة شکوک الناس و ظنونهم ...

التشيع للعلويين:

و بعد کل الذى قدمناه، فإن من الطبيعى أن نرى العلويين يتمتعون بالاحترام و التقدير من مختلف الفئات و الطبقات، و أن نرى ازدياد احترام الناس، و تقديرهم لهم باستمرار ... حتى لقد کان لهم فى نفوسهم من عميق الحب، و صادق المودة، ما أرهب العباسيين، و أرعبهم ... و حتى لقد رأينا الرشيد نفسه- و هو طاغية بنى العباس بلا منازع- يشکو لعظيم البرامکة، يحيى بن خالد غمه و حيرته فى أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) کان فى السجن. و نرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام «المسجون» قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! «۱» و لا يجب أن نستغرب شکوى الرشيد تلک، و لا اعتراف يحيى هذا بعد أن کان التشيع «۲» بحد سبيله الى کل قلب، و کل فؤاد، حتى

---

(۱) الغيبة للشيخ الطوسى ص ۲۰، و البحار.

(۲) کلمة «التشيع» التى ترد فى هذا الکتاب، لا أقصد بها غالبا- التشيع بمفهومه الأخص.

و المذهب المعروف، و إنما أقصد بها مجرد الولاء و الحب للعلويين، و تأييدهم ضد خصومهم، سواء أ کان ذلک من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الاخرى.

وزراء العباسيين، و قوادهم، بل و حتى نساء الخلفاء أنفسهم ...

فهذه أم الخليفة المهدى تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، و تجرى عليه کل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد «۲».

و هذه بنت عم المأمون، التى کان لها نفوذ قوى عنده، يذکر المؤرخون أنها کانت تميل إلى الإمام الرضا (ع) ...

بل و حتی «زبیدة»، زوجة الرشید، و حفیدة المنصور، و أعظم عباسیة علی الاطلاق، یقال: إنها کانت تتشیع، و عند ما علم الرشید بذلک حلف أن یطلقها «۳» ... و لعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بنی بویه و قبر الکاظم (ع) و ذلک عند ما وقعت الفتنة العظیمة بین السنة و الشیعة سنة ۴۴۳ ه «۴» و أما وزراء العباسیین، فأمرهم أظهر من أن یحتاج الی بیان، فإن التاریخ یحدثنا: أن العباسیین، ابتداء من السفاح، کانوا غالبا یبطشون بوزرائهم؛ بسبب اطلاعهم علی تشیعهم، و ممالأتهم للعلویین. ابتداء بأبی سلمة، فأبی مسلم، فیعقوب بن داوود ... و هکذا الی أن ینتهی الأمر بالفضل بن سهل، و غیره من بعده، بل و حتی نکبة البرامکة یقال:

إنّ سببها هو تشیعهم للعلویین!! و ان کان یقال: إن الرضا علیه السلام دعا علیهم، لأنّهم کانوا سبب قتل أبیه ...

إلا إذا کان تظاهرهم بمحبة العلویین مجاراة للرأی العام، و سیاسة منهم؛ فاستغل ذلک الرشید ضدهم نعم ... لقد بلغ الامر حدا اصبح معه:

---

(۲) الطبری ج ۱۱/ ۷۵۲، طبع لیدن ...

(۳) ذکر ذلک الصدوق فی المجالس؛ فراجع: رجال المامقانی، مادة: «زبیدة».

(۴) الکنی و الألقاب ج ۲/ ۲۸۹ نقلا عن ابن شحنة فی روضة المناظر.

التسمی ب «الوزیر» یعتبر شؤما: و ینفر الناس منه کل النفور، کما سنشیر إلیه فیما یأتی إن شاء اللّه تعالی ...

و أما عن امرائهم و قوادهم، فالأمر فیهم أوضح و أجلی؛ حیث إنهم ما کانوا یرون إلا والیا أو قائدا یخرج علیهم داعیا للعلویین، أو آخر قد خلع طاعتهم، و استجاب لدعوة خصومهم آل علی، أو ثالث یخشی أن یمیل إلیهم، و یتعاطف معهم ... و قد بدأ قوادهم بالخروج علیهم من زمن السفاح، الذی خرج علیه ابن شیخ المهری، داعیا لآل علی، و بعد ذلک کانت ثورة القواد علی المنصور داعین إلی موالاة أهل البیت، و قامت ثورة ضد المنصور، و داعیة للعلویین فی نفس خراسان، و ذلک فی سنة (۱۴۰ ه). و بعد ذلک و فی زمن المهدی العباسی قامت ثورة اخری فی خراسان تدعو الی آل أبی طالب بقیادة صالح بن أبی حبال ... و عظم شأنه جدا، و لم یمکنهم القضاء علیه إلا بإعمال الحیلة «۱» و أما فی زمن الرشید، فقد ثارت الفتن بین أهل السنة و الرافضة، علی حد تعبیر النجوم الزاهرة ...

الخطر الحقیقی:

و أما الذی کان یمکن فیه الخطر الحقیقی، و کان یهز الدولة، و یزعزع من أرکانها ... فهو ثورات العلویین أنفسهم؛ حتی لیقال:

إنه قد بويع لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و أخيه ابراهيم فى أكثر الأمصار، و ذلك فى سنة ۱۴۵ ه. و بعد ذلک كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلک، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويا ثائرا، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون؛ حيث بلغت الحالة فيه

---

(۱) راجع: لطف التدبير ص ۱۰۵.

فى السوء و التدهور الغاية، و أوفت على النهاية ... حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التى قامت فيما بين عهد السفاح، و أوائل عهد المأمون، و بالتحديد إلى حوالى سنة ۲۰۰ ه أى فيما يقل عن سبعين عاما، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الاخرى التى كانت تدعو لهم، و إلى موالاتهم ...

و ستأتى الاشارة إلى بعض الثورات العلوية التى قامت ضد المأمون بالخصوص، و إلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين،- بل و جميع آل طاهر «۱»- و كذلک وزيره الفضل بن سهل، و هرثمة بن أعين، و غيرهم، و غيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين ...

و لسوف يتضح أن الوضع فى عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيها بالوضع الذى كان سائدا فى أواخر عهد الامويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلک الفارق الضعف و الوهن، و هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلک المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!.

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم، تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، فى مختلف فئات الشعب، و طبقاته؟! ...

و جوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذى يراجع التاريخ يرى- بما لا مجال معه للشک-: أن تلک الثورات لم يكن يسبقها التخطيط،

---

(۱) راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ۲۵۰ ه.

و الاعداد الكافيان، و ما كان العباسيون ليعطوها الفرصة لتخطيط و اعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين ...

هذا بالاضافة إلى فساد القيادة القبيلة آنذاک، و التى كانت السبب الأول و الأخير لنجاح أية ثورة أو فشلها ... و سيأتى تفصيل ذلک على النحو الكافى و الشافى، فى فصل: مدى جدية العرض، إن شاء اللّه.

و نتيجة كل ذلک:

و هكذا ... يتضح: أن سياسات العباسيين، لم تستطع أن تحقق لهم الأهداف التى كانوا يتوخون تحقيقها، و إنما كانت نتائجها عكسية بالنسبة إليهم، و دمارا و وبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أى من خصومهم ...

و بالأخص أبناء عمهم العلويين ...

ص: ١٣٧

القسم الثانى ظروف البيعة و أسبابها:

١- شخصية الإمام الرضا (ع).

٢- من هو المأمون؟.

٣- آمال المأمون، و آلامه ...

۴- ظروف البيعة و أسبابها.

۵- أسباب البيعة لدى الآخرين.

ص: ١٣٩

شخصية الامام الرضا عليه السلام

لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى (ص): على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، ابن الحسين، بن على، بن أبى طالب، صلوات اللّه عليهم أجمعين ...

ستة آباؤه من هم أفضل من يشرب صوب الغمام

كنيته: أبو الحسن ...

و من ألقابه: الرضا، و الصابر، و الزكى، و الولى ...

نقش خاتمه: حسبى اللّه ...

و قيل: بل نقشه: ما شاء اللّه، لا قوة إلا باللّه «١» ...

ولد فى المدينة سنة ١۴٨ ه. أى: فى نفس السنة التى توفى فيها

---

(١) لنا رأى بالنسبة للّقب، و نقش الخاتم: و هو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، و ظروف اجتماعية، و سياسية، و نفسية، و غير ذلک ... و كذلک عن مميزات، و ملكات شخصية خاصة. و نأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى فى فرصة اخرى إن شاء اللّه.

ص: ١۴٠

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء و المؤرخين مثل:

المفيد فى الارشاد، و الشبراوى فى الانحاف بحب الاشراف، و الكلينى فى الكافى، و الكفعمى فى المصباح، و الشهيد فى الدروس، و الطبرسى فى أعلام الورى، و الفتال النيسابورى فى روضة الواعظين، و الصدوق فى علل الشرائع، و تاج الدين محمد بن زهرة فى غاية الاختصار، و ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة، و الاردبيلى فى جامع الرواة، و المسعودى فى مروج الذهب، و إن كان فى كلامه اضطراب، و أبو الفداء فى تاريخه، و الكنجى الشافعى فى كفاية الطالب، و ابن الأثير فى كامله، و ابن حجر فى صواعقه، و الشبلنجى فى نور الأبصار، و البغدادى فى سبائک الذهب، و ابن الجوزى فى تذكرة الخواص، و ابن الوردى فى تاريخه، و نقل عن تاريخ الغفارى، و النوبختى. و كان عتاب بن أسد يقول: إنه سمع جماعة من أهل المدينة يقولون ذلک، و غير هؤلاء كثير و ذهب آخرون- و هم الأقل- إلى أن ولادته (ع)، كانت سنة ١۵٣ ه. منهم: الاربلى فى كشف الغمة، و ابن شهر اشوب فى المناقب، و الصدوق فى عيون الأخبار، و إن كان فى كلامه اضطراب، و المسعودى فى إثبات الوصية، و ابن خلكان فى وفيات الأعيان، و ابن عبد الوهاب فى عيون المعجزات، و اليافعى فى مرآة الجنان ...

و قيل: إن ولادته كانت سنة ١۵١ ه.

و القول الأول هو الأقوى و الأشهر ... و لم يذهب إلى القولين الأخيرين إلا قلة ...

و توفى (ع) فى طوس سنة ۲۰۳ ه. على قول معظم العلماء، و المؤرخين، و الشاذ النادر لا يلتفت إليه ...

ص: ۱۴۱

و بعد:

فأما علمه، و ورعه و تقواه:

فذلک مما اتفق عليه المؤرخون أجمع، يعلم ذلک بأدنى مراجعة للكتب التاريخية؛ و يكفى هنا أن نذكر أن نفس المأمون قد اعترف بذلک، أكثر من مرة، و فى أكثر من مناسبة ... بل فى كلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، و أعبدهم ... و لقد قال لرجاء بن أبى الضحاک:

«... بلى يا ابن أبى الضحاک؛ هذا خير أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم ...» «۱».

و قد قال أيضا للعباسيين، عند ما جمعهم، فى سنة ۲۰۰ ه. و هم أكثر من ثلاثة و ثلاثين ألفا «۲»:

«إنه نظر فى ولد العباس، و ولد على رضى اللّه عنهم، فلم يجد أحدا أفضل، و لا أورع، و لا أدين، و لا أصلح، و لا أحق بهذا الأمر من على بن موسى الرضا «۳»» ...

---

(۱) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۹۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳، و غير ذلک ...

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۰، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۶۶، و غاية المرام للعمرى الموصلى ص ۱۲۱، و مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۲، و الطبرى، طبع ليدن ج ۱۱ ص ۱۰۰۰، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۳۳، و غير ذلک ...

و ورد ذلک أيضا فى رسالة الحسن بن سهل، لعيسى بن أبى خالد؛ فراجع: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۱۲، و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العيون و الحدائق ص ۴۳۰.

هذا ... و لكن فى تاريخ التمدن الاسلامى، ج ۱ ص ۱۷۶ و يؤيده ما فى وفيات الأعيان لابن خلكان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۳۲۱، و يساعد عليه الاعتبار أيضا: أن الذين أحصوا آنئذ هم: العباسيون خاصة المأمون، دون غيرهم من سائر بنى العباس.

(۳) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۱، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۸۳، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۷، و الطبرى، طبع ليدن ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، و مختصر تاريخ الدول ص ۱۳۴، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۳۶.

ص: ۱۴۲

قال عبد اللّه بن المبارک:

هذا علی و الهدی یقوده | من خیر فتیان قریش عوده«۱»

و لوضوح هذا الأمر نکتفی هنا بهذا المقدار، و ننتقل إلی الحدیث عن امور هامة اخری، و ما یهمنا فی المقام هو إعطاء لمحة سریعة عن مکانته، و شخصیته (ع)، فنقول:

و أما مرکزه و شخصیته (ع):

فهو من الامور البدیهیة، التی لا یکاد یجهلها أحد، و قد ساعده سوء الأحوال بین الأمین و المأمون علی القیام بأعباء الرسالة، و علی زیادة جهوده، و مضاعفة نشاطاته؛ حیث قد فسح المجال لشیعته للاتصال به، و الاستفادة من توجیهاته؛ مما أدی بالتالی- مع ما کان یتمتع به (ع) من مزایا فریدة، و ما کان ینتهجه من سلوک مثالی- إلی تحکیم مرکزه، و بسط نفوذه فی مختلف أرجاء الدولة الإسلامیة، یقول الصولی:

ألا إن خیر الناس نفسا و والدا | و رهطا و أجدادا علی المعظم

اتینا به للحلم و العلم ثامنا | إماما یؤدی حجة اللّه یکتم«۲»

بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. و هو یتحدث عن ولایة

و فی مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۱، قال: إنه لم یجد فی وقته أفضل، و لا أحق بالخلافة، من علی بن موسی الرضا ... و نحو ذلک ما فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۷، و ینابیع المودة للحنفی ص ۳۸۵، و نظریة الامامة ص ۳۸۶ و وفیات الاعیان طبع سنة ۱۳۱۰ ه.

ج ۱ ص ۳۲۱، و امبراطوریة العرب، و غیر ذلک.

(۱) مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۶۲.

(۲) نفس المصدر ج ۴ ص ۳۳۲، و هی فی مقتبس الاثر ج ۲۲، ص ۳۲۸، لکنه لم یذکر قائلها ...

العهد: «... و ما زادنی هذا الأمر، الذی دخلت فیه فی النعمة عندی شیئا، و لقد کنت فی المدینة، و کتابی ینفذ فی المشرق و المغرب، و لقد کنت أرکب حماری، و أمر فی سکک المدینة، و ما بها أعز منی ...» «۱».

و يكفى أن نذكر هنا قول ابن مؤنس- عدوّ الإمام (ع)، و قد أسّر (ع) للمأمون بشى‌ء، قال ابن مؤنس:

«... يا أمير المؤمنين، هذا الذى بجنبک و اللّه صنم يعبد دون اللّه» «۲» ...

و فى الكتاب الذى طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، و فروعه، قال المأمون: إن الإمام: «حجة اللّه على خلقه، و معدن العلم، و مفترض الطاعة ...» «۳». كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب: «أخيه»، و يخاطبه ب «يا سيدى».

و كتب للعباسيين يصف الرضا، و يقول: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، و اختيار منى له ... إلى أن قال: و أما ما ذكرتم من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن، فما بايع له إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا فى الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى فى الخاصة و العامة، و لا أشد فى ذات اللّه منه ...» «۴».

---

(۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۵۵، و ص ۱۴۴، و الكافى ج ۸ ص ۱۵۱، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۷.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۸، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۱، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۶.

(۳) نظرية الامامة ص ۳۸۸.

(۴) الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

ص: ۱۴۴

و فى كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، و مركزه، و شخصيته. و كما يقولون: «و الفضل ما شهدت به الأعداء» ...

و مما يدل على مكانته و هيبته ما ورد فى رواية أخرى، يقول فيها المتحدث: «... دخلنا (أى هو و الرضا «ع») على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله، و محمد بن جعفر فى جماعة الطالبيين و الهاشميين، و القواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، و قام محمد بن جعفر، و جميع بنى هاشم، فما زالوا وقوفا و الرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس؛ فجلسوا؛ فلم يزل المأمون مقبلا عليه ساعة الخ «۱»».

و أما ما جرى فى نيسابور:

فلا يكاد يخلو منه كتاب يتعرض لأحوال الرضا (ع)، و مسيره إلى مرو، فإنه عند ما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازى، و محمد بن أسلم الطوسى، و معهما من طلبة العلم ما لا يحصى، و تضرعوا إليه أن يريهم وجهه؛ فأقرّ عيون

الخلائق بطلعته، و الناس على طبقاتهم قيام كلهم. و كانوا بين صارخ، و باك، و ممزق ثوبه، و متمرغ فى التراب، و مقبل لحافر بغلته، و مطول عنقه الى مظلة المهد، إلى أن انتصف النهار، و جرت الدموع كالأنهار، و صاحت الأئمة:

«معاشر الناس، أنصتوا، وعوا، و لا تؤذوا رسول اللّه (ص) فى عترته ...»

فأملى صلوات اللّه عليه، عليهم، بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۷۶، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۶.

ص: ۱۴۵

للسند، قوله: «لا إله إلا اللّه حصنى؛ فمن دخل حصنى أمن من عذابى ...»

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم، و قال: «بشروطها، و أنا من شروطها».

فعد أهل المحابر و الدوى، فأنافوا على العشرين ألفا. كذلک وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهيرة «۱» ... و لسوف نتحدث عن هذه القضية بالتفصيل فى فصل: «خطة الإمام» إن شاء اللّه تعالى ...

و عن أسناد هذه الرواية، الذى أورده الإمام (ع)، يقول الإمام أحمد بن حنبل: «لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جنته».

على ما فى الصواعق المحرقة، و نزهة المجالس «۲»، و غير ذلک ...

و نقل أن بعض أمراء السامانية بلغه هذا الحديث بسنده؛ فكتبه بالذهب، و أوصى أن يدفن معه.

---

(۱) نقله فى مجلة مدينة العلم، السنة الاولى ص ۴۱۵ عن صاحب تاريخ نيسابور، و عن المناوى فى شرح الجامع الصغير، و هى أيضا فى الصواعق المحرقة ص ۱۲۲، و حلية الأولياء ج ۳ ص ۱۹۲، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۵، و أمالى الصدوق ص ۲۰۸، و ينابيع المودة ص ۳۶۴، و ص ۳۸۵، و قد ذكر قوله عليه السلام:

و انا من شروطها، فى الموضع الثانى فقط. و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۳، ۱۲۶، ۱۲۷، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۲۴۰، و نور الأبصار ص ۱۴۱، و نقلها فى مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۴۳ و ۴۴ عن التوحيد و معانى الاخبار ص ۳۵۲/ ۳۵۳ و كشف الغمة ج ۳ ص ۹۸.

و هی موجودة فی مراجع کثیرة اخری. لکن یلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله علیه السلام: «بشروطها، و أنا من شروطها»، و لا یخفی السبب فی ذلک.

(۲) و فیه فی ج ۱ ص ۲۲، قال: «إنه (أی الامام أحمد) قرأها علی مصروع فأفاق».

ص: ۱۴۶

و ها نحن أمام نصوص اخری:

و کذلک نری هیبة الإمام (ع)، و قوة شخصیته، فی موقفه مع الفضل ابن سهل- أعظم رجل فی البلاط العباسی- و ذلک عند ما طلب منه الفضل کتاب الضمان، و الأمان؛ حیث أوقفه ساعة، ثم رفع رأسه إلیه، و سأله عن حاجته؛ فقال: «یا سیدی ... إلی أن قال الراوی:

ثم أمره بقراءة الکتاب- و کان کتابا فی أکبر جلد- فلم یزل قائما حتی قرأه!! الخ ...» «۱».

ثم رأینا المأمون عند ما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستین، و شغب علیه القواد و الجند، و من کان من رجال ذی الرئاستین. و قد جاءوا بالنیران لیحرقوا الباب علیه، لیصلوا إلیه- قد رأینا- کیف هرع إلی الإمام، یطلب منه أن یتدخل لانقاذه؛ فخرج (ع) إلیهم، و أمرهم بالتفرق؛ فتفرقوا ... یقول یاسر الخادم: «فأقبل الناس و اللّه، یقع بعضهم علی بعض، و ما أشار لأحد إلا رکض، و مر، و لم یقف ...» «۲».

و نجا المأمون بذلک بجلده، و احتفظ بحیاته ...

و فی کتاب العهد الذی کتبه المأمون بخط یده- کما صرح به کل من تعرض له- فقرات تدل علی سجایا الإمام، و علی مرکزه، و شخصیته، یقول المأمون عنه: «... لما رأی من فضله البارع، و علمه

---

(۱) أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، ۱۶۳ و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۸، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۸.

(۲) المناقب ج ۴ ص ۳۴۷، و روضة الواعظین ج ۱ ص ۲۷۳، و کشف الغمة ج ۳ ص ۷۰، و الکافی ج ۱ ص ۴۹۰، ۴۹۱، و أعلام الوری ص ۳۲۴، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۰، ۱۴۰، طبعة ثالثة، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۴، و ارشاد المفید ص ۳۱۴، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۹، و معادن الحکمة ص ۱۸۳، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۹۸، ۱۹۹.

ص: ۱۴۷

الناصع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخلیه من الدنیا، و تسلمه من الناس.

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، و ناشيا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...» و كتاب العهد مذكور فى أواخر هذا الكتاب ...

و فى نهاية المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرة، الذين هم على حد تعبير الجاحظ:

«كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسک، شجاع، جواد، طاهر، زاک، و الذين هم بين خليفة، أو مرشح لها ...» «۱».

و هو على ما فى النجوم الزاهرة: «سيد بنى هاشم فى زمانه، و أجلهم.

و كان المأمون يعظمه، و يجله، و يخضع له، و يتفانى فيه ...» «۲».

و مثله ما عن سنن ابن ماجة، على فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ۲۷۸ ...

و قال عنه (ع) عارف تامر: «يعتبر من الأئمة الذين لعبوا دورا كبيرا على مسرح الأحداث الإسلامية فى عصره ...» «۳».

و أخيرا ... فقد وصفه أبو الصلت، و رجاء بن أبى الضحاک، و إبراهيم ابن العباس، و غيرهم، و غيرهم ... بما لو أردنا نقله لطال بنا المقام ...

و حسبنا ما ذكرنا؛ فإننا إذا أردنا أن نلم بما قيل فى حق الإمام (ع) لاحتجنا إلى تأليف خاص، و وقت طويل ...

---

(۱) آثار الجاحظ ص ۲۳۵.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۴.

(۳) الامامة فى الاسلام ص ۱۲۵.

من هو المأمون؟

لمحات:

هو عبد اللّه بن هارون الرشيد.

أبوه: خامس خلفاء بنى العباس ... و هو سابعهم، بعد أخيه الأمين ...

أمه: جارية خراسانية، اسمها: «مراجل». و قد ماتت بعد ولادتها إياه، و هى ما تزال نفساء ... فنشأ يتيم الام.

و قد كانت أمه- كما يقول المؤرخون- أشوه، و اقذر جارية فى مطبخ الرشيد.

و ذلک هو الذى يجعلنا نصدق القصة التى تقال عن السبب فى حملها به «۱» ...

---

(۱) و تحکى هذه القصة على النحو التالى: أن زبيدة لاعبت الرشيد بالشطرنج على الحكم و الرضا؛ فغلبته؛ فحكمت عليه أن يطأ أقبح و أقذر و أشوه جارية فى المطبخ؛ فبذل لها خراج مصر و العراق لتعفيه من ذلک؛ فلم تقبل، و لم تجد جارية تجمع الصفات المذكورة غير مراجل؛ فطلبت إليه أن يطأها، فجاء المأمون ... راجع حياة الحيوان للدميرى ج ۱ ص ۷۲. و أعلام الناس فى أخبار البرامكة، و بنى العباس للاتليدى ص ۱۰۶، ۱۰۷، و عيون التواريخ. و أشار إليها اشارة واضحة: الاسحاقى فى

ص: ۱۴۹

دفعه أبوه إلى جعفر بن يحيى البرمكى؛ فنشأ فى حجره.

كانت ولادته فى سنة ۱۷۰ ه. فى نفس الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة ...

و كانت وفاته سنة ۲۱۸ ه.

و كان مربيه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزيره، و هو المعروف بذى الرئاستين ...

و كان قائده: طاهر بن الحسين ذو اليمينين ...

ميزات و خصائص:

و قد كانت حياته حياة جد و نشاط، و تقشف، على العكس من أخيه الأمين، الذى نشأ فى كنف «زبيدة»، و ما أدراک ما «زبيدة»؛ فقد كانت حياته حياة نعمة و ترف، يميل إلى اللعب و البطالة، أكثر منه إلى الجد و الحزم ... يظهر ذلک لكل من راجع تاريخ حياة الأخوين ...

و لعل سر ذلک يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشعر بأصالة محتده، و لا كان مطمئنا إلى مستقبله، و إلى رضا العباسيين به. بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفة و حاكما؛ و لهذا ... فقد وجد أنه ليس لديه أى رصيد يعتمد عليه غير نفسه؛ فشمر عن ساعد الجلد، و بدأ يخطط لمستقبله منذ اللحظة الاولى التى أدرک فيها واقعه، و المميزات التى كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه ...

لطائف أخبار الاول ص ۷۴، و كذلك فى روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ۱۵۷. و لا ينافى ذلك أنه ولد فى الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة؛ فان أولياء العهد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء؛ و قد قسم الرشيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، و المأمون و القاسم، و لم يبق لنفسه شيئا، و هو على قيد الحياة ...

بل نلاحظ: أنه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين؛ فان: «الفضل عند ما رأى اشتغال الأمين باللهو و اللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع و الدين، و حسن السيرة؛ فأظهر المأمون ذلک ... و كان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة» «۱».

و من هنا نعرف السر فيما يظهر من رسالته للعباسيين؛ حيث نصب فيها نفسه واعظا تقيا، و أضفى عليها هالة من التقى و الورع!! و الزهد فى الدنيا!! و الالتزام بأحكام الشريعة، و تعاليم الدين!! ... ليروه و يراه الناس نوعية أخرى تفضل نوعية أخيه الأمين، و تزيد عليها ...

ما يقال عن المأمون:

و على كل حال ... فان المأمون كان قد برع فى العلوم و الفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بنى العباس ...

و قد قال بعضهم: «لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون» «۲».

و قال عنه ابن النديم انه: «أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام» «۳».

و قال عنه محمد فريد وجدى: «لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه» «۴».

و فى الأخبار الطوال: «و كان شهما، بعيد الهمة، أبى النفس، و كان نجم بنى العباس فى العلم و الحكمة ...»

(۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲. و لكن سيأتى أن المأمون هو الذى طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد و التقوى، و ليس الفضل هو المشير عليه بذلک ...

(۲) حياة الحيوان للدميرى ج ۱ ص ۷۲.

(۳) فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة فى القاهرة ص ۱۷۴.

(۴) دائرة المعارف الاسلامية ج ۱ ص ۶۲۰.

ص: ۱۵۱

بل لقد روى عن الإمام على (ع)، أنه قال- و هو يصف خلفاء بنى العباس-: «سابعهم أعلمهم» «۱».

و قد وصفه السيوطى و ابن تغرى بردى، و ابن شاكر الكتبى؛ فقالوا:

«و كان أفضل رجال بنى العباس: حزما، و عزما، و حلما، و علما، و رأيا، و دهاء «۲»، و هيبة، و شجاعة، و سؤددا، و سماحة،

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۲۷۶، و سفينة البحار ج ۲ ص ۳۳۲، مادة: «غيب».

(۲) دهاء المأمون، و حنكته، و سياسته من المسلمات، و الأمثلة على ذلک کثيرة؛ فقد روى لنا ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ۱ ص ۱۲۳، و الجهشيارى فى الوزراء و الکتاب ص ۳۱۱: کيف أنه بين للفضل بن سهل: أن أخاه الأمين کان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التى يحکمها المأمون يخبرهم: أنه قد وضع عنهم الخراج إلى سنة ... فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، و إن قبل لم يجد ما يعطى الجند، فيقومون ضده، و فى کلا الحالتين يکون النصر للامين، لو وقعت بينهما الحرب؛ فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، و اتباعه إلى هذا الرأى ... و إن کان فى العقد الفريد للملک السعيد، ص ۵۰ ينسب هذا الرأى إلى الشيخ أبى الحسن القطيفى، و أنه أشار به على الأمين؛ فلم يقبله. و فى المحاسن و المساوى طبع مصر ج ۲ ص ۷۷، ۷۸ نسبة إلى شيخ مسن أشار به على الأمين فلم يقبل منه.

و قد رأينا أيضا: أنه عند ما تسلم زمام الحکم قد طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد و التقوى و الورع؛ ففعل ... راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ ص ۲۶۱.

و رأينا کذلک: أنه يقتل الفضل، و يبکى عليه، و يقتل قتلته، و يقتل الرضا، ثم يبکى عليه ... و يقتل طاهرا، و يولى أبناءه مکانه. و رأينا أيضا: أنه يولى الرضا العهد، و يوهم العباسيين: أن ذلک کان من تدبير الفضل، و يقتل أخاه، و يوهمهم أن الذنب فى ذلک على الفضل و طاهر ... إلى آخر ما هنالک، مما سيأتى، و غيره، مما يدل على عمقه، و دهائه، و حنکته، و سياسته ... و أن الفضل و غيره، ما کانوا إلا دمى له، يلهو و يلعب بها، و يحرکها کيف شاء، و حيثما أراد ...

ص: ۱۵۲

لو لا أنه شان ذلک کله ... بالقول بخلق القرآن «۱»، و لم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه ...» «۲».

شهادة ذات أهمية:

و قد شهد له أبوه نفسه بالتقدم على أخيه الأمين؛ قال: «... و قد عنيت بتصحيح هذا العهد، و تصييره إلى من أرضى سيرته، و أحمد طريقته، و أثق بحسن سياسته، و آمن ضعفه و وهنه، و هو: عبد اللّه.

و بنو هاشم- يعنى العباسيين- مائلون إلى محمد باهوائهم، و فيه ما فيه من الانقياد لهواه، و التصرف مع طويته، و التبذير لما حوته يده، و مشاركة النساء، و الاماء فى رأيه. و عبد اللّه المرضى الطريقة، الأصيل الرأى، الموثوق به فى الأمر العظيم؛ فإن ملت إلى عبد اللّه، أسخطت بنى هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية ...» «٣».

و قال أيضا: «إنى لأعرف فى عبد اللّه حزم المنصور، و نسک المهدى، و عزة الهادى، و لو شئت أن أنسبه إلى الرابع- يعنى نفسه- لنسبته، و قد قدمت محمدا عليه، و إنى لأعلم أنه منقاد لهواه، مبذر

---

(١) قال القلقشندى فى كتابه: مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢١٣: إنه قد طعن الناس!! على المأمون ثلاثة أشياء: الأول: القول بخلق القرآن!!. الثانى: التشيع، الثالث: بث علوم الفلاسفة بين المسلمين ...

فتأمل، باللّه عليک بهذه الامور، التى عدوها من المطاعن، و بعد ذلک: فاضحک، أو فابک على عقول هؤلاء الجهلاء، الذين يسميهم الناس، أو يسمون أنفسهم علماء!!! و العلم من هؤلاء و أمثالهم برىء ...

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦، و فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩، و النجوم الزاهرة، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) مروج الذهب طبع بيروت ج ٣ ص ٣٥٢، ٣٥٣.

ص: ١٥٣

لما حوته يده، يشاركه فى رأيه الاماء و النساء، و لو لا أم جعفر- يعنى زبيدة- و ميل بنى هاشم، لقدمت عبد اللّه عليه ...» «١». يعنى فى ولاية العهد.

---

(١) راجع شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٤٥، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٧، و قريب منه ما فى الأخبار الطوال ص ٤٠١، و الاتحاف بحب الأشراف ص ٩٦، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

هذا ... و الرشيد هنا يدعى النسک للمهدى مع أن كتب التاريخ زاخرة بأخبار بذخه، و لهوه و لعبه؛ و يكفى أن نذكر هنا: أنه قد سلم الأمر ليعقوب بن داود، و انصرف إلى ملذاته و شهواته، حتى قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة:

بنى أميّة هبوا طال نومكم — إن للخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا — خليفة اللّه بين الزق و العود

فراجع: الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۱۸۴، ۱۸۵، و تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۰۷، و البدایة و النهایة، و أی کتاب تاریخی شئت ...

هذا ... و لعل ما ینسب إلیه من الزهد و الورع إنما کان بلحاظ ما قدمناه: من تسمیة أبیه له ب «المهدی»؛ لکی یکون مهدی الامة الذی یملأ الأرض قسطا، و عدلا.

و اخترع أحادیث کثیرة لتأیید مدعاه هذا ...

و لکن الحقیقة هی ما قدمناه، من أنه لم یکن یقل فی تهتکه و استهتاره عن غیره من الخلفاء؛ حتی لقد ذکر الطبری فی تاریخه، طبع مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۰۵:

أنه ألبس ابنته «البانوقة» لباس الفتیان، لتمشی فی مقدمة الجند و القواد، و قد رفع القباء ثدییها الناهدین، و کانت سمراء، حسنة القد، حلوة، علی حد تعبیر الطبری ...

فما ذا کان یقصد «المهدی المنتظر»!! من تصرفه هذا!!. فهل کان یرید بذلک أن یملأ الأرض قسطا و عدلا؟!! ...

و لما ذا کان الزاهد الورع!! و «المهدی المنتظر» یعذب الناس بالسنانیر و الزنابیر؟، لیبتز منهم أموالهم، و یتخذ الاتهام بالزندقة ذریعة للقضاء علی خصومه، کما قدمنا، و أیضا یشرب الخمر، و یسمع الغناء، حتی بلغ فی ذلک حدا جعل یعقوب بن داود یلومه علی ذلک، و یقول له: «ما علی هذا استوزرتنی، و لا علی هذا صحبتک الخ ...».

و فی ذلک یقول بعض الشعراء، یعرض بیعقوب، و یحث المهدی علی الاستمرار فی

ص: ۱۵۴

و علی کل حال ... فان کل من تعرض من المؤرخین و غیرهم، لشرح حال المأمون، قد شهد له بالتقدم، و بأنه رجل خلفاء بنی العباس و واحدهم ...

و ما یهمنا هنا، هو مجرد الاشارة إلی حال المأمون، و ما کان علیه من الدهاء و السیاسة، و حسن التدبیر ... و لسنا هنا فی صدد تحقیق أحواله، و الاحاطة بکافة شئونه؛ فان ذلک لا یناسب الغرض الذی وضع من أجله هذا الکتاب.

و سیمر معنا فی الفصول الآتیة المزید من الکلام عن المأمون و ظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الذی نحن بصدد تحقیقه من قریب، أو من بعید، إن شاء اللّه تعالی ...

ذلک علی ما فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۱۴۸، ۱۴۹- یقول فی ذلک-:

فدع عنک یعقوب بن داود جانبا و اقبل على صهباء طيبة النشر

و أخيرا ... فاننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدى العباسى، هو المهدى الموعود، إلا سلم الخاسر؛ فقد نقل ذلک عنه ابن المعتز فى طبقات الشعراء ص ١٠۴، و يدل على ذلک قول الخاسر فى قصيدة له يمدح بها المهدى العباسى على ما فى الأغانى ج ٢١ ص ١٨٧، طبع دار الفكر:

له شيم عند بذل العطاء لا يعرف الناس مقدارها

و «مهدى امتنا» و الذى حماها و أدرک أوتارها

و السيد الحميرى أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدى حقا لكن فعاله قد بينت: أنه ليس هو، و لذلک يقول السيد حسبما يروى المرزبانى فى أخبار السيد الحميرى (المستدرک) ص ۵٨:

ظننا أنه «المهدى» حقا و لا تقع الامور كما ظننا

و لا و اللّه، ما المهدى إلا إماما فضله أعلى و أسنى

و لا بأس بالاشارة هنا إلى ما ذكروه، من أن سبب تسميته بالخاسر: أنه كان عنده مصحف؛ فباعه، و اشترى بثمنه طنبورا، فبقيت من ثمنه بقية، فاشترى بها خمرا!! ...

فبورک من مهدى أتباعه أمثال هذا!! و بوركت امة تعترف بمهدى له تلكم الصفات!!.

ص: ١۵۵

آمال المأمون و آلامه

العباسيون لا يرضون بالمأمون!!

لا يشک المؤرخون بأن المأمون كان أجدر من الأمين، و أحق بالخلافة «١» ... بل لقد مر اعتراف الرشيد نفسه بذلک، لكنه اعتذر عن إسناده الأمر للأمين: بأن العباسيين، لا يرضون بالمأمون خليفة، و حاكما؛ رغم سنه و فضله و كياسته، و أنهم يرجحون أخاه الأمين عليه؛ قال الرشيد، حسبما تقدم: «و بنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، و فيه ما فيه ... إلى أن قال: فان ملت إلى ابنى عبد اللّه، أسخطت بنى هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية الخ!!» و مر أيضا قول الرشيد: «... و لو لا أم جعفر، و ميل بنى هاشم إليه (أى إلى الأمين) لقدمت عبد اللّه عليه ...».

كما أن المأمون نفسه يقول فى رسالته للعباسيين، المذكورة فى أواخر هذا الكتاب: «... و أما ما ذكرتم، مما مسكم من الجفاء فى ولايتى؛ فلعمرى ما كان ذلک إلا منكم: بمظافرتكم عليه، و مما يلتكم إياه

(١) ليس المراد هنا: الجدارة الحقيقية، التى قررها اللّه، و بينها محمد صلّى اللّه عليه و آله، و إنما المراد الجدارة التى يفهمها هؤلاء، و اعتاضوا بها عن حكم اللّه، و سنة نبيه ...

ص: ١٥٦

(أى الأمين)؛ فلما قتلته، تفرقتم عباديد؛ فطورا أتباعا لابن أبى خالد، و طورا أتباعا لاعرابى، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفا علىّ. و لو لا أن شيمتى العفو، و طبيعتى التجاوز، ما تركت على وجهها منكم أحدا؛ فكلكم حلال الدم الخ ...».

و سوف يأتى قول الفضل بن سهل للمأمون: «... و بنو أبيک معادون لک، و أهل بيتک الخ ...».

إلى آخر ما هنالک من النصوص الدالة على حقيقة الموقف السلبى للعباسيين ضد المأمون، و تفضيلهم أخاه الأمين عليه ...

سؤال قد تصعب الاجابة عليه:

فما هو السر يا ترى؟ فى عدم رضا العباسيين بالمأمون؟! و لما ذا يفضلون أخاه الأمين عليه؟!! مع أنه هو الأليق و الأجدر و الأحق بالخلافة!!.

إن الإجابة على هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلة صعبة، و شاقة.

و لكننا لن نستسلم لهذا الشعور، و لسوف نحاول الاجابة عليه، معتمدين على بعض ما بأيدينا من النصوص التاريخية، التى تلقى لنا ضوءا كاشفا على حقيقة القضية، و واقع الأمر: فنقول:

الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسيين عن المأمون إلى أخيه الأمين يرجع إلى أن الأمين كان عباسيا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى:

فأبوه: هارون ...

ص: ١٥٧

و أمه: «زبيدة»، حفيدة المنصور، هاشمية «١»، و التى لو نشرت شعرها، لما تعلقت- على ما قبل- «٢» إلا بخليفة، أو ولى عهد، و التى كانت أعظم عباسية على الاطلاق ...

و كان فى حجر الفضل بن يحيى البرمكى، أخى الرشيد من الرضاعة، و أعظم رجل نفوذا فى بلاط الرشيد ...

و كان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربى، الذى كان جده من طلقاء عثمان، و الذى لم يكن ثمة من شك فى ولائه للعباسيين.

أما المأمون:

فقد كان فى حجر جعفر بن يحيى، الذى كان أقل نفوذا من أخيه الفضل.

و كان مؤدبه، و الذى يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذى لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص؛ لأنه كان متهما بالميل إلى العلويين. و الذى كانت العداوة بينه و بين مربى الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذى أصبح فيما بعد وزيرا للمأمون، و مدبرا لاموره، و أعنى به: «الفضل بن سهل الفارسى»، و قد

---

(١) و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٦، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٩، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٣، و تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٦٢: «أنه لم يتفق لخليفة عباسى أن يكون عباسى الأب و الام، غير الأمين» ... و لا بأس أيضا بمراجعة: مختصر التاريخ ص ١٣٠، و مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢٠٣، و ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٣، و زهر الآداب ج ٢ ص ٩٩٣، طبع دار الجيل.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٦.

مل العباسيون الفرس، و خافوهم؛ و لذا سرعان ما استبدلوهم بالأتراک و غيرهم ...

أما أم المأمون ... فقد كانت خراسانية غير عربية، و قد ماتت أيام نفاسها به، و حتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها- و هى أشوه، و أقبح، و أقذر جارية فى مطبخ الرشيد- لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظمة، و نفوذا و لو قلنا إن موتها كان فى مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة؛ كيف و قد بلغ من مهانتها- فى نظر الناس- أن كان المأمون يعير بها ...

فهذه زينب بنت سليمان، التى كانت عند بنى العباس بمنزلة عظيمة، عند ما لم يحضر المأمون جنازة ابنها، و اكتفى بارسال أخيه صالح من قبله، تغضب، و تقول لصالح: «قل له: يا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد، لوضعت ذيلک على فيک، و عدوت خلف جنازته ...» «١».

و الرقاشى الشاعر يمدح الأمين، و يعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلده أمة تعرف فى السوق التجارا | لا و لا حد، و لا خان، و لا فى الخزى جارا«۲»

یعرض بالمأمون، و أن أمه كانت أمة تباع، و تشرى فى الأسواق ...

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

و إذا تطاولت الرجال بفضلها | فاربع فانک لست بالمتطاول

---

(۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ۲۳۰، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۹۳.

(۲) المعارف لابن قتيبة، طبع سنة ۱۳۰۰، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲.

أعطاک ربک ما هويت و إنما | تلقى خلاف هواک عند «مراجل«

تعلو المنابر كل يوم آملا | ما لست من بعدى إليه بواصل«۱»

و قد أقذع فى هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:

يا بن التى بيعت بأبخس قيمة | بين الملا فى السوق هل من زائد

ما فيک موضع غرزة من ابره | إلا و فيه نطفة من واحد

فأجابه المأمون:

و إنما أمهات الناس أوعية | مستودعات و للّأماء أكفاء

فرب معربة ليست بمنجبة | و طالما أنجبت فى الخدر عجماء«۲»

و أخيرا ... فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التى كان يعانى منها المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:

إنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاک، و شرفتک بمقعد

شادوا بذکرک بعد طول خموله و استنقذوک من الحضيض الأوهد«۳»

مرکز الأمين هو الأقوى:

و بعد کل ما تقدم، فإن ما لا بد لنا من الاشارة إليه هنا، هو:

---

(۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۴.

(۲) غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمرى الموصلى ص ۱۲۱.

(۳) معاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۲، و وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ه. ج ۱ ص ۱۷۹، و تاريخ الخلفاء ص ۳۲۴، و الشعر و الشعراء ص ۵۳۹، ۵۴۰، و الغدير ج ۲ ص ۳۷۶، و العقد الفريد، طبع دار الکتاب العربى ج ۲ ص ۱۹۶، و تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الثانى جزء ۳ ص ۱۱۵، و زهر الآداب طبع دار الجيل ج ۱ ص ۱۳۴ و الکنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۳۱ و ربيع الابرار ج ۱ ص ۷۴۳.

ص: ۱۶۰

قوة مرکز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون؛ حيث قد کان للأمين حزب قوى جدا، و أنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، و فى سبيل تأمين السلطة له، و هم: أخواله، و الفضل بن يحيى البرمکى، و أکثر البرامکة، إن لم يکن کلهم، و أمه: زبيدة، بل و العرب أيضا، کما سيأتى ...

و إذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين کانوا يؤثرون على الرشيد کل التأثير، و کان لهم دور کبير فى توجيه سياسة الدولة ... فلسوف نرى أنه کان من الطبيعى أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، و ينصاع لها، و من ثم ... لتؤثر مساعيها أثرها، و تعطى نتيجتها فى الوقت المناسب؛ فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، و هو الأمين، و يترک الأکبر- المأمون-، ليکون ولى العهد الثانى بعد الأصغر ...

و لعل تعصب بنى هاشم، و جلالة عيسى بن جعفر قد لعبا دورا کبيرا فى فوز الأمين بالمرکز الأول فى ولاية عهد أبيه الرشيد «۱». هذا عدا عن الدور الرئيسى، الذى لعبته «زبيدة» فى تکريس الأمر لصالح ولدها «۲».

فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، و هو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، و قال له: «انشدک اللّه، لما عملت بالبيعة لابن أختي؛ فإنه ولدک، و خلافته لک، و إن أختي زبيدة تسألک ذلک ... فوعده الفضل أن يفعل، و عند ما انتصر على الخارجين هناک، بايع هو و من معه من القواد و الجند لمحمد «٣»،

---

(١) ابن بدرون فی شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢۴۵، و الإتحاف بحب الاشراف ص ٩۶.

(٢) زهر الآداب طبع دار الجيل ج ٢ ص ۵٨١.

(٣) راجع تفصيل ذلک فی: الطبری ج ١٠ ص ۶١١، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧۶، و الکامل لابن الأثير ج ۵ ص ٨٨، و أشار إلى ذلک أيضا ابن خلدون فی تاريخه ج ٣ ص ٢١٨.

رغم أن المأمون کان أسن من الأمين بستة أشهر، و على أقل الأقوال بشهر واحد ...

و أصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذی أقدم على هذا الأمر، هو ذلک الرجل، الذی لا يمکن رد کلمته، و الذی له من النفوذ و السلطان، و الخدمات الجلی، و الأيادی البيضاء عليه، ما لا يمکن له، و لا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله ...

و يلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذکر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، و زبيدة التی تحظى باحترام کبير عند العباسيين، و لها نفوذ واسع، و تأثير کبير على الرشيد- زبيدة هذه- يهتم البرامکة جدا بأن تکون معهم، و إلى جانبهم؛ و ذلک ليبقى لهم سلطانهم، و يدوم لهم حکمهم، الذی أشار إليه عيسى بقوله: «فانه ولدک، و خلافته لک» فإن فی هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة و صحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، و مصالح البرامکة بشکل عام، و بالنسبة لدورهم فی مستقبل الخلافة العباسية ... و هو فی الحقيقة يشتمل على إغراء و ترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، و فی سبيله ...

کما أن قول عيسى الآنف الذکر يلقی لنا ضوءا على الدور الذی لعبته زبيدة فی مسألة البيعة لولدها بولاية العهد ... فهو يشير إلى أنها کانت قد استخدمت نفوذها فی اقناع رجال الدولة بتقديم ولدها ... هذا بالاضافة إلى أنها کانت تحرض الرشيد على ذلک باستمرار «١»، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه: «لو لا أم جعفر و ميل بنی هاشم لقدم عبد اللّه على محمد، کما أشرنا إليه» ...

قال محمد فريد و جدی مشيرا إلى أن الرشيد لم يکن يريد جرح عاطفة

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨١، و تاريخ الخلفاء للسيوطی ص ٢٩٠.

ص: ۱۶۲

زبیدة: «کانت ولایة الأمین بعهد من أبیه، قدمه علی إخوته لمکان والدته. و کان الأحق بالتقدیم المأمون لعلمه و فضله و سنه ...» «۱».

و بعد ... فإننا لا نستبعد أنها کانت بالاضافة إلی ذلک قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولایة العهد لولدها الأمین، و لعل مما یشیر إلی ذلک قول الفضل بن سهل للمأمون: «و هو ابن زبیدة، و أخواله بنو هاشم، و زبیدة و أموالها ...» ...

و أخیرا ... فإنّ من المحتمل جدا أن یکون الرشید- بملاحظة الدور الذی کانت تلعبه الأنساب فی التفکیر العربی- قد لاحظ سمو نسب الأمین علی المأمون، و کان لذلک أثر فی تقدیمه له علیه، و قد ألمح بعض المؤرخین إلی ذلک فقال: «و فیها (أی فی سنة ۱۷۶ ه) عقد الرشید لابنه المأمون عبد اللّه العهد بعد أخیه الأمین ... إلی أن قال:

و کان المأمون أسن من الأمین بشهر واحد، غیر أن الأمین أمه زبیدة بنت جعفر هاشمیة، و المأمون أمه أم ولد اسمها «مراجل» ماتت أیام نفاسها به ...» «۲».

محاولات الرشید لصالح المأمون:

و من کل ما تقدم یتضح لنا حقیقة موقف العباسیین، و أهل بیت المأمون، و رجال الدولة من المأمون ... و یظهر إلی أی حد کان مرکز أخیه قویا، و نجمه عالیا، و أنه لم یکن له مثل ذلک الحظ الذی کان لأخیه الأمین.

---

(۱) دائرة المعارف الاسلامیة ج ۱ ص ۶۰۶.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۸۴، و قریب منه ما فی تاریخ الخلفاء للسیوطی.

ص: ۱۶۳

إلا أن أباه الرشید، الذی کان یدرک حقیقة الموقف کل الادراک، قد حاول أن یضمن له نصیبه من الخلافة، فجعله ولی العهد بعد أخیه الأمین، و کتب بذلک العهود و المواثیق، و أشهد علیها، و علقها فی جوف الکعبة، و لا نعلم خلیفة، قبله و لا بعده فعل ذلک مع أولیاء عهده، من أولاده أو من غیرهم، رغم أن غیره من الخلفاء قد أخذوا البیعة لأکثر من واحد بعدهم.

کما أنه قد حاول بطرق شتی أن یشد من عضد المأمون، و یقوی مرکزه فی مقابل أخیه الأمین؛ لأنه کان یخاف منه علی أخیه المأمون؛ فنراه یجدد أخذ البیعة للمأمون أکثر من مرة، و یولیه الحرب، و یولی أخاه السلم «۱» و یهب المأمون کل ما فی العسکر من کراع و سلاح، و یأمر الفضل بن الربیع، الذی کان یعرف أنه سوف یتآمر مع الأمین- یأمره- بالبقاء مع المأمون فی خراسان. إلی غیر ذلک من مواقفه، التی لا نری حاجة لتتبعها و استقصائها.

مرکز المأمون ظل فی خطر:

و لکن رغم کل محاولات الرشید فقد ظل مرکز المأمون فی خطر و الکل کان یشعر بذلک، و کیف لا یعرف الجمیع ذلک، و لا یشعرون به، و هم یرون الأمین یصرح بعد أن أعطی العهود و المواثیق، و حلف الایمان، بأنه: کان یضمر الخیانة لأخیه المأمون «۲».

لقد کان الکثیرون یرون بأن هذا الأمر لا یتم، و أن الرشید قد أسس العداء و الفرقة بین أولاده، «و ألقی بأسهم بینهم، و عاقبة ما صنع

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۳، و الطبری حوادث سنة ۱۸۶ ه.

(۲) الوزراء و الکتاب ص ۲۲۲.

ص: ۱۶۴

فی ذلک مخوفة علی الرعیة»، و قالت الشعراء فی ذلک الشیء الکثیر.

و من ذلک قول بعضهم:

أقول لغمة فی النفس منی	و دمع العین یطرد اطرادا
خذی للهول عدته بحزم	ستلقی ما سیمنعک الرقادا
فإنک إن بقیت رأیت أمرا	یطیل لک الکآبة و السهادا
رأی الملک المهذب شر رأی	بقسمته الخلافة و البلادا
رأی ما لو تعقبه بعلم	لبیض من مفارقه السوادا
أراد به لیقطع عن بنیه	خلافهم و یبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غیر آل	و أورث شمل الفتهم بدادا
و القح بینهم حربا عوانا	و سلس لاجتنابهم القیادا
فویل للرعیة عن قلیل	لقد أهدی لها الکرب الشدادا

و ألبسها بلاء غير فان و ألزمها التضعضع و الفسادا

ستجرى من دمائهم بحور زواخر لا يرون لها نفادا

فوزر بلائهم أبدا عليه أ غيا كان ذلک أم رشادا«۱»

و المأمون و حزبه كانوا يدركون ذلک:

و بعد ... فإنه من الطبيعى جدا أن نرى أن المأمون و حزبه كانوا يدركون أن مركز المأمون كان فى خطر، و أن الأمين كان ينوى الخيانة لأخيه. و لقد رأينا الفضل بن سهل عند ما عزم الرشيد على الذهاب إلى خراسان، و أمر المأمون بالمقام فى بغداد- رأيناه- يقول للمأمون:

«لست تدرى ما يحدث بالرشيد، و خراسان ولايتک، و الأمين مقدم عليک. و إن أحسن ما يصنع بک أن يخلعک؛ و هو ابن زبيدة، و أخواله

---

(۱) الطبرى حوادث سنة ۱۸۶ ه.

ص: ۱۶۵

بنو هاشم، و زبيدة، و أموالها ...» «۱» ... و تقدم أيضا قوله له: إن أهل بيته و بنى أبيه، و العرب معادون له ...

و الرشيد أيضا كان فى قلق:

بل لقد صرح الرشيد نفسه بأنه كان يخشى من الأمين على المأمون؛ فإنه قال لزبيدة، عند ما عاتبته على اعطائه الكراع و السلاح للمأمون:

«إنا نتخوف ابنک على عبد اللّه، و لا نتخوف عبد اللّه على ابنک إن بويع ...» «۲».

هذا بالاضافة إلى تصريحات الرشيد السابقة، و التى لا نرى حاجة إلى اعادتها ...

و لقد قال الرشيد، عند ما بلغه ما يتهدد به محمد الأمين:

محمد لا تظلم أخاک فإنه عليک يعود البغى إن كنت باغيا

و لا تعجلن الدهر فيه فإنه إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا«٣»

و مهما يكن من أمر، فان الحقيقة التى لا يمكن الجدال فيها، هى أن الرشيد كان فى قضية ولاية العهد مغلوبا على أمره، من مختلف الجهات ...

و كان يشعر أن ما أبرمه سوف يكون عرضة للانتقاض بين لحظة و أخرى، و كم كان يؤلمه شعوره هذا، و يحز فى نفسه ... حتى لقد ترجم مشاعره هذه شعرا فقال:

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٩، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠٢، و الكامل لابن الأثير، طبعة ثالثة ج ٥ ص ١٢٧، و الوزراء و الكتاب ص ٢۶۶.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣. و لعله إنما فعل ذلک أيضا، من أجل أن يطيب خاطر المأمون، و يذهب ما فى نفسه- و هو الأفضل، و الأكبر سنا من أخيه- من غل و حقد و ضغينة ...

(٣) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢۴۵، و فوات الوفيات ج ٢ ص ٢۶٩.

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى غلبت على الأمر الذى كان أحزما

و كيف يرد الدّرّ فى الضرع بعد ما توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الأمر بعد استوائه و أن ينقض الحبل الذى كان أبرما«١»

على من يعتمد المأمون؟

و هكذا ... و إذا كان أبوه قد استطاع أن يضمن له المركز الثانى بعد أخيه الأمين، و إذا كان ذلک لا يكفى لأن يجعل المأمون يطمئن إلى مستقبله فى الحكم، و أن يأمن أخاه و بنى أبيه العباسيين، أن لا يحلوا العقدة، و ينكثوا العهد؛ فهل يستطيع المأمون

أن يعتمد على غيرهم، لو تعرض مركزه و وجوده للتهديد فى وقت ما؟!. و من هم أولئک الذين يستطيع أن يعتمد عليهم؟! و كيف؟ ... و ما هو موقفهم فعلا منه؟! و كيف يستطيع أن يصل الى الحكم، و السلطان؟! و من ثم ...

كيف يستطيع أن يحتفظ به، و يقوى من دعائمه؟! إن نظرة شاملة على الفئات الاخرى فى تلک الفترة من الزمن، لكفيلة بأن تظهر لنا أنه لم يبق أمام المأمون غير العلويين، و العرب، و الايرانيين ...

فما هو موقف هؤلاء منه، و أى الفئات تلک هى التى يستطيع أن يعتمد عليها؟. و كيف يستطيع أن يغير ماجريات الامور لتكون فى صالحه، و على وفق مراده؟! ...

هذا هو السؤال الذى لا بد للمأمون من أن يضع الحل و الاجابة عليه، بكل دقة و وعى و إدراک، و أن يتحرک من ثم على وفق تلک الاجابة،

---

(١) ابن بدرون أيضا ص ٢٤٥، و زهر الآداب، طبع دار الجيل ج ٢ ص ٥٨١، و فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩.

ص: ١٦٧

و على مقتضى ذلک الحل ... و لنلق أولا نظرة سريعة على مواقف كل من هؤلاء من المأمون، و لنخلص من ثم إلى معرفة الفئة التى يستطيع المأمون أن يعتمد عليها فى مواجهة الأخطار و التحديات، التى تنتظره، و تنتظر نظام حكمه، بصورة عامة ... فنقول:

موقف العلويين من المأمون:

أما العلويون ... فإنهم- بالطبع- لن يرضوا بالمأمون- كما لن يرضوا بغيره من العباسيين، خليفة و حاكما لأن من بينهم من هو أجدر من كل العباسيين، و أحق بهذا الأمر، و لأن المأمون، و غيره، كانوا من تلک السلالة، التى لا يمكن أن تصفو لها قلوب آل على؛ لأنها قد فعلت بهم أكثر من فعل بنى أمية معهم، كما تقدم ... فقد سفكت دماءهم، و سلبتهم أموالهم، و شردتهم عن ديارهم، و أذاقتهم شتى صنوف العذاب و الاضطهاد ... و يكفى المأمون عندهم: أنه ابن الرشيد، الذى حصد شجرة النبوة، و اجتث غرس الإمامة، و الذى قد عرفت طرفا من سيرته السيئة معهم فيما تقدم من الفصول ...

موقف العرب من المأمون، و نظام حكمه:

و أما العرب: فإنهم لا يرضون بالمأمون خليفة و حاكما أيضا، كما أشار إليه الفضل بن سهل فيما تقدم ...

أما أولا: فلأن أمه، و مؤدبه، و القائم بأمره، غير عربيين.

و لقد عانى العرب ما اللّه أعلم به، من تقديم أسلافه للموالى، حتى لم يعد لهم معهم أى شأن يذكر، و أصبح العربى أذل من نعجة، و أحقر من الحيوان ...

قال المسعودى: «... و كان (أى المنصور) أول خليفة استعمل

ص: ۱۶۸

مواليه و غلمانه فى أعماله، و صرفهم فى مهماته، و قدمهم على العرب؛ فامتثل ذلک الخلفاء من بعده، من ولده، فسقطت، و بادت العرب، و زالت رئاستها، و ذهبت مراتبها ...» «۱».

و قال ابن حزم، و هو يتحدث عن العباسيين: «... فكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، و غلبت عجم خراسان على الأمر، و عاد الأمر كسرويا، إلا أنهم لم يعلنوا بسبب أحد من الصحابة رضوان اللّه عليهم ... و افترقت فى دولة بنى العباس كلمة المسلمين «۲» ...».

و يقول الجاحظ: «... دولة بنى العباس أعجمية، خراسانية، و دولة بنى مروان عربية «۳» ...».

إلى آخر ما هنالک، مما يدل على سقوط العرب فى تلک الفترة، و امتهانهم. و يبدو أن ذلک من المسلمات. و قد استوفى الباحثون- و منهم أحمد أمين، فى الجزء الأول من ضحى الاسلام- البحث فى هذا الموضوع؛ فمن أراد فليراجع مظان وجوده ...

و إذا ما عرفنا: أن من الطبيعى أن يكون ذهاب رئاسة العرب، و إبادتها، و اضطهادها على يد الفرس، الذين كانوا هم أصحاب القدرة و السلطان آنذاک ... فلسوف نجد أن من الطبيعى أن يحقد العرب، الذين كانوا فى وقت ما هم أصحاب الجبروت و القوة، على الفرس، و على كل من يتصل بهم، و يمت إليهم بسبب؛ من قريب أو من بعيد ...

---

(۱) مروج الذهب، طبع بيروت ج ۴ ص ۲۲۳، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۴، و ص ۲۶۹، ۲۷۰، و ص ۲۵۸، و فى طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۷۹، نقلا عن المقريزى فى: السلوک لمعرفة دول الملوک ج ۱ ص ۱۴ مثل ذلک. و ليراجع أيضا كتاب: مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۳.

(۲) البيان المغرب، طبع صادر ص ۷۱.

(۳) البيان و التبيين ج ۳ ص ۳۶۶.

ص: ۱۶۹

و أما ثانيا: فلسيرة أسلافه، و أبيه الرشيد بالخصوص، فى الناس عامة، و مع أهل بيت نبيهم خاصة، و التى قدمنا شطرا منها فى الفصول التى سبقت.

أما الأمين: فقد كان له- إلى حدّ ما- شافع عندهم؛ حيث إنه كان من أب و أم عربيين من جهة. و كان قد منحهم ثقته و حبه، و قربهم إليه، حتى كان وزيره الفضل بن الربيع منهم ... من جهة ثانية؛ فتوسموا فيه أن يجعل لهم، شأنا و أن ينظر إليهم بغير العين، التى كان أبوه و أسلافه ينظرون إليهم بها. أو على الأقل: سوف لا تكون نظرته إليهم، على حد نظرة المأمون نحوهم. و ذلك ما يجعلهم يرجحونه- على الأقل- على أخيه المأمون، و إن كان المأمون أفضل، و أسن منه؛ فلقد كان عليهم أن يختاروا أهون الشرين، و أقل الضررين ...

حتى إن نصر بن شبث، الذى كان هواه مع العباسيين، لم يقم بثورته ضد المأمون، التى بدأت سنة ١٩٨ ه. و استمرت حتى سنة ٢١٠ ه. إلا انتصارا للعرب، و محاماة عنهم؛ لأن العباسيين كانوا يفضلون عليهم العجم، حسب تصريحات نصر بن شبث نفسه «١».

و حتى فى مصر أيضا، قد ثارت الفتن بين القيسية، المناصرة للأمين، و اليمانية المناصرة للمأمون ...

و قال أحمد أمين: «... إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، و أغلب العرب تعصبوا للأمين ...» «٢».

كما أننا نكاد لا نشك فى أن تعصب العرب للأمين ليس إلا للسببين المتقدمين، الذين أشرنا إليهما، و أشار إلى أحدهما نصر بن شبث ...

---

(١) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٠٤.

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٤٣.

ص: ١٧٠

و لكن فردينان توتل يرى فى منجد الاعلام: أن تعصب العرب للأمين يرجع إلى أن: «المأمون لم يستطع أن يجعل العرب يحبونه؛ حيث إنه كان يظهر ميلا للايرانيين، و يقربهم إليه. و قد أعانه الايرانيون فى مبارزاته، و حروبه، و خصوصا الخراسانيين منهم ...».

و لكن الذى يبدو لى هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقريب المأمون للايرانيين، و تحببه للخراسانيين، و انما عكس ذلك هو الصحيح؛ فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب، و أهل بيته، و العلويين ...

لا بد من اختيار خراسان:

و بعد أن فرغت يد المأمون من بنى أبيه، و البرامكة «١»، و العرب، و العلويين، اضطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون و المساعدة، و تكون سلما لأغراضه، و اداة لتحقيق أهدافه و مآربه ...

و لم يبق أمامه غير خراسان؛ فاختارها، كما اختارها محمد بن على العباسى من قبل. فأظهر لهم الميل و الحب، و تقرب إليهم، و قربهم إليه، و أراهم: أنه محب لما و لمن يحبون، و كاره لما و لمن يكرهون. حتى إنه عند ما علم منهم الميل إلى العلويين، و التشيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، و متشيع لهم ...

كما أنه كان من جهة ثانية قد قطع لهم على نفسه الوعود و العهود، بأن يرفع

---

(١) ذكرنا للبرامكة هنا ليس عفويا؛ فان محط نظرنا يشمل حتى الأيام الاولى، التى فتح بها المأمون عينيه، و عرف واقعه، و أدرک الأخطار، التى تتهدده، و تتهدد مستقبله فى الخلافة مع أخيه الأمين؛ فلا يرد علينا: أن البرامكة قد نكبهم الرشيد قبل خلافة المأمون بزمان ... مضافا إلى الدور الكبير الذى لعبه البرامكة فى تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا ...

الظلم و الحيف عنهم، و يرد عنهم الكيد، الأمر الذى جعلهم يثقون به، و يطمئنون إليه، و يعلقون كل آمالهم عليه ...

تشيع الايرانيين:

هذا ... و ليس تشيع «١» الايرانيين بالأمر الذى يحتاج إلى اثبات، بعد أن تقدم معنا: أن دولة العباسيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، و أهل البيت ... و بعد أن رأينا الخراسانيين يظهرون النياحة على «يحيى بن زيد» سبعة أيام، و كل مولود ولد فى خراسان فى سنة قتل يحيى سمى ب «يحيى» «٢» ... بل يذكر البلاذرى: أنه لما استشار المنصور عيسى بن موسى فى أمر محمد و ابراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن، فأشار عليه بأن يولى المدينة رجلا خراسانيا، قال له المنصور: «يا أبا موسى إن محبة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، و إن و ليت أمرها رجلا من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه و بين طلبهما، و الفحص عنهما، و لكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ ...» «٣».

و قد تقدم معنا: كيف وصف المؤرخون ما جرى فى نيشابور، حين دخلها الإمام الرضا، و سيأتى فى فصل: خطة الإمام، وصف ما جرى فى مرو حينما خرج الإمام ليصلى بالناس ... و لقد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عند ما أرادوا قتله، انتقاما للفضل بن سهل ...

---

(١) قد تقدم منا ما نقصده بكلمة «التشيع» فى هذا الكتاب؛ فلا نعيد.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٣، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٥٧، و ليراجع أيضا نزهة الجليس ج ١ ص ٣١٦؛ فان فيه ما يشير إلى ذلک ...

(٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٣ ص ١١٥.

بل لقد بلغ من حب الايرانيين لأهل البيت أن المأمون كان يخشى على نفسه أن يقتلوه، لو أنه أراد أن يرجع عن البيعة للامام الرضا بولاية العهد «۱».

و يقول جرجى زيدان: «و كان الخراسانيون، و من والاهم من أهل طبرستان و الديلم، قبل قيام الدولة العباسية، من شيعة على؛ و إنما بايعوا للعباسيين مجاراة لأبى مسلم أو خوفا منه ...» «۲».

و قال أحمد أمين: «... إن الفرس يجرى فى عروقهم التشيع ...» «۳».

و يقول الدكتور الشيبى: «... إن الفرس قد عادوا إلى التشيع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا، ثم المنصور، ثم الرشيد ...» «۴».

و يقول أحمد شلبى: «... إنه ربما كان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه يريد أن يحقق آمال الخراسانيين، الذين كانوا إلى أولاد على أميل ...» «۵».

ما هو سرّ تشيّع الايرانيين؟

يقول السيد أمير على، و هو يتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضية بنى فاطمة: «... و قد أظهر الامام على منذ بداية الدعوة الاسلامية

---

(۱) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى، جزء ۴ ص ۴۴۰.

(۲) نفس المصدر و المجلد، و الجزء ص ۲۳۲. و لا يهمنا هنا مناقشة جرجى زيدان فيما جعله سببا لبيعتهم للعباسيين، و لعل ما قدمناه فى فصل: قيام الدولة العباسية كاف فى ذلک ...

(۳) ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۵.

(۴) الصلة بين التصوف و التشيع ص ۱۰۱.

(۵) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۱۰۷.

كل تقدير، و مودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الاسلام. لقد كان سلمان الفارسى، و هو أحد مشاهير أصحاب الرسول، رفيق على و صديقه، و كان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه «النقدى» فى الانفال لافتداء الأسرى. و كثيرا ما أقنع الخليفة عمر بمشورته؛ فعمد إلى تخفيف عبء الرعية فى فارس. و هكذا كان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح ...» «۱».

و يرى فان فلوتن: ان من أسباب ميل الخراسانيين، و غيرهم من الايرانيين للعلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، و لا رأوا عدلا إلا فى زمن حكم الإمام على (ع) «۲» ...

أما الاستاذ على غفورى فيرى «۳»: أن الايرانيين كانوا قبل الاسلام يعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاكمة، و أن عليهم أن ينفذوا الأوامر من دون: كيف؟ و لما ذا؟. فجاء الإسلام بتعاليمه الفطرية السهلة السمحاء؛ فاعتنقوه بكل رضى و أمل، و بدأ جهادهم فى سبيل اقامة حكومة اسلامية حقيقية.

و بما أن أولئک الذين تسلموا زمام الامور- باستثناء الإمام على طبعا- كانوا منحرفين [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الامويين] عن الاسلام، و تعاليمه، و يحاولون تلبيس عاداتهم الجاهلية، حتى التمييز القبلى، و العرقى بلباس الاسلام، و اعطائها صفة القانونية و الشرعية ...

فان الايرانيين لم يجدوا أهداف الاسلام، و تعاليمه فى تلک الحكومات؛ و لهذا كان من الطبيعى أن يتوجهوا إلى على، و الأئمة من ولده، الذين تعدى الآخرون على حقوقهم بالخلافة، و الذين كان سلوكهم المثالى هو

---

(۱) روح الاسلام ص ۳۰۶.

(۲) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ...

(۳) يادبود هشتمين امام «فارسى».

ص: ۱۷۴

المرآة الصافية، التى تنعكس عليها تعاليم الإسلام و أهدافه، و يمثلون الصورة الحقيقية للاسلام على مدى التاريخ، و كان صدى علمهم، و زهدهم، و استقامتهم يطبق الخافقين، و خصوصا الصادق و الرضا، الذى اهتبل و الفرصة إبان الخلاف بين الأمين و المأمون لنشر تعاليم الإسلام، و تعريف الناس على الحقائق، التى شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلک الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، و تتعرف عليها الامة الإسلامية، و على فضائلها، و كمالاتها؛ لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزرى لأولئک الحكام، و المتزلفين لهم. و الذين كانوا يتحكمون بمقدرات الامة، و امكاناتها؛ و إذا أدركوا ذلک فان من الطبيعى أن لا يترددوا فى تأييد الأئمة، و مساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم؛ و لهذا فقد جهد الحكام فى أن يزووهم و يبعدوهم ما أمكنهم عن الناس، و وضعوهم تحت الرقابة الشديدة، و فى أحيان

كثيرة فى غياهب السجون ... حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التى كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوک و الظنون ...

عود على بدء:

و على كل حال ... فان ما يهمنا هنا هو مجرد الاشارة إلى تشيّع الايرانيين، الذى حاول المأمون أن يستغله لمصالحه و أهدافه ... حيث قد أثمرت و عود المأمون للخراسانيين، و تحببه لهم، و تقربه منهم، و تظاهره بالحب لعلى (ع) و ذريته، الثمار المرجوة منها؛ لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئک الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون، و يضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح، و انتهاء بالرشيد، الذى لم يستطع يحيى بن خالد البرمكى أن

ص: ۱۷۵

يسمع لعلوى ذكرا فى خراسان فى زمانه ... رغم أنه جهد كل الجهد من أجل ذلک، و فى سبيله، حسبما تقدم ...

كما أنهم- أعنى الخراسانيين- قد توسموا فى المأمون أن يكون المنقذ لهم من أولئک الولاة، الذين ساموهم شتى ضروب العسف، و الظلم و العذاب. و الذين لم يكن يهمهم غير مصالحهم، و ارضاء شهواتهم و ملذاتهم، يعلم ذلک بأدنى مراجعة للتأريخ ...

قد وثقوا إلى حد ما بوعود المأمون تلک، التى كان يغدقها عليهم، و على غيرهم بدون حساب، و أمنوا جانبه؛ فكانوا جنده، و قواده، و وزراءه المخلصين، الذين اخضعوا له البلاد، و أذلوا له العباد، و بسطوا نفوذه و سلطانه على كثير من الولايات و الأمصار، التى كان يطمح إلى الوصول إليها، و السيطرة عليها ...

كيف يثق العرب بالمأمون؟!

و هكذا إذن ... يتضح أن ميل المأمون للايرانيين ما كان إلا دهاء منه و سياسة، استغلها المأمون أحسن ما يكون الاستغلال، حتى استطاع أن يصل إلى الحكم، و يتربع على عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزيز على العباسيين و العرب، و قضى على اشياعه بسيوف غير العرب، و ذلک ذنب آخر لن يسهل على العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولى على بغداد رجلا غير عربى، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذى تكرهه بغداد و العرب كل الكره ...

ثم إنه بعد هذا كله جعل مقر حكمه مروا الفارسية، و ليس بغداد العاصمة العربية الاولى التى خربها و دمرها ... و كان ذلک من شأنه أن يثير المخاوف لدى العرب فى أن تتحول الإمبراطورية العربية إلى امبراطورية

ص: ۱۷۶

فارسية، و خصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذين أوصلوا المأمون إلى الحكم ... و قد اثبتوا جدارتهم، و أهليتهم فى مختلف المجالات، و خصوصا السياسة، و شئون الحكم.

قتل الأمين و خيبة الأمل:

و إن قتل الأمين، و إن كان يمثل- فى ظاهره- انتصارا عسكريا للمأمون إلا أنه كان فى الحقيقة ذا نتائج سلبية و عكسية بالنسبة للمأمون، و أهدافه، و مخططاته ... سيما بملاحظة الأساليب التى اتبعها المأمون للتشفى من أخيه الأمين، الذى كان قد أصدر الأمر لطاهر بالأمس بأن يقتله «۱» ... حيث رأيناه قد أعطى الذى جاءه برأس أخيه- بعد أن سجد للّه شكرا!!- ألف ألف «أى مليون» درهم «۲» ... ثم أمر بنصب رأس أخيه على خشبة فى صحن الدار، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه؛ فكان الرجل يقبض، و يلعن الرأس، و لم ينزله حتى جاء رجل فلعن الرأس، و لعن والديه، و ما ولدا، و أدخلهم فى «كذا و كذا» من أمهاتهم. و ذلک بحيث يسمعه المأمون؛ فتبسم، و تغافل؛ و أمر بحط الرأس «۳»!!.

و يا ليته اكتفى بكل ذلک ... بل إنه بعد أن طيف برأس الأمين بخراسان «۴»

---

(۱) لقد نص بعض المؤلفين فى كتابه الفارسى «يادبود هشتمين إمام» ص ۲۹ على أن المأمون: «لم يرض بقتل الأمين فحسب، بل أنه هو الذى أمر بقتله ...».

(۲) فوات الوفيات ج ۲ ص ۲۶۹، و الطبرى، طبع دار القاموس الحديث ج ۱۰ ص ۲۰۲، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۳، و حياة الحيوان ج ۱ ص ۷۲، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۱۶ المطبوع مع العيون و الحدائق.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۴، و تتمة المنتهى ص ۱۸۶ و الموفقيات ص ۱۴۰.

(۴) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۹۸.

ص: ۱۷۷

أرسل إلى ابراهيم بن المهدى يعنفه و يلومه على أنه أسف على قتل الأمين، و رثاه «۱»!! فما ذا ننتظر بعد هذا كله، و بعد ما قدمناه: أن يكون موقف العباسيين، و العرب، بل و سائر الناس منه ...

إن أيسر ما نستطيع أن نقوله هنا هو: أنه كان لقتله أخاه، و فعاله الشائنة تلک ... أثر سيّئ على سمعته، و من أسباب زعزعة ثقة الناس، به، و تأكيد نفورهم منه، سواء فى ذلک العرب، أو غيرهم ...

و قد استمر ذلک الأثر أعواما كثيرة، حتى بعد أن هدأت ثائرة الناس، و رجع إلى بغداد ...

فقد جلس مرة يستاک على دجلة، من وراء ستر؛ فمر ملاح، و هو يقول: «أ تظنون أن هذا المأمون ينبل فی عینی، و قد قتل أخاه؟!».

قال: فسمعه المأمون؛ فما زاد على أن تبسم، و قال لجلسائه:

«ما الحيلة عندكم، حتى أنبل فی عين هذا الرجل الجليل ...» «۲».

و قال له الفضل بن سهل، عند ما عزم على الذهاب إلى بغداد:

«ما هذا بصواب؛ قتلت بالأمس أخاک، و أزلت الخلافة عنه، و بنو أبيک معادون لک؛ و أهل بيتک و العرب ... إلى أن قال: و الرأی،

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۳.

(۲) تاريخ بغداد ج ۱۰ ص ۱۸۹، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۷۷، و تاريخ الخلفاء ص ۳۲۰، و روض الأخيار فی منتخب ربيع الأبرار ص ۱۸۶، و فوات الوفيات ج ۱ ص ۲۴۰.

ص: ۱۷۸

أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا، و يتناسوا ما كان من أمر أخيک ...» «۱».

المأمون فی الحکم:

و إذا ما أردنا أن نعطف نظرنا على ناحية أخرى فی سياسة النظام المأمونی؛ فإننا سوف نرى أنه لم يكن موفقا فی سياسته مع الناس، سواء فی ذلک العرب أو الإيرانيون، بالأخص أهل خراسان؛ حيث لم يحاول أن يتجنب سياسة الظلم و العسف و الاضطهاد، التی كان يمارسها أسلافه مع الرعية ... بل لعله زاد عليهم، و سبقهم أشواطا بعيدة فی ذلک.

أما سياسته مع العرب:

فالمأمون، و ان استطاع أن يصل الى الحكم إلا أنه فشل فی مهمة الفوز بثقة العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالاضافة إلى ما قدمناه تحت عنوان «كيف يثق العرب بالمأمون». ما نالهم منه، و من عماله، من صنوف العسف و الظلم- عدا عما فعلته فيهم تلک الحروب الطاحنة، التی شنها ضد أخيه الأمين- فان ذلک يفوق كل وصف، و يتجاوز كل تقدير؛

(۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۵، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۸، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۰.

هذا ... و تجدر الاشارة هنا: إلى أن بعض المحققین یری: أن قتل الأخ فی سبیل الملک، لم یکن من الامور التی یهتم لها الناس کثیرا فی تلک الفترة، و لا سیما إذا کان المقتول هو المعتدی اولا، و الأمین هنا هو المعتدی علی المأمون، بخلعه أولا، ثم بارساله جیشا إلی إیران لمحاربته، و الذی هزم علی ید طاهر بن الحسین.

و لکننا مع ذلک ... لا نزال نصر علی رأینا فی هذا المجال؛ سیما و أننا نری فی النصوص التاریخیة ما یدعم هذا الرأی و یقویه ...

حتی لقد وصف: «دیونیسیوس» جباة الخراج فی العراق فی سنة (۲۰۰ ه.) بأنهم: «قوم من العراق، و البصرة، و العاقولاء. و هم عتاة، لیس فی قلوبهم رحمة، و لا إیمان، شر من الأفاعی. یضربون الناس، و یحبسونهم. و یعلقون الرجل البدین من ذراع واحد، حتی یکاد یموت» «۱».

و الایرانیون أیضا لم یکونوا أحسن حالا:

و لم یکن حال الایرانیین من هذه الجهة بأفضل من حال أهل العراق.

و یذکره الجاحظ: أن المأمون ولی محمود بن عبد الکریم التصنیف «فتحامل علی الناس، و استعمل فیهم الأحقاد و الدمن؛ فخفض الأرزاق، و أسقط الخواص، و بعث فی الکور، و أنحی علی أهل الشرف و البیوتات، حسدا لهم، و إشفاء لغلیل صاحبه منهم، فقصد لهم بالمکروه و التعنت فامتنعت طائفة من الناس من التقدم إلی العطاء، و ترکوا أسماءهم، و طائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسین بخراسان، فسقط بذلک السبب بشر کثیر ...» «۲».

یقول الجنرال جلوب و هو یتحدث عن المأمون: «... و راح یلقی خطبته الاولی فی الناس؛ فیعدهم بأن یکون حکمه فیهم طبقا للشرع، و أن یکرس نفسه لخدمة اللّه وحده. و قد أثارت هذه الوعود التقیة حماسة عند الناس. و کانت من أهم أسباب انتصاره. لکن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلی فجیعة نزلت بالناس؛ إذ أن الخلیفة ما لبث أن نسیها ...» «۳».

(۱) الحضارة الاسلامیة فی القرن الرابع الهجری، لآدم متز ج ۱ ص ۲۳۲.

(۲) رسائل الجاحظ ج ۲ ص ۲۰۷- ۲۰۸.

(٣) امبراطورية العرب، ترجمة، و تعليق خيرى حماد ص ٥٧٠.

ص: ١٨٠

و يكفى أن نشير هنا إلى المجاعة التى أصابت أهل خراسان، و الرى، و أصبهان، و عزّ الطعام، و وقع الموت، و ذلک فى سنة ٢٠١ للهجرة ...

المأمون مع الرعية عموما:

و عن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

«... و لم يكن جور النظام العباسى و عسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الاموى المختل. و تذكرنا شراهة المنصور، و الرشيد، و المأمون، و جشعهم، و جور أولاد على بن عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج، و هشام، و يوسف بن عمر الثقفى. و لدينا البراهين الكثيرة على فجيعة الناس فى هذا العرش الجديد، و مقدار انخداعهم به ...»، ثم يضرب أمثلة من الخارجين على سياسات العباسيين تلک، ثم يقول: «... كل ذلک يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور و العسف لم يزل على ما كان عليه فى عهد بنى أمية الأول ...» «١».

قال ابن الجراح: إن ابراهيم بن المهدى كان: «يرمى المأمون بأمه «٢»، و إخوته، و أخواته، و من أيسر ذلک قوله:

صدّ عن توبة و عن إخبات / و لها بالمجون و القينات

ما يبالى إذا خلا بأبى عى / سى و سرب من بدّن أخوات

أن يغص المظلوم فى حومة الجو / ر بداء بين الحشا و اللهاة«٣»

---

(١) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ١٣٢.

(٢) و لكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!!. و لعله يريد أن أمه كانت متهمة، فكان يعير بها ...

(٣) الورقة، لابن الجراح ص ٢١، و لا بأس بمراجعة كتاب: أشعار أولاد الخلفاء.

ص: ١٨١

و ما يهمنا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملک إلا أن نقول: «أهل البيت أدرى بالذى فيه ...» ...

و على كل حال ... فإننا لا نستغرب على المأمون صفة الظلم و العسف و الجور ... بعد أن رأينا أنه عند ما عرضت عليه سيرة أبى بكر، و عمر، و عثمان، و على (ع)، يأبى أن يأخذ بها جميعا، لأنه كان يجد فى آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، و يضعونها فى حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذى أراد الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير؛ لأن فى آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، و يضعها كيف شاء ...، و قال المأمون حينئذ: «إن كان فهذا «۱»»!! و فى رسالة عبد اللّه بن موسى للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع فى أواخر هذا الكتاب.

و ما ذا بعد الوصول إلى الحكم:

و هكذا ... فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، و تخلص من من أشياعه و مساعديه، و بعد أن تؤتى الحملة الدعائية ضدهم ثمارها- كان يحسب و يقدر- أن الطريق يكون قد مهد له للاستقرار فى الحكم، و أنه سوف يستطيع بعد هذا أن يطمئن، و ينام قرير العين.

و لكن فأله قد خاب، و انقلبت ماجريات الامور فى غير صالحه؛ فإن الايرانيين قد: «انفضوا بعد الحرب الأهلية المفجعة بين الأمين و المأمون، عن

---

(۱) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۴۹۵.

تأييد العباسيين ..» «۱». انفضوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم و محبتهم، و تأييدهم؛ لأنهم يعرفون أنهم هم الذين يقيمون العدل، و يعملون بشريعة اللّه- و ما موقف نيسابور، و صلاتى العيد، إلا الدليل الواضح و القاطع على تلک العاطفة، و ذلک الحب و التقدير. و أيضا انفضوا عنه لأنه قد كشف لهم عن وجهه الحقيقى، و عرفهم بواقعه الأنانى البشع، و خصوصا بعد أن عانوا ما عانوا هم و غيرهم من صنوف الظلم و الجور و الاضطهاد، فى ظل نظام الحكم الذى طالما عملوا من أجله، و ضحوا فى سبيله ...

و حتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييدهم له، فإنه لا يستطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلک التأييد، و على ثقتهم به طويلا؛ فإنه كان من السهل- بعد أن فعل بأخيه و أشياعه، و غيرهم، ما فعل- أن يكتشفوا أن ذلک منه ما كان إلا سياسة و دهاء ... كما أنه أصبح من الصعب عليهم- بعد تجربتهم الاولى معه، و مع و عوده، التى ما أسرع ما نسيها- أن يقتنعوا منه بالأقوال التى لا تدعمها الأفعال، و لسوف لا يطمئنون إليه، و لن ينقادوا له- بعد هذا- بالسهولة التى كان يتوقعها ...

الموقف الصعب:

كانت تلک لمحة خاطفة عن موقف العباسيين، و العرب تجاه المأمون.

ذلک الموقف، الذى كان يزداد حساسية و تعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلک أيضا الخطر الذى كان يكمن فى موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، و سلموا إليه أزمة الحكم و السلطان ...

و إذا ما أضفنا إلى ذلک كله، موقف العلويين، الذين اغتنموا فرصة

---

(١) امبراطورية العرب ص ۶۴۹.

الصدام بينه و بين أخيه، لتجميع صفوفهم، و مضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع و الظروف، التى كان يعانى منها المأمون، و نظام حكمه آنذاک ... سيما و نحن نراه فى مواجهة تلک الثورات العارمة، و بالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، و التى كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحى مملكته ...

ثورات العلويين ... و غيرهم:

فأبو السّرايا- الذى كان يوما ما من حزب المأمون «١»- خرج بالكوفة. و كان هو و أتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، و لا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها «٢».

و يقال: إنه قد قتل من أصحاب السلطان، فى حرب أبى السرايا فقط، مائتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر «٣».

و حتى البصرة، معقل العثمانية «۴»، قد أيدت العلويين، و نصرتهم؛

---

(١) ففى الطبرى ج ١٠ ص ٢٣۶، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢۴۵، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ١٧٩، طبعة ثالثة: أن المأمون قال لهرثمة: «مالأت أهل الكوفة، و العلويين، و داهنت، و دسست إلى أبى السرايا، حتى خرج، و عمل ما عمل، و كان رجلا من أصحابک إلخ ...». و اتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩۴، و مقاتل الطالبيين ص ۵٣۵.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ۵۵٠، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣۴۵.

(۴) الصلة بين التصوف و التشيع ص ۱۷۳، و سيأتى كلام محمد بن على العباسى، المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب ...

ص: ۱۸۴

فقد خرج فيها زيد النار «۱»، و معه على بن محمد، كما خرج منها من قبل على المنصور ابراهيم بن عبد اللّه ...

و فى مكة، و نواحى الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذى كان يلقب ب: «الديباج» و تسمى ب: «أمير المؤمنين» «۲» ...

و فى اليمن: ابراهيم بن موسى بن جعفر ...

و فى المدينة: خرج محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن بن الحسين، ابن على بن أبى طالب ...

و فى واسط: التى كان قسم كبير منها يميل إلى العثمانية- خرج جعفر ابن محمد، بن زيد بن على. و الحسين بن ابراهيم، بن الحسن بن على ...

و فى المدائن: محمد بن اسماعيل بن محمد ...

بل إنک قد لا تجد قطرا، إلا و فيه علوى يمنى نفسه، أو يمنيه الناس بالثورة ضد العباسيين- حسبما نص عليه بعض المؤرخين- حتى لقد اتجه أهل الجزيرة، و الشام، المعروفة بتعاطفها مع الامويين،

---

(۱) سمى بذلک؛ لانه حرق دور العباسيين فى البصرة بالنار، و كان إذا اتى برجل من المسودة، أحرقه بثيابه ... على ما ذكره الطبرى ج ۱۱ ص ۹۸۶، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۷۷، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۴، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۳۴۶.

و فى الروايات أن الرضا عليه السلام أظهر الاستياء من فعل أخيه زيد. و لعل سبب ذلک أنه بالاضافة إلى أنه أقدم فى ثورته على أعمال تنافى أحكام الدين، و تضر إضرارا بالغا بقضية العلويين العادلة ... كان يمالىء الزيدية، ... أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زيد، و ابعاد التهمة عن نفسه؛ بأنه هو المدبر لأمر أخيه أو لعل كل ذلک قد قصد ...

(۲) و ليس فى العلويين- باستثناء الامام على (ع) طبعا- قبله، و لا بعده، من تسمى ب «أمير المؤمنين» غيره؛ كما فى مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹.

و «الديباجة» لقب لأكثر من واحد من العلويين ...

ص: ۱۸۵

و آل مروان ... إلى محمد بن محمد العلوى، صاحب أبى السرايا؛ فكتبوا إليه: أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا؛ ليسمعوا له، و يطيعوا «۱» ...

و أما ثورات غير العلويين، فكثيرة أيضا، و قد كان من بينها ما يدعو إلى: «الرضا من آل محمد»، كثورة الحسن الهرش سنة ۱۹۸ «۲» ه.

و سواها و لا مجال لنا هنا للتعرض إليها. و من أرادها فعليه بمراجعة الكتب التاريخية المعترضة لها «۳» ...

الزعيم العباسى الأول يعترف:

هذا مع أن أكثر تلك الأقطار لم تكن تؤيد العلويين، و لا تدين لهم بالولاء باعتراف الزعيم العباسى الأول: محمد بن على بن عبد اللّه، والد ابراهيم الامام، حيث قال لدعاته:

«... أما الكوفة و سوادها: فهناک شيعة على، و ولده. و أما البصرة، و سوادها: فعثمانية، تدين بالكف. و أما الجزيرة: فحرورية مارقة،

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۵۳۴ ... راجع فى بيان ثورات العلويين: البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۴، إلى ص ۲۴۷، و اليعقوبى ج ۳ ص ۱۷۳، ۱۷۴، و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹، ۴۴۰، و مقاتل الطالبيين، و الطبرى، و ابن الأثير، و أى كتاب تاريخى شئت؛ لترى كيف أن الثورات فى الفترة الاولى من عهد المأمون، قد عمت جميع الأقطار و الامصار ...

(۲) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۴، و الطبرى ج ۱۱ ص ۹۷۵، طبع ليدن.

(۳) و قد تغلب حاتم بن هرثمة على أرمينية، و كان هو السبب فى خروج بابک الخرمى.

و تغلب نصر بن شبث على كيسوم، و سميساط، و ما جاورها، و عبر الفرات إلى الجانب الشرقى، و كثرت جموعه، و لم يستسلم إلا فى سنة ۲۰۷ ه. و هناک أيضا حركات الزط. و ثورة بابک، و ثورة المصريين التى كانت بين القيسية المناصرة للأمين و اليمانية المناصرة للمأمون. إلى غير ذلک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

و أعراب كأعلاج، و مسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى. و أما الشام:

فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان، و طاعة بنى مروان، عداوة راسخة، و جهل متراكم. و أما مكة و المدينة: فغلب عليهما أبو بكر، و عمر؛ و لكن عليكم بأهل خراسان الخ ...» «۱».

و نقل عن الأصمعی أیضا کلام قریب من هذا «۲» ...

دلالة هامة:

و من بعض ما قدمناه فی الفصول المتقدمة، سیما فصل: موقف العباسیین من العلویین، و أیضا مما ذکرناه هنا نستطیع أن نستکشف أن حق العلویین بالخلافة و الحکم، قد أصبح من الامور المسلمة لدی الناس، فی القرن الثانی، الذی یعد من خیر القرون ... حیث لم تکن عقیدة عامة الناس قد استقرت بعد علی هذه العقیدة المتداولة لدی أهل السنة الیوم، و التی أشرنا إلی أنها العقیدة التی وضع أسسها معاویة ... و علیه ...

فما یدعیه أهل السنة الیوم من أن عقیدتهم فی الخلافة قد وصلت إلیهم یدا بید، إلی عصر النبی (ص) غیر صحیح علی الاطلاق. بل إن الشیخ محمد عبده یری: ان رسوخ عقیدة «ان حق الخلافة لأهل البیت، و شیوع ذلک فی العرب خاصة». هو الذی دعا المعتصم إلی تشیید ملکه علی الترک، و غیرهم من العجم، یقول الشیخ محمد عبده: «کان الإسلام دینا عربیا، ثم لحقه العلم فصار علما عربیا، بعد أن کان

---

(۱) البلدان للهمدانی ج ۲ ص ۳۵۲، و أحسن التقاسیم للمقدسی ص ۲۹۳، و عیون الأخبار لابن قتیبة ج ۱ ص ۲۰۴، و السیادة العربیة، و الشیعة و الاسرائیلیات ص ۹۳، و لا بأس بمراجعة: الحضارة الاسلامیة فی القرن الرابع الهجری ج ۱ ص ۱۰۲.

(۲) روض الأخیار، المنتخب من ربیع الأبرار ص ۶۷، و العقد الفرید، طبع دار الکتاب العربی ج ۶ ص ۲۴۸.

یونانیا، ثم أخطأ خلیفة فی السیاسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبیلا إلی ما کان یظنه خیرا: ظن أن الجیش العربی قد یکون عونا لخلیفة علوی؛ لأن العلوی الصق ببیت النبی (ص)؛ فأراد أن یتخذ له جیشا أجنبیا من الترک و الدیلم و غیرهم من الامم التی ظن أنه یستعبدها بسلطانه، و یصطنعها باحسانه؛ فلا تساعد الخارج علیه، و لا تعین طالب مکانه من الملک ...» «۱».

عود علی بدء:

و علی کل حال ... فإننا إذا أردنا تقییم تلک الثورات، التی کانت تواجه الحکم العباسی، فإننا سوف نجد: أن ما کان یکمن فیه الخطر الحقیقی هو ثورات العلویین، لانها کانت تظهر فی مناطق حساسة جدا فی الدولة؛ و لأنها کانت بقیادة أولئک الذین یمتلکون من قوة الحجة، و الجدارة الحقیقیة، ما لیس لبنی العباس فیه أدنی نصیب ...

و كان فی تأیید الناس لهم، و استجابتهم السریعة لدعوتهم دلالة واضحة علی شعور الامة، بمختلف طبقاتها، و فئاتها تجاه حکم العباسیین، و نوعیة تفکیرها تجاه خلافتهم، و علی مدی الغضب الذی کان یستبد بالنفوس؛ نتیجة استهتار العباسیین، و ظلمهم، و سیاساتهم الرعناء، مع الناس عامة، و مع العلویین بشکل خاص ...

و قد کان المأمون یعلم أکثر من أی شخص آخر، کم سوف یکون حجم الکارثة، لو تحرک الإمام الرضا- الذی اهتبل فرصة الحرب بینه و بین أخیه، لتحکیم مرکزه، و بسط نفوذه ضد الحکم القائم ...

---

(۱) الاسلام و النصرانیة للشیخ محمد عبده.

الناس لم یبایعوا المأمون کلهم بعد:

و بعد کل ما تقدم ... فإن من الأهمیة بمکان، أن نشیر هنا، إلی أن العلویین، و قسما کبیرا من الناس، بل و عامة المسلمین، لم یکونوا قد بایعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد؛ فحالهم فی الخلاف علیه أشهر من أن یذکر، و قد قدمنا فی أول هذا الفصل عبارته فی رسالته، التی کان قد أرسلها للعباسیین فی بغداد ...

و أما أهل الکوفة- التی کانت دائما شیعة علی و ولده- فلم یبایعوا له، بل بقوا علی الخلاف علیه، إلی أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسی، یدعوهم، فقعدوا عنه، و لم یجبه إلا البعض منهم؛ و قالوا: «إن کنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخیک؛ فلا حاجة لنا فی دعوتک، و إن کنت تدعو إلی أخیک، أو بعض أهل بیتک، أو إلی نفسک؛ أجبناک ...» «۱».

و یلاحظ هنا: کیف قد اختیر رجل علوی، و أخو الإمام الرضا (ع) بالذات؛ لیرسل إلی الکوفة، المعروفة بالتشیع للعلویین ... و یلاحظ أیضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما کان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسی.

و أما أهل المدینة، و مکة، و البصرة، و سائر المناطق الحساسة فی

---

(۱) الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۹۰، و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العیون و الحدائق ص ۴۳۹. و فی تاریخ الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۲۰، طبع لیدن، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۸: أنه قد أجابه قوم کثیر منهم، و لکن قعد عنه الشیعة و آخرون ...

لكن ظاهر حال الكوفة التى كانت دائما شيعة على و ولده هو أن المجيبين له كانوا قلة ...

كما ذكر ابن الأثير.

ص: ١٨٩

الدولة، فقد تقدم ما يدل على حقيقة موقفهم منه، و من نظام حكمه ...

و قد كتب المأمون نفسه بخط يده، فى وثيقة العهد للامام يقول:

«... و دعا أمير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و قواده، و خدمه؛ فبايعوا مسارعين ... إلى أن قال: فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قواده، و جنده، و عامة المسلمين لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده، على بن موسى ...» و الوثيقة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

فقوله: «لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده ...» يدل دلالة واضحة على أن عامة المسلمين ما كانوا قد بايعوا بعد: «لأمير المؤمنين»، فضلا عن: «أهل المدينة المحروسة ...».

و حتى لو أنهم كانوا قد بايعوا له؛ فان بيعتهم هذه، وجودها كعدمها؛ إذ أن عصيانهم، و تمردهم عليه، و على حكمه، لم يكن ليخفى على أحد ... بعد ما قدمناه من ثوراتهم تلك، التى كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كان كلما قضى على واحدة منها تظهر أخرى داعية لما كانت تدعو إليه تلك، أى إلى: «الرضا من آل محمد»، أو إلى أحد العلويين، الذين يشاهد المأمون عن كثب قدرتهم، و قوتهم، و نفوذهم الذى كان يتزايد باستمرار يوما عن يوم ... و لم تستقم له فى الحقيقة سوى خراسان ...

نعم بعد أن عاد إلى بغداد، و كان قد قوى أمره، و اتسع نفوذه، بدأ الناس يبايعونه فى الاقطار، و يتعللون بأن امتناعهم إنما كان ظاهريا، و أنهم كانوا فى السر معه، و على ولائه، على ما صرح به اليعقوبى فى تاريخه ...

ص: ١٩٠

المأمون يدرک حراجة الموقف:

تلک هى باختصار حالة الحكم العباسى بشكل عام، و حالة المأمون، و ظروفه فى الحكم بشكل خاص ... فى تلك الفترة من الزمن ... و قد اتضح لنا بجلاء: أن الوضع كان بالنسبة إلى المأمون، و نظام حكمه، قد ازداد سوءا، بعد وصول المأمون إلى الحكم، و تضاعفت الأخطار، التى كان يواجهها، و أصبح- هو و عرشه- فى مهب الريح، و تحت رحمة الأنواء ... و إذا كان ليس من الصعب علينا: أن نتصور مدى الخطر الذى كان يتهدد المأمون، و خلافته، و بالتالى مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام ... فإنه من الطبيعى أن لا يكون من الصعب على المأمون أفعى الدهاء و السياسة أن يدرک- بعمق، إلى أى حد كان مركزه

ضعيفا، و موقفه حرجا؛ حيث إنه هو الذى كان يعيش- أكثر من أى إنسان آخر- فى ذلک الخضم الزاخر بالمشاكل، و المتاعب، و الأخطار.

و خصوصا و هو يواجه الثورات، و بالأخص ثورات العلويين، أقوى خصوم الدولة العباسية، تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحى مملكته ... كما أنه لم يكن ليصعب عليه أن يدرک أن الكثير من المشاكل التى يعانى منها إنما كان نتيجة السياسات الرعناء، التى انتهجها اسلافه، مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة. و أن يدرک أن الاستمرار فى تلک السياسة. أو حتى مجرد الإهمال، و التوانى فى علاج الوضع، سوف يكون من ابسط نتائجه أن تلقى خلافة العباسيين على ايدى العلويين نفس المصير الذى لقيته خلافة الامويين على أيدى أسلافه من قبل ...

ما ذا يمكن للمأمون أن يفعل:

و لكن ... و بعد أن نجح المأمون فى الوصول إلى ما كان يتمناه، و هو

ص: ١٩١

الحكم و السلطان، و إذا كان لا يرضى به بنو أبيه، و لا العلويون، و لا العرب، و إذا كان حتى غير العرب، ضعفت ثقتهم به، و تزعزع مركزه فى نفوسهم.

و أيضا ... إذا كانت ثورات العلويين، فضلا عن غيرهم ... تظهر من كل جانب و مكان ... و إذا كان الكثيرون، بل عامة المسلمين لم يبايعوا له بعد ... و هكذا إلى آخر ما تقدم ... فهل يمكن للمأمون أن يقف تجاه كل تلک العواصف، و الانواء التى تتهدده، و نظام حكمه، مكتوف اليدين؟!.

و ما ذا يمكن للمأمون بعد هذا أن يفعل، ليبقى محتفظا بالحكم و السلطان، الذى هو أعز ما فى الوجود عليه؟! ...

هذا- ما سوف نحاول الاجابة عليه فى الفصل التالى.

ص: ١٩٢

ظروف البيعة و أسبابها

إنقاذ الموقف!!. كيف؟!

قد قدمنا فى الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون فى الحكم، و أشرنا إلى أن الوضع كان يزداد سوءا يوما عن يوم ... و إلى أنه كان لا بد للمأمون من التحرک، و العمل بسرعة، شرط أن لا يزيد الفتق اتساعا، و الطين بلة ... و أن يستعمل كل ما لديه من حنكة و دهاء، فى سبيل انقاذ نفسه، و نظام حكمه، و خلافة العباسيين بشكل عام ...

و كان المأمون يدرک: أن إنقاذ الموقف يتوقف على:

١- إخماد ثورات العلويين، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام و التقدير، و لهم نفوذ واسع فى جميع الفئات و الطبقات ...

٢- أن يحصل من العلويين على اعتراف بشرعية خلافة العباسيين، و ليكون بذلک قد افقدهم سلاحا قويا، لن يقر له قرار، إلا إذا افقدهم إياه ...

٣- استئصال هذا العطف، و ذلک التقدير و الاحترام، الذى كانوا يتمتعون به، و كان يزداد يوما عن يوم- استئصاله- من نفوس الناس نهائيا، و العمل على تشويهم أمام الرأى العام، بالطرق، و الأساليب

ص: ١٩٣

التى لا تثير الكثير من الشكوک و الشبهات؛ حتى لا يقدرون بعد ذلک على أى تحرک؛ و لا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم؛ و ليكون القضاء عليهم بعد ذلک نهائيا- سهلا و ميسورا ...

۴- اكتساب ثقة العرب و محبتهم ...

۵- استمرار تأييد الخراسانيين، و عامة الايرانيين له.

۶- إرضاء العباسيين، و المتشيعين لهم، من أعداء العلويين.

٧- تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذى كان لقتله أخاه أثر سيّئ على سمعته، و ثقة الناس به ...

٨- و أخيرا ... أن يأمن الخطر الذى كان يتهدده من تلک الشخصية الفذة، التى كانت تملأ جوانبه فرقا، و رعبا. و أن يتحاشى الصدام المسلح معها. ألا و هى شخصية الإمام الرضا (ع)، و أن يمهد الطريق للتخلص منها، و القضاء عليها، قضاء مبرما، و نهائيا ...

لا بد من الاعتماد على النفس:

و بعد هذا ... فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:

لم يكن يستطيع أن يستعين فى مواجهة تلک المشاكل بالعباسيين، بنى أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، و على العرب، و بعد مواقفه، التى تقدم بيان جانب منها تجاههم ... و أيضا ...

بعد أن كانوا لا يثقون به، و لا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه ...

و الأهم من ذلک أنه لم یکن فیهم الرجال الکفاة، الذین یستطیع

ص: ۱۹۴

أن یعتمد علیهم «۱». یدلنا علی ذلک أنهم بعد أن ثاروا علی المأمون، بسبب بیعته للرضا علیه السلام، لم یجدوا فیهم شخصا أعظم، و أکفأ من ابن شکلة المغنی، فبایعوه، مع أنه من أصحاب المزامیر و البرابط ...

و فیه یقول دعبل:

نعر ابن شکلة بالعراق و أهله	فهفا إلیه کل أطلس مائق
إن کان ابراهیم مضطلعا بها	فلتصلحن من بعده لمخارق
و لتصلحن من بعد ذاک لزلزل	و لتصلحن من بعده للمارق
أنی یکون، و لیس ذاک بکائن	یرث الخلافة فاسق عن فاسق«۲»

کما أنه عند ما أصبح ابراهیم هذا خلیفة، قال بعض الأعراب، عند ما جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخلیفة لیعطی الجند، الذین ألحوا فی طلب اعطیاتهم، قال: «فلیخرج الخلیفة إلینا، فلیغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتکون عطاءهم، و لأهل هذا الجانب مثلها ...»

فقال فی ذلک دعبل- شاعر المأمون- یذم ابراهیم بن المهدی:

یا معشر الاجناد لا تقنطوا	خذوا عطایاکم، و لا تسخطوا
فسوف یعطیکم حنینیة	لا تدخل الکیس، و لا تربط
و المعبدیات لقوادکم	و ما بها من أحد یغبط
فهکذا یرزق أصحابه	خلیفة مصحفه البربط«۳»

(۱) و قد کان بینهم الکثیرون فی أول عهد الدولة العباسیة ... و نقصد ب «الکفاءة» هنا:

الكفاءة الظاهرية، التى يقرها منطق الجبارين المتغطرسين. لا الكفاءة الحقيقية التى يريدها اللّه، و جاء بها محمد. و قد أشرنا إلى ذلک من قبل.

(۲) وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ه ج ۱ ص ۸، و الورقة لابن الجراح ص ۲۲، و معاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۵، و الشعر و الشعراء ص ۵۴۱، و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۳۰، و الأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح ...

(۳) معاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۵، ۲۰۶، و شرح ميمية أبى فراس ص ۲۸۱، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۹۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، و الغدير ج ۲ ص

ص: ۱۹۵

و إذا كان لا يستطيع أن يستعين ببنى أبيه العباسيين، فبالأحرى أن لا يستطيع أن يستعين على حلّ مشاكله بالعلويين، و المتشيعين لهم، بعد أن كانوا هم أساس البلاء و العناء له، و الذين يخلقون له أعظم المشاكل، و يضعون فى طريق حكمه أشق العقبات ...

و أما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقة موقفهم منه ...

و الخراسانيون: لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته و واقعه الانانى البشع، بقتله أخاه، و إبعاده طاهرا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: «و لقد ذكره الرضا بذلک، عند ما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاک ...».

ثم هناک ما تعرضوا له من ظلم و حيف

أى الاساليب أنجع:

و بعد ذلک ... فانه من الواضح أنه:

لم يكن لينقذ الموقف القسوة و العنف، و هو الذى يعانى المأمون من نتائجه السيئة ما يعانى ...

و لا المنطق و الحجاج، لأن العلويين- بناء على ما شاع عند الامة، بتشجيع من خلفائها، من أن السبب فى استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية منه (ص)- إن العلويين بناء على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنهم يمتلكون اعترافا صريحا منهم بأن المستحق للخلافة هو

۳۷۷، و الأغانى ج ۱۸ ص ۶۸، و ص ۱۰۱ طبع دار الفكر، و الورقة لابن الجراح ص ۲۲، و نزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۴، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶.

و الحنينيات: منسوبة إلى حنين النجفى العبادى، المغنى المشهور. و المعبديات:

منسوبة إلى معبد المغنى المشهور. و البربط: ملهاة، تشبه العود. و هو فارسى معرب. و أصله: بربت؛ لأن الضارب يضعه على صدره ... انتهى عن نزهة الجليس ...

ص: ١٩٦

الأقرب نسبا إلى النبى (ص) ...

هذا ... و إذا ما أراد العباسيون، أو غيرهم الاحتجاج بالأهلية و الجدارة لقيادة الامة، فان العلويين لا يدانيهم أحد فى ذلک، و ذلک لما كانوا يتمتعون به من الجدارة و الاهلية الذاتية لقيادة الامة قيادة صالحة و سليمة ...

و أما النص فمن هو ذلک الذى يجرأ على الاستدلال به، و هو يرى أنه كله فى صالح آل على، و أئمة أهل البيت منهم بالخصوص.

و هكذا ... نرى و يرى المأمون: أنه لم يكن لينقذ الموقف أى من تلک الأساليب، و لا غيرها من الطرق و الاساليب الملتوية، و اللاإنسانية، التى اتبعها أسلافة من قبل ...

و إذن ... فلا بد و أن يعود السؤال الأول ليطرح نفسه بكل جدية.

و السؤال هو: ما ذا يمكن للمأمون إذن أن يفعل؟! و كيف يقوى من دعائم حكمه، الذى هو بالنسبة إليه كل شىء، و ليس قبله، و لا بعده شىء ... حتى لا يطمع فيه طامع، و لا تزعزعه العواصف، و لا تنال منه الأنواء، مهما كانت هو جاء و عاتية؟! ...

خطة المأمون:

و كان أن اتبع المأمون من أجل انقاذ موقفه، الذى عرفت أنه يتوقف على نقاط ثمانية ... و من أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، و أن تبقى فى بنى أبيه- كان أن اتبع- أسلوبا جديدا، و غريبا، لم يكن مألوفا، و لا معروفا من قبل ... و أحسب أنه لم يتوصل إليه إلا بعد تفكير طويل، و تقييم عام و شامل للوضع الذى كان يعيشه، و المشاكل التى كان يواجهها ...

لقد كانت خطته غريبة و فريدة من نوعها، و كانت فى غاية الاتقان، و الاحكام فى نظره ...

ص: ١٩٧

فبينما نراه من جهة:

لا يذكر أحدا من الخلفاء، و لا غيرهم من الصحابة بسوء، بل هو يتخرج حتى من المساس بغير الصحابة، و حتى بأولئک الذين كان حالهم فى الخروج على الدين، و تعاليم الشريعة، معروفا و مشهورا «كالحجاج ابن يوسف»! و ذلک من أجل أن لا يثير عواطف أولئک الذين يلتقى معهم فكريا و سياسيا، و مصلحيا. و الذين سوف يكونون له فى المستقبل الدرع الواقى، و الحصن الحصين ...

فاستمع إليه يقول- كما يروى لنا التغلبى المعاصر له: «... و ظنوا أنه لا يجوز تفضيل على إلا بانتقاص غيره من السلف! و اللّه، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف؛ فكيف بالسلف الطيب؟!» «۱».

و كذلک نراه يركن إلى رأى يحيى بن أكثم، الذى قال له- عند ما أراد الاعلان بسبب معاوية على المنابر-: «و الرأى أن تدع الناس كلهم على ما هم عليه، و لا تظهر أنک تميل إلى فرقة من الفرق؛ فإن ذلک أصلح فى السياسة، و أحرى فى التدبير ...»، ثم يدخل عليه ثمامة؛ فيقول له المأمون: «يا ثمامة، قد علمت ما كنا دبرناه فى معاوية.

و قد عارضنا رأى هو أصلح فى تدبير المملكة، و أبقى ذكرا فى العامة الخ ...» «۲».

و أيضا ... نرى شعره الذى يرويه لنا غير واحد:

أصبح دينى الذى أدين به و لست منه الغداة معتذرا

حب على بعد النبى و لا أشتم صديقا و لا عمرا

---

(۱) عصر المأمون ج ۱ ص ۳۶۹، نقلا عن: تاريخ بغداد، لابن طيفور ج ۶ ص ۷۵.

(۲) المحاسن و المساوى ص ۱۴۱، و ضحى الاسلام ج ۲ ص ۵۸، و ج ۳ ص ۱۵۲، ۱۵۶، و عصر المأمون ج ۱ ص ۳۷۱، و الموفقيات ص ۴۱، و كتاب بغداد ص ۵۴.

ثم ابن عفان فى الجنان مع الابرار ذاک القتيل مصطبرا

ألا و لا أشتم الزبير و لا طلحة إن قال قائل غدرا

و عائش الام لست أشتمها من يفتريها فنحن منه برا«۱»

و نراه أيضا يتجسس على عبد اللّه بن طاهر؛ ليعلم: هل له ميل إلى آل أبى طالب أولا «۲».

و نراه يقدم على قتل الرضا (ع)، و إخوته، و آلاف من العلويين غيرهم، و يصدر أمرا لامرائه، و قواده بالقضاء عليهم، و فض جمعهم، بعد أن منعهم من ملاقاته، و من الدخول عليه كما سيأتى.

و نراه كذلک ... يرسل إلى عامله على مصر، يأمره بغسل المنابر، التى دعى عليها لعلوى (هو الإمام الرضا (ع)) ... إلى غير ذلک مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه ...

بينما نراه كذلک ...

نراه من جهة ثانية

يقدم على الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بن أبى سفيان بخير أى أنه أراد أن يجعل تفضيل على (ع)، و البراءة من معاوية دينا رسميا، يحمل الناس كلهم عليه، كما كان الحال بالنسبة لقضية خلق القرآن ...

و الاعلان بسب معاوية، و إن كان الاقدام عليه فى سنة ۲۱۲ ه.

لكن تفضيله عليا، على جميع الخلق، و تقربه لولده، و إظهاره التشيّع

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۷۷، و فوات الوفيات ج ۱ ص ۲۴۱، ما عدا البيت الرابع.

(۲) الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۹۴، طبع ليدن، و العقد الفريد للملک السعيد ص ۸۴، ۸۵.

و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العيون و الحدائق ص ۴۶۱.

ص: ۱۹۹

و الحب لهم «۱» إنما كان من أول أيامه ... يدلنا على ذلک أمور كثيرة، و يكفى هجاء ابن شكلة له، و هجاؤه لابن شكلة شاهدا على ذلک ...

فضلا عن الكثير من الامور الاخرى غيره.

ثم نراه بعد ذلک يبيح المتعة، و يصف الخليفة الثانى، عمر بن

(۱) قال فى النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۲۰۱، ۲۰۲، و مثله فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۸، و غيرهما: «أن المأمون كان يبالغ فى التشيع، و يقول: إن أفضل الخلق بعد النبى على بن أبى طالب. و أمر أن ينادى ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير، لكنه لم يتكلم فى الشيخين بسوء بل كان يترضى عنهما، و يعتقد إمامتهما ...».

و هذا بعينه هو مذهب معتزلة بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، و بشر بن غياث المريسى و غيرهما من معتزلة بغداد، حتى لقد قال بشر المريسى المعتزلى المعروف على ما فى البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۷۹:

قد قال مأموننا و سيدنا	قولا له فى الكتب تصديق
إن عليا أعنى أبا حسن	خير من قد أقلت النوق
بعد نبى الهدى، و إن لنا	أعمالنا و القرآن مخلوق

و صرح بأنه يذهب مذهب المعتزلة كثيرون، فليراجع: البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۷۵، و ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۵، و امبراطورية العرب ص ۶۰۰، و غيرهم، بل لقد قال خيرى حماد، فى تعليقته على ص ۶۰۱ من امبراطورية العرب:

«أجمعت كتب التاريخ العربى على أن المأمون مال إلى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب إليه إلخ ...». و يدل على ذلک أيضا أقوال. و أشعار المأمون المتقدمة ... و لعل وصف بعض المؤرخين له بالتشيع هو الذى أوهم البعض بأن المأمون كان يتشيع بالمعنى المعروف للتشيع، فجزم بذلک، و بدأ يحشد الدلائل، و الشواهد، التى لا تسمن، و لا تغنى من جوع، و قد غفل عن أنهم يقصدون بكلمة «التشيع» المعنى اللغوى، لا المعنى الخاص المعروف الآن ...

و بعد ... فان من الواضح: أن عقيدة المأمون تلک، لم تكن تثمر على الصعيد العملى العام؛ فانه كان من السياسيين، الذين لا ينطلقون فى سلوكهم، و مواقفهم الخارجية من منطلقات عقائدية، و مفاهيم انسانية ... و انما يكون المنطلق لهم فى مواقفهم، و تصرفاتهم، هو- فقط- مصالحهم الشخصية، و ما له مساس فى استمرار فرض سلطتهم، و تأكيد سيطرتهم ...

ص: ۲۰۰

الخطاب ب «جعل» «۱»، أو نحو ذلک ...

و نراه أيضا أنه عند ما سأل أصحابه عن: أنبل من يعلمون نبلا، و أعفهم عفة، فقال له على بن صالح: «أعرف القصة فى عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، و أعرض، و ذكر كلاما ليس من جنس هذا الكتاب، فنذكره، إلخ ...» «۲» على حد تعبير البيهقى ... و ذكر طيفور: أن أبا عمر الخطابى دخل على المأمون؛ فتذاكروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا أنه غصبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يكون الغصب الا بحق يد فهل كانت لكم يد، قال فسكت المأمون عنه، و احتملها له «۳».

و لكن اعتراض الخطابى اعتراض بارد و توجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال؟ أم هى حق جعله اللّه لهم؟ و لا ندرى سر سكون المأمون عنه، و احتماله منه، إلا ما قدمناه ...

بل إن الأهم من ذلک کله ... أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، و غيرهم من الصحابة بأنهم: «ملحدين»، ناسيا، أو متناسيا كل أقواله السابقة، و خصوصا شعره، و قوله: إنه يتحرج حتى من تنقص

---

(۱) وفيات الأعيان ترجمة يحيى بن أكثم ج ۲/ ۲۱۸ ط سنة ۱۳۱۰ ه. و السيرة الحلبية ج ۳/ ۴۶ و النص و الاجتهاد ص ۱۹۳، و فى قاموس الرجال ج ۹/ ۳۹۷، نقلا عن الخطيب فى تاريخ بغداد: أنه كان يقول: «و من أنت يا أحول الخ ...»، و لا يخفى أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع؛ فحرفوها إلى ما ترى ...

هذا ... و قد يرى البعض: أن تفضيله عليا، و أعلانه بسبب معاوية، و إباحته المتعة، و قوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، و صرف الناس عن التفكير بالخلافة، التى هى أعز ما فى الوجود عليه، و التى ضحى من أجلها بأخيه، و أشياعه، و وزرائه، و قواده ... و كذلک من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، و ابعادهم عنهم ... و لعل هذا الرأى لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التى تؤيده، و تدعمه.

(۲) المحاسن و المساوى ص ۱۵۰.

(۳) كتاب بغداد ص ۵۱.

ص: ۲۰۱

الحجاج، فكيف بالسلف الطيب، فاستمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقى، و الظاهر انها جواب على ابيات ابن شكلة لانها على نفس الروى، و الوزن، و الموضوع- يقول المأمون:

و من غاو يغص على غيظا إذا أدنيت أولاد الوصىّ

يحاول أن نور اللّه يطفى و نور اللّه فى حصن أبىّ

فقلت: أ ليس قد أوتيت علما و بان لک الرشيد من الغوى

و عرفت احتجاجى بالمثانى و بالمعقول و الأثر الجلى«۱»

بأية خلة، و بأى معنى تفضل «ملحدين» على «علىّ«

على أعظم الثقلين حقا و أفضلهم سوى حق النبىّ«۲»

بل و زاد على ذلک و ضرب العقيدة التى تقدم أن العباسيين قد اتوا بها لمقابلة العلويين و روجوا لها من أن الحق كان للعباس، و انه أجاز عليا، فصحت خلافته و ذلک بأن اظهر تقديم على على العباس فقد قال السندى بن شاهک للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

«سمعته اليوم قدم على بن أبى طالب على العباس بن عبد المطلب، و ما ظننت أنى أعيش حتى اسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل له:

تعجب من هذا؟ هذا و اللّه كان قول أبيه قبله» «۳». و لكن الظاهر:

أن أباه كان يكتم ذلک حتى خفى على مثل السندى المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلک، و إظهاره.

و هكذا ... فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصرفاته المتقدمة أى تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها فى نظره صحيحة، و منطقية؛ لأنها كانت فى ظروف مختلفة، و كان لا بد له من مسايرة تلک

---

(۱) القوى خ ل.

(۲) المحاسن و المساوى، طبع دار صادر ص ۶۸. و طبع مصر ج ۱/ ۱۰۵.

(۳) كتاب بغداد ص ۷.

ص: ۲۰۲

الظروف، و الانسجام معها، فلا مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، و يتظاهر باكرامهم، و تقديرهم ... فى يوم ... ثم منعهم من الدخول عليه، و اضطهادهم، و قتلهم بالسم تارة، و بالسيف أخرى فى يوم آخر ... و هكذا ...

و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى.

و لكن ذلک وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، و لا لتحقيق كافة الأهداف، التى قدمنا، و سيأتى شطر منها ...

فكانت خطوته التالية غريبة و مثيرة فى نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاک بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية.

ألجأته إليها الظروف و الأحداث ... و تلک الخطوة هى:

«أخذ البيعة للامام على الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده ...»

و جعله أمير بنى هاشم طرا، عباسيهم، و طالبيهم «۱»، و ليس الخضرة ...

لم يبق إلا خيار واحد:

و من نافلة القول هنا: أن نقول: إن ذلک يدل على فهم المأمون للداء؛ مما ساعده على معرفة الدواء، الذى تجرعه المأمون- رغم مرارته القاسية، التى لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة و طمأنينة و هناء- تجرعه- بكل رضا، و رجولة، و شجاعة ...

إن المأمون- على ما أعتقد- و إن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، و من أسرة هى أقوى و أخطر المنافسين للحكم العباسى فى

(۱) غاية الاختصار ص ۶۸.

تلک الفترة ... و لكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أى خيار فى ذلک ...

إلا إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلک الواقع المزرى الذى وصلت إليه خلافته، التى أصبحت ظلا، لا يلبث أن تلتهمه أشعة الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب ...

ما الحيلة له ... بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية و القواد، و لن تستقيم له الامور إلا إذا أقدم على مثل تلک اللعبة الجريئة ...

و لقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للامام كانت من تدبير الفضل بن سهل- صرح بقوله: «... و يحک يا ريان، أ يجسر أحد أن يجىء إلى خليفة، قد استقامت له الرعية، و القواد. و استوت له الخلافة؛ فيقول له: ادفع الخلافة من يدک الى غيرک؟. أ يجوز هذا فى العقل؟! «۱» ...».

مع رسالة الفضل بن سهل للامام:

و كاتب الامام، و ألح عليه، و كاتبه الفضل بن سهل أيضا ... و بما أن فى رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة؛ فقد أحببت أن أشير- باختصار- إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة ...

كما أنى أوردت نص هذه الرسالة بتمامه مع الوثائق الهامة فى أواخر هذا الكتاب؛ ليطلع القارئ عليها بنفسه، و يستخلص منها ما يراه مناسبا و ضروريا ...

أما الملاحظات التی رأیت أن من الضروری الاشارة إلیها هنا؛ فتتلخص بما یلی:

---

(۱) أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۳، و البحار ج ۴۹/ ۱۳۷، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۵۱، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۷۵.

ص: ۲۰۴

ملاحظات لا بد منها:

أول ما یطالعنا فی هذه الرسالة هو استعمال الفضل لکلمة: «الرضا»، التی تنص وثیقة العهد، و غیرها: علی أن المأمون هو الذی جعلها لقبا للإمام (ع)- کما سیأتی- ... فاطلاق الفضل بن سهل لکلمة «الرضا» علیه (ع) یجعلنا نقول- إن لم نقل أنه کان لقبا مشهورا و معروفا له-: إن جعل المأمون هذا اللفظ لقبا رسمیا للإمام (ع) کان بوحی من ذی الرئاستین نفسه ... و إن کان یمکن أن یقال عکس ذلک تماما: أی أن استعمال الفضل لهذه الکلمة کان بایحاء من المأمون و لا أقل من کونهما قد اتفقا علی ذلک.

و ثانیا: إننا بینما نری الرسالة تشتمل علی تطمین الإمام (ع): بأن قضیة ولایة العهد لیست لعبة من المأمون، و إنما هی من آثار سعی ذی الرئاستین، الأمر الذی لا داعی معه للخوف و الوجل علی الاطلاق- بینما الرسالة تشتمل علی ذلک- نراها تنص علی أن قضیة ولایة العهد أمر قد قضی بلیل. و علی أن هناک تصمیم من ذی الرئاستین و المأمون علی امضاء هذا الأمر، و هذا یعنی: أن الممانعة و المقاومة لا تجدی و لا تفید؛ و لذا فإن من الأفضل له (ع) أن یکف عن ذلک، و یمتنع عنه ...

و هذا ما أشار إلیه الفضل بقوله: «... و ان کتابی هذا عن إزماع من أمیر المؤمنین، عبد اللّه الإمام المأمون و منی الخ ...».

و ثالثا: یلاحظ: أن الرسالة تتناسب فی صیاغتها، و انتقاء جملها و ألفاظها مع ذوق الإمام (ع)، و مذهبه العقائدی، و مذهب شیعته.

و تنسجم مع ما یدعیه هو، و یدعیه آباؤه، و کان قد اشتهر و شاع بین الناس: من أن الحق فی خلافة النبی (ص) لهم دون غیرهم، و أن الغیر- أیا کانوا- ظالمون لهم، و معتدون علیهم فی هذا الحق ...

ثم یحاول الفضل أن یفهم الإمام: أنه و إن کان هو و المأمون

ص: ۲۰۵

قد صمما علی تولیته العهد، لکنه یقول له، لکن السر فی ذلک مختلف بینی و بین المأمون؛ فأنا أقول فیک: أنک ابن رسول اللّه، و أنک المهتدی، و المقتدی، و أری أن ذلک إرجاع لحقک إلیک، و ردّ لمظلمتک علیک.

أما المأمون: فهو یراک شریکا فی أمره، و شقیقا فی نسبه، و أولی الناس بما تحت یده.

فالفضل يحاول بهذا أن يتقرب من الإمام، و يكتسب محبته و ثقته ...

و لعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق عليه كل من المأمون و الفضل ...

و هكذا كان السياسيون، و ما زالوا يتكلمون مع أندادهم باللغة، التى يرون أنها توصلهم إلى أهدافهم، و تحقق لهم مآربهم.

و رابعا: و أخيرا ... إنه بعد أن يطلب منه أن لا يضع الرسالة من يده، حتى يصير إلى باب المأمون!! ... نراه يضمن الرسالة إشارة واضحة:

إلى أن ذلک منه (ع) يوجب صلاح الامة به ... و ما ذلک إلا لأنه کان يعلم، کما کان الکل يعلم: أنه إذا تأکد لدى الإمام (ع): أن صلاح الامة متوقف على عمل ما من جهته؛ فإنه لا يتوانى، و لا يألو جهدا فى العمل بوظيفته، و القيام بواجبه ... هذا بالاضافة إلى أن فى ذلک إشارة للحالة العامة، التى وصفناها فى بعض فصول هذا الکتاب ...

ملاحظات هامة:

هذا ... و قبل الخوض فى تفصيل أسباب البيعة، لا بد من ملاحظة:

أ-:

إن من الطبيعى أن يثير تصرفه هذا حفيظة العباسيين، الذين ناصبوه العداء، و شجعوا أخاه الأمين عليه، و لسوف يزيد من حنقهم، و غضبهم: حتى إنهم رضوا بابراهيم بن شکلة المغنى خليفة عليهم، عند ما سمعوا بهذا النبأ الذى کان له وقع الصاعقة عليهم ...

کما أن من الطبيعى أن يثير دهشتهم، و يذهلهم ... بعد أن لم يکن

ص: ۲۰۶

بينهم رجالات کفاة، يدرکون الأعيب السياسة، و دهاء و مکر الرجال.

و قد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخليفة الذى اختاروه، و استعاضوا به عن المأمون ... فلقد قال ابن شکلة معاتبا العباسيين:

فلا جزيت بنو العباس خيرا	على رغمى و لا اغتبطت برى
أتونى مهطعين، و قد أتاهم	بوار الدهر بالخبر الجلى
و قد ذهل الحواضن عن بنيها	و صد الثدى عن فم الصبى
و حل عصائب الاملاک منها	فشدت فى رقاب بنى على

فضجت أن تشد على رءوس تطالبها بميراث النبیّ«۱»

ب-:

و لکن دهشتهم و غضبهم لا قیمة لهما، فی جانب ذهاب الخلافة عنهم بالکلیة، و سفک دمائهم ... و قد أوضح لهم ذلک فی رسالة منه إلیهم، حیث قال: «... و أما ما کنت أردته من البیعة لعلی بن موسی، بعد استحقاق منه لها فی نفسه، فما کان ذلک منی إلا أن اکون الحاقن لدمائکم، و الذائد عنکم، باستدامة المودة بیننا و بینهم ...». و الرسالة مذکورة فی أواخر هذا الکتاب.

و قریب من ذلک ما جاء فی وثیقة العهد، مخاطبا «أهل بیت أمیر المؤمنین» حیث قال لهم: «... راجین عائدته فی ذلک (أی فی البیعة للرضا علیه السلام) فی جمع الفتکم، و حقن دمائکم، و لم شعثکم، و سد ثغورکم ...»

فلیغضبوا إذن قلیلا، فإنهم سوف یفرحون فی نهایة الأمر کثیرا، و ذلک عند ما یعرفون الاهداف الحقیقیة، التی کانت تکمن وراء تلک اللعبة، و أنها لم تکن إلا من أجل الابقاء علیهم، و استمرار وجودهم

---

(۱) التنبیه و الإشراف ص ۳۰۳. و الولاة و القضاة للکندی ص ۱۶۸.

ص: ۲۰۷

فی الحکم، و القضاء علی اخطر خصومهم، الذین لن یکون الصدام المسلح معهم فی صالحهم.

إنهم دون شک عند ما تؤتی تلک اللعبة ثمارها سوف یشکرونه، و یعترفون له بالجمیل، و یعتبرون أنفسهم مدینین له مدی الحیاة. و لسوف یذکرون دائما قوله لهم فی رسالته المشار إلیها آنفا: «... فان تزعموا أنی أردت أن یؤول إلیهم (یعنی للعلویین) عاقبة و منفعة، فانی فی تدبیرکم، و النظر لکم، و لعقبکم، و لابنائکم من بعدکم ...» ...

و مضمون هذه العبارة بعینه- تقریبا- قد جاء فی وثیقة العهد، حیث قال فیها، موجها کلامه للعباسیین، رجاء أن یلتفتوا لما یرمی إلیه من لعبته تلک ... فبعد أن طلب منهم بیعة منشرحة لها صدورهم- قال-: «... عالمین بما أراد أمیر المؤمنین بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه، و لکم فیها، شاکرین اللّه علی ما الهم أمیر المؤمنین، من قضاء حقه فی رعایتکم، و حرصه علی رشدکم، و صلاحکم، راجین عائدته فی ذلک فی جمع ألفتکم، و حقن دمائکم إلخ. ما قدمناه ...».

لا شک أنه إذا غضب علیه العباسیون؛ فانه یقدر علی ارضائهم فی المستقبل، «و قد حدث ذلک بالفعل»، عند ما یطلعهم علی حقیقة نوایاه، و مخططاته، و أهدافه، و لکنه إذا خسر مرکزه، و خلافته، فانه لا یستطیع- فیما بعد- أن یستعیدها بسهولة، أو أن یعتاض عنها بشیء ذی بال ...

ج -:

إن من الانصاف هنا أن نقول: إن اختيار المأمون للرضا (ع) وليا للعهد، كان اختيارا موفقا للغاية، كما سيتضح، و إنه لخير دليل على حنكته و دهائه السياسى، و إدراكه للأسباب الحقيقية للمشاكل التى كان يواجهها المأمون، و يعانى منها ما يعانى ...

د -:

إن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا هو أن اختيار المأمون

ص: ٢٠٨

لولى عهده، الذى لم يقبل إلا بعد التهديد بالقتل ... كان ينطوى فى بادئ الرأى على مغامرة لا تنسجم مع ما هو معروف عن المأمون من الدهاء و السياسة؛ إذا ما أخذت مكانة الإمام (ع)، و نفوذه بنظر الاعتبار، سيما مع ملاحظة: أنه هو الذى كان يشكل أكبر مصدر للخطر على المأمون، و نظام حكمه؛ حيث إنه كان يحظى بالاحترام و التقدير، و التأييد الواسع فى مختلف الفئات و الطبقات فى الامة الاسلامية.

و لكننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لم يقدم على اختيار الإمام وليا للعهد، إلا و هو على ثقة من استمرار الخلافة فى بنى أبيه؛ حيث كان الإمام (ع) يكبره ب «٢٢» سنة؛ و عليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، و بين الخليفة الفعلى هذا الفارق الكبير بالسن، لم يكن يشكل خطرا على الخلافة؛ إذ لم يكن من المعروف، و لا المألوف أن يعيش ولى العهد- و هو بهذه السن المتقدمة- لو فرض سلامته من الدسائس و المؤامرات!! ... إلى ما بعد الخليفة الفعلى، فإن ذلک من الامور التى يبعد احتمالها جدا ...

ه -:

و لهذا ... و لأن ما أقدم عليه لم يكن منتظرا من مثله؛ و هو الذى قتل أخاه من أجل الخلافة و الملک، و لأنه من تلک السلالة المعادية لأهل البيت عليهم السلام ... احتاج المأمون إلى أن يثبت صدقه، و اخلاصه فيما أقدم عليه، و أن يقنع الناس بصفاء نيته، و سلامة طويته ... فأقدم لذلک ... على عدة أعمال:

فأولا: أقدم على نزع السواد شعار العباسيين، و لبس الخضرة شعار العلويين و كان يقول: انه لباس أهل الجنة «١». حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاة الإمام الرضا (ع)، و تمكنه هو من دخول بغداد

---

(١) الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ٦٢ عن ابن الأثير.

ص: ٢٠٩

عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، و قيل: بل بقى ثلاثة أشهر ... نزع الخضرة رغم أن العباسيين، تابعوه، و أطاعوه فى لبسها، و جعلوا يحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، على ما صرح به فى مآثر الإنافة، و البداية و النهاية، و غير ذلک ...

و ثانيا: و لنفس السبب «۱» أيضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

و ثالثا: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيدة له، حيث كان يكبرها الإمام (ع) بحوالى أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الاخرى للامام الجواد (ع)، الذى كان لا يزال صغيرا، أى ابن سبع سنين «۲».

و من يدرى: فلعله كان يهدف من تزويجهما أيضا إلى أن يجعل عليهما رقابة داخلية. و أن يمهد السبيل، لكى تكون الأداة الفعالة، التى

---

(۱) التربية الدينية ص ۱۰۰.

(۲) راجع مروج الذهب ج ۳/ ۴۴۱، و غيره من كتب التاريخ. و فى الطبرى ج ۱۱/ ۱۱۰۳، طبع ليدن، و البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۶۹: أنه (ع) لم يدخل بها إلا فى سنة ۲۱۵ للهجرة، و لكن يظهر من اليعقوبى ج ۲/ ۴۵۴ ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله الى بغداد، و أمر له بألفى الف درهم، و قال: إنى أحببت أن أكون جدا لامرئ، ولده رسول اللّه، و على بن أبى طالب، فلم تلد منه انتهى. و هذا يدل على أنه قد بادر إلى تزويج الجواد بعد قتل أبيه الرضا (ع) ليبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)؛ حيث إن الناس كانوا مقتنعين تقريبا بذلک و مطمئنين إليه، و سيأتى فى أواخر الكتاب البحث عن ظروف و ملابسات وفاته (ع).

و يلاحظ: أن كلمة المأمون هذه تشبه الى حد بعيد كلمة عمر بن الخطاب حينما أراد أن يبرر اصراره غير الطبيعى على الزواج بام كلثوم بنت على (ع)، حتى لقد استعمل اسلوبا غير مألوف فى التهديد و الوعيد من أجل الوصول إلى ما يريد ...

ص: ۲۱۰

يستعملها فى القضاء على الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذى قتل بالسم الذى دسته إليه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم «۱»؛ فيكون بذلک قد أصاب عدة عصافير بحجر واحد ...

كما يقولون ... و يجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع وزيره الفضل بن سهل؛ فألح عليه أن يزوجه ابنته فرفض، و كان الرأى العام معه، فلم يستطع المأمون أن يفعل شيئا، كما سنشير إليه ... لكن الإمام (ع) لم يكن له إلى الرفض سبيل، و لم يكن يستطيع أن يصرح بمجبوريته على مثل هكذا زواج؛ لأن الرأى العام لا يقيل ذلک منه بسهولة ... بل ربما كان ذلک الرفض سببا فى تقليل ثقة الناس بالإمام، حيث يرون حينئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلک، التى تجاوزت- بنظرهم حينئذ- كل الحدود المألوفة و المعروفة ...

و على كل حال: فإن كل الشواهد و الدلائل تشير إلى أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سياسيا، مفروضا إلى حد ما ... كما أننا لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسيا أيضا، حيث أراد بذلک أن يوثق علاقاته مع الايرانيين، و يجعلهم يطمئنون إليه، خصوصا بعد عودته إلى بغداد، و ترکه مروا، و ليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، و يکتسب ثقة أخيه الحسن بن سهل، المعروف بثرائه و نفوذه ...

و رابعا: و للسبب نفسه أيضا کان يظهر الاحترام و التبجيل للامام (ع)- و إن کان يضيق عليه فى الباطن «۲»- و کذلک کانت الحال بالنسبة لاکرامه

---

(۱) و لعله قد استفاد ذلک من سلفه معاوية، و ما جرى له مع الإمام الحسن السبط عليه السلام.

(۲) و قد سبقه الى مثل ذلک سليمان عم الرشيد، عند ما أرسل غلمانه؛ فأخذوا جنازة الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد، و طردوهم. ثم نادوا عليه بذلک النداء المعروف، اللائق بشأنه؛ فمدحه الرشيد، و اعتذر إليه، و لام نفسه، حيث لم يأخذ فى اعتباره ما يترتب

ص: ۲۱۱

للعلويين، حيث قد صرح هو نفسه بأن إکرامه لهم ما کان إلا سياسة منه و دهاء، و من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة؛ فقد قال فى رسالته للعباسيين، المذکورة فى أواخر هذا الکتاب: «... و أما ما کنت أردته من البيعة لعلى بن موسى ... فما کان ذلک منى، إلا أن اکون الحاقن لدمائکم، و الذائد عنکم؛ باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هى الطريق أسلکها فى اکرام آل أبى طالب، و مواساتهم فى الفىء، بيسير ما يصيبهم منه ...».

و يذکرنى قول المأمون: «و مواساتهم فى الفىء إلخ ...» بقول ابراهيم بن العباس الصولى- و هو کاتب القوم و عاملهم- فى الرضا عند ما قربه المأمون:

يمن عليکم بأموالکم　　　　و تعطون من مائة واحدا

و-:

إن المأمون- و لا شک- کان يعلم: أن ذلک کله- حتى البيعة للامام- لا يضره ما دام مصمما على التخلص من ولى عهده هذا بأساليبه الخاصة. بعد أن ينفذ ما تبقى من خطته الطويلة الأجل، للخط من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره للرعية بصورة من لا

يستحق لهذا الأمر- كما صرح هو نفسه «۱»، و كما صرح بذلک أيضا عبد اللّه بن موسى فى رسالته إلى المأمون، و التى سوف نوردها فى أواخر هذا

على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، و محبى أهل البيت عليهم السلام، و الذين قد لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم.

و تبعه أيضا المتوكل؛ حيث جاء بالإمام الهادى عليه السلام الى سامراء؛ فكان يكرمه فى ظاهر الحال؛ و يبغى له الغوائل فى باطن الأمر؛ فلم يقدره اللّه عليه ... على ما صرح به ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص ۲۲۶، و المجلسى فى البحار ج ۵۰/ ۲۰۳، و المفيد فى الإرشاد ص ۳۱۴.

(۱) سنتكلم فى القسم الرابع من هذا الكتاب، حول تصريحات المأمون، و خططه بنوع من التفصيل إن شاء اللّه تعالى ...

الكتاب إن شاء اللّه؛ حيث يقول له فيها: «... و كنت الطف حيلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحنتنا، تختل واحدا فواحدا منا إلخ ...» «۱».

إلى غير ذلک من الشواهد و الدلائل، التى لا تكاد تخفى على أى باحث، أو متتبع ...

أهداف المأمون من البيعة:

هذا ... و بعد كل الذى قدمناه، فاننا نستطيع فى نهاية المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، و ما كان يتوخاه من أخذ البيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده ... على النحو التالى:

الهدف الأول:

أن يأمن الخطر الذى كان يتهدده من قبل تلک الشخصية الفذة، شخصية الامام الرضا (ع)، الذى كانت كتبه تنفذ فى المشرق و المغرب، و كان الأرضى فى الخاصة و العامة- باعتراف نفس المأمون-، حيث لا يعود باستطاعة الامام (ع) أن يدعو الناس الى الثورة و لا ان يأتى بأيّة حركة ضد الحكم، بعد أن أصبح هو ولى العهد فيه. و لسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها تكران للجميل، لا مبرر لها، و لا منطق يدعمها ...

و قد أشار المأمون إلى ذلک، عند ما صرح بأنه: خشى إن ترک الامام على حاله: أن ينفتق عليه منه ما لا يسده، و يأتى منه عليه ما لا يطيقه

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۶۲۹.

ص: ۲۱۳

فأراد أن يجعله ولى عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتى بيانه فى فصل:

مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه تعالى ...

الهدف الثانى:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، و الواعية من قرب، من الداخل و الخارج، و ليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصة ... و قد أشرنا فيما سبق، إلى أننا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقيبا داخليا موثوقا عنده هو، و يطمئن إليه الإمام نفسه ...

و إذا ما لا حظنا أيضا، أن: «المأمون كان يدس الوصائف هدية ليطلعنه على أخبار من شاء «۱» ...»، و أنه كان: «للمأمون على كل واحد صاحب خبر «۲» ...» ... فاننا نعرف السر فى إرساله بعض جواريه الى الإمام الرضا (ع) بعنوان: هدية ... و قد أرجعها الإمام (ع) إليه مع عدة أبيات من الشعر، عند ما رآها اشمأزت من شيبه «۳».

و لم يكتف بذلک، بل وضع على الإمام (ع) عيونا آخرين، يخبرونه بكل حركة من حركاته، و كل تصرف من تصرفاته ...

فقد كان: «هشام بن ابراهيم الراشدى من أخص الناس عند الرضا (ع)، و كانت امور الرضا تجرى من عنده، و على يده. و لكنه لما حمل إلى مرو اتصل هشام بن ابراهيم بذى الرئاستين، و المأمون؛

(۱) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۵ جلد ۲ ص ۵۴۹، نقلا عن: العقد الفريد ج ۱/ ۱۴۸.

(۲) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ جلد ۲ ص ۴۴۱، نقلا عن: المسعودى ج ۲/ ۲۲۵، و طبقات الاطباء ج ۱/ ۱۷۱.

(۳) البحار ج ۴۹/ ۱۶۴، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۷۸.

ص: ۲۱۴

فحظى بذلک عندهما. و كان لا يخفى عليهما شيئا من أخباره؛ فولاه المأمون حجابة الرضا. و كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، و ضيق على الرضا؛ فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه. و كان لا يتكلم الرضا فى داره بشىء الا أورده هشام على المأمون، و ذى الرئاستين ...» «۱»

و عن أبی الصلت: أن الرضا «کان يناظر العلماء، فيغلبهم، فکان الناس يقولون: و اللّه، إنه أولی بالخلافة من المأمون؛ فکان أهل الأخبار يرفعون ذلک إليه ...» «۲»

و أخيرا ... فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمد بن الاشعث، يطلب من الإمام (ع): أن يحرق کتبه إذا قرأها؛ مخافة أن تقع فی يد غيره، و يقول الإمام (ع) مطمئنا له: «إنی إذا قرأت کتبه إلی أحرقتها ...» «۳».

إلی غير ذلک من الدلائل و الشواهد الکثيرة، التی لا نری أننا بحاجة إلی تتبعها و استقصائها ...

الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام (ع) قريبا منه؛ ليتمکن من عزله عن الحياة الاجتماعية، و ابعاده عن الناس، و ابعاد الناس عنه؛ حتی لا يؤثر عليهم بما يمتلکه من قوة الشخصية، و بما منحه اللّه إياه من العلم،

---

(۱) البحار ج ۴۹/ ۱۳۹، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۷۷، ۷۸، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۵۳.

(۲) شرح ميمية أبی فراس ص ۲۰۴، و البحار ج ۴۹/ ۲۹۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۳۹.

(۳) کشف الغمة ج ۳/ ۹۲، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۱۸۷، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۱۹.

ص: ۲۱۵

و العقل، و الحکمة. و يريد أن يحدّ من ذلک النفوذ له، الذی کان يتزايد باستمرار، سواء فی خراسان، أو فی غيرها ...

و أيضا ... أن لا يمارس الإمام أی نشاط لا يکون له هو دور رئيس فيه؛ و خصوصا بالنسبة لرجال الدولة؛ إذ قد يتمکن الإمام (ع) من قلوبهم؛ و من ثم من تدبير شیء ضد النظام القائم، دون أن يشعر أحد ...

و الأهم من ذلک کله: أنه کان يريد عزل الإمام (ع) عن شيعته، و مواليه، و قطع صلاتهم به، و ليقطع بذلک آمالهم، و يشتت شملهم، و يمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يکون له أثر کبير علی مستقبل المأمون، و خلافته.

و بذلک يکون أيضا قد مهد الطريق للقضاء علی الإمام (ع) نهائيا، و التخلص منه بالطريقة المناسبة، و فی الوقت المناسب ...

و قد قال المأمون إنه: «يحتاج لأن يضع من الإمام قليلا قليلا، حتی يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر. ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه ...» کما سيأتی ...

و قد قرأنا آنفا أنه: «كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب (أى هشام بن إبراهيم)، و ضيق على الرضا؛ فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه».

كما أن الرضا نفسه قد كتب فى رسالة منه إلى أحمد بن محمد البزنطى، يقول: «و أما ما طلبت من الإذن على؛ فان الدخول إلى صعب، و هؤلاء قد ضيقوا على فى ذلک الآن؛ فلست تقدر الآن، و سيكون إن شاء اللّه ...» «۱».

---

(۱) رجال المامقانى ج ۱/ ۷۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۱۲.

ص: ۲۱۶

كما أننا نرى أنه عند ما وصل إلى القادسية، و هو فى طريقه إلى مرو، يقول لأحمد بن محمد بن أبى نصر: «اكتر لى حجرة لها بابان: باب إلى الخان، و باب إلى خارج؛ فانه استر عليک ...» «۱».

و لعل ذلک هو السبب فى طلبه من الإمام (ع)، و من رجاء بن أبى الضحاک: أن يمرا عن طريق البصرة، فالأهواز إلخ ... كما سيأتى:

و لا نستبعد أيضا أن يكون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العيد مرتين «۲» ... و للسبب نفسه أيضا فرق عنه تلامذته، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و حتى لا يظهر علم الإمام، و فضله ... إلى آخر ما هنالک من صفحات تاريخ المأمون السوداء ...

الهدف الرابع:

إن المأمون فى نفس الوقت الذى يريد فيه أن يتخذ من الامام مجنا يتقى به سخط الناس على بنى العباس، و يحوط نفسه من نقمة الجمهور ...

يريد أيضا؛ أن يستغل عاطفة الناس و محبتهم لأهل البيت- و التى زادت

---

(۱) بصائر الدرجات ص ۲۴۶، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۱۵۵.

(۲) هذه القضية معروفة و مشهورة؛ فراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۲۴۶، ۲۴۷، و مطالب السئول، لمحمد بن طلحة الشافعى، طبعة حجرية ص ۸۵، و إثبات الوصية للمسعودى ص ۲۰۵، و معادن الحكمة ص، ۱۸۰، ۱۸۱، و نور الأبصار ص ۱۴۳، و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۶۵، و إعلام الورى ص ۳۲۲، ۳۲۳، و روضة الواعظين ج ۱/ ۲۷۱، ۲۷۲، و اصول

الكافی ج ۱/ ۴۸۹، ۴۹۰، و البحار ج ۴۹/ ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۷۱، ۱۷۲، و عیون أخبار الرضا، و ارشاد المفید، و أعیان الشیعة، و کشف الغمة، و غیر ذلک ...

و لسوف یأتی فی فصل: خطة الإمام، و غیره من الفصول، ما یتعلق بذلک إن شاء اللّه تعالی.

ص: ۲۱۷

و نمت بعد الحالة التی خلفتها الحرب بینه و بین أخیه- و یوظف ذلک فی صالحه هو، و صالح الحکم العباسی بشکل عام ...

أی أنه: کان یهدف من وراء لعبته تلک، و التی کان یحسب أنها سوف تکون رابحة جدا- إلی أن یحصل علی قاعدة شعبیة، واسعة، و قویة. حیث کان یعتقد و یقدر: أن نظام حکمه سوف ینال من التأیید، و القوة، و النفوذ، بمقدار ما کان لتلک الشخصیة من التأیید، و النفوذ و القوة ... و إذا ما استطاع فی نهایة الأمر أن یقضی علیها، فإنه یکون قد امن خطرا عظیما، کان یتهدده من قبلها، بمقدار ما کان لها من العظمة و الخطر ...

إن المأمون قد اختار لولایة عهده رجلا یحظی بالاحترام و التقدیر من جمیع الفئات و الطبقات، و له من النفوذ، و الکلمة المسموعة، ما لم یکن لکل أحد سواه فی ذلک الحین. بل لقد کان الکثیرون یرون: أن الخلافة حق له، و ینظرون الی الهیئة الحاکمة علی أنها ظالمة له و غاصبة لذلک الحق:

یقول الدکتور الشیبی، و هو یتحدث عن الرضا (ع): «إن المأمون جعله ولی عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسیین، الذین حاربوه، و نصروا أخاه «۱» ...».

و یقول: «... و قد کان الرضا من قوة الشخصیة، و سمو المکانة:

أن التف حوله المرجئة، و أهل الحدیث، و الزیدیة، ثم عادوا إلی مذاهبهم بعد موته ...» «۲».

---

(۱) الصلة بین التصوف و التشیع ص ۲۲۳، ۲۲۴ ... و نحن لا نوافق الدکتور الشیبی علی أنه کان یرید التقوی بذلک علی العباسیین، کما اتضح، و سیتضح إن شاء اللّه ...

(۲) المصدر السابق ص ۲۱۴.

ص: ۲۱۸

و کذلک هو یقول- و هو مهم فیما نحن بصدده-: «... إن الرضا لم یکن بعد تولیته العهد إمام الشیعة وحدهم، و إنما مرّ بنا:

أن الناس، حتى أهل السنة، و الزيدية، و سائر الطوائف الشيعية المتناحرة ... قد اجتمعت على إمامته، و اتباعه، و الالتفاف حوله ...» «۱».

و هذا كما ترى تصريح واضح منه بهدف المأمون، الذى نحن بصدد بيانه ...

و يقول محمد بن طلحة الشافعى مشيرا إلى ذلك، فى معرض حديثه عن الإمام الرضا (ع): «... نما إيمانه، و علا شأنه، و ارتفع مكانه، و كثر أعوانه، و ظهر برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محل مهجته، و أشركه فى مملكته ...» «۲».

و تقدم أنه (ع) كان- باعتراف المأمون- «الأرضى فى الخاصة، و العامة ...» و أن كتبه كانت تنفذ فى المشرق و المغرب، حتى إن البيعة له بولاية العهد، لم تزده فى النعمة شيئا ... و أنه كان له من قوة الشخصية ما دفع أحد أعدائه لأن يقول فى حقه للمأمون: «هذا الذى بجنبک و اللّه صنم يعبد دون اللّه» إلى آخر ما هنالک، مما قدمنا «غيضا من فيض منه».

كما و تقدم أيضا قول المأمون فى رسالته للعباسيين: «... و إن تزعموا:

أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة (يعنى للعلويين)؛ فإنى فى تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و أبنائكم من بعدكم ...»، و أيضا عبارته التى كتبها المأمون بخط يده فى وثيقة العهد؛ فلا نعيد ...

و هكذا ... فما على العباسيين إلا أن ينعموا بالا، و يقروا عينا؛ فإن المأمون كان يدبر الأمر لصالحهم و من أجلهم ... و ليس كما يقوله

---

(۱) المصدر السابق ص ۲۵۶.

(۲) مطالب السئول ص ۸۴، ۸۵، و قريب منه ما فى: الاتحاف بحب الأشراف ص ۵۸.

الدكتور الشيبى، و غيره من أنه أراد أن يحصل على التأييد الواسع؛ ليقابل العباسيين، و يقف فى وجههم.

إشارة هامة لا بد منها:

هذا ... و يحسن بنا أن نشير هنا: إلى ما قاله ابن المعتز فى الروافض.

و القاء نظرة فاحصة على السبب الذى جعلهم مستحقين لهذه الحملة الشعواء منه ... فهو يقول:

لقد قال الروافض فى على مقالا جامعا كفرا و موقا

زنادقة أرادت كسب مال — من الجهال فاتخذته سوقا

و أشهد أنه منهم برىّ — و كان بأن يقتلهم خليقا

كما كذبوا عليه و هو حى — فأطعم ناره منهم فريقا

و كانوا بالرضا شغفوا زمانا — و قد نفخوا به فى الناس بوقا

و قالوا: إنه رب قدير — فكم لصق السواد به لصوقا«۱»

و هذه الأبيات تعبر عن مدى صدمة ابن المعتز، و خيبة أمله فى الروافض، الذين ضايقه جدا امتداد دعوتهم فى طول البلاد الاسلامية، و عرضها. و خصوصا فى زمن الرضا. و الذى لم يجد شيئا يستطيع أن يتنقص به إمامهم الرضا (ع) سوى أنه كان اسود اللون؛ و أن الروافض قالوا: إنه رب قدير ... و سرّ حنقه هذا على الروافض ليس هو إلا عقيدتهم فى على (ع)- التى كان يراها خطرا حقيقيا على القضية العباسية- و التى تتلخص بأنه (ع): يستحق الخلافة بالنص. و هذه العقيدة و المقالة هى التى جعلتهم يستحقون من ابن المعتز أن يجمع لهم بين

---

(۱) ديوان ابن المعتز ص ۳۰۰، ۳۰۱، و الأدب فى ظل التشيع ص ۲۰۶.

ص: ۲۲۰

و صفى الكفر و الزندقة، و اتهامه لهم، بأنهم يقصدون بذلک كسب المال من الجهال. ثم يتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة فى على الرضا (ع)؛ فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، و شهّروا بذلک، حتى علم به عامة الناس، و نفخوا به فى الناس بوقا ... و حتى لقد التف حوله أهل الحديث، و الزيدية، بل و المرجئة، و أهل السنة، على حد تعبير الشيبى، و قالوا: بإمامة أبيه، ثم بإمامته ..

و بديهى ... أن لا يرتاح ابن المعتز، الذى كان فى صميم الاسرة العباسية لهذا الامتداد للتشيع، و لمقالة الروافض، حيث إن ذلک يعنى أن الأئمة الذين هم بين الرضا، و على أمير المؤمنين عليهما السلام، كلهم تثبت إمامتهم بالنص ...

و لقد بلغ من حنقه عليهم، بسبب ذلک الامتداد الواسع لعقيدتهم- و خصوصا فى زمان الرضا- أن دفعه إلى أن يخلط عن عمد، أو عن غير عمد بين عقيدة الروافض هذه، و بين عقيدة الغلاة، حيث أضاف إلى مقالة الروافض تلک مقالة اخرى، هى: القول بألوهية على (ع).

و إذا كنا واثقين من أن الفرق الشاسع بين عقيدة الروافض، و عقيدة الغلاة، لم يكن ليخفى على مثل ابن المعتز، بل على من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرک بما لا مجال معه للشک:

أنه يقصد بهذا الخلط المعتمد: التشنيع على الروافض، و تهجين عقيدتهم، إذ أنه يقصد ب «الروافض»،- حسبما هو صريح كلامه- خصوص القائلين بإمامة الرضا، و إمامة على أمير المؤمنين، و من بينهما. و هو يعلم و كل أحد يعلم: أنه ليس فيهم من يقول بالوهية أحدهما، أو ألوهيتهما، أو ألوهية غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و أخيرا ... فإن قول و اعتراف ابن المعتز هذا- و هو من نعلم-

ص: ٢٢١

لخير دليل على مدى تحرر الشيعة فى زمن الرضا، و اتساع نفوذهم، و على أن شخصية الرضا (ع)، كانت قد استقطبت قطاعا واسعا، إن لم نقل: أنه القطاع الأكبر من الامة الاسلامية، فى طول البلاد و عرضها، فى تلك الفترة من الزمن، و قد تقدم بعض ما يدل على ذلک، فلا نعيد.

الهدف الخامس:

هذا ... و نستطيع أن نقول أيضا: إنه كان يريد أن يقوى من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلک شخصية تعنو لها الجباه بالرضا و التسليم. و لقد كان الحكم بأمس الحاجة الى شخصية من هذا القبيل ...

فى مقابل أولئک المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسى، طلبا للشهرة، و طمعا بالمال، و الذين لم يعد يخفى على أحد حالهم و مآلهم ... و على الأخص بعد أن رأى فشلهم فى صد حملات علماء الملل الاخرى، و الذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عند ما رأوا ضعف الدولة، و تمزقها، و تفرقها الى جماعات و أحزاب ...

نعم ... لقد كان الحكم يحتاج إلى العلماء الاكفاء، و الأحرار فى تفكيرهم، و فى نظرتهم الواعية للانسان و الحياة، و لم يعد بحاجة الى المتزلفين، و الجامدين، و الانهزاميين، و لهذا نراه يستبعد أصحاب الحديث الجامدين، الذين كان أكثرهم فى الجهة المناوئة له، يشدون من أزرها، و يقيمون أودها ... و يقرب المعتزلة: كبشر المريسى، و أبى الهذيل العلاف و أضرابهما. و لكن الشخصية العلمية، التى لا يشک أحد فى تفوقها على جميع أهل الأرض علما و زهدا، و ورعا و فضلا الخ ... كانت منحصرة فى الامام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، و لهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأية شخصية اخرى، مهما بلغت.

ص: ٢٢٢

الهدف السادس:

و لعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون فى تلک الفترة المليئة بالقلاقل و الثورات، قد أتى الامة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجرى، و ما يحدث، و عن واقع المشاكل التى كان يعانى الحكم و الامة منها، و ما أكثرها ...

و قد عبر ابراهيم بن المهدى، عن دهشة بنى العباس فى أبياته المتقدمة ...

حتى لقد ذهل- على حدّ قوله- الحواضن عن بنيها! و صد الثدى عن فم الصبى!!» و بعد هذا ... فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراک مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا و سمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. و لسوف ندرک مدى عظمة دهشتهم تلک إذا ما لا حظنا: أنهم كانوا سياسيا أقل وعيا و تجربة من مثل ابراهيم بن المهدى، الذى عاش فى أحضان خلافة. كان بمرأى و مسمع من الأعيب السياسة، و مكر الرجال ...

الهدف السابع:

هذا ... طبيعى بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعى، بل لقد ادعى بالفعل- على ما فى وثيقة العهد-: أن جميع تصرفاته، و أعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للامة، و مصلحة المسلمين، و حتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، و الرئاسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، و المصلحة العامة، يدل على ذلک: أنه عند ما رأى أن خير الامة، إنما هو فى اخراج الخلافة من بنى العباس كلية، و هم الذين ضحوا الكثير فى سبيلها، و قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد- عند ما رأى ذلک- و أن ذلک لا يكون إلا باخراجها إلى ألد أعدائهم،

ص: ٢٢٣

سارع إلى ذلک، بكل رضى نفس، و طيبة خاطر ... و ليكون بذلک قد كفر عن جريمته النكراء، و التى كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا و هى: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين و العرب ...

و ليكون بذلک، قد ربط الامة بالخلافة، و كسب ثقتها فيها، و شد قلوب الناس، و أنظارهم إليها؛ حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، و ترفع الظلم، و أن تكون معهم، و فى خدمتهم، و تعيش قضاياهم. و ليكون لها من ثم من المكانة و التقدير، ما يجعلها فى منأى و مأمن من كل من يتحينون بها الفرص، و يبغون لها الغوائل ...

و يدل على ذلک- عدا عما ورد فى وثيقة العهد- ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقى، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، و ادعهم إلى بيعة الرضا؛ فقام خطيبا؛ فقال:

«يا أيها الناس، هذا الأمر الذى كنتم فيه ترغبون، و العدل الذى كنتم تنتظرون، و الخير الذى كنتم ترجون، هذا على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على؛ بن الحسين؛ بن على بن أبى طالب:

ستة آباؤهم ما هم   من أفضل من يشرب صوب الغمام«١»

و قد أكد ذلک بحسن اختياره؛ إذ قد اختار هذه الشخصية، التی تمثل- فی الحقيقة- أمل الامة، و رجاءها، فی حاضرها، و مستقبلها.

و تکون النتيجة- بعد ذلک- أنه يکون قد حصل علی حماية لکل تصرف يقدم عليه فی المستقبل، و کل عمل يقوم به ... مهما کان غريبا، و مهما کان غير معقول؛ فإن علی الامة أن تعتبره صحيحا و سليما،

---

(١) العقد الفريد ج ٣/ ٣٩٢، طبع مصطفی محمد بمصر سنة ١٩٣٥ و «ما» فی البيت زائدة ... و لا يخفی ما فی البيت، و قد أثبتناه، کما وجدناه.

لا بد منه، و لا غنی عنه، و إن لم تعرف ظروفه، و دوافعه الحقيقية.

بل و حتی مع علمها بها؛ فان عليها أن تؤوّل ما يقبل التأويل، و إلا ...

فإن عليها أن تدفن رأسها فی التراب، و تتناسی ما تعلم ... أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراک المصالح الحقيقية الکامنة فی تلک التصرفات الغريبة، و أن ما أدرکته و لو کان حقا- لا واقع له، و لا حقيقة وراءه و يدل علی ذلک بشکل واضح ابيات ابن المعتز الآتية ص ٣٠۵/ ٣٠۶، يقول ابن المعتز:

و أعطاکم المأمون حق خلافة	لنا حقها لکنه جاد بالدنيا
ليعلمکم أن الّتی قد حرصتموا	عليها و غودرتم علی اثرها صرعی
يسير عليه فقدها غير مکثر	کما ينبغی للصالحين ذوی التقوی

و علی کل حال؛ فإنه يتفرع علی ما ذکرناه:

أولا: إنه بعد أن أقدم علی ما أقدم عليه؛ فليس من المنطقی بعد للعرب أن يسخطوا عليه، بسبب معاملة أبيه، أو أخيه، و سائر أسلافه لهم؛ فإن المرء بما کسب هو، لا بما کسب أهله، و لا تزر وازرة وزر أخری ...

و کيف يجوز لهم أن يغضبوا بعد، و هو قد أرجع الخلافة إليهم، بل و إلی أعرق بيت فيهم. و عرفهم عملا: أنه لا يريد لهم، و لغيرهم، إلا الصلاح و الخير ...

و ليس لهم بعد حق فى أن ينقموا عليه معاملته القاسية لهم، و لا قتله أخاه، و لا أن يزعجهم، و يخيفهم تقريبه للايرانيين، و لا جعله مقر حكمه مروا إلى آخر ما هنالک ... ما دام أن الخلافة قد عادت إليهم، على حسب ما يشتهون، و على وفق ما يريدون ...

و من هنا ... فلا يجب أن نعجب كثيرا؛ حين نراهم: قد تلقوا بيعة الرضا بنفوس طيبة، و قلوب رضية ... حتى أهل بغداد نرى أنهم قد تقبلوها إلى حد كبير؛ فقد نص المؤرخون- و منهم الطبرى و ابن مسكويه- على أن بعضهم وافق، و البعض الآخر- و هم أنصار بنى

العباس- رفض. و هذا يدل دلالة واضحة: على أن بغداد، معقل العباسيين الأول، كانت تتعاطف مع العلويين إلى درجة كبيرة ...

بل و نص المؤرخون، على أن: ابراهيم بن المهدى، المعروف بابن شكلة، الذى بويع له فى بغداد غضبا من تولية الرضا للعهد: لم يستطع أن يسيطر إلا على بغداد، و الكوفة و السواد «١»، بل و حتى الكوفة قد استمرت الحرب قائمة فيها على ساق و قدم أشهرا عديدة بين أنصار المأمون، و عليهم الخضرة، و أنصار العباسيين و عليهم السواد «٢».

و ثانيا: و أما الايرانيون عامة، و الخراسانيون خاصة، و المعروفون بتشيعهم للعلويين؛ فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له، و ثقتهم به؛ بعد أن حقق لهم غاية أمانيهم، و أغلى أحلامهم، و أثبت لهم عملا، حبه لمن يحبون، و ودّه لمن يودّون ... و أن لا ميزة عنده لعباسى على غيره، و لا لعربى على غيره، و أن الذى يسعى إليه، هو- فقط خير الامة، و مصلحتها؛ بجميع فئاتها، و مختلف طبقاتها، و أجناسها ...

ملاحظة هامة:

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلى إيران قبل ذلک. و الظاهر أنه قدمها فى حدود سنة ١٩٣ ه.، أى فى الوقت المناسب لوفاة الرشيد؛ فقد ذكر الرضى المعاصر للمجلسى فى كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا فى قزوين فى دار داود بن سليمان الغازى أبى عبد اللّه، و لداود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، و أهل قزوين يروونها عن داود، كاسحاق بن محمد، و على بن مهرويه «٣».

---

(١) راجع البداية و النهاية ج ١٠/ ٢٤٨، و غيره من كتب التاريخ. و زاد أحمد شلبى فى كتابه: التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية ج ٣/ ١٠٥- زاد على ذلک: المدائن أيضا.

(٢) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٥/ ١٩٠، و البداية و النهاية ج ١٠/ ٢٤٨، و غير ذلک.

(۳) راجع کتاب: ضیافة الاخوان مخطوط فی مکتبة المدرسة الفیضیة فی قم، فی ترجمة أبی عبد اللّه القزوینی، و علی بن مهرویه القزوینی.

ص: ۲۲۶

و قال الرافعی فی التدوین: «و قد اشتهر اجتیاز علی بن موسی الرضا بقزوین. و یقال: إنه کان مستخفیا فی دار داوود بن سلیمان الغازی، روی عنه النسخة المعروفة، و روی عنه اسحاق بن محمد، و علی بن مهرویه، و غیرهما.

قال الخلیل: و ابنه المدفون فی مقبرة قزوین، یقال: إنه کان ابن سنتین، أو أصغر ...» «۱» انتهی کلام الرافعی.

و المراد بالخلیل فی کلامه، هو الخلیل بن عبد اللّه بن أحمد بن إبراهیم الخلیلی، القزوینی، و هو الحافظ المشهور، مصنف کتاب الارشاد، و کتاب تاریخ قزوین، الذی فرغ من تألیفه حوالی سنة أربعمائة هجریة، و کانت وفاته سنة ۴۴۶ ه.

الهدف الثامن:

لقد کان من نتائج اختیاره الإمام، و البیعة له بولایة العهد- التی کان یتوقعها-: أن أخمد ثورات العلویین فی جمیع الولایات و الامصار.

و لعله لم تقم أیة ثورة علویة ضد المأمون- بعد البیعة للرضا، سوی ثورة عبد الرحمن بن أحمد فی الیمن. و کان سببها- باتفاق المؤرخین- هو فقط: ظلم الولاة و جورهم، و قد رجع إلی الطاعة بمجرد الوعد بتلبیة مطالبه ...

بل لا بد لنا أن نضیف الی ذلک:

أ-:

إنه لیس فقط أخمد ثوراتهم ... بل لقد حصل علی ثقة

---

(۱) التدوین قسم ۲ ورقة ۲۳۵ مخطوط فی مکتبة (دفتر تبلیغات اسلامی) فی قم، فی ترجمة علی الرضا ...

ص: ۲۲۷

الکثیرین منهم، و من والاهم، و شایعهم، و الخراسانیون منهم، و یشیر المأمون إلی هذا المعنی فی رسالته، التی أرسلها إلی عبد اللّه بن موسی؛ حیث یقول:

«... ما ظننت أحدا من آل أبى طالب يخافنى؛ بعد ما عملته بالرضا» و الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب ... كما أنه كتب للعباسيين فى بغداد فى رسالته، التى أشرنا إليها غير مرة، يقول لهم:

إنه يريد بذلك أن يحقن دماءهم، و يذود عنهم؛ باستدامة المودة بينهم، و بين العلويين ...

ب:

بل و نزيد هنا على ما تقدم: أنه قد بايعه منهم و من أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، و هم قسم كبير جدا، بل لقد بايعه اكثر المسلمين، و دانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته، حسبما قدمناه ...

و هذه دون شک هى إحدى امنيات المأمون، بل هى أجل امنياته و أغلاها.

ج:

قال ابن القفطى فى معرض حديثه عن عبد اللّه بن سهل ابن نوبخت:

«... هذا منجم مأمونى، كبير القدر فى صناعته، يعلم المأمون قدره فى ذلک. و كان لا يقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختبار ...

و كان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين، على بن أبى طالب متخشّين، متخفين، من خوف المنصور، و من جاء بعده من بنى العباس. و رأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء؛ فظنوا ما يظنونه بالانبياء، و يتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة، من التغالى ...

فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ...

ثم فكر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به؛ فنظر نظرا دقيقا، و قال: لو ظهروا للناس، و رأوا فسق الفاسق منهم، و ظلم الظالم، لسقطوا من أعينهم، و لا نقلب شكرهم لهم ذما ...

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا، و استتروا، و ظنوا بنا سوءا، و إنما الرأى: أن نقدم أحدهم، و يظهر لهم إماما، فإذا رأوا هذا أنسوا، و ظهروا، و أظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة فى الآدميين؛ فيحقق للعوام حالهم، و ما هم عليه، مما خفى بالاختفاء؛ فإذا تحقق ذلک أزلت من أقمته، و رددت الأمر إلى حالته الاولى ...

و قوى هذا الرأى عنده، و كتم باطنه عن خواصه ... و أظهر للفضل ابن سهل: أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين على صلوات اللّه عليه.

و فكر هو و هو، فيمن يصلح، فوقع إجماعهما على الرضا؛ فأخذ الفضل بن سهل فى تقرير ذلک، و ترتيبه و هو لا يعلم باطن الأمر.

و أخذ فى اختيار وقت لبيعة الرضا؛ فاختار طالع السرطان، و فيه المشترى الخ» «۱».

ثم ذكر أن عبد اللّه بن سهل أراد اختيار المأمون؛ فأخبره أن البيعة لا تتم إذا وقعت فى ذلک الوقت؛ فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البيعة فى ذلک الوقت بالذات، لأنه سوف يعتبر أنه هو الذى أفسد عليه ما كان دبره الخ ...

و ابن القفطى هنا، لا يبدو أنه يعتبر الإمام الرضا (ع) من أولئک الذين يريد المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، و لكنه يوجه نظره إلى بقية

---

(۱) تاريخ الحكماء ص ۲۲۱، ۲۲۲.

ص: ۲۲۹

العلويين فى ذلک ... و نحن إن كنا لا نستبعد من المأمون ما ذكره ابن القفطى هنا لكننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذا كان من الأسباب الرئيسية لدى المأمون، إذ لا نعتقد أن المأمون كان من السذاجة بحيث يجهل أن بقية العلويين لم يكونوا- إجمالا- على الحال التى كان يريد أن يظهرهم عليها للناس، و أنهم كانوا أكثر تدينا و التزاما من أى فئة اخرى على الإطلاق ...

هذا ... و لسوف نرى أن أحمد أمين المصرى يأخذ برأى ابن القفطى هذا. لكنه ينظر فيه إلى خصوص أئمة أهل البيت (ع)، كما سيأتى بيانه، و بيان مدى خطله و فساده فى الفصل التالى. و فيه دلالة على أن الفضل كان مخدوعا، و على أن المأمون لم يكن مخلصا فيما اقدم عليه ...

د-:

إنه لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن اكثر ثورات العلويين، التى قامت ضد المأمون- قبل البيعة للرضا (ع) طبعا- كانت من بنى الحسن، و بالتحديد من أولئک الذين يتخذون نحلة الزيدية؛ فأراد المأمون أن يقف فى وجههم، و يقضى عليهم، و على نحلتهم تلک نهائيا، و إلى الأبد؛ فأقدم على ما أقدم عليه من البيعة للرضا (ع) بولاية العهد ...

هذا ... و قد كانت نحلة الزيدية هذه- شائعة فى تلک الفترة، و كانت تزداد قوة يوما عن يوم، و كان للقائمين بها نفوذ واسع، و كلمة مسموعة، حتى إن المهدى قد استوزر يعقوب بن داود، و هو زيدى، و آخاه، و فوضه جميع امور الخلافة «۱».

و على حد تعبير الشبراوى: «... فولاه الوزارة، و صارت الأوامر كلها بيديه؛ و استقل يعقوب حتى حسده جميع أقرانه ...» «۲».

(١) البداية و النهاية ج ١٠/ ١٤٧، و غيره من كتب التاريخ؛ فراجع فصل: مصدر الخطر على العباسيين.

(٢) الاتحاف بحب الأشراف ص ١١٢.

بل كان «لا ينفذ للمهدى كتاب إلى عامل؛ فيجوز، حتى يكتب يعقوب إلى أمينه و ثقته بانفاذه ...» «١».

و قد بلغ من نفوذ يعقوب هذا ... أن قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة، التى قدمناها، و التى يقول فيها: «إن الخليفة يعقوب ابن داود».

و قد سعى بيعقوب هذا إلى المهدى: و قيل له: «... إن الشرق و الغرب فى يد يعقوب، و أصحابه؛ و إنما يكفيه أن يكتب إليهم؛ فيثوروا فى يوم واحد؛ فيأخذوا الدنيا ...» «٢».

و ذلک لأنه قد: «أرسل يعقوب هذا إلى الزيدية، و أتى بهم من کل أوب، و ولاهم من امور الخلافة فى المشرق و المغرب کل جليل، و عمل نفيس، و الدنيا کلها فى يديه ...» «٣».

و إذا ما عرفنا أن معاونى يعقوب إنما كانوا هم: متفقهة الكوفة، و البصرة، و أهل الشام «۴» ... فإننا نعرف أن الاتجاه الزيدى سوف يؤثر كثيرا، و كثيرا جدا على الثقافة العامة، و الاتجاهات الفكرية فى ذلک العصر- كما حدث ذلک فعلا ... حتى لقد صرح ابن النديم بأن:

«أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، و كذلک قوم من الفقهاء، مثل:

سفيان الثورى، و سفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية ...» «۵».

و قد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد

(١) الطبرى ج ١٠/ ۴٨۶، و الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶٠، و مرآة الجنان ج ١/ ۴١٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶۶، ۶٧.

(٣) الطبرى ج ١٠/ ۵٠٨، طبع ليدن، و الوزراء و الكتاب للجهشيارى ص ١۵٨، و الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶۶.

(۴) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠/ ۴٨۶.

(۵) الفهرست لابن النديم ص ۲۵۳.

ص: ۲۳۱

خرجوا مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه «۱».

و على كل حال ... فإن ما يهمنا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريد

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۷، و غيرها من الصفحات، و غيرها من الكتب ... و يرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث فى الكوفة ... و لكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعة مقاتل الطالبيين و غيره ...

و الأمر الذى تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، و فرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذى يقول به الشيعة الإمامية، عند ما جعل المأمون «الرضا عليه السلام» وليا لعهده. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلک:

قال النوبختى فى فرق الشيعة ص ۸۶:

«... و فرقة منهم تسمى «المحدثة» كانوا من أهل الارجاء، و أصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر، و بعده بامامة على بن موسى، و صاروا شيعة؛ رغبة فى الدنيا و تصنعا. فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه ...

و فرقة كانت من الزيدية الأقوياء، و البصراء، فدخلوا فى إمامة على بن موسى (ع)، عند ما أظهر المأمون فضله، و عقد بيعته؛ تصنعا للدنيا، و استكانوا الناس بذلک دهرا.

فلما توفى على بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية ...» و قد تقدم قول الشيبى: إنه قد التف حول الرضا (ع) «المرجئة، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ...» و غير ذلک ...

و الذى نريد أن نقوله هنا هو: أن «الارجاء دين الملوک»، على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه فى ضحى الاسلام ج ۳/ ۳۲۶)، نقلا عن طيفور فى تاريخ بغداد ...

و فى البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۷۶: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الارجاء؟.

قال: «دين يوافق الملوک، يصيبون به من دنياهم، و ينقصون به من دينهم» قال:

صدقت الخ ... و ليراجع كتاب بغداد ص ۵۱.

و عمدة القول بالارجاء (القديم) هو: المغالاة فى الشيخين، و التوقف فى الصهرين؛ فالارجاء و التشيع، و خصوصا القول بامامة موسى بن جعفر، و ولده على الرضا على طرفى نقيض و من هنا كانت المساجلة الشعرية بين المأمون المظهر لحب على و ولده، و ابن شكلة المرجى، يقول المأمون معرضا بابن شكلة:

إذا المرجى سرک أن تراه	يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذکری علی	و صل علی النبی و آل بيته

ص: ۲۳۲

أما ابن شكلة فيقول معرضا بالمأمون:

إذا الشيعى جمجم فى مقال	فسرک أن يبوح بذات نفسه
فصل على النبى و صاحبيه	وزيريه و جاريه برمسه

راجع: مروج الذهب ج ۳/ ۴۱۷، و الكنى و الألقاب ج ۱/ ۳۳۱.

و بعد هذا ... فانه لمن غرائب الامور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالارجاء إلى التشيع، بل الى الرفض (و هو الغلو فى التشيع حسب مصطلحهم، و الذى يتمثل بالقول بامامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام). و أغرب من ذلك العودة إلى الارجاء بعد موت على الرضا عليه السلام ...

و هذا ان دل على شىء؛ فانما يدل على مدى تأثير السياسة و المال فى هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم- بادعائهم- مسئولية الحفاظ على الدين و الذود عن العقيدة؛ فانهم كانوا فى غاية الانحطاط الدينى، يتلونون- طمعا بالمال و الشهرة- ألوانا؛ حتى إن ذلك يحملهم على القول بعقيدة، ثم القول بضدها، ثم الرجوع الى المقالة الاولى، إذا رأوا أن الحاكم يرغب فى ذلک، و يميل إليه، و لهذا سموا ب «الحشوية» يعنى: أتباع و حشو الملوک، و أذناب كل من غلب، و يقال لهم أيضا (و هم فى الحقيقة أهل الحديث): «الحشوية، و النابتة، و الغثاء، و الغثر ...» على ما فى كتاب: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ۸۰.

و راجع أيضا فرق الشيعة، و رسالة الجاحظ فى بنى أميّة، و غير ذلک ...

بل لقد أطلق عليهم المأمون نفسه لفظ «الحشوية» فى مناقشته المشهورة للفقهاء و العلماء المذكورة فى العقد الفريد و البحار، و عيون أخبار الرضا و غير ذلک ...

و قال عنهم الزمخشرى فى مقام استعراضه للمذاهب و النحل، و معتنقيها:

و إن قلت من أهل الحديث و حزبه يقولون تيس ليس يدرى و يفهم

و يقابل كلمة «الحشوية» كلمة «الرافضة» التى شاع اطلاقها على الشيعة الإمامية.

و معناها فى الأصل: جند تركوا قائدهم؛ فحيث إن الشيعة لم يكونوا قائلين بامامة أولئک المتغلبين، سموهم ب «الرافضة»؛ و لذا جاء فى تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۱۶۱:

أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص:

ص: ۲۳۳

«أما بعد ... فانه قد كان من أمر على و طلحة و الزبير ما قد بلغک؛ فقد سقط إلينا مروان فى رافضة أهل البصرة الخ ...». و مثل ذلک ما فى وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ۳۴. فالمراد بكلمة رافضة هنا هو ذلک المعنى اللغوى الذى أشرنا إليه؛ فسمى الشيعة بالرافضة؛ لأنهم- كما قلنا- رفضوا الانقياد لأولئک الحكام المتغلبين ...

يقول السيد الحميرى على ما جاء فى ديوانه و غيره- يهجو بعض من اتهمه بالرفض ليقتله المنصور:

أبوک ابن سارق عنز النبى و أمک بنت أبى جحدر

و نحن على رغمک الرافضو ن لأهل الضلالة و المنكر

و لكن قد جاء فى الطبرى، مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۹۸، و البداية و النهاية ج ۹ ص ۳۳۰، و مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۸، و مقالات الاسلاميين ج ۱ ص ۱۳۰، و غاية الاختصار ص ۱۳۴: أن سبب تسمية الشيعة ب «الرافضة» هو أنهم عند ما تركوا نصرة زيد بن على فى سنة ۱۲۲ ه. قال لهم زيد: رفضتمونى، رفضكم اللّه. و هذا كذب راج على بعض الشيعة أيضا حيث ذكروا و ذكر الطبرى فى نفس الصفحة المشار إليها آنفا: أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد، لما رفضته الشيعة ... و كانت قضيته سنة ۱۱۹ ه.

و لكن الحقيقة هى أن التسمية بالرافضة كانت قبل سنتى ۱۲۲ ه. و ۱۱۹ ه. فقد جاء فى المحاسن للبرقى ص ۱۱۹ طبع النجف، باب الرافضة: أن الشيعة كانوا يشكون إلى الباقر المتوفى سنة ۱۱۴ أن الولاة قد استحلوا دماءهم و أموالهم باسم: «الرافضة» الخ ...

و جاء فی میزان الاعتدال طبع سنة ۱۹۶۳ م. ج ۲ ص ۵۸۴ بعد ذکره لاسناد طویل أن الشعبی المتوفی سنة ۱۰۴ ه. قال لأحدهم: «ائتنی بشیعی صغیر، اخرج لک منه رافضیا کبیرا» ...

و فی کتاب: روض الأخیار المنتخب من ربیع الأبرار ص ۴۰، أن الشعبی قال:

«أحبب آل محمد و لا تکن رافضیا، و أثبت و عید اللّه، و لا تکن مرجئیا ...».

بل لدینا ما یدل علی أن تسمیة الشیعة ب «الرافضة» کان قبل سنة المائة؛ فقد جاء فی المحاسن و المساوی للبیهقی ص ۲۱۲، طبع دار صادر و أمالی السید المرتضی ج ۱ ص ۶۸ هامش: أنه لما أنشد الفرزدق أبیاته المشهورة فی الامام زین العابدین، المتوفی سنة ۹۵ ه قال عبد الملک بن مروان المتوفی سنة ۸۶ ه للفرزدق: «أ رافضی أنت یا فرزدق؟!». و علی کل حال: فان ذلک کله قد کان قبل قضیتی زید و المغیرة ابن سعید بزمان بعید ...

ص: ۲۳۴

أن یقضی علی الزیدیة، و یکسر شوکتهم بالبیعة للامام الرضا (ع) بولایة العهد؛ و لهذا نری أنه قد طبق اللقب، الذی طالما دعا إلیه الزیدیة، و اعترف به العباسیون، بل و دعوا إلیه فی بدء دعوتهم و دولتهم، ألا و هو لقب: «الرضا من آل محمد»، طبقه علی علی ابن موسی (ع)؛ فسماه: «الرضا من آل محمد» «۱». فأصبحت بذلک حجته قویة علی الزیدیة، بل لم یعد لهم حجة أصلا. و أصبح یستطیع أن ینام قریر العین، إذ قد أصبح «الرضا من آل محمد» موجودا، فالدعوة إلی غیره ستکون لا معنی لها البتة. و لسوف تکون مرفوضة من الناس جملة و تفصیلا. و کان ذلک بطبیعة الحال السبب الرئیسی فی إضعاف الزیدیة، و کسر شوکتهم، و شلّ حرکتهم ...

و الذی ساهم إلی حد کبیر فی اضعافهم، و شل حرکتهم، هو اختیاره الإمام (ع) بالذات، حیث إنه الرجل الذی لا یمکن لأحد کائنا من کان أن ینکر فضله، و علمه، و تقواه، و سائر صفاته و مزایاه، التی لم تکن لأحد فی زمانه علی الاطلاق، فلیس لهم بعد طریق للاعتراض علیه: بأن الذی اختاره لولایة عهده، و الخلافة من بعده، لیس أهلا

---

(۱) راجع: الفخری فی الآداب السلطانیة، ص ۲۱۷، و ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۴، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۷، و الطبری، و ابن الأثیر، و القلقشندی، و أبو الفرج، و المفید و کل من تعرض من المؤرخین لولایة العهد ... بل لقد صرح نفس المأمون بذلک فی وثیقة ولایة العهد، و هذا یکفی فی المقام ... و لقد قال دعبل:

أیا عجبا منهم یسمونک الرضا   و یلقاک منهم کلحة و غضون

و هناک نصوص اخری مفادها: أنه سمی الرضا؛ لرضا أعدائه، و أولیائه به.

و عزا الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ١٣٨:- عزا- رضا أعدائه به إلى قوة شخصيته عليه السلام ... أما نحن فنقول: إنه ليس من اليسير أبدا، أن تنال شخصية رضا كل أحد، حتى أعدائها ... اللهم إلا إذا كان هناك سر إلهى، اختصت به تلك الشخصية، دون غيرها من سائر بنى الانسان ...

ص: ٢٣٥

لما أهّله له. و لو أنهم ادعوا ذلک لما صدقهم أحد، و لكانت الدائرة حينئذ فى ذلک عليهم، و الخسران لهم دون غيرهم.

فذلكة لا بد منها:

هذا ... و لا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن المأمون، لم يخترع اسلوبا جديدا للتصدى للزيدية، و الحد من نفوذهم، و كسر شوكتهم: ببيعته للرضا (ع)؛ إذ أنه كان قد استوحى هذه الفكرة من سلفه المهدى، الذى كان قد استوزر يعقوب بن داود الزيدى، ليحد من نشاط الزيدية، و يكسر شوكتهم. و كان قد نجح فى ذلک إلى حد ما: إذ لا يحدثنا التاريخ عن تحركات زيدية خطيرة ضد المهدى، بعد استيزاره ليعقوب، و تقريبه للزيدية، كتلک الأحداث التى حدثت ضد المنصور، و خصوصا ثورة محمد و ابراهيم ابنى عبد اللّه ...

كما يلاحظ أن تقريب العباسيين للزيدية فى عصر المهدى، و تسليطهم على شئون الدولة و إداراتها، لم يؤثر فى الوضع العام أثرا يخشاه العباسيون، و ذلک بلا شک مما يشجع المأمون على الاقدام على ما كان قد عقد العزم عليه، بجنان ثابت و إرادة راسخة ...

يضاف إلى ذلک: أن سهولة إبعاد العباسيين لهم عن مراكز القوة، و مناصب الحكم على يد المهدى نفسه، الذى نكب يعقوب بن داود، الوزير الزيدى، حيث لم تصاحبه ردة فعل، و لا نتج عنه أية حادثة تذكر ضد العباسيين، لا حقيرة، و لا خطيرة ... هو الذى شجع المأمون على أن يستوحى نفس الفكرة، و يلعب نفس اللعبة، و يتبع نفس طريقة المهدى. فى مواجهتهم، و كسر شوكتهم، بالبيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده.

ص: ٢٣٦

و على كل حال، فان هذا اسلوب قديم اتبعه العباسيون فى دعوتهم الاولى أيضا، حيث بايعوا للعلويين، و أظهروا أن الدعوة لهم و باسمهم ...

ثم كانت النتيجة هى ما يعلمه كل أحد، حيث انقلبوا عليهم يوسعونهم قتلا و عسفا، و تشريدا عند ما خافوهم، و لم يعودوا بحاجة إليهم ...

ه-:

أضف إلى ما تقدم أن المأمون كان يعلم قبل أى شخص آخر بطبيعة العلاقات التى كانت قائمة بين الأئمة (ع)، و بين الزيدية، حيث إنها كانت على درجة من السوء و التدهور. و كان عدم التفاهم، و الانسجام فيما بينهم واضحا للعيان ... حتى لقد شكى الائمة (ع) منهم، و صرحوا: بأن الناس قد نصبوا العداوة لشيعتهم، أما الزيدية فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم «١»، و فى الكافى رواية مفادها: إنه (ع) قال إنهم قبل أن يصلوا إلى الحكم كانوا لا يطيعونهم فكيف تكون حالهم معهم لو أنهم وصلوا إلى الحكم و تبوءوا كرسى الرئاسة.

---

(١) راجع: الوافى للفيض ج ١ ص ١٤٣، باب: الناصب و مجالسته ...

هذا ... و لا يمنع ذلک ما ورد عنهم عليه السلام من أن خروج الزيدية و غيرهم على الحكام يدرءوا به عنهم، و عن شيعتهم: فقد جاء فى السرائر قسم المستطرفات ص ٤٧٦ أنه: «ذكر بين يدى أبى عبد اللّه من خرج من آل محمد (ص)؛ فقال عليه السلام:

لا أزال أنا و شيعتى بخير ما خرج الخارجى من آل محمد إلخ ...». و ذلک لأن اصطدامهم مع الحكام كان يصرف أنظار الحكام إليهم، و يفسح المجال أمام أهل البيت و شيعتهم إلى حد ما. و لم يكن هناک مجال لاتهام الأئمة و شيعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما كان يراه الحكام من عدم الانسجام الظاهر بين الأئمة و بين الزيدية، و غيرهم من الثائرين و سلبية كل فريق منهما تجاه الآخر ...

و أخيرا ... فلا بد لنا هنا من الاشارة إلى أن ثورات العلويين، سواء على الحكم الاموى، أو الحكم العباسى، قد ساهمت فى أن يبقى حق العلويين فى الحكم محتفظا بقوته و حيويته فى ضمير الامة، و وجدانها. و لم تؤثر عليه حملات القمع و التضليل، التى كان الحكم القائم آنذاک يمارسها ضدهم، و ضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص.

ص: ٢٣٧

و قد رأينا: أن عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاء يعرض على الإمام الصادق (ع) كتاب أبى سلمة، الذى يدعوه فيه للقدوم إلى الكوفة، لتكون الدعوة له، و باسمه؛ فنهاه الإمام (ع) عن ذلک- رأيناه- ينازع الإمام الصادق الكلام؛ حتى قال له:

«و اللّه، ما يمنعک من ذلک الا الحسد إلخ ...» و قد انصرف عبد اللّه آخر الأمر مغضبا «١».

و رأينا أيضا أنه فى موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) يتهمه بنفس هذه التهمة، و يصمه بعين هذه الوصمة، و ذلک عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و أبدى الإمام (ع) رأيه فى ذلک ... ذلک الرأى الذى كشفت الأيام عن صحته و سداده «٢».

بل لقد كان عيسى بن زيد يقول لمحمد بن عبد اللّه: «... من خالفک من آل أبى طالب، فأمكنى أضرب عنقه ...» «٣» و قد تجرأ عيسى هذا أيضا على الإمام الصادق بكلام لا نحب ذكره ...

و أما موقف محمد بن عبد اللّه نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشهر من أن يذكر، حيث إنه سجن الإمام (ع)، و استصفى أمواله، و أسمعه كلاما قاسيا، لا يليق بمقام الإمام و سنه «۴».

---

(۱) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۴، ۳۵۵، و غيره من المصادر.

(۲) الصواعق المحرقة ص ۱۲۱، و ينابيع المودة للحنفى ص ۳۳۲، ۳۶۱، و مقاتل الطالبيين ص ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۷۰، و غير ذلک ... و فى هذا الأخير: أن عبد اللّه ابن الحسن لم يرض باستدعاء الامام، و لا وافق عليه، عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و بعد أن أقنعوه، و حضر الامام، جرى بينهما ما جرى ...

(۳) قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۷۰.

(۴) قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۷۰، و ج ۸ ص ۲۴۲، ۲۴۳، و البحار ج ۴۷ ص ۲۸۴، ۲۵۸.

إلى آخر ما هنالک مما يدل على كرههم، و حقدهم على الائمة (ع)، أو بالاخرى حسدهم لهم ...

و المأمون ... كان يعلم بذلک كله، و يدركه كل الإدراک، و لهذا فإننا لا نستبعد أنه- و هو الداهية الدهياء- قد أراد أيضا فى جملة ما أراد: أن يوقع الفتنة بين آل على أنفسهم. أى: بين الأئمة، و المتشيعين لهم، و بين الزيدية، و يقف هو فى موقف المتفرج المتربص، حتى إذا أضعف كل واحد من الفريقين الفريق الآخر، و لم يعد فيهما بقية ... انقض هو عليهما، و قضى عليهما بأهون سبيل ...

بل إن بعض الباحثين يرى: أنه أراد من لعبته هذه: «... ضربا للثائرين العلويين من إخوة على بن موسى بأخيهم «۱» ...».

و لو اننا استبعدنا كل ذلک، فلا أقل- كما قلنا- من أن حجته أصبحت قوية على الزيدية، و على كل من يدعو إلى «الرضا من آل محمد»، و لم يعد يخشى أحدا منهم، بعد أن أصبح «الرضا من آل محمد موجودا ...

الهدف التاسع:

كما أنه ببيعته للامام الرضا (ع) بولاية العهد، و قبول الإمام (ع) بذلک ... يكون قد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية، و لقد صرح المأمون بأن ذلک كان من جملة أهدافه، حيث قال: «... فأردنا أن نجعله ولى عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملک و الخلافة لنا ...» و سنتكلم حول تصريحات المأمون

---

(۱) هو الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ۲۱۹.

ص: ۲۳۹

هذه بنوع من التفصيل فی فصل: مع بعض خطط المأمون، و غیره إن شاء اللّه تعالی ...

نعود إلی القول: إن تصریح المأمون هذا یعطینا: أن قبول الإمام بأن یکون ولی عهد المأمون، إنما یعنی بالنسبة للمأمون: أن الإمام یکون قد أقر بأن الخلافة لیست له دون غیره، و لا فی العلویین دون غیرهم. و أنه کما یمکن أن یکون هو جدیرا بها، و أهلا لها، کذلک غیره یمکن أن یکون کذلک ... و لیتمکن المأمون بذلک من محاربة العلویین بنفس السلاح الذی بأیدیهم، و لیصیر- من ثم- من الصعب استجابة الناس لهم، إذا دعوا لأیة ثورة ضد حکم اعترفوا هم بشرعیته، و أیدوه، و تعاونوا معه من قبل، و علی أعلی مستوی و من أعظم شخصیة فیهم ...

بل لقد کان یرید أن یحصل من العلویین علی اعتراف بأن الحکم حق للعباسیین فقط. أما هم، فلیس لهم فیه أدنی نصیب. و ما فعله المأمون- من إسناد ولایة العهد لواحد منهم، ما کان إلا تفضلا و کرما، و من أجل أن یجمع شمل البیتین العلوی و العباسی، و تصفو القلوب و یمحو ما کان من أمر الرشید و غیره من أسلافه مع العلویین ...

و لقد حاول المأمون أن ینتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافة حق للعباسیین، شفاها أیضا فکانت النتیجة عکس ما أراد المأمون، و ذلک عند ما عرض بالمن علی الإمام بأن جعله ولی عهده، فأجابه الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم یزده فی النعمة شیئا، و أنه و هو فی المدینة کانت کتبه تنفذ فی المشرق و المغرب.

کما أن المأمون قد قال لحمید بن مهران، و جمع من العباسیین:

«... و لیعتقد فیه المفتونون به، بأنه لیس مما ادعی فی قلیل، و لا

ص: ۲۴۰

کثیر، و أن هذا الأمر لنا دونه ...» و لسوف یأتی الکلام عن هذه التصریحات إن شاء اللّه کما قلنا ...

و بعد ... فإنه لا یکون من المبالغة فی شیء لو قلنا: إن حصول المأمون علی اعتراف من العلویین، و من الإمام الرضا (ع) خاصة، بشرعیة خلافته، و خلافة، بنی أبیه أخطر علی العلویین من الاسلوب الذی انتهجه أسلافه من أمویین و عباسیین ضدهم،: من قتلهم، و تشریدهم، و سلب أموالهم، إلی غیر ذلک مما هو معروف و مشهور ...

الهدف العاشر:

یضاف إلی ذلک، أنه یکون قد حصل علی اعتراف ضمنی من الإمام بشرعیة تصرفاته، طیلة فترة ولایة العهد، و لیعطی الناس- من ثم- الصورة التی یریدها عن الحکم و الحاکم، و لیؤکد للملإ أجمع: أن الحاکم هذا هو سلوکه، و هذه هی تصرفاته: من کان، و مهما کان، و إذن فلیس لهم بعد حق فی أن یتطلعوا إلی حکومة أحد علی أن بها شیئا جدیدا. و لا أن ینظروا إلی جهة علی

انها يمكن أن يكون بها المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، حتى و لو كانت تلك الجهة هى آل بيت نبيهم، فإنه من الطبيعى أن يتبع السياسيون أساليب، و يتكلموا بأشياء كثيرة، ينسونها بمجرد وصولهم إلى الحكم، و تسلمهم لأزمّة السلطة، فإن تلك لا تعدو كونها تكتيكات، و وعودا انتخابية، يحتاجون إليها فى ظروف معينة، ثم يستغنون عنها ... كما كانت الحال فى وعود المأمون، التى أشرنا إليها فيما تقدم ...

و هكذا ... فيكون سكوت الإمام فى فترة ولاية العهد، عن تصرفات الهيئة الحاكمة، دالا على رضاه بها، و يعتبر إمضاء لها ... و بعد هذا ...

فلا يجب أن يكون من العسير على الناس أن يتصوروا طبيعة و ماهية حكم الإمام، و كل من يقدر له أن يصل إلى الحكم و السلطان، سواء من العلويين، أو من غيرهم ...

و إذا كانت الصورة واحدة، و الجوهر واحد، و الاختلاف إنما هو فقط فى الاسم و العنوان، فليس لهم بعد حق، أو على الأقل ما الداعى لهم، لأن يطلبوا حكما أفضل، أو حكاما أعدل، فانه طلب لغير موجود، و سعى وراء مفقود ...

الهدف الحادى عشر:

هذا ... و بعد أن يكون المأمون قد حصل على كل ما قدمناه، و حقن دماء العباسيين، و استوثقت له الممالک، و لم يعد هناک ما يعكر صفو حياته «۱». و قوى مركزه، و ارتفع بالخلافة من الحضيض المهين، الذى أوصلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، و التمكن و المجد. و أعطاها من القوة و المنعة، و وهبها من الحياة فى ضمير الامة و وجدانها ما هى بأمس الحاجة إليه .. و لتتمكن من ثم من الصمود فى وجه أية عاصفة، و إخماد أية ثورة، و مقاومة كل الأنواء، و ذلک هو حلمه الكبير، الذى طالما جهد فى تحقيقه– إنه بعد أن يكون قد حصل على كل ذلک و سواه مما قدمناه:

---

(۱) لقد صرح الذهبى فى الجزء الأول من كتابه «العبر»، بأنه فى سنة ۲۰۰ ه. استوثقت الممالک للمأمون ... و هذه هى نفس السنة التى اتى فيها بالامام عليه السلام من المدينة إلى مرو ... و لكن اليافعى فى مرآة الجنان ج ۲ ص ۸ و شذرات الذهب ج ۲ ص ۵: قد جعل ذلک فى سنة ۲۰۳:

أى فى السنة التى تخلص فيها المأمون من الامام الرضا عليه السلام بواسطة السم الذى دسه إليه ... و فى اليعقوبى ج ۲ ص ۴۵۲ طبع صادر: أنه فى السنة التى غادر فيها المأمون خراسان: «لم تبق ناحية من نواحى خراسان يخاف خلافها».

یکون قد أفسح لنظام حکمه المجال- تلقائیا- لتصفیة حساباته مع خصومه، أیا کانوا، و بأی وسیلة کانت، و بهدوء، و راحة فکر و اطمئنان إن اقتضی الأمر ذلک.

کما أنه یکون قد مهد الطریق لتنفیذ الجزء الثانی- و لعله الأهم- من خطته الجهنمیة، بعیدا عن الشبهات، و دون أن یتعرض لتهمة أحد، أو شک من أحد ... ألا و هو: القضاء علی العلویین بالقضاء علی أعظم شخصیة فیهم. و لیکون بذلک قد قضی نهائیا، و إلی الأبد، علی أکبر مصدر للخطر، یمکن أن یتهدده، و یتهدد خلافته و مرکزه ...

إنه یرید زعزعة ثقة الناس بهم، و استئصال تعاطفهم معهم، و لیحوله- إن استطاع- إلی کره و مقت، بالطرق التی لا تمس العواطف و المشاعر، و لا تثیر الکثیر من الشکوک و الشبهات ...

یظهر ذلک فی محاولاته إسقاط الإمام اجتماعیا، و الوضع منه قلیلا قلیلا، حتی یصوره أمام الرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر، و لیدبر فیه فی نهایة الأمر بما یحسم عنه مواد بلائه ... کما صرح لحمید بن مهران، و جمع من العباسیین، و سنتکلم بنوع من التفصیل عن محاولات المأمون هذه، التی باءت کلها بالفشل الذریع، و عادت علیه بالخسران؛ لأن الإمام (ع) کان قد أحبطها علیه، بل لقد کان لها من النتائج العکسیة بالنسبة إلیه ما جعله یتعجل بتصفیة الإمام جسدیا، بعد أن أشرف هو منه (ع) علی الهلاک ... بالطریقة التی حسب أنها سوف لا تثیر الکثیر من الشکوک و الشبهات ...

ملاحظة لا بد منها:

و من الامور الجدیرة بالملاحظة هنا: أن المأمون کان یقدر أن مجرد

ص: ۲۴۳

جعل ولایة العهد للإمام، سوف یکون کافیا لتحطیمه اجتماعیا، و إسقاطه نهائیا من أعین الناس؛ حیث یظهر لهم بالعمل- لا بالقول: أن الإمام رجل دنیا فقط، و أن تظاهره بالزهد و التقوی ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، و لا حقیقة وراءه ... و لسوف تکون النتیجة هی تشویه سمعة الإمام (ع)، و زعزعة ثقة الناس به؛ و ذلک بسبب الفارق الکبیر بالسن، بین الخلیفة الفعلی، و بین ولی عهده؛ إذ أن ولی العهد لا یکبر الخلیفة الفعلی بسنتین، أو ثلاثة، أو خمسة، لا ... بل اکثر من ذلک بکثیر، إنه یکبره ب «۲۲» سنة، و إنه لمن الامور غیر الطبیعیة أبدا: أن یقبل ولایة العهد، و هو یکبر الخلیفة الفعلی بهذا المقدار الکبیر من السنین، و لسوف یکون قبوله لها- مع هذا الفارق بینهما- موجبا لجعله عرضة لشکوک الناس، و ظنونهم، و لسوف یتسبب بوضع علامات استفهام کبیرة حوله ... کما کان الحال. بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، و کلام الریان المتقدم ... و لسوف یفسر «۱» ذلک من أولئک الذین لا یدرکون حقیقة ما یجری، و ما یحدث،- و ما أکثرهم- بتفسیرات تنسجم مع رغائب المأمون، و أهدافه. لأنهم سوف یرون أن زهده (ع) بالدنیا، لیس إلا ستارا تختفی وراءه مطامعه فیها، و حبه المستمیت لها، حتی إنه لیطمع أن یعیش إلی ما بعد الخلیفة الفعلی، الذی هو أصغر من ولده، و یصل إلی الحکم ... و باختصار نقول:

(۱) و لکنا، مع ذلک نجد: أن قسما من أصحاب الرضا علیه السلام، ممن کانوا یراقبون الأحداث بوعی و درایة، کانوا یدرکون لوایا المأمون و أهدافه هذه ففی البحار؛ ج ۴۹ ص ۲۹۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹: أنه قد سئل أبو الصلت:

«کیف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إکرامه و محبته له، و ما جعل له من ولایة العهد بعده؟! فقال: إن المأمون کان یکرمه و یحبه لمعرفته بفضله، و جعل له ولایة العهد من بعده، لیری الناس أنه راغب فی الدنیا؛ فلما لم یظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فی نفوسهم، جلب علیه إلخ ...».

إنه یرید أن: «... یعتقد فیه المفتونون به بأنه: لیس مما ادعی فی قلیل و لا کثیر ...» حسبما صرح به هو نفسه ... و علی حد قول الإمام نفسه، الذی کان یدرک خطة المأمون هذه: «... أن یقول الناس:

إن علی بن موسی، لم یزهد فی الدنیا، بل زهدت الدنیا فیه؛ أ لا ترون کیف قبل ولایة العهد طمعا بالخلافة؟! ...».

کما سیأتی ...

و عن الریان قال: «دخلت علی الرضا؛ فقلت: یا ابن رسول اللّه، إن الناس یقولون: إنک قبلت ولایة العهد، مع إظهارک الزهد فی الدنیا؟!!، فقال (ع): قد علم اللّه کراهتی ...» «۱» و قد أشرنا إلی سؤال محمد بن عرفة، و کلام الریان فیما تقدم.

و علی أی شیء یبکی المأمون، و من أجل أی شیء یشقی و یتعب، و یسهر اللیالی، و یتحمل المشاق ... إلا علی هذا ... إن هذا هو أجل أمنیاته و اغلاها ...

سؤال و جوابه:

قد یدور بخلد القارئ أن ما ذکرناه هنا: فیما یتعلق بالفارق الکبیر بالسن، ینافی ما تقدم من أن المأمون کان یرید الحصول علی قاعدة شعبیة، و الارتفاع بالخلافة من الحضیض الخ ...

و لکن الحقیقة هی: أنه لا منافاة هناک ... و یمکن للمأمون أن یقصد کل ذلک من البیعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بین الامام (ع) و المأمون، لم یکن مما یعرفه الکثیرون، و لا مما یلتفت إلیه عوام الناس فی بادئ

(۱) علل الشرائع ص ۲۳۸، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۰، و أمالی الصدوق ص ۴۴، ۴۵.

الأمر؛ لأنهم يأخذون الامور على ظواهرها، و لا يتنبهون إلى مثل ذلک، إلا بعد تنبيه و تذكير؛ فللوهلة الاولى تجوز عليهم الخدعة، و يقدرون خطوة المأمون هذه، و تنتعش الآمال فى نفوسهم بالحياة الهنيئة السعيدة، تحت ظل حكم بدا أنه يتخذ العدل ديدنا، و الانصاف طريقة ...

ثم ... و بعد أن يجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسميم الأفكار، يجد أن نفوس الناس مهيأة و مستعدة لتقبل ما يلقى إليها. و يكون لديه- باعتقاده- من الحجج ما يكفى لاسقاط الامام، و زعزعة ثقة الناس به. و لا يؤثر ذلک بعد ذلک على الحكم؛ فإن الحكم يكون قد استنفذ أغراضه من البيعة، و حصل على ما يريد الحصول عليه منها ... هذا و لا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون و أجهزة إعلامه كانوا فى مقابل وصم الامام بالرغبة بالدنيا و التفانى فى سبيلها ... يشيعون بين الناس عن المأمون عكس ذلک تماما؛ فيطلب المأمون من وزيره أن يشيع عنه الزهد، و الورع و التقوى «١» ... و أنه لا يريد مما أقدم عليه الاخير الامة و مصلحتها؛ حيث قد اختار لولاية عهده أفضل رجل قدر عليه، رغم أن ذلک الرجل هو من ذلک البيت الذى لا يجهل أحد موقفه من حكم العباسيين، و موقف العباسيين منه كما يتضح ذلک من وثيقة ولاية العهد، و غيرها.

رأى الناس فيمن يتصدى للحكم:

لعل من الواضح أن كثيرا من الناس كانوا يرون- فى تلک الفترة من الزمن- لقصر نظرهم، و قلة معرفتهم: أن هناک منافاة بين الزهد و الورع، و التقوى، و بين المنصب، و أنهما لا يتفقان، و لا يجتمعان.

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ ص ۲۶۱.

ص: ۲۴۶

و قد رأينا الكثيرين يمتنعون عن تولى المناصب للحكام، لما يرونه من المنافاة المشار إليها.

و لعل سر فهمهم هذا: هو أنهم كانوا قد اعتادوا من الحكام التجاوز على الحقوق، و الدماء، و الأموال، و على أحكام الدين، و النواميس الانسانية، بشكل عام. و الزهد و الورع لا يتلائم مع ذلک كله، و لا ينسجم معه ...

و لكن الحقيقة هى: أن لا منافاة بينهما أبدا؛ فإن الحكم إذا كان وسيلة لا يصال الخير إلى الآخرين، و رفع الظلم عنهم، و إشاعة العدل، و اقامة شريعة اللّه تعالى؛ فيجب السعى إليه، و العمل من أجله، و فى سبيله ... بل إذا لزم من ترک السعى إليه، تضييع الحقوق، و انهيار صرح العدل، و الخروج على أحكام الدين؛ فإن ترک السعى هذا، يكون هو المنافى للزهد و الورع و التقوى ...

و لقد قاد النبى (ع) الامة، و قبله قادها سليمان بن داود، و غيره، و بعده الإمام على بن أبى طالب، و ولده الحسن، ثم الحسين، و هكذا ...

و حال هؤلاء فى الزهد و الورع، لا يحتاج إلى مزيد بيان، و اقامة برهان. بل لم يكن على ظهرها أزهد، و لا أتقى، و لا أفضل، و لا أورع منهم، عدوهم يعرف منهم ذلک تماما كما يعرفه منهم صديقهم ...

فعدا عن الأنبياء الذين كانوا القمة فى الورع و الزهد و التقوى، نرى الإمام على (ع) قمة فى ذلک أيضا؛ و قد رقع مدرعته حتى استحيا من راقعها، و كان راقعها هو ولده «الإمام الحسن (ع)» «١». و كان

(١) راجع: الدرة النجفية ص ٣٠٣، طبعة حجرية.

ص: ٢٤٧

يصلى فى بيت المال ركعتين شكرا للّه، بعد فراغ المال منه. و كان يقول: «إليک عنى يا دنيا غرى غيرى، أبى تعرضت؟!! إلخ ...»

و هو الذى قال فيه عدوه معاوية: «لو كان له بيتان: بيت من تبر، و آخر من تبن؛ لأنفق تبره قبل تبنه ...» «١» ... إلى غير ذلک مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه ...

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايا المأمون تجاه العلويين، و محاولاته لإسقاطهم اجتماعيا، و ابتزازهم سياسيا ... حتى إذا أخفق فى ذلک راح يختلهم واحدا فواحدا، كلما و اتاه الظرف، و سنحت له الفرصة ... لم يكن العلويون يجهلونها، بل كانوا يدركونها كل الإدراک، و لم تكن تخدعهم تلک الشعارات و الأساليب المبهرجة ... و حسبنا هنا أن نذكر فى مقام التدليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد اللّه بن موسى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولى عهده، و يقول له: «ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا» ...

فأجابه عبد اللّه يقول: «وصل إلىّ كتابک، و فهمته، تختلنى فيه عن نفسى ختل القانص، و تحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفک دمى.

و عجبت من بذلک العهد، و ولايته لى بعدک، كأنک تظن: أنه لم يبلغنى ما فعلته بالرضا؟! ففى أى شىء ظننت أنى أرغب من ذلک؟ أ فى الملک الذى غرتک حلاوته؟! ... إلى أن يقول: أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا؟!». و يقول له أيضا- و الظاهر أنه نص آخر للرسالة-: «هبنى لا ثأر لى عندک، و عند آبائک المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهروا فى أمرنا، فحذرناهم. و كنت ألطف حيلة منهم؛ بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحدا،

(١) ترجمة الامام على (ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودى ج ٣ ص ٥٨- ٦٠.

ص: ۲۴۸

فواحدا منا الخ ...» «۱».

و لا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد اللّه بن موسى بأن يجعل له ولاية العهد ... للرسالة التى أرسلها إلى العباسيين فى بغداد، فور وفاة الرضا (ع)، و يعدهم فيها بأن يجعل ولاية العهد فيهم، و سنشير إلى رسالته لهم فى فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه و على كل حال ... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التى لعبد اللّه بن موسى أمورا، نشير إلى بعضها:

أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التى كان يخشاها، و الغدر بها؛ إذ أن من المقبول و الطبيعى- كما يرى البعض- أن يكون ولى العهد هو الذى يتآمر، و يدبر للتخلص من الخليفة الفعلى، ليختصر المسافة، و يصل إلى الحكم، الذى ينتظر الوصول إليه، و الحصول عليه بفارغ الصبر. و ليس من الطبيعى، و لا من المقبول أن يتآمر الخليفة على ولى عهده، إلا إذا كان يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، و هذا ما نفاه المأمون عن نفسه فى أكثر من مناسبة.

و هكذا ... فان النتيجة تكون: هى أن الخليفة الفعلى يكون آخر من يتهم فى ولى العهد، إذا ما راح ضحية التآمر و الاغتيال، و عرف الناس ذلک. و هذا بلا شک من جملة ما كان يريده المأمون، و يسعى إليه ...

ثانيا: إن المأمون رغم الصعوبات التى واجهها فى فترة تولية الرضا (ع) العهد ... يبدو أنه كان يعتبر نفسه منتصرا و ناجحا فى لعبته تلک، و لذلک نرى أنه قد حاول تكرار نفس اللعبة مع عبد اللّه بن

(۱) مقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ۶۲۸، إلى ص ۶۳۱، و سنورد الرسالة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

ص: ۲۴۹

موسى. و لكن يقظة هذا الأخير، الذى كانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت عليه الفرصة، و أعادته. بخفى حنين.

كما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالاضافة إلى ذلک التستر على غدره بالرضا (ع)، بعد أن كان قد افتضح و اشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر و الكتمان ...

ثالثا: ما تقدمت الاشارة إليه من أن إكرامه للعلويين، و الرضا بهم، و التستر لمحنهم، ما كان منه إلا ضمن خطة مرسومة، و إلا سياسة منه و دهاء، من أجل أن يأمن العلويون جانبه، و يطمئنوا إليه، كما يدل عليه قوله لعبد اللّه بن موسى: «ما ظننت أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا». و قد قدمنا أنه أشار إلى ذلک أيضا فى كتابه للعباسيين؛ فلا نعيد ...

رابعا: أنه لم يستطع أن يخفى عن العلويين- كما لم يستطع أن يخفى عن غيرهم- غدره بالإمام الرضا (ع)، و سمه له بالعنب، و كذلک غدره بغيره من العلويين. و سر ذلک واضح؛ فان جميع الدلائل و الشواهد كانت متوفرة على ذلک، كما سيأتى بيان جانب من ذلک فى فصول هذا الكتاب بنوع من التفصيل.

موقف الامام فى مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلک، التغلب على المشاكل التى كان يواجهها، و الاستفادة منها فى تقوية دعائم خلافته، و خلافة العباسيين بشكل عام ... و السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلک، و خططه، و أهدافه؟، و هل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، و يصل إلى ما

ص: ۲۵۰

كان يريد الوصول إليه؟ ... و هل كانت لديه خطط من نوع معين، و أهداف معينة كان يسعى من أجل الوصول إليها، و الحصول عليها؟! ...

الحقيقة هى: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، و سلوک مثالى: أن يضيع على المأمون كافة الفرص، و يجعله يبوء بالخيبة و الخسران، و يمنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاک، و بدا الارتباک واضحا فى كل تصرفاته، و أقواله، و أفعاله ... و سيأتى فى الفصول الآتية فى القسمين: الثالث، و الرابع بيان بعض ما يتعلق بذلک إن شاء اللّه.

المأمون فى قفص الاتهام:

و هكذا ... و بعد أن اتضحت الاسباب الحقيقية للبيعة، و بعد أن عرفنا بعض الظروف و الملابسات، التى أحاطت بهذا الحدث الهام، فاننا نستطيع أن نضع المأمون، و نواياه، و أهدافه، فى قفص الاتهام، و لا يمكن أن نصدق- بعد هذا- أبدا، أى ادّعاء سطحى، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، و سلامة طويته، و لا سيما و نحن نرى كتابه للعباسيين فى بغداد فور وفاة الرضا، و كذلک سلوكه المشبوه مع الرضا (ع) من أول يوم طلب منه فيه الدخول فى هذا الأمر، و حتى إلى ما بعد وفاته، كما سيأتى بيانه فى الفصول الآتية ... و كذلک كتابه لعبد اللّه بن موسى المتقدم ...

و الأدهى من ذلک كله رسالته للسرى، عامله على مصر، التى «يخبره فيها بوفاة الرضا، و يأمره بأن تغسل المنابر، التى دعى عليها لعلى بن موسى، فغسلت ...» «۱».

---

(۱) الولاة و القضاة للكندى ص ۱۷۰.

ص: ۲۵۱

و كذلک لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأی واحد من العلويين، الآخرين ... كما أشرنا إليه فی رسالته لعبد اللّه بن موسی، التی يذكر فيها: أنه راح يختلهم واحدا فواحدا ... و أيضا عند ما نری أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، و يأخذهم بلبس السواد «۱» ... بل و يأمر ولاته و أمراءه بملاحقتهم، و القضاء عليهم، كما سيأتی ...

مع المأمون فی وثيقة العهد:

و يحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التی كتبها المأمون للامام (ع) بخط يده؛ فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأی أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة و حيث اننا قد تحدثنا، و لسوف نتحدث فی مطاوی هذا الكتاب عن بعض فقراتها ... فلسوف نقتصر هنا علی:

أولا: إننا نلاحظ: أنه يؤكد كثيرا علی نقطتين: الاولی: أنه منطلق فی هذه البيعة من طاعة اللّه، و إيثاره لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلک إلا مصلحة الامة، و الخير لها ...

و سر ذلک واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب و استهجان الناس؛ الذين يرون الرجل الذی قتل حتی أخاه من أجل الحكم- يرونه الآن- يتخلی عن هذا الحكم لرجل غريب، و لمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسين للعباسيين ... كما أنه يريد بذلک أن يكتسب ثقة الناس به، و بنظام حكمه.

وعدا عن ذلک فهو يريد أن يطمئن العلويين و الناس إلی أن ذلک لا ينطوی علی لعبة من أی نوع، بل هو أمر طبيعی فرضته طاعة اللّه و مرضاته، و مصلحة الامة، و الصالح العام ...

---

(۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربی ج ۵ ص ۲۰۴.

ص: ۲۵۲

و ثانيا: نراه يجعل العباسيين و العلويين فی مرتبة واحدة؛ و ذلک لكی يضمن لأهل بيته حقا فی الخلافة كآل علی.

و ثالثا: يلاحظ: أنه يعطی خلافته صفة الشرعية؛ حيث يربطها بالمصدر الأعلی (اللّه)، و علی حسب منطق الناس هذا تام و صحيح؛ لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يؤدی إلی المناداة بواحد علی أنه خليفة، و يصير مقبولا لدی الناس ... إنهم بمجرد ذلک يصيرون يعتبرونه خليفة اللّه فی أرضه، و حجته علی عباده ...

و هو أيضا تام و صحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالارث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه ...

و لهذا نلاحظ أنه يقدم عبد اللّه بن العباس على على بن أبى طالب!! مع أن عبد اللّه تلميذ على ... و ليس ذلک إلا من أجل إثبات هذه النقطة، و جعل حق له بالخلافة، بل و جعل نفسه الأحق بها ... هذه الخلافة التى هى منصب إلهى، وصل إليه بالطريق الشرعى، سواء على حسب منطق الناس فى تلک الفترة، أو على حسب منطق العباسيين ...

و فى هذا إرضاء للعباسيين، و تطمين لهم، كما أنه فى نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا- يرون الخلافة بالكيفية التى أشرنا إليها و قد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر؛ حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، و على نفس الخط الذى هم عليه ...

و رابعا: إننا نراه فى نفس الوقت الذى يؤكد فيه مذهبه، و وجهة نظره بتلک الأساليب المتعددة و المختلفة المشار إليها آنفا- نراه فى نفس الوقت- يدعى: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع)، لا من جهة أنها حق له، و لا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من جهة أنه أفضل من قدر عليه ... و هذا أمر طبيعى جدا، و ليس إقرارا بمقالة

ص: ٢٥٣

الرضا ... و كما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غدا على غيره، عند ما يوجد من له فضل، و أهلية ... و هذا دون شک ضربة لما يدعيه الرضا و يدعيه آباؤه من الحق فى الخلافة، و من النص، و غير ذلک ...

هذا ...

و لسوف يأتى فى فصل: خطة الإمام، شرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقة، و لنرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، و صيره هباء اشتدت به الريح فى يوم عاصف ...

كلمة أخيرة:

و أخيرا: فاننا مهما شككنا فى شیء، فلسنا نشک فى أن المأمون كان قد درس الوضع دراسة دقيقة، قبل أن يقدم على ما أقدم عليه.

و أخذ فى اعتباره كافة الاحتمالات، و مختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الايدى الأثيمة، و الأهواء الرخيصة ... و إن كانت لعبته تلک لم تؤت كل ثمارها، التى كان يرجوها منها؛ و ذلک بسبب الخطة الحكيمة التى كان الإمام (ع) قد اتبعها.

و لعمرى: «... إن بيعته للامام لم تكن بيعة محاباة؛ إذ لو كانت كذلک لكان العباس ابنه، و سائر ولده، أحب إلى قلبه، و أجلى فى عينه ...». على حد تعبير المأمون فى رسالته للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

ص: ٢٥٤

أسباب البيعة لدى الآخرين:

أحمد أمين المصرى، و أسباب البيعة:

و على ضوء ما تقدم، نستطيع أن نلقى نظرة على ما ذكره بعض المؤرخين، و الباحثين، مما جعلوه أسبابا لأخذ البيعة للامام (ع) بولاية العهد؛ و لنرى- من ثم- أنها لا تقوى على الصمود أمام النقد التاريخى الواعى و الدقيق؛ إذ أنها على الغالب: إما لا تعتمد على سند تاريخى أصلا، أو تعتمد على ما لا يصلح للاعتماد عليه ...

و لعل الدكتور أحمد أمين المصرى، قد جمع كلا الناحيتين فيما جعله- بنظره- أسبابا للبيعة، حيث نلاحظ: أن بعض ما ذكره ليس له أى سند تاريخى، بل التاريخ على اختلاف أهوائه، و اتجاهاته يدحضه، و يكذبه ... و البعض الآخر قد اعتمد فيه على ما لا يصح الاعتماد عليه؛ و لذا فلا يكون من التجنى عليه القول: إن ما ذكره كان سطحيا، أو بوحى من تعصب مذهبى رخيص ...

و ما ذكره يرجع إلى أسباب أربعة، رأى أنها صالحة، كلا أو بعضا، لأن تكون سببا لأخذ البيعة للرضا بولاية العهد ... و نلخصها بما يلى:

ص: ۲۵۵

۱- إن المأمون قد أراد بذلک: أن يصلح بين البيتين، العلوى، و العباسى، و يجمع شملهما؛ ليتعاونا على ما فيه خير الامة، و صلاحها.

و تنقطع الفتن، و تصفو القلوب.

۲- إنه كان معتزليا، على مذهب معتزلة بغداد، يرى أحقية على (ع) و ذريته بالخلافة؛ فأراد أن يحقق مذهبه ...

۳- إنه كان تحت تأثير الفضل و الحسن بنى سهل الفارسيين، و الفرس يجرى فى عروقهم التشيع؛ فما زالا يلقنانه آراءهما، حتى أقرها، و نفذها ...

۴- «إنه رأى أن عدم تولى العلويين للخلافة، يكسب أئمتهم شيئا من التقديس؛ فإذا ولوا الحكم ظهروا للناس، و بان خطؤهم، و صوابهم، فزال عنهم هذا التقديس ...» «۱».

هذا ... و قد ادعى فى كتابه: «المهدى و المهدوية»: أن هؤلاء الأئمة كانوا يرتكبون الآثام فى الخلفاء، فأراد المأمون: أن يظهرهم، ليعرفهم الناس على حقيقتهم ...

كان ذلک ما يراه أحمد أمين يصلح- كلا أو بعضا- سببا للبيعة ...

آراء أحمد أمين فى الميزان:

و نحن بدورنا، و إن كنا نعتقد أن فيما قدمناه، و ما سيأتى كفاية فى تفنيد هذه المزاعم و اسقاطها، إلا أننا نرى لزاما علينا أن نشير بايجاز إلى بعض ما يشير إلى ضعفها و وهنها، معتمدين فى بقية ما يرد عليها على ذكاء القارئ، و تنبهه، و وعيه ... فنقول:

---

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٥.

ص: ٢٥٦

أما ما ذكر أولا: فقد كفانا هو نفسه مؤونة الكلام فيه، حيث قد اعترف بأن المأمون لو كان يرمى إليه لكان فى منتهى السطحية و السذاجة ...

و أما ما جعله سببا ثانيا: فلعله لا يقل عن سابقه فى الضعف و الوهن، و لا سيما بملاحظة ما قدمناه فى الفصلين السابقين، من الظروف التى كان المأمون يعانى منها، و أيضا ملاحظة ما سيأتى من سلوك المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، و معاملته السيئة للعلويين، و كل من يتشيع لهم، و يتعاطف معهم ... و على الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تكن عقيدته هى المنطلق له فى مواقفه السياسية، بل كان ينطلق مما يراه يخدم مصالحه الخاصة، و يؤكد وجوده فى الحكم، و قد قدمنا أنه كان تارة يتحرج من تنقص الحجاج بن يوسف، و تارة يصف الصحابة، ما عدا الإمام على (ع) ب «الملحدين»، و يصف الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ب «جعل»، إلى آخر ما هنالک من الشواهد و الأدلة، مما لا نرى ضرورة لاعادته.

و لعل الأهم من ذلک كله: أن تفضيل المعتزلة- معتزلة بغداد- عليا (ع) على جميع الصحابة، لم يكن واضحا بعد فى تلک الفترة، و إنما بدأه بشر بن المعتمر حسبما سيأتى بيانه فى فصل خطة الإمام ...

و عليه فهذا الوجه لا يستقيم، على جميع الوجوه و التقادير.

و أما ما جعله سببا ثالثا؛ فسيأتى الكلام عليه بنوع من التفصيل ...

و لكننا نستغرب منه جدا، بل و نأسف كل الأسف، لما طلع به علينا؛ بما جعله سببا رابعا: من أن عدم تولى الأئمة للحكم يكسبهم شيئا من التقديس؛ فأراد أن يولى الإمام الرضا العهد؛ ليزول عنهم ذلک التقديس- و قد أشرنا سابقا إلى أنه استوحى هذه الفكرة من ابن القفطى فى تاريخ الحكماء ...

ص: ٢٥٧

و ليس واضحا تماما من هم «الأئمة»، الذين يقصدهم أحمد أمين فى عبارته تلك. و إذا ما كان يقصد الأئمة الاثنى عشر، حيث إنه فى معرض الحديث عن أحدهم، و هو الإمام الرضا ... بل أعلن ذلک صراحة فى عبارته الاخرى، التى أوردها فى كتابه: «المهدى و المهدوية»- إذا كان كذلک-، فاننا نرى: أن لنا كل الحق فى أن نتساءل:

هل عثر أحمد أمين لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم على ما يتنافى مع التقديس، على مدى تاريخهم الطويل؟! و هل يستطيع أن يثبت عليهم أدنى شىء يمس كرامتهم، و يتنافى مع مروءتهم، و يخالف دينهم و رسالتهم؟! ...

و لما ذا تظهر تفاهات غيرهم، و أخطاؤهم، رغم اجتهادهم و تفانيهم فى سترها، و اخفائها ... و لا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمة، رغم اجتهاد الناس فى الافتراء عليهم، و التعرف على أية نقيصة أو خطاء منهم إن كان؟!!.

و متى كان هؤلاء الأئمة مستورين عن الناس، منفصلين عنهم، حتى استطاعوا أن يحصلوا على هذا التقديس؟!!.

و هل كل شخصية لا تصل إلى الحكم يقدسها الناس؟!!.

و هل كل شخصية تصل إلى الحكم لا يقدسها الناس؟!!.

و هل التقديس مقصور على الشخصية المستورة، و لاحظ للشخصية الظاهرة منه؟!!.

و هل أثر وصول الإمام على (ع) للحكم طيلة أكثر من أربعة أعوام على تقديس الناس له؟!.

ص: ۲۵۸

و هل يستطيع أحمد أمين أن يذكر لنا خطأ واحدا، ارتكبه الإمام على (ع)، طيلة فترة حكمه؟! رغم أن معاوية و سواه، ممن كانوا معادين للإمام (ع)، ما كانوا يألون جهدا فى الصاق التهم به، و الافتراء عليه؟!!.

و أما عن الإمام الرضا (ع):

فمتى كان مستورا عن الناس، بعيدا عنهم؟!!.

و هل تتفق دعواه باستتار الأئمة- و الرضا منهم- عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فيما كتبه بخط يده فى وثيقة العهد، حيث يقول: «... و قد استبان له [أى للمأمون] ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...».

فهل يعقل: أن إنسانا من هذا النوع يكون مستترا عن الناس، بعيدا عنهم، و لا يعيش فيما بينهم، منذ حداثة سنه إلى أوان اكتهاله؟!.

و مع ذلک ... فأی خطأ یستطیع أحمد أمین، أن یسجله علی الإمام الرضا (ع) طیلة الفترة التی عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة- و هو الحاکم المطلق- من أجل أن یضع من الامام (ع) قلیلا قلیلا. و یصوّره أمام الرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر، علی حد تعبیر نفس المأمون؟!.

و هل لم یقرأ أحمد أمین أقوال کبار علماء أهل السنة، و أئمتهم، و تصریحاتهم الکثیرة جدا حول أئمة أهل البیت (ع)، و الإمام الرضا منهم بالذات؛ لیعرف مقدار عظمتهم، و طهارتهم، و نزاهتهم التی لا یشک، و لا یرتاب، و لا یناقش فیها أحد؟! ...

ص: ۲۵۹

و أخیرا ... هل زال ذلک التقدیس عن الإمام الرضا، عند ما ظهر للناس؟! أم أن الأمر کان علی عکس ذلک تماما؟!! ...

هذه بعض الأسئلة التی نوجهها للاستاذ: «أحمد أمین»، و لکل من یری رأیه، و یذهب مذهبه ... و إننا لعلی یقین من أنها سوف لن تجد لدی هؤلاء الجواب المقنع و المفید ... و إنما ستواجه عنتا و عنادا صاعقین، یبتزان منهم کل غریبة، و یظهران الکثیر الکثیر من الترهات العجیبة ... و لکن لیطمئن بالهم، و تهدأ ثائرتهم؛ فإننا سوف لن نستغرب علیهم مثل هذه الترهات، و لن نعجب لمثل تلک الافتراءات؛ فما تلک إلا: «شنشنة أعرفها من أخزم» ...

رأی غریب آخر فی البیعة:

هذا ... و یری بعض المؤلفین: أن المأمون کان فی بیعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثیر القوات المسلحة، و أنها هی التی أجبرته علی ذلک، حیث کان القسم الکبیر من قوادها، و زعماء فرقها یمیلون إلی العلویین، و قد شرطوا علیه: أنهم لا یفتحون نار الحرب ضد الأمین إلا إذا جعل الرضا ولی عهده؛ فأجابهم إلی ذلک «۱» ...

و أقول: لیت هذا المؤلف ذکر لنا اسم ذلک المؤرخ، الذی نقل له هذا الاشتراط من أولئک القواد علی المأمون، و الذی تنافیه تصریحات المأمون نفسه، و سلوکه مع الإمام (ع)، حتی قبل أن یصل إلی مرو، و کذلک سائر مواقفه معه، و التی تکشف عن حقیقة دوافعه و نوایاه إلی آخر ما هنالک مما قدمنا و سیأتی شطر منه.

---

(۱) هذا ما ذکره الشیخ القرشی فی کتابه: حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۳۸۷.

ص: ۲۶۰

و أحسب أن هذا المؤلف یشیر بما ذکره هنا إلی ما ذکره جرجی زیدان فی روایته: «الأمین و المأمون» ص ۲۰۳، طبع دار الاندلس، فقد ذکر أن الفضل بن سهل قد اشترط علی المأمون ذلک. و احتمل ذلک أیضا فی کتابه: تاریخ التمدن الإسلامی، المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۳۹. و کأن مؤلفنا یرید أن یقول: إن المأمون کان مضطرا إلی إجابتهم: إما خوفا من انتقاضهم علیه، أو رغبة فی القضاء علی أخیه الأمین، أو للسببین معا ... و لکن هذا الاشتراط کما قلنا، لیس له أی سند تاریخی یدعمه، بل

الشواهد التاريخية كلها على خلافه، سيما و نحن نرى الفضل بن سهل و أخاه يمانعان فى عقد البيعة للرضا. و ما ذكره «زيدان»، لا يصلح شاهدا تاريخيا، بعد أن كان روائيا، لا يلتزم بالحقائق التاريخية ... و بعد أن لاحظنا: أنه يتعمد التضليل فى كتابه:

تاريخ التمدن الإسلامى ...

و أحسب أن هذا هو عين الاتهام الموجه للفضل بن سهل فى أمر البيعة؛ بأنه هو المدبر لها، و القائم بها. لكنه صيغ بنحو آخر فيه الكثير من الايهام و الابهام ...

و فريق آخر يرى:

و هناك بعض الباحثين يرى: أن من جملة الأسباب الهامة للبيعة: هو أن المأمون أراد أن يحذر العباسيين من مغبة المخالفة له، و الاستمرار فى ذلک. و أن يرغمهم، و يدفعهم إلى الوقوف إلى جانبه؛ بدافع من خوفهم من انتقال الخلافة عنهم إلى خصومهم العلويين. و أن ينتقم منهم بسبب خلعهم له من ولاية العهد، و تأييدهم أخاه الأمين عليه، و تشجيعهم له

ص: ۲۶۱

ضده. كما أنه يكون بذلک قد جمع المزيد من المؤيدين له، ليستطيع مقابلتهم، و الوقوف فى وجههم، و ينتقم منهم «۱».

و لكنه رأى لا تمكن المساعدة عليه:

لأن منطق الأحداث، و واقع ظروف المأمون يأبيان كل الاباء أن يكون هذا سببا منطقيا للبيعة ... و قد قدمنا فى الفصلين السابقين البيان الكافى و الوافى لما يتعلق بهذا الموضوع ... هذا بالإضافة إلى أن ذلک لا يتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الدهاء و السياسة، و هل يمكن أن يقدم المأمون على خلق و إثارة مشاكل هو فى غنى عنها؟ و على الأخص فى تلک الفترة من الزمن، التى كانت طافحة بالمشاكل، كان العصيان فيها معلنا فى أكثر مناطق الدولة، و مهددا به من كل جانب و مكان؟!!.

إن الحقيقة هى: أن المأمون فى تلک الفترة بالذات، كان بحاجة إلى أن يكتسب ثقة و حب أى إنسان كان. فضلا عن ثقة و حب أهل بيته، و عشيرته: العباسيين ...

ثم ... و هل يمكن أن يلجأ المأمون للانتقام منهم، الى هذا الاسلوب العاجز، بعد أن خضعوا له و انقادوا لأمره، و سلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمين؟!.

و لما ذا لا يقدر: أنهم سوف يقابلونه بالمثل، و يقومون فى وجهه؛ ثأرا لكرامتهم، و دفاعا عن وجودهم؟! ...

و لما ذا يعطيهم الفرصة لابراز عضلاتهم ضده، و يجعلهم يفكرون فى

(۱) الصلة بين التصوف و التشيع ص ۲۱۹، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۲ جزء ۴ ص ۴۹۲، و التربية الدينية للفضلى ص ۱۰۰، الطبعة الخامسة، و غير ذلک ...

تحدى سلطته، و هتک حرمته؟! ... حيث رأيناهم قد خلعوا المأمون؛ بسبب بيعته للإمام (ع)، و بايعوا لإبراهيم بن المهدى، فى أواخر ذى الحجة، من نفس السنة التى بويع فيها للإمام (ع) بولاية العهد.

و أخيرا ... أ لم يكن باستطاعة المأمون أن يصفى حساباته مع خصومه الضعفاء جدا، الذين كاد يلتهمهم المد العلوى و يقضى عليهم، بأساليب أخرى، أقل إثارة، و أشد نكاية؟!! ...

و لقد أشرنا، و لسوف نشير الى ما قاله المأمون لحميد بن مهر و جمع من العباسيين ... بل و يكفينا هنا: أن نلقى نظرة على ما قاله المأمون للعباسيين فى كتابه المعروف لهم، يقول المأمون: «... فإن تزعموا أنى أردت أن يؤول إليهم (يعنى للعلويين) عاقبة و منفعة، فإنى فى تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ...» و كذلک ما كتبه بخط يده فى وثيقة العهد ... إلى آخر ما هنالک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

فتلخص أن ما ذكر هنا، لا يمكن أن ينسجم مع ما يقال عن حنكة المأمون، و دهائه السياسى ...

الفضل فى قفص الاتهام:

و أخيرا ... فإن بعض المؤلفين، كأحمد أمين فى كلامه المتقدم، و جرجى زيدان «۱» و أحمد شلبى «۲»، و غيرهم. و بعض المؤرخين كابن الأثير فى الكامل، طبعة ثالثة ج ۵ ص ۱۲۳، و ابن الطقطقى فى:

(۱) تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۳۹.

(۲) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۳۲۰.

الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۷، و غيرهما ... يرون أن الفضل بن سهل كان العامل الرئيسى فى لعبة «ولاية العهد» هذه، و أن المأمون كان فى ذلک واقعا تحت تأثير الفضل، الذى كان يتشيع.

و يرى آخر: أن سبب إشارة الفضل على المأمون بذلک، هو أنه أراد أن يمحو ما كان من أمر الرشيد فى العلويين «۱» ...

الفضل برىء من كل ما نسب إليه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطيع أن نؤكد على ما يلى:

إن ما بأيدينا من النصوص التاريخية يابى عن نسبة التشيع للفضل، بل و حتى عن نسبة إشارته على المأمون بهذا الأمر، فضلا عن كونه المدبر له، و القائم به ... اللهم إلا أن تكون مؤامرة اشترک الرجلان معا فى وضع خطوطها العريضة، آخذان فى اعتبارهما ظروفهما، و مصالحهما الشخصية، ليس إلا ...

بل إن بعض النصوص تفيد أن الفضل كان عدوا للامام (ع)، حيث إنه كان من صنائع البرامكة «٢»، أعداء أهل البيت (ع). و أنه لم يكن حتى راغبا فى البيعة للرضا (ع)، و أنه و أخاه قد مانعا فى عقد العهد للرضا «٣»؛ فكيف يكون هو المشير على المأمون بالبيعة له ... بل لم يكن

---

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٣٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، نقلا عن: البيهقى عن الصولى ...

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، ١١٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦، و ص ٢٢٦.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ٢٧٠، و نور الأبصار للشبلنجىّ ص ١٤٢، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٦، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٩، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٥، و ارشاد المفيد ص ٣١٠، ٣١١، و غير ذلک ...

ص: ٢٦٤

يعلم أن المأمون يريد عقد البيعة له إلا بعد وصوله إلى خراسان و احضار المأمون له، و اعلامه بأنه يريد عقد البيعة له على ما فى مقاتل الطالبيين ص ٥٦٢ و الطبرى و غيرهما. و إن كان ربما يناقش فى ذلک بمنافاته لرسالة الفضل التى ارسلها إلى الإمام و هو فى المدينة و التى أوردها الرافعى فى التدوين.

و ذلک ما يقوى أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلک الرسالة بأن ذلک عن اتفاق بينه و بين المأمون فراجعها.

و لو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، و يحاول أن يجعل للمأمون ذريعة للاقدام على التخلص منه (ع)، و ذلک عند ما ذهب إلى الرضا، و حلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، و جعل الأمر إليه. «١»

لكن الإمام بسبب وعيه و تيقظه قد ضيع عليه و على سيده هذه الفرصة، حيث أدرک للتوّ أنها دسيسة و مؤامرة، فزجر الفضل و طرده، ثم دخل من فوره على المأمون، و أخبره بما كان من الفضل، و أوصاه أن لا يأمن له ...

و بذلک یکون الإمام (ع) قد ضیع علی المأمون و الفضل فرصة تنظیم اتهام له بما لم یکن- کما أنه یکون قد شکک المأمون فی اخلاص الفضل له.

و عاد الفضل من مهمته تلک بخفی حنین، یجر هو و سیده أذیال الخیبة، و الخزی، و الخسران ...

أما إذا کان الفضل قد أقدم علی ذلک من دون علم المأمون- کما

---

(١) و ان کنا لا نستبعد أن یکون قد أقدم علی ذلک من دون علم المأمون؛ و بدافع من حقده الدفین علی الامام علیه السلام، و حسده له؛ یرید بذلک تمهید السبیل لقتله؛ لیخلو له الجو، و لیفعل من ثم ما یشاء و حسبما یرید.

هو غیر بعید- فلیس ذلک إلا بدافع من حقده الدفین علی الإمام (ع)، و حسده له، یرید بذلک تمهید الطریق لمقتله، لیخلو له الجو، و لیفعل من ثم ما یشاء، و حسبما یرید ...

و أیا ما کانت الحقیقة، فإن النتیجة لیست سوی الخزی و العار، و الخیبة القاتلة بالنسبة للفضل فی هذه القضیة ...

و یا لیته کان قد قنع بذلک ... و لکنه استمر فی تحریض المأمون علی التخلص من الإمام (ع)، حتی إن بعض المؤرخین یری: أن المأمون لم یقتل الإمام إلا بتحریض من الفضل بن سهل!!! ...

و بعد ... فهل یمکن أن تنسجم دعوی تشیعه مع إشارته علی المأمون بارجاع الإمام عن صلاة العید، و ذلک حتی لا تخرج الخلافة منه؟! ...

کما سنشیر إلیه إن شاء اللّه.

و أیضا ... مع إظهاره العداوة الشدیدة للإمام (ع) و حسده له علی ما کان المأمون یفضله به، علی حد تعبیر الریان بن الصلت؟!! «١».

و کذلک مع اصطناعه هشام بن إبراهیم الراشدی، و جعله عینا للمأمون علی الإمام، ینقل إلیه حرکاته و سکناته، و یمنع الناس من الوصول إلیه حسبما تقدم؟!!.

و لو أن الفضل کان ممن یتشیع للإمام، لکان یجب أن یعد من أعظم البلهاء، إذ کیف لا یلتفت لأمر المأمون المؤکد لرسله: أن لا یمروا بالإمام عن طریق الکوفة و قم، لئلا یفتتن به الناس. ثم إلی تهدیداته له بالقتل، إن لم یقبل ما یعرضه علیه، ثم إلی جلبه العلماء و المتکلمین

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۸، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۳.

ص: ۲۶۶

من أقاصی البلاد، من أجل افحام الإمام، و اظهار جهله و عجزه، إلی آخر ما هنالک، من صفحات تاریخ المأمون السوداء.

ثم نری أنه هو بنفسه یشارک فی ذلک کله، و سواه، و یعمل من أجله حتی لقد شارک فی التهدید للامام، إن لم یقبل ما یعرضه علیه المأمون ...

و إذا کان نفوذه قد بلغ حدا یجعل المأمون یتنازل عن عرشه- الذی قتل من أجله أخاه- لرجل غریب، فلما ذا لا یعمل هذا النفوذ من أجل أن یمنع المأمون عن ذلک السلوک اللاإنسانی، الذی انتهجه مع الإمام، ابتداء من حین وجود الإمام فی المدینة، و إلی آخر لحظة عاشها معه، و بعد ذلک إلی ما شاء اللّه ...

هذا کله من جهة ...

موقف الإمام من الفضل ینفی نسبة التشیع له:

و من جهة ثانیة ... لو کان للفضل فضل فی مسألة البیعة للإمام (ع)، أو کان ممن یتشیع له، لم یکن من اللائق من الرضا (ع)، أن یخبر المأمون بما عرضه علیه الفضل من قتل المأمون، و جعل الأمر إلیه ... و لا من المناسب أن یوصیه بأن لا یأمن له، و یخبره بغشه و کذبه، و أنه یخفی عنه حقیقة ما یجری فی بغداد، و غیرها «۱» ...

و لا من اللائق منه أیضا: أن یعامله تلک المعاملة، التی لا یعامل بها المحبون المخلصون، و التی کان فیها الکثیر من الخشونة، و الاحتقار و الامتهان، فقد قدمنا أنه عند ما ذهب إلیه الفضل یطلب منه کتاب

(۱) تاریخ الطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۲۵.

ص: ۲۶۷

الامان، لم یسأله عن حاجته إلا بعد ساعة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الکتاب، فقرأه- و کان کتابا فی اکبر جلد- و هو واقف، لم یأذن له بالجلوس ...

و کذلک لم یکن من اللائق منه: أن یزری علیه عند المأمون، فقد ذکر المؤرخون: أنه «... کان یذکر ابنی سهل عند المأمون، و یزری علیهما، مما دفعهما إلی السعایة به، و کان یوصیه أن لا یأمن لهما» «۱».

إلی آخر ما هنالک مما لا یصدر من ای انسان عادی آخر فی حق من یتشیع له، فضلا عمن یتسبب فی جعله ولیا لعهد الخلافة الإسلامیة للامة بأسرها.

و المأمون نفسه یستنکر ذلک:

و من جهة ثالثة ... فقد کفانا المأمون نفسه مؤونة الحدیث عن دور الفضل بن سهل فی هذه القضیة ... و لا شک أن «عند جهینة الخبر الیقین».

فقد قدمنا فی الفصل السابق: أن الریان بن الصلت- و کان من رجال الحسن بن سهل «۲»!!- عند ما رأی أن القواد و العامة قد أکثروا فی بیعة الرضا، و أنهم یقولون: «إن هذا من تدبیر الفضل» ... قال للمأمون ذلک، فأجابه المأمون: «... و یحک یا ریان!! أ یجسر أحد أن یجیء إلی خلیفة قد استقامت له الرعیة، و القواد، و استوت الخلافة، فیقول

---

(۱) مقاتل الطالبیین ص ۵۶۵، ۵۶۶، و إعلام الوری ص ۳۲۵، و کشف الغمة ج ۳ ص ۷۱، و روضة الواعظین ج ۱ ص ۲۷۶، و البحار ج ۴۹، و إرشاد المفید، و أعیان الشیعة، و غیر ذلک ...

(۲) صرح بأنه من رجاله فی کتاب: البحار ج ۴۹ ص ۱۳۳، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹.

ص: ۲۶۸

له: ادفع الخلافة من یدک إلی غیرک؟! أ یجوز هذا فی العقل؟!! ... الخ» لا ... أبدا ... لا یمکن أن نتصور، و لا یجوز فی العقل: أن یأتی وزیر ملک إلیه، و یطلب منه التنازل عن عرشه، و یسلمه إلی رجل غریب، و هو یعلم أن ذلک الملک، قد قتل أخاه، و غیره، و هدم البلاد، و أهلک العباد، من أجل ذلک العرش ... هذا مع علمه أنه سوف لا یکون له هو فی دولة ذلک الرجل الجدید الغریب، أی شأن، أو دور یذکر. أو علی الأقل لن یکون له من النفوذ، و السلطة و الطول، ما کان له مع ذلک الملک الأول. بل سوف یکون کأی فرد عادی آخر، محکوما لا حاکما، بکل ما لهذه الکلمة من معنی ... اللهم إلا أن یکون قد تآمر مع ذلک الملک الأول، لتنفیذ خطة معینة، قد رسماها معا من قبل، و عملا علی أن تکون الامور فی نهایة الأمر فی صالحهما، و من أجل تعزیز نفوذهما و سلطتهما ...

أما حصیلة هذه الجولة:

و هکذا ... تأبی الأحداث، و یأبی المنطق أن یکون للفضل فی هذه القضیة شیء، إلا عن طریق التآمر و التواطؤ مع سیده المأمون، أفعی الدهاء و السیاسة، بعد دراسة دقیقة مشترکة للوضع، و تقییم عام له ...

اتفقا علی أثره علی خطة للتخلص من المشاکل التی کانت تعترض سبیلهما، و تشکل- إلی حدّ ما- خطرا علی وجودهما فی الحکم، و تفردهما بالسلطة ... و بذلک فقط نستطیع أن نفسر قول ابراهیم بن العباس فی مدح الفضل فی جملة أبیات له:

و إذا الحروب غلت بعثت لها رأيا تفل به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضى عزم به فشفى مضاربها

ص: ۲۶۹

أجرى إلى فئة بدولتها و أقام فی أخرى نوادبها«۱»

و لعل الفضل كان مخدوعا!.

و لكن أ لا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا فی هذه المرة على الأقل؟ و أنه هو أيضا راح ضحية تآمر و تضليل من نفس سيده:

المأمون؟! ..

الحقيقة أن ذلک أمر محتمل جدا، لأننا نرى فی النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلى أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، و أنه قد جازت عليه حيلته فی بادئ الأمر، بادّعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الامة و مصلحتها. أو لأنه يريد أن يفی بنذره (أی أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين؛ فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!!) ..

و قد تقدم أن ابن القفطی يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، و لا عالما بواقع الأمر .. و لعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلک بقوّة بممانعة الفضل و أخيه الحسن فی هذا الأمر ..

كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل فی شیء من أمور الدولة و شئونها «۲».

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولی فلانا، أو أن يكتب إلى فلان بكذا، أو أن يساعده فی إدارة شئون الخلافة، أو أن

---

(۱) الأغانی ط ساسی ج ۹ ص ۳۱- ۳۲.

(۲) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۸، و مسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۸۸.

يصلى بالناس، إلى غير ذلک من الامور .. مع أن ما كان يريده الفضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون ..

و على كل فقد يجوز للمأمون- حتى مع الشرط- ما لا يجوز لغيره بدونه ..

الفضل يقع فى الشرک

: و اخيرا .. فلا يسعنا فى ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحة نفسه، من كل الذنوب العظيمة و الخطيرة التى ارتكبها، و أن يجعل هذا الوزير المسكين، الذى كان عدوا للامام، و الذى لم يشعر إلا و هو فى الفخ، هو المسئول عن أكثر جرائمه و موبقاته، بل و عنها جميعا، حتى البيعة للرضا (ع)، بل و حتى عن قتل أخيه الأمين!! و لقد أدرک الفضل أنه قد وقع فى الشرک، و لكن .. بعد فوات الأوان، و لذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل و أخطار، و ما سوف يتعرض له من مؤامرات، و حاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، و بيّن له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، و بقتل الأمين، فلقد قال له:

«.. يا أمير المؤمنين، إن ذنبى عظيم عند أهل بيتک، و عند العامة، و الناس يلوموننى بقتل أخيک المخلوع، و ببعة الرضا، و لا آمن السعاة و الحساد، و أهل البغى أن يسعوا بى، فدعنى أخلفک بخراسان الخ ..» «۱».

---

(۱) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۷.

و لكن أنى له أن يتركه المأمون، الذى كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه و يخافه ..

فلقد كان قد أعدّ العدة، و أحكم الخطة فى أمره، و لم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتى بيانه) ..

و بعد أن يئس الفضل من اقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلک، فطلب منه أن يکتب له کتاب ضمان و أمان، فاستجاب المأمون لهذا الطلب، و کتب له کتابا «۱»، يسمى کتاب الحياء و الشرط يظهر بوضوح الدور الذى لعبه الفضل فى تشييد صرح خلافة المأمون، و توطيد سلطانه.

و نلاحظ: أن المأمون قد کتب للفضل کل ما يريد، بل و زاد على ما کان يتوقعه الفضل الشىء الکثير، إذ لم يکن يرى فى ذلک أى ضرر عليه، ما دام أنه قد أحکم الخطة، و دبر له النهاية.

و کما رسم و دبر .. کانت النهاية!! ..

لما ذا الاصرار على اتهام الفضل

: و هکذا .. فإننا بعد کل ما تقدم، لا نرى مجالا للإصرار على نسبة التشيع للفضل، أو القول: بأن المأمون کان واقعا فى أمر البيعة تحت تأثيره، و خاضعا لارادته، فقد يکون الفضل قد أعطى أکثر مما يستحقه من النفوذ و القدرة .. و لعل إصرار أولئک أو هؤلاء على اتهام الفضل بذلک، حتى و إن أنکره المأمون نفسه، و کذبته جميع الوقائع و الأحداث- لعله- يرجع إلى حرصهم على أن لا يتهم المأمون- السلطة- بما

(۱) الکتاب موجود فى: البحار ج ۴۹ ص ۱۶۰، ۱۶۲، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۷، ۱۵۹، و أوعز إليه اليعقوبى فى تاريخه ج ۲ ص ۴۵۱ طبع صادر

لا يحبون اتهامه به، کالتشيع، و الحب لآل على (ع)، أو ليبرءوا ساحته من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا .. أو لعل لأنهم لم يکونوا على درجة من الوعى تؤهلهم لإدراک حقيقة ظروف المأمون، و أهدافه من البيعة ..

هذا .. و قد رأينا: أن العباسيين فى بغداد، بمجرد وصول نبأ البيعة لهم، يتهمون الفضل بن سهل بتدبيرها «۱» .. مع أنهم لم يکونوا قد اطلعوا بعد على حقيقة الأمر و واقع القضية، و ما ذلک إلا لما قلناه، و ليبقوا على علاقاتهم مع المأمون، و ليبقى باب الصلح معه فى المستقبل مفتوحا .. و کذلک ليحافظوا على شخصية المأمون، حتى لا تلصق بها تهمة، يعلمون هم أکثر من غيرهم- و أهل البيت أدرى بما فيه- ببراءته منها، ألا و هى تهمة: الحب لعلى، و آل بيته ..

و لعله أيضا لهذه الاسباب نفسها جعلوا المأمون لعبة فى يد الفضل، و أنه لا يملک معه من الأمر شيئا، حتى لقد قالوا عنه: إنه مسجون و مسحور «۲». و إن کان لا شاهد لهذه الدعوى أصلا إلا البيعة للرضا (ع)، و لولاها لکان العکس عندهم هو الصحيح فعلا ..

جميل .. و جميل جدا .. فلقد أصبح المأمون لعبة بيد الفضل، و إن كانت جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على العكس من ذلک .. و لو لم يكن ذلک يكفى لتبرئة المأمون، فهم على استعداد لاتهامه بعقله، كما قد حدث ذلک بالفعل، فذلک عندهم خير من اتهامه بالحب لآل على، و التشيع لهم ..

---

(۱) فقد اتهموا الفضل بذلک بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إليهم، يخبرهم فيها بأمر البيعة .. راجع: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، طبع ليدن و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۳۶ و غير ذلک من كتب التاريخ.

(۲) راجع: البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۸، و الطبرى ج ۱۱، و غير ذلک ..

ص: ۲۷۳

احتمال وجيه جدا

: على أننا لا نستبعد كثيرا .. أن يكون المأمون نفسه قد شجع و غذى هذه التبريرات و التمويهات، و خصوصا بعد مقتل الفضل، ليبرئ نفسه أمام العباسيين، و ليشوه الفضل .. كما أننا لا نشک أبدا فى أن كثيرا مما يذكر عن الأمين هو فى عداد الخرافات و الأساطير، التى شجعها المأمون و حزبه، لأن الأمين كان هو المغلوب، و المأمون كان هو الغالب .. و للغالب القدرة، بل و الحق أيضا- فى نظر قاصرى النظر- فى أن يشوه المغلوب، و يصوره بالصورة التى يريد ..

و يدلنا على أن المأمون هو المسئول عن ذلک، ما رواه الحصرى فى زهر الآداب من: «أنه لما خلع المأمون أخاه الأمين، و وجه بطاهر ابن الحسين لمحاربته، كان يعمل كتبا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان الخ ..» «۱». و طبيعى بعد ذلک: أن على الكتاب و المؤرخين الذين ما كانوا أحرارا، و لا يعتمدون النزاهة فى كتاباتهم: أن يؤرخوا كما يريد المأمون، و أن يكتبوا ما يمليه عليهم، لا ما هو حق و واقع ..

يرونه بام أعينهم. أو تحكم به- إن كانت- ضمائرهم ..

و أخيرا .. و إذا تحقق أن الفضل برىء من تهمة التشيع، و تهمة تدبير أمر البيعة الاعلى نحو التآمر، فلا يعنى ذلک أنه برىء مما هو أشنع من ذلک و أقبح «فكل إناء بالذى فيه ينضح» ..

---

(۱) راجع: امراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ۸۶، نقلا عن: زهر الآداب ج ۲ ص ۱۱۱، تحقيق زكى مبارک، و طبع دار الجيل ج ۲ ص ۴۶۴.

ص: ۲۷۴

القسم الثّالث أضواء على الموقف:

١- عرض الخلافة، و رفض الإمام ..

٢- قبول ولاية العهد بعد التهديد ..

٣- مدى جدية عرض الخلافة ..

٤- موقف الإمام ..

٥- خطة الإمام ..

ص: ٢٧٧

عرض الخلافة، و رفض الامام (ع)

: نصوص تاريخية

: تحدثنا كتب التاريخ: أن المأمون كان قد عرض الخلافة على الإمام أولا .. «١» لكنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، و بقى مدة يحاول اقناعه بالقبول؛ فلم يفلح .. و قد ورد أن محاولاته هذه، استمرت فى مرو وحدها اكثر من شهرين و الإمام عليه السلام يأبى عليه ذلک «٢».

بل لقد ورد أنه (ع) كان قد أجاب المأمون بما يكره؛ فقد:

قال المأمون للإمام: «.. يا ابن رسول اللّه، قد عرفت فضلک، و علمک، و زهدک، و ورعک، و عبادتک؛ و أراک أحق بالخلافة منى ..».

---

(١) كما نص عليه فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٥٠، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، و غاية الاختصار ص ۶٧، و ينابيع المودة للحنفى ص ٣٨۴، و مقاتل الطالبيين، و غير هؤلاء كثير. و سنشير فى آخر هذا الفصل إلى طائفة منهم أيضا ..

لكن السيوطى قال فى تاريخ الخلفاء: «... حتى قيل: أنه همّ أن يخلع نفسه، و يفوض الأمر إليه ..» أما رفضه لذلک؛ فهو أشهر من أن يذكر كما سيأتى ...

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٩، و البحار ج ۴٩ ص ١٣۴، و ينابيع المودة و غير ذلک.

ص: ۲۷۸

فقال الإمام (ع): «.. بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع فى الدنيا أرجو الرفعة عند اللّه ..

قال المأمون: فانى قد رأيت أن أعزل نفسى عن الخلافة، و أجعلها لک، و أبايعک؟! ..

فقال الإمام (ع): إن كانت هذه الخلافة لک؛ فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسكه اللّه، و تجعله لغيرک، و إن كانت الخلافة ليست لک؛ فلا يجوز أن تجعل لى ما ليس لک «۱».

قال المأمون: لا بد لک من قبول هذا الأمر!! فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلک طائعا أبدا ..

فما زال يجهد به اياما، و الفضل و الحسن «۲» يأتيانه، حتى يئس من قبوله ..

و خرج ذو الرئاستين مرة على الناس قائلا: وا عجبا!! و قد رأيت عجبا!! رأيت المأمون أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة إلى الرضا.

---

(۱) عبارة تاريخ الشيعة ص ۵۱، ۵۲، هكذا: «... إن كانت الخلافة حقا لک من اللّه، فليس لک أن تخلعها عنک، و توليها غيرک. و إن لم تكن لک؛ فكيف تهب ما ليس لک ..» و هذه أوضح و أدل.

(۲) لا ندرى ما الذى أوصل الحسن بن سهل إلى مرو، مع أنه كان آنئذ فى العراق، و لعل ذكر الحسن اشتباه من الراوى. و احتمل السيد الأمين فى أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۲۰: أن يكون المأمون قد استدعى الحسن بهذه المناسبة إلى خراسان؛ فلما تم أمر البيعة عاد إلى بغداد.

ص: ۲۷۹

و رأيت الرضا يقول: لا طاقة لى بذلک، و لا قدرة لى عليه .. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها «۱».

---

(۱) راجع فى جميع هذه النصوص بالاضافة إلى ما تقدم: روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۶۹، و إعلام الورى ص ۳۲۰، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۶، و ينابيع المودة ص ۳۸۴، و أمالى الصدوق ص ۴۲، ۴۳، و الإرشاد ص ۳۱۰، و كشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، ۶۶، ۸۷، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، ۱۴۰، و المناقب ج ۴ ص ۳۶۳، و الكافى ج ۱ ص ۴۸۹، و البحار ج ۴۹، ص ۱۲۹، ۱۳۴، ۱۳۶، و معادن الحكمة، و تاريخ الشيعة، و مثير الأحزان ص ۲۶۱، و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۶۴، ۱۶۵، و غاية الاختصار ص ۶۸.

ص: ۲۸۰

قبول ولاية العهد بعد التهديد

مع محاولات المأمون لاقناع الإمام

: الذى يبدو من ملاحظة كتب التاريخ و الرواية، هو: أن محاولات المأمون لاقناع الامام بما يريد، كانت متعددة، و متنوعة. و أنها بدأت من حين كان الإمام (ع) لا يزال فى المدينة؛ حيث كان المأمون يكاتبه، محاولا إقناعه بذلک؛ فلم ينجح، و علم الإمام أنه لا يكف عنه ..

ثم أرسل رجاء بن أبى الضحاک، و هو قرابة الفضل و الحسن ابنى سهل «۱»؛ فأتى بالإمام (ع) من المدينة الى مرو رغما عنه .. و بذل المأمون فى مرو أيضا محاولات عديدة، استمرت أكثر من شهرين. و كان يتهدد الإمام بالقتل، تلويحا تارة، و تصريحا أخرى، و الإمام (ع) يأبى قبول ما يعرضه عليه .. إلى أن علم أنه لا يمكن أن يكف عنه، و أنه لا محيص له عن القبول؛ فقبل ولاية العهد مكرها، و هو باک حزين- على حد تعبير الكثيرين-، و كانت البيعة له فى السابع من شهر رمضان، سنة (۲۰۱ ه-.)، كما يتضح من تاريخ ولاية العهد ..

---

(۱) و قيل: أنه عمهما. و قد كان رجاء هذا من قواد المأمون. و قد ولاه المأمون خراسان مدة، لكنه أساء السيرة؛ فعزله ..

ص: ۲۸۱

بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع)

: و النصوص الدالة على عدم رضا الإمام (ع) بهذا الأمر كثيرة، و متواترة؛ فقد قال أبو الفرج: «.. فأرسلهما (يعنى الفضل و الحسن ابنى سهل) إلى على بن موسى؛ فعرضا ذلک (يعنى ولاية العهد) عليه، فأبى؛ فلم يزالا به، و هو يأبى ذلک، و يمتنع منه .. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلک، و إلا فعلنا بک و صنعنا، و تهدده، ثم قال له أحدهما: «و اللّه، أمرنى بضرب عنقک، إذا خالفت ما يريد»!!. ثم دعا به المأمون، و تهدده؛ فامتنع، فقال له قولا شبيها بالتهديد، ثم قال له: «إن عمر جعل الشورى فى ستة، أحدهم:

جدک، و قال: من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلک ..» «۱»!!

و يروى آخرون: أن المأمون قال له: «.. يا ابن رسول اللّه، إنما تريد بذلک (يعنى بما أخبره به عن آبائه من موته قبله مسموما) التخفيف عن نفسک، و دفع هذا الأمر عنک؛ ليقول الناس: إنک زاهد فى الدنيا ..

فقال الرضا: و اللّه، ما كذبت منذ خلقنى ربى عز و جل، و ما زهدت فى الدنيا للدنيا؛ و إنى لأعلم ما تريد؟!! ..

فقال المأمون: و ما أريد؟! قال: الأمان على الصدق؟

قال: لک الأمان.

قال: ترید بذلک أن يقول الناس: إن علی بن موسی لم یزهد فی

---

(۱) مقاتل الطالبیین ص ۵۶۲، ۵۶۳، و قریب منه ما فی ارشاد المفید ص ۳۱۰ و غیر ذلک.

الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ أ لا ترون: کیف قبل ولایة العهد طمعا فی الخلافة؟! فغضب المأمون، و قال له: «إنک تتلقانی أبدا بما أکرهه. و قد آمنت سطوتی، فباللّه أقسم: لئن قبلت ولایة العهد، و إلا أجبرتک على ذلک؛ فإن فعلت، و إلا ضربت عنقک ..» «۱».

و قال الإمام الرضا (ع) فی جواب سؤال الريان له، عن سرّ قبوله لولاية العهد:

«.. قد علم اللّه کراهتی لذلک؛ فلما خیرت بین قبول ذلک و بین القتل، اخترت القبول على القتل. ويحهم .. إلى أن قال: و دفعتی الضرورة إلى قبول ذلک، على إجبار و اکراه، بعد الاشراف على الهلاک إلخ ...» «۲».

و قال فی دعاء له: «.. و قد اکرهت و اضطررت، کما أشرفت من عبد اللّه المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد ..».

و قال فی جواب أبی الصلت: «و أنا رجل من ولد رسول اللّه (ص)

---

(۱) راجع فی ذلک: مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۶۳، و أمالی الصدوق ص ۴۳، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۸، و مثیر الأحزان ص ۲۶۱، ۲۶۲، و روضة الواعظين ج ۱، ص ۲۶۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۹، و غير ذلک.

و فی تاریخ الشیعة ص ۵۲: أنه بعد أن عرض عليه الخلافة، و أجابه بالجواب المتقدم فی الفصل السابق، قال له: «... إذن، تقبل ولاية العهد. فأبى عليه الامام أشد الإباء؛ فقال له المأمون: «.. ما استقدمناک باختیارک، فلا نعهد إليک باختیارک.

و اللّه، إن لم تفعل ضربت عنقک ..».

(۲) علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۹، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۶۸، و أمالی الصدوق ص ۷۲، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۹.

ص: ۲۸۳

أجبرنی علی هذا الأمر و اکرهنی علیه ..».

بل لقد أعرب عن عدم رضاه فی نفس ما کتبه علی ظهر وثیقة العهد، و أنه یعلم بعدم تمامیة هذا الأمر، و إنما یفعل ذلک امتثالا لأمر المأمون، و إیثارا لرضاه ...

أما الباحثون و غیرهم فیقولون

: أما الباحثون، فلعلنا لا نکاد نعثر علی باحث یتعرض لهذا الأمر ینسی أن یؤکد علی رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، و استیائه منه ..

یقول أحمد أمین: «.. و الزم الرضا بذلک، فامتنع، ثم اجاب ..» «۱».

و قال القندوزی: إنه قبل ولایة العهد، و هو باک حزین «۲» ..

و قال المسعودی: «.. فألح علیه، فامتنع، فأقسم؛ فأبر قسمه الخ ..» «۳».

و علی کل حال: فإن النصوص التاریخیة الدالة علی عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، و أنه مکره مجبر علیه کثیرة جدا «۴». و تضارعها کثرة

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۴.

(۲) ینابیع المودة ص ۲۸۴.

(۳) إثبات الوصیة ص ۲۰۵.

(۴) و إنه و إن کان سیمر معنا نصوص اخری تدل علی ذلک .. إلا أننا نحیل القارئ علی بعض مظان وجودها؛ فراجع: ینابیع المودة ص ۳۸۴، و مثیر الأحزان ص ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، و کشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، و أمالی الصدوق ص ۶۸، ۷۲،

ص: ۲۸۴

أقوال الباحثین، الذین تعرضوا لهذا الموضوع؛ و لذا فلیس من الیسیر الاحاطة بها و استقصاؤها فی مثل هذه العجالة ..

و لهذا .. فإننا نکتفی هنا بهذا القدر؛ حیث إن المجال لا یتسع لأکثر من ذلک ..

و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۹، ۱۳۱، ۱۴۹، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۷، ۲۳۸، و إرشاد المفيد ص ۱۹۱، و عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۹، و ج ۲ ص ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۹، و إعلام الورى ۳۲۰، و الخرائج و الجرائح، و غير ذلک ..

ص: ۲۸۵

مدى جدية عرض الخلافة

: عرض الخلافة ليس جديّا ..

: مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولا الخلافة على الإمام، و أنه ألح عليه بقبولها كثيرا، سواء و هو فى المدينة، أو بعد استقدامه إلى مرو، و أنه تهدده فلم يقبلها. فلما يئس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضا. و لم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، و عرف الجدّ فى ذلک التهديد!!.

و هنا سؤال لا بد من الاجابة عليه، و هو:

هل كان المأمون جادا فى عرضه الخلافة على الامام؟! ..

و يتفرع على الاجابة على هذا السؤال سؤال آخر، و هو:

إذا لم يكن المأمون جادا فى عرضه ذاک؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الامام قبل أن يتقلد الخلافة، و يضطلع بشئونها؟!.

و من أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا بد لنا من الإسهاب فى المقال، بالقدر الذى يتسع لنا به المجال فنقول:

ص: ۲۸۶

الاجابة على السؤال الأول

: أما عن السؤال الأول، فان الحقيقة هى: أن جميع الشواهد و الدلائل تدل على أنه لم يكن جادا فى عرضه للخلافة:

و قد قدمنا أننا لا يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، و الذى قتل من أجلها أخاه، و أتباعه، بل و حتى وزراءه هو و قواده؛ و غيرهم. و أهلک العباد، و خرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، و أزال كل محاسنها- لا يمكن أن نتصور- المأمون، الذى فعل كل ذلک و سواه من أجل الحصول على الخلافة ... يتنازل عنها بهذه السهولة، بل و مع هذا الالحاح و الإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، و لا من الثقة به ماله بقواده، و وزرائه!!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، و الرضا فقط هو الأعز منها؟!! ..

و هل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلک، حتى قتله أخاه، كان فی سبيل مصلحة الامة و من أجلها، و لكی يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، و أحق بها من أخيه، و منه؟!! ..

و كيف يمكن أن نعتبر اصراره الشديد على الامام، و الذی استمر أشهرا عديدة، قبل استقدامه إلى مرو و بعده، و الذی انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل- كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالامة، و حبا لها، و غيرة على صالحها .. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسخ بالخلافة، عند ما عرضها على الامام؟!! «١».

و إذا لم تسخ نفسه بالخلافة؛ فلما ذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟!!.

---

(١) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧١، و غيبة الشيخ الطوسى ص ۴۹.

و كيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلک، و جدية عرضه للخلافة ..

و بين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد؛ ليكون دعاء الإمام له، و ليعتقد فيه المفتونون به الخ .. ما سيأتی؟!!.

و إذا كان قد نذر أن يوليه «الخلافة»، لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد فی بعض النصوص التاريخية؛ فلما ذا، و كيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!!.

و كيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، و لم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟! و أيضا .. و لما ذا بعد أن رفض الإمام (ع) العرض، لا يتركه و شأنه؟

و أين هی أنفة الملوک، و عزة السلطان؟!!.

و إذا كان يأتی به من المدينة ليجعله خليفة المسلمين، و يرفع من شأنه؛ فلما ذا يأمره و يؤكد عليه فی أن لا يمر عن طريق الكوفة و قم، حتى لا يفتتن به الناس؟!!.

و أيضا .. هل يتفق ذلک مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من ينذره بأن الخلافة سوف تكون فی خطر؛ لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!! .. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعا، و صلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، و رغم زعمه، أنه:

كان يريد من الإمام أن يصلى بالناس؛ من أجل أن تطمئن قلوبهم على دولته المباركة- على حد تعبيره- بسبب مشاركة الإمام (ع) فى ذلک ..

و أيضا .. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، و تنازله عنها له، ثم توليته العهد، و بكاؤه عليه حين وفاته، و بقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتى بيانه .. هل يتفق كل ذلک، مع كتابته لعامله على

ص: ٢٨٨

مصر: يأمره بغسل المنابر التى دعى عليها للامام (ع)؛ فغسلت؟!! «١».

و بعد .. و إذا كان الإمام (ع) حجة اللّه على خلقه، و أعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون؛ فلما ذا يفوض عليه نظرية لا يراها مناسبة، و يتهدده، و يتوعده على عدم قبولها، و الاخذ بها؟! ..

و أخيرا .. هل يتفق ذلک كله، مع ما أشرنا، و لسوف نشير إليه، من ذلک السلوک اللاإنسانى مع الإمام (ع)، قبل البيعة، و بعدها، فى حياة الإمام، و حين وفاته، و بعدها .. و كذلک سلوكه مع العلويين، و إخوة الإمام الرضا (ع) بالذات. ذلک السلوک الذى يترفع حتى الاعداء عن انتهاجه، و الالتزام به.

إلى آخر ما هنالک مما عرفت، و ستعرف جانبا منه فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ..

المأمون يرتبک فى تبريراته

: و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون لم يكن قد حسب حسابا للأسئلة التى سوف تواجهه فى هذا الصدد؛ و لذا نرى أنه كان مرتبكا جدا فى تبريراته لما أقدم عليه؛ فهو تارة يعلل ذلک بأنه:

---

(١) و لا منافاة بينهما فى نظر المأمون؛ فانه لم يكن يخشى من ردة الفعل فى مصر؛ لأنها بالاضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة فى الدولة، و لم تكن أيضا شديدة التعاطف مع العلويين؛ فهى إذن مأمونة الجانب .. و ما كان يخشى منه قد أمنه؛ بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الامام عليه السلام؛ حيث يكون بذلک قد طمأنهم، و أبعد التهمة عن نفسه فى المنطقة التى يخشى منها فى الوقت الحاضر .. و إلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة؛ فانه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، و لم يعد يخشى شيئا على الإطلاق ..

ص: ٢٨٩

أراد مكافأة على بن أبى طالب فى ولده!! «١».

و أخرى: بأن ذلک کان منه حرصا على طاعة اللّه، و طلب مرضاته؛ و لما یعلمه من فضل الرضا، و علمه، و تقاه .. و أنه أراد بذلک الخیر للامة، و مصلحة المسلمین!! «۲».

و ثالثة: بأنه أراد أن یفی بنذره: أنه إن أظفره اللّه بالمخلوع یعنی أخاه الأمین الذی قتله- أن یجعل ولایة العهد فی أفضل آل أبی طالب!!. «۳»

بل و رابعة: بأنه أراد أن یجعله ولی عهده؛ لیکون دعاؤه له، و لیعتقد فیه المفتونون به إلخ «۴» .. ما سیأتی تفصیله ..

مع تبریرات المأمون تلک

: و من الواضح أن تلک العلل و التبریرات، و سواها، مما کان یتعلل

---

(۱) الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۹، و البحار ج ۴۹ ص ۳۱۲، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۳۰۸، و التذکرة لابن الجوزی ص ۳۵۶، و شذرات الذهب، لابن العماد ج ۲ ص ۳، و غیر ذلک ..

(۲) صرح بذلک فی وثیقة العهد. و فی الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۷، قال:

«کان المأمون قد فکر فی حال الخلافة بعده، و أراد أن یجعلها فی رجل یصلح لها، کذا زعم ..» ..

و فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۷ قال: «إن المأمون رأى علیا الرضا خیر أهل البیت، و لیس فی بنی العباس مثله: فی علمه، و دینه؛ فجعله ولی عهده من بعده» و مثل ذلک کثیر ...

(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۴۱، و مقاتل الطالبیین ص ۵۶۳، و اعلام الورى ص ۳۲۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، ۱۴۵، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۲، و عیون أخبار الرضا، و ارشاد المفید، و غیر ذلک ..

(۴) لکن هذا الکلام لم یکن إلا لخصوص العباسیین، کما عرفت و ستعرف!!!.

به المأمون؛ کانت مفتعلة قبل أوان نضجها. و لعله لما أشرنا إلیه من أنه لم یکن قد حسب حسابا لهذه الاسئلة التی واجهته، کانت أجوبته متناقضة، متضادة، من موقف لآخر، و من وقت لآخر .. حتى إن التناقض یبدو فی التبریر الواحد، إذ تراه مرة یقول: «إنه نذر أن یجعل الخلافة فی ولد علی». و أخرى یقول: «إنه نذر أن یجعل ولایة العهد فیهم». و ثالثة: یضیف إلیهم آل العباس .. و هکذا ..

و لو لا خوف الناس منه، و من بطشه لوجدنا الكثيرين يسألونه: إنه إذا صح: أنه نذر الخلافة لولد على، فلما ذا قبل منه و اكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد .. و إذا صح أنه نذر له ولاية العهد؛ فلما ذا عرض عليه الخلافة، و أصر عليه بقبولها.

و إننا و إن لم نجد لهذه الأسئلة، و سواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشكون كثيرا فى نوايا المأمون و أهدافه مما أقدم عليه. و حسبنا هنا: ما رواه لنا الصولى، و القفطى، و غيرهما من قضية عبد اللّه بن أبى سهل النوبختى المنجم؛ حيث أراد اختبار ما فى نفس المأمون؛ فأخبره أن وقت البيعة للامام (ع) كان غير صالح؛ فأصر المأمون على إيقاع البيعة فى ذلک الوقت، و تهدده بالقتل إن حدث تغيير فى الوقت و الموعد، و قد تقدمت القصة بكاملها تقريبا فى فصل سابق، و قد ذكرها غير واحد من المؤلفين «۱».

---

(۱) تاريخ الحكماء ص ۲۲۲، ۲۲۳، و فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ۱۴۲، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۴، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۲، ۱۳۳، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، ۱۴۸، و غير ذلک ...

ص: ۲۹۱

الامام يدرک أهداف المأمون من عرض الخلافة

: و لعلنا نستطيع أن نجد فيما قدمناه فى هذا الكتاب ما يفسر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون .. ذلک الموقف الذى لم يكن يتسم بالمهادنة، أو الموافقة أصلا. بل كان قاسيا و عنيفا فى مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه فى باب: «عرض الخلافة، و رفض الإمام».

و ما ذلک ... إلا لأنه كان يعلم أنها لعبة خطيرة، تحمل فى طياتها الكثير من المشاكل و الأخطار، و سواء بالنسبة إليه (ع)، أو بالنسبة إلى العلويين، أو بالنسبة إلى الامة بأسرها ..

و لقد كان (ع) يدرک: أن المأمون كان يرمى من وراء هذا العرض إلى أن يعرف حقيقة نوايا الامام (ع)، و يستظهر دخيلة نفسه، حتى إذا ما رآه راغبا فيها رغبة حقيقية، سقاه الكأس، التى سقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، صاحب أبى السرايا، و من بعد لمحمد بن جعفر، و طاهر بن الحسين، و غيرهم، و غيرهم .. و انه كان يريد أن يجعل ذلک ذريعة لفرض ولاية العهد، و تمهيدا لإجباره على قبولها؛ لأن ما يحقق له مآربه، و يوصله إلى غاياته، التى تحدثنا عن جانب منها فى فصل: ظروف البيعة .. هو قبول الإمام لولاية العهد، لا الخلافة .. كما أن هذا هو الذى يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالى من خطته، ألا و هو القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم.

و من ثم .. و بعد كل ما تقدم .. تكون النتيجة هى: أن المأمون لم يكن جادا فى عرضه للخلافة، و إنما فقط كان جادا فى عرضه لولاية العهد ..

ص: ۲۹۲

و يبقى هنا سؤال

: «لو أن الإمام قبل عرض الخلافة؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون؟!».

و الجواب

: أولا:

انه قد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهى أن المأمون كان قد أعد العدة لأى احتمال من هذا النوع ..

و قد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام، خصوصا فى تلك الظروف:

أن يقبل عرض الخلافة، من دون إعداد مسبق لها، و تعبئة شاملة لجميع القوى، و فى مختلف المجالات، و لسوف يكون قبوله لها بدون ذلک عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده ..

إذ من البديهى أن الإمام الذى كان يعلم كم كان للقائد الحقيقى، و المصلح الواعى، من أثر فى حياة الامة، و فى مستقبلها. و كيف يمكن أن تتحد فى ظله قدرات الامة- أفرادا و جماعات- و امكاناتها المادية، و الفكرية و غيرها فى طريق صلاحها، و اصلاحها .. و يعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتى بالنسبة لما يبدو من تصرفاته فى ظاهره صحيحا و سليما ..

إن الإمام الذى كان يعلم ذلک و سواه- و بصفته القائد الحقيقى للامة، لو حكم؛ فلا بد له أن يقيم دولة الحق و العدل، و يحمل الناس على المحجة، و يحكم بما أنزل اللّه، كما حكم جده محمد (ص)، و أبوه على (ع) من قبل .. و حكمه هذا سوف يكون مرفوضا جملة و تفصيلا؛ لأن الناس، و إن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنهم حيث لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، و صالحة، إذا أراد العلويون، أو غيرهم حملهم على المحجة؛ فلسوف لا ينقادون لهم بسهولة، و لا يطيعونهم بيسر. و لسوف يكون الحكم بما أنزل اللّه غريبا على أمة اعتادت

ص: ۲۹۳

على حياة خلفاء بنى العباس، و من قبلهم بنى أمية المليئة بالانحرافات و الموبقات.

أولئک الخلفاء الذين كانوا فى طليعة المستهترين، و المتحللين من كل قيود الدين و الانسانية، و الذين كانوا يتساهلون فى كل شىء، ما دام لا يضر بوجودهم فى الحكم .. نعم .. فى كل شىء على الاطلاق، حتى فى الدين و أحكامه، و الأخلاق، و المثل

العليا؛ و ما ذلک إلا لأنهم لم یکن همهم إلا الحکم، و التسلط، و امتصاص دماء الشعوب، و لا یهمهم- بعد- أن یفعل الناس ما شاءوا، لیتستروا بالدین، لیکفروا باللّه، لیتحللوا من الأخلاق و الفضائل الانسانیة، لیأکل بعضهم بعضا، لیکونوا أنعاما سائمة، أو لیکونوا و حوشا ضاریة؛ فان ذلک کله لا یضر.

و الذی یضر فقط هو: أن یتعرضوا للحکم، و یفکروا بالسلطان، کیفما کان التعرض، و أیا کان التفکیر ..

و إذا کان الإمام علی (ع)، عند ما أراد أن یحکم بما أنزل اللّه تعالی، قد لاقی ما لاقی مما لا یجهله أحد .. رغم ما سمعته الامة من فم النبی (ص) مباشرة فی حقه، و قرب عهدها به .. فکیف بعد أن مرت عشرات السنین، و أصبح الانحراف عادة جاریة، و سنة متبعة، و اتخذ نحوا من الاصالة فی حیاة الامة، و روحها، و أصبح- للأسف- جزءا لا یتجزأ من کیانها و واقعها ..

و أیضا .. إذا کان أبو مسلم قد قتل ست مائة ألف نفس صبرا، عدا مئات الالوف الاخری، التی ذهبت طعمة للسیوف فی المعارک ..

و إذا کانت ثورة أبی السرایا قد کلفت المأمون «۲۰۰» ألف جندی، من جنوده هو ..

و إذا کان العصیان ما انفک یظهر من کل جانب و مکان، رغم أن

ص: ۲۹۴

الحکم کان أولا و آخرا ینسجم مع أهواء الناس، و مصالحهم الشخصیة ..

فهل یمکن مع هذا .. ان لا یتعرض الإمام (ع) لعصیان أصحاب الأهواء- و ما أکثرهم-، و الکید من قبل الأعداء، الذین سوف یزید عددهم. و تتضاعف قوتهم، عند ما یحاول الامام (ع) ان یفرض علیهم حکما ما اعتادوه، و سلوکا ما ألفوه؟! ..

إن من الواضح: ان الناس و ان کانت قلوبهم معه، الا ان سیوفهم سوف تنقلب لتصیر علیه، کما انقلبت علی آبائه و أجداده من قبل، و ذلک عند ما لا ینسجم حکمه (ع) مع رغائبهم، و أهوائهم، و انحرافاتهم ..

حیث إن الإمام (ع) إذا أراد أن یحکم، فلسوف یواجه- بطبیعة الحال- تلک العناصر القویة، ذات النفوذ، و أولئک المستأثرین بکل الاموال و الاقطاع، من أصحاب الأطماع، و المصالح الشخصیة، وجها لوجه .. إذ أننا لا یمکن أن ننتظر من حکومة الإمام، التی هی علی الفرض حکومة الحق، و العدل: أن تقرهم علی ما هم علیه، فضلا عن أن توفر لهم الحمایة لتصرفاتهم المشبوهة، و غیر المنطقیة، بل حتی و لا الاخلاقیة أیضا ..

إن حکومة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسی فی سبیل استئصال کل جذور الانحراف و الفساد .. فان علیها أولا، و قبل کل شیء، أن تقوم بقطع أیدی أولئک الغاصبین لاموال الامة، و المتحکمین بقدراتها. و إبعاد کل أولئک الذین کانوا

يستغلون مناصبهم، التى و صلوا إليها عن طريق الظلم، و الغطرسة، و الابتزاز- يستغلونها- لمآربهم الشخصية، و انحرافاتهم اللاأخلاقية ..

ثم .. قطع أعطيات ذلک الفريق من الناس، الذين كانوا يعيشون على حساب الأمة، و يأكلون خيراتها .. ثم لا يقومون فى مقابل ذلک بأى عمل، أو نشاط يذكر ..

ص: ٢٩٥

و أيضا .. منع المحسوبيات، و الوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبلية، و يهيمن عليهم الشعور الطبقى فى دولة الأطماع و المزايدات، أو دولة التهديد، و العسف، و الارهاب.

يضاف إلى ذلک كله .. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق فى كل نصب و عزل من مصلحة الامة، لا من مصلحة الحاكم و القبيلة؛ فطبيعى أن يؤدى ذلک إلى إثارة القبائل ضده، و يؤلبهم عليه .. فزعماء القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما فى انجاح اية ثورة و قيام أية دعوة و استمرار و نجاح أى حكم.

و بعد كل ذلک؛ فإن من الطبيعى إذن: أن يستفحل الصراع بينه، و بين العناصر القوية، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، و المصالح الشخصية، و أولئک الذين يعتمل فى نفوسهم طموح كبير، نحو زبارج الدنيا، و بهارجها .. و ذلک عند ما يعطى القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، و يجعلهم فى المستوى الذى يجب أن يكونوا فيه، و يحدّد و يقيّم لهم واقعهم الذى لن يرضوا أبدا بتحديده و تقييمه. و على الأقل لن تساعده تلک العناصر على تصحيح الوضع، و إقرار النظام .. هذا إن لم تكن هى العقبة الكأداء، التى تحول بينه و بين ما يصبو إليه، و تمنعه من تحقيق ما يريد ..

يضاف إلى ذلک كله: أن القيادة القبلية كانت قد فسدت آنذاک، و اعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود و المواثيق التى يعطونها؛ فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، و هذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، و يغدق عليهم أكثر من الأموال، و يخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاک من المناصب. و كان للقيادات القبلية دور كبير فى إنجاح أية دعوة، و انتصار أية ثورة ..

و بعد .. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحابى أحدا على حساب دينه و رسالته .. و إذا كان- من الجهة الأخرى- مركزه ضعيفا فى الحكم ..

و إذا كان ليس لديه القوة و القدرة الكافية لمواجهة مسئولياته كاملة.

ص: ٢٩٦

فلسوف ينهار حكمه و سلطانه أمام أول عاصفة تواجهه، و لن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده فى الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذى يريد على المجتمع، بجميع فئاته، و مختلف طبقاته ..

إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، و لا تقيدها قيود، و أنى له بذلک.

و بعد كل ما تقدم؛ فان النتيجة تكون، أن الامام (ع)، و إن كان يمتلک القدرة على الاصلاح، لكن الامة لم تكن لتتحمل مثل هذا الإصلاح، خصوصا و أن الحكام- بوحى من مصالحهم الخاصة- كانوا قد أدخلوا فى أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، و عن الحكام، الذين يفترض فيهم ان يقودوا الامة فى مسيرها إلى مصيرها ..

هذا كله .. لو فرض- جدلا- سكوت العباسيين و المأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة و حول، من أجل تقويض حكمه، و زعزعة سلطانه ..

و إذا كان يستحيل على الإمام (ع)، فى تلک الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا .. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. و لن يكون فى تجشم الاجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

و لكن .. مع ذلک، و حتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة؛ إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض- و إن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض- أنه كان على الإمام (ع): أن يجارى، و يدارى فى بادئ الأمر؛ من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الامة و مصلحتها؛ من أجل ذلک .. نرى لزاما علينا أن نجاريه فى هذا الافتراض، و نتجه إلى الإجابة على ذلک السؤال بنحو آخر؛ فنقول:

و ثانيا:

إنه إذا كان المأمون فى تلک الفترة هو الذى يمتلک القدرة و السلطان .. و إذا كانت كل أسباب القوة و المنعة متوفرة لديه بالفعل؛

ص: ٢٩٧

فإنه سوف يسهل عليه- إذا لم يكن حكم الإمام (ع) على وفق ما يشتهى، و حسبما يريد-: أن يأخذ على ذلک الحكم: (الذى يرى نفسه، و يرى الناس أنه مدين للمأمون) أقطار الأرض، و آفاق السماء. و لن يصعب عليه تصفيته، و التخلص منه من أهون سبيل؛ حيث إنه حكم لا يزال، و لسوف يسعى المأمون لأن يبقيه فى المهد، يستطيع المأمون أن ينزل به الضربة القاصمة القاضية متى شاء، دون أن تعطى له الفرصة لحشد قدراته، و تجميع قواه فى أى من الظروف و الأحوال ..

و هكذا .. فإن النتيجة تكون: أن الإمام (ع) سوف يكون بين خيارين لا ثالث لهما: فاما أن يحاول تحمل المسئولية الحقيقية، بكل أبعادها، و تبعاتها، باعتباره القائد الحقيقى للامة، و يقدم على كل ما تقدمت الاشارة إليه من اصلاحات جذرية فى جميع المجالات، و على مختلف المستويات؛ مما سوف يكون من نتائجه أن يعرض نفسه للهلاک؛ حيث لا يستطيع الناس؛ و المأمون و اشياعه تحمل ذلک، و الصبر عليه، و يكون له و لهم كل العذر فى تصفيته، و التخلص منه.

و إما أن لا يتحمل مسئولية الحكم، و لا يأخذ على عاتقه قيادة الامة، و إنما تكون مهمته، و ما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون، و أشياعه من المنحرفين. و يكون هو الواجهة التى يختفى وراءها الحكام الحقيقيون، المأمون و من لف لفه ..

و واضح أن نتيجة ذلک سوف تكون أعظم خطرا على الإمام، و على العلويين، و على الامة بأسرها، و أشد فداحة من نتيجة الخيار السابق؛ حيث يكون قد قضى بذلک على كل آمال الامة، و كل توقعاتها.

و ذلک هو كل ما يريده المأمون، و يسعى من أجل الحصول عليه، بكل ما أوتى من قوة و حول ..

و ثالثا:

إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للامام (ع)، لا يعنى أبدا أن المأمون سوف لا يحتفظ لنفسه بأىّ من

الامتيازات؛ التى تضمن له- فى نظره- نصيبا من الأمر «۱». و لسوف يرى الناس كلهم أن له كل الحق فى ذلک ..

كما أن ذلک لا يعنى أنه سوف لا يعود له نفوذ فى الاوساط ذات النفوذ و القوة. بل إننى أعتقد أنه سوف يكون فى تلک الحال أقوى بكثير منه فى غيرها؛ حتى إن المنصب للإمام (ع)، قد يكون شكليا، و مركزه صوريا، لا حول له فيه و لا قوة ..

و حينئذ .. و إذا كان المأمون سوف يبقى له نفوذ و قوة، و إذا كان سوف يشترط لتنازله عن الخلافة للامام، ما يضمن له استمرار تلک القوة، و ذلک النفوذ، بل و عودة الخلافة له فى نهاية الأمر .. فلسوف لا يصعب عليه كثيرا أن يدبر- و هو الداهية الدهياء- فى الإمام (ع) بما يحسم عنه مواد بلائه، على حد تعبير المأمون ..

و ليطمئن- من ثم- خاطره، و يهدأ باله؛ حيث يكون قد حقق كل ما كان يصبو و يطمح إلى تحقيقه. كما أنه يكون قد اصبح يمتلک اعترافا من العلويين بشرعية خلافته .. بل يكون العلويون على يد أعظم شخصية فيهم، هم الذين رفعوه على العرش و سلموا إليه أزمّة الحكم و السلطان .. إلى آخر ما هنالک مما قدمناه، و لا نرى ضرورة لاعادته ..

و فى النهاية

: و الآن .. و بعد أن ألقينا نظرة سريعة على مدى جدية المأمون، فى عرضه للخلافة على الإمام (ع)، و تحدثنا عن الوضع الذى سوف ينتج لو أن الإمام قبل ذلک العرض .. فإن من الطبيعى أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلک اللعبة- لعبة ولاية العهد- و ما هى خطته فى مواجهة ما يعلمه من خطط المأمون، و أهدافه الشريرة ...

فإلى الفصل التالى، و الذى بعده ...

(۱) كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولى العهد مثلا.

ص: ۲۹۹

موقف الامام (ع):

سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلا تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب؛ و يعرف جدية العرض، ثم يرفض ذلک رفضا قاطعا، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالا، و أقل احتمالا- بالنسبة إلى سنه- و بشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة و الحكم، و تجعل من كل شىء مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها ...

هل يعقل أن رجلا من هذا القبيل- يسلم من أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد بأن ينسب إليه؟!! ... اللهم إلا إذا كان هناک ما هو أعظم، و أدهى و أخطر من ذلک المنصب، و إلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلک غاليا، و غاليا جدا، ألا و هو نفسه التى بين جنبيه!! ...

و الامام ... الذى نعرف، و يعرف كل أحد: أنه ذلک الرجل الجامع لكل صفات الفضل و الكمال: من العلم، و العقل، و الحكمة، و الدراية، و التقى، شهد له بذلک أعداؤه و محبوه، على حد سواء- هذا الامام ...

قد رفض كلا عرضى المأمون: الخلافة، و ولاية العهد ... رفضهما رفضا

ص: ۳۰۰

باتا و قاطعا، و لم يقبل ولاية العهد إلا على كره و اجبار منه، و إلا و هو باک حزين، و عاش بعد ذلک فى ضيق شديد، و محنة عظيمة، حتى إنه كان يدعو اللّه بالفرج بالموت!! ...

و عليه ... أ فلا يكفى موقف الامام هذا، و سائر مواقفه من مختلف تصرفات المأمون، لأن يضع علامة استفهام كبيرة حول طبيعة هذا الحدث؟! ...

أ لم يكن من الواجب أن يكون الامام (ع) مستبشرا مبتهجا كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. و مدافعا عن المأمون، و نظام حكمه، و مناصرا له، بكل ما أوتى من قوة و حول؟! ...

ثم أ لا يفهم من ذلک كله: أنه (ع) كان يدرک ما يكمن وراء قبوله لأى من العرضين من مشاكل، و ما ينتظره من أخطار؟! ...

و أن ذلک ليس إلا شركا يقصد ايقاعه به، و من بعده كل العلويين، و شيعتهم للقضاء عليه و عليهم، و إلى الابد!!! ...

و إذا كان الامام (ع) يعرف الحقيقة، كل الحقيقة ... فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضيا بأن يجعله المأمون وسيلة لأغراضه، و آلة لتحقيق مآربه و أهدافه؟!! و لا سيما إذا لاحظنا أنه يعرف أكثر من أى انسان آخر ما لتلك اللعبة من عواقب سيئة، و ما تحمله فى طياتها من آثار، ليس عليه هو، و على العلويين، و المتشيعين لهم فحسب ... و إنما على الامة بأسرها إن حاضرا، و إن مستقبلا!! ...

هذا كله عدا عن أن هذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه فى أى تحرك يقوم به، و أى نشاط إصلاحى يمارسه؛ حيث لم يعد

ص: ٣٠١

يستطيع أن يكون فى المستقبل قائدا للحركة المضادة للمأمون، و نظام حكمه، القائم على غير أساس شرعى، و منطقى سليم «١» ...

لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون:

لا ... لا يمكن أن يرضى الإمام بذلك، و خصوصا بعد أن تلقى العلم عن آبائه الصادقين، عن النبى (ص) الذى لا ينطق عن الهوى: بأن ذلك شىء لا يتم، و أوضح ذلك بما كتبه على وثيقة العهد الآتية بخط يده، حيث قال: «و الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك، لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين ...».

لا ... لا يمكن أن يرضى ببيعة يعلم أنها لا تتم له، و إنما تخدم مصالح آخرين. و تحقق لهم مآربهم، على حساب الدين، و الامة؛ و لهذا رفض بشدة و عنف، و أصر عليه المأمون بشدة و عنف أيضا ...

و لم يكن ليقنع المأمون شىء، بعد أن كان يرى أن القضية بالنسبة إليه قضية مصير و مستقبل. و هو مستعد لأن يضحى بكل شىء فى سبيل مصيره و مستقبله، كما ضحى بأخيه و أشياعه من قبل ..

و إنه إذا تأكد لديه رفض الإمام (ع) القاطع، و تصور ما سوف تؤول إليه حاله نتيجة لذلك الرفض؛ فلسوف لا يألو جهدا، و لا يدخر

---

(١) و فى كتاب: الامامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٨٦، قال إنه عليه السلام وافق على فكرة ولاية العهد؛ لتكون فترة امتحان و تجربة للمأمون ...

و لا يخفى ما فيه؛ فان كل الدلائل و الشواهد كانت تشير إلى أن الامام عليه السلام كان يعلم بحقيقة نوايا المأمون و أهدافه، و لم تكن ثمة حاجة إلى امتحان و تجربة، كما اتضح و سيتضح إن شاء اللّه تعالى ...

ص: ٣٠٢

وسعا فى الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، و من كل من تصل إليه يده، ممن له به (ع) أية صلة أو رابطة ...

هى قضية مصير:

و بأوضح بيان نقول: إنه لم يكن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولاية العهد بالذى يثنى المأمون عما كان قد عقد العزم عليه؛ لأن الاسباب التى كانت تدعوه لذلک لم تكن تسمح له أبدا بالاصغاء لهذا الرفض؛ فهى تحتم عليه أن يفعل ذلک، مهما كلفه الأمر، و مهما كانت النتائج.

و لم يكن لديه مانع من تنفيذ تهديداته، لو علم أنه لا سبيل إلى تنفيذ ما يصبو إليه، و الحصول على ما يريد الحصول عليه؛ فالقضية بالنسبة إليه هو المتعطش إلى الحكم و السلطة قضية مصير و مستقبل، لا يمكن المساومة معها، و لا مجال لغض النظر و التساهل فيها ...

و إذا كان قد قتل أخاه من أجل الملک و فى سبيله؛ فأى مانع يمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملک أيضا، و فى سبيله ... أم يعقل أن يكون الرضا أعز عليه من أخيه، و سائر من قتل من وزرائه هو، و قواده، و أشياعه؟!؟ ...

و لسوف لا نستغرب على المأمون- بعد قتله أخاه- الاقدام على أى تصرف فى سبيل الملک، حتى الاقدام على قتل الرضا (ع)، بعد أن كان أبوه الرشيد قد أملى عليه درس «الملک عقيم»، و قال له:

«و اللّه، لو نازعتنى أنت هذا الأمر؛ لأخذت الذى فيه عيناک؛ فإن الملک عقيم ...» «١».

(١) شرح ميمية أبى فراس ص ٧٣، و البحار ج ٤٨ ص ١٣١، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧٠، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩١، و ينابيع المودة ص ٣٨٣، مع بعض تحريف لها، و غير ذلک ...

ص: ٣٠٣

و لم يكن ليخفى عليه أيضا قول موسى بن عيسى، عند ما رأى عبادة الحسين بن على و أصحابه، فى وقعة فخ: «... هم و اللّه، اكرم عند اللّه، و أحق بما فى أيدينا منا، و لكن الملک عقيم. و لو أن صاحب هذا القبر (يعنى النبى (ص))، نازعنا الملک ضربنا خيشومه بالسيف ...» «١».

و المنصور أيضا قد قرر هذه القاعدة بالذّات حينما اعترض عليه سليمان بن مهران الاعمش على قتله أولاد على (ع) «٢».

و هذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملک بن مروان؛ فإنه عند ما قتل مصعب بن الزبير بكى، و قال: «لقد كان أحب الناس إلىّ، و أشدهم مودة لى، و لكن الملک عقيم؛ ليس أحد يريده من ولد و لا والد إلا كان السيف» «٣».

بل و حتى نفس أخيه الأمين، عند ما لم يعد له نجاة من براثن أخيه المأمون، نراه يتذكر هذه القاعدة، فيقول: «هيهات، الملك عقيم، لا رحم له ...» «۴».

و لقد عمل المأمون بهذه القاعدة؛ فقتل أخاه، و أعطى الذى جاءه برأسه مليون درهم، بعد أن سجد شكرا للّه، و نصب الرأس على خشبة ليلعنه الناس، إلى آخر ما مر تفصيله ...

و إذا كانت القضية بالنسبة إلى المأمون قضية مصير و مستقبل و قضية ملك و سلطان؛ فطبيعى إذن أن نراه يخاطر بالخلافة (و ان كنا قدمنا أن ذلک كان منه سياسة و دهاء من أجل التمهيد لفرض ولاية العهد)،

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۵۳، و ثمرات الأعواد ۱۹۹، ۲۰۰، و شرح ميمية أبى فراس ص ۷۴.

(۲) مناقب الخوارزمى ص ۲۰۸.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۳ ص ۲۹۶، و طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۱۶۸، و البداية و النهاية ج ۸ ص ۳۱۶.

(۴) تتمة المنتهى ص ۱۸۵.

و أقدم على التخلى عن ولاية العهد، مع أن العباس ابنه و سائر ولده كانوا أحب إلى قلبه، و أجلى فى عينه من كل أحد، على حد تعبيره فى رسالته للعباسيين ...

و لقد قدمنا الشرح الكافى و الوافى لحقيقة الظروف و الأسباب، التى دعت المأمون إلى ذلک، و التى هى دون شک كافية لأن تجعل المأمون يقدم على أى عمل- و لو كان انتحاريا- من أجل انقاذ نفسه و خلافته، و العباسيين ... حتى و لو كان ذلک الشيء هو قتل الإمام (ع) ... و لقد أخبر الإمام كرّات، و مرات: أنه لم يقبل إلا بعد أن اشرف من المأمون على الهلاک ...

مبررات قبول الإمام لولاية العهد:

و لقد قبل الإمام (ع) ولاية العهد، و لكن ... بعد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التى بين جنبيه. هذا عدا عما سوف يتبع ذلک من تعرض العلويين، و كل من يتشيع لهم إلى أخطار هم فى غنى عنها ... و لو فرض أنه كان له هو (ع) الحق- فى مثل هذه الظروف- فى أن يعرض نفسه للهلاک، فلن يكون له حق أبدا فى أن يعرض غيره من شيعته و محبيه، و العلويين أجمع إلى الهلاک أيضا ...

هذا ... عدا عن أنه (ع) كان عليه أن يحتفظ بحياته، و حياة شيعته و محبيه؛ لأن الامة كانت بأمس الحاجة إلى وعيهم و إدراكهم؛ ليكونوا لها قدوة و منارا، تهتدى، و تقتدى به، فى حالكات المشاكل، و ظلم الشبهات ...

نعم ... لقد كانت الامة بأمس الحاجة إلى الإمام (ع)، و إلى من رباهم الإمام؛ حيث كان قد غزاها فى ذلک الوقت تيار فكرى، و ثقافى غريب، من الزندقة و الالحاد، و شاعت فيها الفلسفات و التشكيكات

ص: ٣٠٥

بالمبادئ الإلهية الحقة؛ فكان على الإمام (ع) أن يقف، و يقوم بواجبه، و ينقذ الامة، و لقد كان ذلک منه بالفعل؛ فلقد قام بواجبه، و أدى ما عليه، على أكمل وجه، رغم قصر المدة التى عاشها بعد البيعة نسبيا؛ و لهذا نقرأ فى الزيارة الجوادية؛ «... السلام على من كسرت له و سادة والده أمير المؤمنين؛ حتى خصم أهل الكتب، و ثبت قواعد الدين ...» «۱»

و المراد بذلک: الإمام الرضا (ع) ...

و لو أنه (ع) رفض ولاية العهد، و عرض نفسه، و شيعته، و محبيه للهلاک فلسوف لا يكون لموته؛ و موتهم أدنى أثر فى هذا السبيل، بل كان الاثر عكسيا، و خطيرا جدا ...

أضف إلى ذلک: أن قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسيين عملا، مضافا إلى القول: بأن العلويين لهم حق فى هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فيه، و أن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.

و أن ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلک الحق لهم ...

و قد رأينا ابن المعتز يهتم فى الاستدلال على أن جعل المأمون الرضا وليا للعهد، لا يعنى أن الحق فى الخلافة كان للرضا و العلويين، دون المأمون و العباسيين؛ و أنه انما أعطاهم ذلک عن طريق التقوى و الورع، و ليثبت لهم أن الخلافة التى ثاروا من أجل الوصول إليها و قتلوا انفسهم فى سبيلها لا تساوى عنده جناح بعوضه، فهو يقول:

و أعطاكم المأمون حق خلافة ... لنا حقها لكنه جاد بالدنيا

ليعلمكم أن التى قد حرصتم ... عليها و غودرتم على اثرها صرعى

(۱) البحار ج ۱۰۲ ص ۵۳.

ص: ٣٠٦

يسير عليه فقدها غير مكثر كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى

فمات الرضا من بعد ما قد علمتم و لاذت بنا من بعده مرة أخرى«۱»

و أيضا ... حتى لا يتناساهم الناس، و يقطعوا آمالهم بهم. و حتى لا يصدق الناس ما يشاع عنهم من أنهم مجرد علماء فقهاء، لا يهمهم العمل لما فيه خير الامة. و لا يفكرون فى الخروج إلى المجتمع بصفتهم رواد صلاح و اصلاح و لعل إلى ذلک کله، يشير الإمام (ع) فى قوله لمحمد ابن عرفة، عند ما سأله عن قبوله بولاية العهد؛ فقال له: «يا ابن رسول اللّه، ما حملک على الدخول فى ولاية العهد؟!!» ... فأجابه الإمام (ع): «ما حمل جدى على الدخول فى الشورى ...» «۲».

هذا بالإضافة إلى أنه يكون فى فترة ولاية العهد قد أظهر المأمون على حقيقته أمام الناس، و عرّفهم بواقع و اهداف كل ما أقدم عليه، و أزال كل شبهة و لبس فى ذلک. كما قد حدث ذلک بالفعل ...

هل الإمام راغب فى هذا الأمر:

و لكن هذا كله و سواه، لا يعنى أن الإمام (ع) كان راغبا فى أى من الخلافة، أو ولاية العهد؛ فإن ما ذكرناه لا يبرر ذلک؛ حيث إنه لا يعدو عن أن يكون من الفوائد التى كان يمكن الحصول على بعضها

---

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۶۵. و ديوان ابن المعتز ص ۲۲- ۲۳ و ان اهتمام ابن المعتز الواضح بقضية الرضا مع المأمون، كما يظهر من شعره هنا، و الذى قدمناه مع التعليق عليه فى فصل: ظروف البيعة ... يدلنا على أن هذه القضية كان لها فى الامة صدى واسعا، و آثارا هامة، لم يكن بوسع ابن المعتز التغاضى عنها، و السكوت عليها.

(۲) راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۴، و معادن الحكمة ص ۱۹۲، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۰ ۱۴۱.

من دون الدخول فى هذا الأمر. و البعض الآخر لا يساوى فى أهميته و خطره، ما سوف يجره الدخول فى هذا الأمر من مآس و مشاكل، و ما سوف يترتب عليه من آثار سيئة و خطيرة.

و قد قدمنا فى الفصل السابق البيان الكافى و الوافى، لما سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات فى الحكم؛ لو أنه كان قبل عرض الخلافة، و كيف ستكون النهاية له، و لنظام حكمه ...

و هو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، و نظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد أيضا؛ إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، و تسلمه لأزمة الحكم و السلطان تعترضه عقبات صعبة، و أهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، و تجاوزها.

فلقد كان يعلم- كما أظهرت الأحداث و الوقائع بعد ذلک- أنه لن يسلم من دسائس المأمون و أشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعد وفاة المأمون، و لم يكن يشک فى أن المأمون سوف يقدم على كل غريبة؛ من أجل التخلص منه، و تصفيته، إن جسديا، و ان معنويا ...

بل ... و حتى لو أن المأمون لم يقدم على أى عمل، فإن آماله بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، و هو بهذه السن المتقدمة، بالنسبة لسن المأمون ... كانت ضعيفة جدا، لا تبرر له الاقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطى الناس انطباعا عن نفسه، بأنه لم يزهد بالدنيا، و إنما الدنيا هى التى زهدت فيه، كما كان يريد المأمون!!! و مع غض النظر عن كل ذلک ... فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصطدم بتلک العناصر القوية ذات النفوذ، و التى لن ترضى عن سلوكه فى الحكم بصورة عامة، و فوق

ص: ۳۰۸

ذلک كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، و أشياعهم، و الذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه و بين ذلک، و لو تمكن من ذلک؛ فلسوف لا يدخرون وسعا، و يجندون كل ما لديهم من طاقة و قوة و حول؛ من أجل زعزعة حكمه، و تقويض سلطانه، و خلق المشاكل الكثيرة له؛ لتضاف إلى ذلک الركام الهائل من المشاكل التى كانت تواجه الحكم ...

إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الامة قيادة صالحة، و سليمة و حكيمة؛ و ليمنى- من ثم- بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة ...

و لسوف يجدون هناک مرتعا خصبا لمؤامراتهم، و دسائسهم فى تلک الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، و ذلک عند ما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جدّيه محمد (ص) و على (ع).

و أن الناس بمختلف فئاتهم و طبقاتهم سوف لا يكونون مستعدين لتقبل حكم كهذا. و لا أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلک، و يخضعوا لارادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الامويين، و العباسيين، المليئة بالانحرافات و الموبقات ...

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) فى فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه باعداد مسبق، و تعبئة عامة و شاملة، على جميع المستويات، و فى مختلف المجالات ... و لن يفسح العباسيون، و المأمون، و أشياعهم له المجال للقيام بذلک الاعداد، و تلک التعبئة مهما كلفهم ذلک من تضحيات.

فالسلبية اذن هى الموقف الصحيح:

و بعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعى أن لا يفكر الإمام (ع) فى الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوى، و المحفوف بالأخطار، و الذى لن يحقق له أى هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون

ص: ۳۰۹

موجبا للقضاء عليه، و على كل آماله، و كل العلويين، و المتشيعين لهم، و يحقق فقط آمال الآخرين، و أهدافهم ... و لسوف يكون إقدامه على عمل من هذا النوع عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده.

لا بد من خطة لمواجهة الموقف:

و أخيرا ... و إذا كان لم يكن للرضا (ع) خيار فى قبول ولاية العهد ...

و إذا كان لا يمكن أن يقبل بأن يجعل وسيلة لتحقيق أهداف، و آلة يتوصل بها إلى مآرب يمقتها، و يكرهها كل الكره؛ لعلمه بما سوف يكون لها من آثار سيئة و خطيرة، على حاضر الامة، و مستقبلها، و على مستقبل هذا الدين. و كذلک لا يمكنه أن يسكت، و يظهر بمظهر الموافق، و المؤيد، و المساعد ...

فان كل ما يمكن له أن يفعله- بعد هذا- هو أن يضع خطة، يستطيع بها مواجهة مؤامرات المأمون، و إحباط مخططاته؛ حتى لا يزداد الوضع سوءا، و الطين بلة ...

فإلى الحديث عن خطته هذه فى الفصل التالى ...

ص: ٣١٠

خطة الامام (ع)

انحراف الحكام:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاک- العباسيين و الامويين على حد سواء- لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئک الحكام، و سلوكهم، و حياتهم لمبادئ الاسلام و تعاليمه ... الاسلام، الذى كانوا يستطيلون على الناس به، و يحكمون الامة- حسب ما يدّعون- باسمه، و فى ظله ... حتى لقد اصبح الناس، و الناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلک، و يفهمون خطأ: أن الاسلام لا يبتعد كثيرا عما يرون، و يشاهدون؛ مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الاسلامى القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف فى وجهه ...

العلماء المزيفون و عقيدة الجبر:

و لقد ساعد على ذلک، و زاد الطين بلة، فريق من أولئک الذين اشتريت ضمائرهم، ممن يتسمّون، أو بالأحرى سماهم الحكام ب «العلماء»؛ حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الاسلام، و تعاليمه؛

ص: ٣١١

لتوافق هوى، و تخدم مصالح أولئک الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، و غمروهم بالنعمة.

حتی إن أولئک المأجورین قد جعلوا عقیدة الجبر- الواضح لکل أحد زیفها و سخفها- من العقائد الدینیة الاسلامیة!!.؛ من أجل أن یسهلوا علی أولئک الحکام استغلال الناس، و لکی یوفروا لهم حمایة لتصرفاتهم تلک، التی یندی لها جبین الانسان الحر ألما و خجلا؛ إذ أنهم یکونون بذلک قد جعلوا کل ما یصدر منهم هو بقضاء من اللّه و قدره؛ و لذا فلیس لأحد الحق فی أن ینکر علیهم أی تصرف من تصرفاتهم، أو أی جنایة من جنایاتهم ...

و کان قد مضی علی ترویجهم هذه العقیدة المبتدعة- حتی زمان المأمون- أکثر من قرن و نصفا، أی من أول خلافة معاویة، بل و حتی قبل ذلک أیضا ... بزمان طویل!!

عقیدة الخروج علی سلاطین الجور:

کما أنهم- أعنی هؤلاء العلماء- قد جعلوا الخروج علی سلاطین الجور و الفساد موبقة من الموبقات، و عظیمة من العظائم ...

و قد جرحوا بذلک عددا من کبار العلماء: مثل الإمام أبی حنیفة و غیره؛ بحجة أنه: «یری السیف فی أمة محمد» «۱» ...

---

(۱) راجع: نظریة الامامة، للدکتور أحمد محمود صبحی، و غیره ...

و فی تاریخ بغداد ج ۵ ص ۲۷۴: أنه قیل لأبی مسهر: کیف لم تکتب عن محمد بن راشد؟! قال: «کان یری الخروج علی الأئمة» ... و فی طبقات الحنابلة لأبی یعلی ج ۳ ص ۵۸، فی مقام ترجیح سفیان علی حسن بن حی، کان من جملة ما جرحه به أنه:

«کان یری السیف». و مثل ذلک کثیر لا نری حاجة لاستقصائه.

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدینیة، کما یظهر من تتبع کلماتهم «۱».

أما عقائد التشبیه، و قضیة خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذکر، أو تحتاج إلی بیان.

و الذی زاد الطین بلة:

یضاف إلی ذلک کله غرور الحکام، الذی لا مبرر له، و کذلک من لف لفهم، الذین کانوا یحکمون الامة باسم الدین ...

و کذلک غفلة الناس، و عدم إدراکهم لحقیقة ما یجری و ما یحدث، و للواقع المزری، الذی کان قائما آنذاک ...

و أیضا ... و هو الأهم من کل ذلک- ابتعادهم؛ بسعی من الهیئات الحاکمة، عن أهل بیت النبوة، و معدن الرسالة ...

كل ذلک ... قد أدى بالفعل إلى انحلال الدولة داخليا، و تمزيق أوصالها ... كما و أنه قد أسهم إسهاما كبيرا فى ابعاد الناس عن تعاليم السماء، و شريعة اللّه ... الأمر الذى لم يكن يعنى إلا نهاية الحكم الإسلامى،

---

(١) حسبما صرح به أحمد بن حنبل فى رسالة «السنة»، و هى عقائد أهل الحديث، و السنة.

و قد أوردها أبو يعلى فى طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢۶. و صرح بذلک أيضا الأشعرى فى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٢٣، و فى الإبانة ص ٩. و قد علل ذلک فى نظرية الامامة ص ۴١٧ بقوله: «... ذلک أنها: إن كانت بلوى من اللّه عقابا لهم؛ فما ثورتهم برادة عقاب اللّه، و إن كانت محنة للمسلمين؛ فما هم برادى قضاء اللّه»!!.

و فى كتاب السنة قبل التدوين ص ۴۶٧، نقل عن ابن خزيمة، فى وصفه الطاعنين على أبى هريرة، قوله: إنهم إما معطل جهمى ... «و إما خارجى يرى السيف على امة محمد، أو قدرى، اعتزل الاسلام، و أهله الخ ...» ...

وردة الناس إلى الجاهلية الجهلاء ... الأمر الذى لم يكن يرهب الحكام كثيرا؛ لأن الإسلام الذى يريدون، و الدين الذى ينشدون، هو ذلک الذى يستطيعون أن يتسلطوا على الامة، و يستأثروا بقدراتها و امكاناتها فى ظله. و يمهد لهم السبيل لاستمرار هم فى فرض نفوذهم و سيطرتهم، و لو كان ذلک على حساب جميع الشرائع السماوية، و كل المفاهيم الانسانية ...

إن أولئک الحكام، ما كانوا يفكرون إلا فى وسائل بقائهم و استمرارهم فى الحكم، و إلا فى شئونهم و مصالحهم الخاصة بهم. أما الامة المسلمة، و أما الإسلام، فلم يكن لهما لديهم أية قيمة، أو شأن يذكر، إلا فى حدود ما يستطيعون الافادة منهما فى بقائهم و وجودهم فى الحكم و السلطة ...

الأئمة فى مواجهة مسئولياتهم:

و فى هذا الوسط الغريب: من غفلة الناس، و من سيرة الحكام، و المتسمين بالعلماء و سلوكهم ... كان الأئمة عليهم السلام يؤدون واجبهم فى نشر تعاليم السماء، و يكافحون، و ينافحون عنها، بقدر ما كانت تسمح لهم ظروفهم، التى كانت فى ظل سلطان أولئک المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

و أما عن الامام الرضا بالذات:

و قد سنحت للامام الرضا (ع) فرصة لفترة وجيزة، كان الحكام منشغلين فيها بأمور تهمهم ... للقيام بواجبه فى توعية الامة، و تعريفها بتعاليم الإسلام. و ذلک فى الفترة التى تلت وفاة الرشيد، و حتى قتل الأمين. بل نستطيع أن نقول: إنها امتدت- و لو بشكل محدود- حتى وفاة الإمام (ع) فى سنة (٢٠٣). الأمر الذى كان من نتيجته ازدياد

ص: ۳۱۴

نفوذه (ع)، و اتساع قاعدته الشعبية؛ حتى لقد كانت كتبه تنفذ فى المشرق و المغرب. و كان هو الأرضى فى الخاصة و العامة، حسما ألمحنا إليه من قبل.

الخطة الحكيمة:

و عند ما أراد المأمون أن ينفذ خطته فى البيعة له بولاية العهد، و عرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلك، كان من الطبيعى أن يعد (ع) العدة، و يضع خطة لمواجهة خطط المأمون، و احباط أهدافه الشريرة، و التى كان أهونها القضاء على سمعة الامام (ع)، و تحطيمه معنويا و اجتماعيا.

و لقد كانت خطة الإمام هذه فى منتهى الدقة و الإحكام. و قد نجحت أيما نجاح فى إفشال المؤامرة، و تضييع كثير من أهدافها، و جعل الامور فى صالح الإمام (ع)، و فى ضرر المأمون ... حتى لقد ضاع رشد المأمون (بل و رشد أشياعه أيضا)، و هو أفعى الدهاء و السياسة، و لم يعد يدرى ما يصنع، و لا كيف يتصرف ...

مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:

و لعلنا نستطيع أن نسجل هنا بعض المواقف للامام (ع)، التى لم يكن المأمون قد حسب لها حسابا، و التى كانت ضمن خطة الإمام (ع) فى مواجهة مؤامرات المأمون ...

الموقف الأول:

اننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، و هو فى المدينة

ص: ۳۱۵

و لم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه ... بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره ...

و ما ذلک إلا ليعلم المأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، و أنه (ع) على علم تام بأبعاد مؤامرته و أهدافها ... كما أنه بذلک يثير شكوک الناس و ظنونهم حول طبيعة هذا الحدث، و سلامة النوايا فيه.

الموقف الثانى:

إنه رغم أن المأمون كان قد طلب من الإمام (ع)- و هو فى المدينة- أن يصطحب معه من أحب من أهل بيته فى سفره إلى مرو ...

انه رغم ذلک ... نلاحظ: أنه (ع) لم يصطحب معه حتى ولده الوحيد الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التى سوف يقضيها فى هذا السفر، الذى سوف يتقلد فيه زعامة الامة الإسلامية، حسب ما يقوله المأمون ... بل مع علمه بأنه سوف لن يعود من سفره ذاک، کما تؤکد علیه کثير من النصوص التاريخية ...

شکوک لها مبرراتها:

و نرى أننا مضطرون للشک فى نوايا المأمون و اهدافه من وراء طلبه هذا «أن يصطحب الامام (ع) من شاء من أهل بيته إلى مرو» ...

بعد أن رأينا: أنه لم يرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر الى مرو، و لا رجع محمد بن جعفر نفسه، و لا رجع محمد بن محمد بن زيد، و لا غير هؤلاء، کما سيأتى بيانه فى الفصل التالى و غيره ...

فلعل الامام (ع)، بل إن ذلک هو المؤکد، الذى تدل عليه

ص: ۳۱۶

تصريحاته و تصرفاته حين تأهب للسفر- لعله- قد فطن لنوايا المأمون هذه؛ فضيع الفرصة عليه، و أعاد کيده إليه ...

الموقف الثالث:

سلوکه فى الطريق، کما وصفه رجاء بن أبى الضحاک «۱»، حتى اضطر المأمون لأن يظهر على حقيقته، و يطلب من رجاء هذا: أن لا يذکر ما شاهده منه لأحد؛ بحجة أنه لا يريد أن يظهر فضله إلا على لسانه «۲»، و لکننا لم نره يظهر فضله هذا، حتى و لو مرة واحدة؛ فلم يدّع أحد أنه سمع شيئا من المأمون عن سلوک الامام (ع)، و هو فى طريقه إلى مرو. و أما رجاء، فلعله لم يحدث بذلک إلا بعد أن لم يعد فى ذلک ضرر على المأمون، و بعد أن ارتفعت الموانع، و قضى الأمر ...

الموقف الرابع:

موقفه فى نيشابور، الذى لم يکن أبدا من المصادفة. کما لم يکن ذکره للسلسلة التى يروى عنها من المصادفة أيضا؛ حيث أبلغ الناس فى ذلک الموقف، الذى کانت تزدحم فيه أقدام عشرات بل مئات الالوف «۳»- أبلغهم-: «کلمة لا إله إلا اللّه حصنى؛ فمن دخل

(۱) راجع: البحار ج ۴۹ من ص ۹۱ حتى ۹۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۱ فما بعدها. و هو کلام معروف لا ترى أننا بحاجة لتکثير مصادره هنا ...

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۹۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) و ذلک يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، و محبتهم لهم. الأمر الذى كان يرعب المأمون و يخيفه ... حتى لقد كان يحاول كبت عواطف الناس هذه، و هذا هو السبب فى منع الامام من المرور عن طريق الكوفة و قم، كما سيأتى ...

ص: ۳۱۷

حصنى أمن من عذابى «۱»» ...

هذه الكلمة ... التى عد أهل المحابر و الدوى، الذين كانوا يكتبونها؛ فانافوا على العشرين الفا ... هذا على قلة من كانوا يعرفون القراءة و الكتابة آنذاک، و عدا عمن سواهم ممن شهد ذلک الموقف العظيم ...

«. و نلاحظ: أنه (ع)- فى هذا الظرف- لم يحدثهم عن مسألة فرعية، ترتبط ببعض مجالات الحياة: كالصوم، و الصلاة، و ما شاكل. و لم يلق عليهم موعظة تزهدهم فى الدنيا، و ترغبهم فى الآخرة، كما كان شأن العلماء آنذاک ...

كما أنه لم يحاول أن يستغل الموقف لاهداف شخصية؛ أو سياسية، كما جرت عادة الآخرين فى مثل هذه المواقف ... مع أنه يتوجه إلى مرو؛ ليواجه أخطر محنة تهدد وجوده، و تهدد العلويين، و من ثم الامة بأسرها.

و انما كلم الناس باعتباره القائد الحقيقى، الذى يفترض فيه: أن يوجه الناس- فى ذلک الظرف بالذات- إلى أهم مسألة ترتبط بحياتهم، و وجودهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا. ألا و هى مسألة:

التوحيد ... التوحيد: الذى هو فى الواقع الأساس للحياة الفضلى، بمختلف جوانبها، و إليه تنتهى، و عليه و به تقوم ...

التوحيد: الذى ينجى كل الامم من كل عناء و شقاء و بلاء. و الذى إذا فقده الانسان؛ فإنه يفقد كل شىء فى الحياة حتى نفسه ...

مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد:

هذا ... و لأنه قد يكون الكثيرون ممن شهدوا ذلک الموقف لم يتهيأ

---

(۱) قد ذكرنا بعض مصادر هذه القضية فى فصل: «شخصية الامام الرضا» فمن أراد فليراجع ...

ص: ۳۱۸

لهم سماع كلمة الإمام (ع)؛ لانشغالهم مع بعضهم بأحاديث خاصة؛ أو لتوجههم لامور جانبية أخرى، كما يحدث ذلک كثيرا فى مناسبات كهذه ...

نرى الإمام (ع) يتصرف بنحو آخر؛ حيث إنه عند ما سارت به الناقة، و فى حين كانت أنظار الناس كلهم، و قلوبهم مشدودة إليها ...

نراه يخرج رأسه من العمارية؛ فيسترعى ذلک انتباه الناس، الذين لم يكونوا يترقبون ذلک منه. ثم يملى عليهم- و هم يلتقطون أنفاسهم؛ ليستمعوا إلى ما يقول- كلمته الخالدة الاخرى:

«بشروطها؛ و أنا من شروطها».

لقد أملى الإمام (ع) كلمته هذه عليهم، و هو مفارق لهم؛ لتبقى الذكرى الغالية، التى لا بد و أن يبقى لها عميق الأثر فى نفوسهم «۱» ...

لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسية أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، ألا و هى مسألة: «الولاية» ...

و هى مسألة بالغة الأهمية، بالنسبة لأمة تريد أن تحيا الحياة الفضلى، و تنعم بالعيش الكريم؛ إذ ما دامت مسألة القيادة الحكيمة، و العادلة، و الواعية لكل ظروف الحياة، و شئونها، و مشاكلها- ما دامت هذه

---

(۱) و يلاحظ: أن هذه الكلمة قد صيغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلى الكلمة الاولى، و معرفتها.

و بعد ... فما أشبه موقفه عليه السلام هنا بموقف النبى (ص) فى غدير خم؛ حيث إنه (ص) كان أيضا قد أبلغ المسلمين مسألة الولاية، فى ذلک الموقف الحاشد، و فى المكان الذى لا بد فيه من تفرق الناس عنه (ص)، و ذهاب كل منهم إلى بلده، و لعل إرجاع المتقدمين، و حبس المتأخرين يشبهها إخراج الامام عليه السلام رأسه من العمارية ... يضاف إلى ذلک: أن موقفه (ص) كان آخر مواقفه العامة فى حياته إلى آخر ما هنالک من وجوه الشبه بين الواقعتين.

و لعلنا نجد تشابها بين هذه الواقعة، و بين قضية إرجاع أبى بكر عن تبليغ آيات سورة براءة، ثم إرسال على مكانه ...

المسألة- لم تحل؛ فلسوف لا يمكن إلا أن يبقى العالم يرزح تحت حكم الظلمة و الطواغيت، و الذين يجعلون لأنفسهم صلاحيات التقنين و التشريع الخاصة باللّه، و يحكمون بغير ما أنزل اللّه؛ و ليبقى العالم- من ثم- يعانى الشقاء و البلاء، و يعيش فى متاهات الجهل، و الحيرة، و الضياع ...» «۱».

و إننا إذا ما أدركنا بعمق مدى ارتباط مسألة: «الولاية» بمسألة «التوحيد»؛ فلسوف نعرف: أن قوله (ع): «و أنا من شروطها» لم تمله عليه مصلحته الخاصة، و لا قضاياه الشخصية ... و لسوف ندرک أيضا: الهدف الذى من أجله ذكر الإمام (ع) سلسلة سند

الرواية، الأمر الذى ما عهدناه، و لا ألفناه منهم عليهم السلام، إلا فى حالات نادرة؛ فإنه عليه السلام قد أراد أن ينبه بذلک على مدى ارتباط مسألة القيادة للامة بالمبدإ الأعلى ...

الإمام ولى الأمر من قبل اللّه، لا من قبل المأمون:

وعدا عن ذلک كله ... فإننا نجد أن الإمام (ع)، حتى فى هذا الموقف، قد اهتبل الفرصة، و أبلغ ذلک الحشد الذى يضم عشرات بل مئات الالوف: أنه الإمام للمسلمين جميعا، و المفترض الطاعة عليهم، على حد تعبير القندوزى الحنفى، و غيره ... و ذلک عند ما قال لهم:

«و أنا من شروطها».

و بذلک يكون قد ضيع على المأمون أعظم هدف كان يرمى إليه من استقدام الإمام (ع) إلى مرو. ألا و هو: الحصول على اعتراف بشرعية خلافته، و خلافة بنى أبيه العباسيين ...

---

(١) قد استرشدنا فى بعض ما ذكرناه هنا بما ذكره بعض المؤلفين، فى كتابه: «يادبود هشتمين امام» (فارسى).

إذ أنه قد بين للناس بقوله: «و أنا من شروطها»: أنه هو بنفسه من شروط كلمة التوحيد، لا من جهة أنه ولى الأمر من قبل المأمون، أو سيكون ولى الأمر أو العهد من قبله؛ و إنما لأن اللّه تعالى جعله من شروطها.

و قد أكد (ع) على هذا المعنى كثيرا، و فى مناسبات مختلفة، حتى للمأمون نفسه فى وثيقة العهد كما سيأتى، و أيضا فى الكتاب الجامع لاصول الاسلام و الأحكام، الذى طلبه منه المأمون؛ حيث كتب فيه أسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، مع أن عددا منهم لم يكونوا قد ولدوا بعد، كما أنه ذكر أسماءهم فى احتجاجه على العلماء و المأمون فى بعض مجالسهم العلمية، و فى غير ذلک من مواقفه الكثيرة (ع) ...

الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات:

و أخيرا ... لا بد لنا فى نهاية حديثنا عن هذا الموقف التاريخى من الاشارة إلى أنه كان من الطبيعى أن يضم ذلک الحشد العظيم، الذى يقدر بعشرات، بل بمئات الالوف:

١- حشدا من أهل الحديث و اتباعهم، الذين جعلوا صلحا جديدا بين الخلفاء الثلاثة، و بين علىّ (ع) فى معتقداتهم، بشرط أن يكون هو الرابع فى الخلافة و الفضل. و لفقوا من الأحاديث فى ذلک ما شاءت لهم قرائحهم؛ حتى جعلوه إذا سمع ذكرا لأبى بكر يبكى حبا، و يمسح عينيه ببرده «١».

و جعلوه أيضا ضرابا للحدود بين يدى الثلاثة: أبى بكر، و عمر،

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٢٠، و غيره.

ص: ٣٢١

و عثمان «١»، كما تنبأ هو نفسه (ع) بذلک «٢». إلى غير ذلک مما لا يكاد يخفى على الناظر البصير، و الناقد الخبير ...

٢- و حشدا من أهل الإرجاء، الذين ما كانوا يقيمون وزنا لعلى، و عثمان. بل كانت المرجئة الاولى لا يشهدون لهما بإيمان، و لا بكفر ...

٣- و أيضا ... أن يضم حشدا من أهل الاعتزال، الذين أحاطوا بالمأمون، بل و يعد هو منهم، و الذين تدرجوا فى القول بفضل علىّ (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم و مشاربهم؛ فقد كان مؤسّسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد، لا يحكمان بتصويبه فى وقعة الجمل مثلا، و لكن أتباعهما تدرّجوا على مر الزمان فى القول بفضله؛ فقد شكک أبو الهذيل العلاف فى أفضليته على أبى بكر، أو القول بتساويهما فى الفضل. و لكن رئيس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر، قد جزم بأفضليته على الخلفاء الثلاثة، و لكنه قال بصحة خلافتهم ... و قد تبعه جميع معتزلة بغداد، و كثير من البصريين ...

و إذا كان ذلک الحشد الهائل يضم كل هؤلاء، و غيرهم ممن لم نذكرهم ... فمن الطبيعى أن تكون كلمة الإمام هذه: «و أنا من شروطها» ضربة موفقة و دامغة لكل هؤلاء، و إقامة للحجة عليهم جميعا، على اختلاف أهوائهم، و مذاهبهم ...

و يكون قد بلغ بهذه الكلمة: «و أنا ...» صريح عقيدته، و عقيدة

(١) تاريخ الخلفاء ص ١١٩، ١٢٠، و المحاسن و المساوى ج ١ ص ٧٩ طبع مصر.

و الفتوحات الاسلامية لدحلان ط مصطفى محمد ج ٢ ص ٣٦٨.

(٢) فقد قال بعد أن ضرب الوليد بن عقبة الحد، لشربه الخمر: «لتدعونى قريش بعد هذا جلادها». الغدير ج ٨ ص ١٢١. و قد صدقت نبوءته، صلوات اللّه و سلامه عليه؛ فقد جعلوه- كما ترى- ضرابا للحدود بين يدى الثلاثة!!!.

ص: ٣٢٢

آبائه الطاهرين (ع) فى أعظم مسألة دينية، تفرقت لاجلها الفرق فى الاسلام، و سلت من أجلها السيوف. بل لقد قال الشهرستانى:

«... و اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة؛ إذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة فى كل زمان ...» «۱».

و بعد كل ما قدمناه ... لا يبقى مجال للقول: إن قوله هذا:

«و أنا ...» لا ينسجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، و خفض الجناح؛ إذ ليس ثمة من شک فى أن للتواضع و خفض الجناح موضع آخر. و أنه كان لا بد للامام فى ذلک المقام، من بيان الحق الذى يصلح به الناس أولا و آخرا، و يفتح عيونهم و قلوبهم على كل ما فيه الخير و المصلحة لهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا، و إن جزع من ذلک قوم، و حنق آخرون ...

تعقيب هام و ضرورى:

و مما هو جدير بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يستعملون التقية فى كل شىء إلا فى مسألة أنهم عليهم السلام الأحق بقيادة

---

(۱) الملل و النحل، ج ۱ ص ۲۴. و قال الخضرى فى محاضراته ج ۱ ص ۱۶۷:

«... و الخلاصة: أن مسألة الخلافة الاسلامية و الاستخلاف، لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار. بل كان تركها على ما هى عليه، من غير حل محدد ترضاه الامة، و تدفع عنه سببا لاكثر الحوادث التى أصابت المسلمين، و أوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق و الحروب المتواصلة، التى قلما يخلو منها زمن، سواء كان ذلک بين بيتين، أو بين شخصين ...» انتهى.

و أقول: إذن ... كيف جاز للنبى (ص) أن يترک الامة هكذا هملا، ثم لا يضع حلا لأعظم مشكلة تواجهها، مع أن شريعته كاملة و شاملة، و قد بين فيها كل ما تحتاجه الامة، حتى أرش الخدش.

الامة، و خلافة النبى (ص). مع أنها لا شىء أخطر منها عليهم، كما تشير إليه عبارة الشهرستانى الآنفة، و غيرها.

و ذلک يدل على مدى ثقتهم بأنفسهم، و بأحقيتهم بهذا الأمر ...

فنرى الإمام موسى (ع) يواجه ذلک الطاغية الجبار هارون بهذه الحقيقة، و يصارحه بها، أكثر من مرة، و فى أكثر من مناسبة «۱» ...

بل لقد رأينا الرشيد نفسه يعترف بأحقيتهم تلک فی عدد من المناسبات علی ما فی کتب السير و التاريخ ...

و لقد نقل غير واحد «۲» أنه: عند ما وقف الرشيد علی قبر النبی (ص)، و قال مفتخرا: السلام عليک يا ابن عم. جاء الإمام موسی (ع)، و قال:

السلام عليک يا أبة. فلم يزل ذلک فی نفس الرشيد إلی أن قبض عليه.:

و عند ما قال له الرشيد: أنت الذی تبايعک الناس سرا؟! أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، و أنت إمام الجسوم «۳» ...

و أما الحسن، و الحسين، و أبوهما؛ فحالهما فی ذلک أشهر من أن يحتاج إلی بيان ...

بل إن أعظم شاهد علی مدی ثقتهم بأحقية دعواهم الإمامة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقائل له: إنک قد شهرت نفسک بهذا الأمر، و جلست مجلس أبيک؛ و سيف هارون يقطر الدم؟!! ...

---

(۱) راجع: الصواعق المحرقة، و ينابيع المودة، و وفيات الاعيان، و البحار، و قاموس الرجال، و غير ذلک ...

(۲) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۱۸۳، و الکامل لابن الاثير ج ۶، ص ۱۶۴ ط صادر، و الصواعق المحرقة ص ۱۲۲، و الاتحاف بحب الاشراف ص ۵۵، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۵ و أعيان الشيعة، و ينابيع المودة، و غير ذلک ...

(۳) الاتحاف بحب الاشراف ص ۵۵، و الصواعق المحرقة ص ۱۲۲.

ص: ۳۲۴

فأجابه الإمام (ع): «جرأنی علی هذا ما قال رسول اللّه (ص):

إن أخذ أبو جهل من رأسی شعرة؛ فأشهد أنی لست بنبیّ ... و أنا أقول لکم: إن أخذ هارون من رأسی شعرة؛ فاشهدوا أنی لست بإمام ...» «۱».

و فی هذا المعنی روايات عديدة «۲» ...

و لکنهم عليهم السلام قد انصرفوا بعد الحسين (ع) عن طلب هذا الأمر بالسيف ... إلی تربية الامة، و حماية الشريعة من الانحرافات التی کانت تتعرض لها باستمرار؛ و لأنهم کانوا يعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن يکون له قاعدة شعبية قوية و ثابتة، و واعية، لن يؤدی إلی نتيجة، و لن يقدّر له النجاح، الذی يريدونه هم، و يريده اللّه ... و لکنهم- کما قلنا- ظلوا عليهم السلام يجاهرون بأحقيتهم بهذا الأمر، حتی مع خلفاء وقتهم، کما يظهر لکل من راجع مواقفهم و أقوالهم فی المناسبات المختلفة ...

الموقف الخامس:

رفضه (ع) الشديد لكلا عرضى المأمون: الخلافة، و ولاية العهد، و إصراره على هذا الرفض الذى استمر أشهرا، و هو فى مرو نفسها، حتى لقد هدده المأمون اكثر من مرة بالقتل ...

و بذلک يکون قد مهد الطريق ليواجه المأمون بالحقيقة؛ حيث قال له صراحة: إنه يريد أن يقول للناس: إن على بن موسى لم يزهد بالدنيا، و إنما الدنيا هى التى زهدت فيه؛ و ليکون بذلک قد أفهم المأمون أن

---

(۱) المناقب لابن شهر اشوب ج ۴ ص ۳۳۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۳.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹، و روضة الکافى، و عيون أخبار الرضا، و إرشاد المفيد، و غير ذلک.

حيلته لم تکن لتجوز، و أن زيفه لا ينطلى عليه، و لذا فان عليه أن يکف فى المستقبل عن کل مؤامراته و مخططاته ... و ليکون المأمون بعد هذا غير مطمئن لأى عمل يقدم عليه، و ضعيف الثقة بکل الحيل و المؤامرات التى يحوکها. هذا بالاضافة إلى أن الناس سوف يشکون فى طبيعة هذا الأمر، و سلامة نوايا المأمون فيه ...

الموقف السادس:

و لم يکتف الامام (ع) بذلک کله ... بل کان لا يدع فرصة تمر إلا و يؤکد فيها على أن المأمون قد اکرهه على هذا الأمر، و أجبره عليه، و هدد بالقتل إن لم يقبل ...

يضاف إلى ذلک ... أنه کان يخبر الناس فى مختلف المناسبات: أن المأمون سوف ينکث العهد، و يغدر به ... حتى لقد قال فى نفس مجلس البيعة للمستبشر: «لا تستبشر؛ فانه شىء لا يتم». بل لقد کتب فى نفس وثيقة العهد ما يدل على ذلک دلالة واضحة، کما سيأتى بيانه فى الموقف الثامن ...

هذا عدا عن أنه کان يصرح بأنه لا يقتله إلا المأمون، و لا يسمه إلا هو، حتى لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر ...

بل إنه لم يکن يکتفى بمجرد القول، و إنما کانت حالته على وجه العموم فى فترة ولاية العهد تشير إلى عدم رضاه بهذا الامر، و إلى أنه مکره مجبر عليه ...

حيث إنه کان على حد تعبير الرواة: «فى ضيق شديد، و محنة عظيمة» و «لم يزل مغموما مکروبا حتى قبض»، و «قبل البيعة، و هو باک حزين» و کان کما يقول المدائنى: «إذا رجع يوم الجمعة من

ص: ۳۲۶

الجامع، و قد أصابه العرق و الغبار، رفع یدیه و قال: «اللهم إن کان فرجی مما أنا فیه بالموت؛ فعجل لی الساعة «۱» ...».

إلی آخر ما هنالک، مما لا یمکن استقصاؤه فی مثل هذه العجالة ...

و واضح أن کل ذلک سوف یؤدی إلی عکس النتیجة، التی کان یتوخاها المأمون من البیعة؛ و خصوصا إذا ما أردنا الملائمة بین مواقفه هذه، و موقفه فی نیشابور، و موقفه فی صلاتی العید فی مرو.

الموقف السابع:

إنه (ع) کان لا یدع فرصة تمر إلا و یؤکد فیها علی أن المأمون لم یجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم یزد بذلک علی أن أرجع الحق إلی أهله، بعد أن کانوا قد اغتصبوه منهم، بل و اثبات أن خلافة المأمون لیست صحیحة و لا شرعیة ...

أما ما یتعلق بصحة خلافة المأمون:

فنلاحظ: أنه (ع) حتی فی کیفیة البیعة یشیر- علی ما صرح به کثیر من المؤرخین- إلی أن المأمون، الذی یحتل عنوة مجلس رسول اللّه (ص)، یجهل حتی کیفیة ذلک العقد الذی خوّله- بنظره- أن یکون فی ذلک المجلس الخطیر؛ حیث إنه (ع): «... رفع یده؛ فتلقی بظهرها وجه نفسه، و بطنها وجوههم؛ فقال له المأمون: ابسط

---

(۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۴۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵.

ص: ۳۲۷

یدل للبیعة؛ فقال له: إن رسول اللّه هکذا کان یبایع؛ فبایعته الناس ...» «۱».

و نظیر ذلک أیضا: ما روی من أن المأمون قد أمر الناس: أن یعودوا للبیعة من جدید، عند ما أعلمه الإمام (ع): بأن کل من کان قد بایعه، قد بایعه بفسخ البیعة إلا الشاب الأخیر ... و هاج الناس بسبب ذلک، و عابوا المأمون علی عدم معرفته بالعقد الصحیح و الکیفیة الصحیحة للبیعة و هذه القضیة مذکورة فی العدید من المصادر أیضا «۲».

و أما أن الخلافة حق للامام (ع) دون غیره:

فلعله لا یکاد یخفی علی من له أدنی اطلاع علی حیاة الإمام (ع) و مواقفه و قد تحدثنا آنفا عن موقفه فی نیشابور، و هو فی طریقه إلی مرو، و کیف أنه (ع) جعل نفسه الشریفة و الاعتراف بامامته شرطا لکلمة التوحید، و الدخول فی حصن اللّه الحصین ...

و أشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، و هو أحدهم فی عديد من المناسبات و المواقف حتى فيما كتبه للمأمون ...

بل لقد المح إلى ذلک أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما بويع له بولاية العهد، و هو ما يلی:

---

(۱) راجع: المناقب ج ۴ ص ۳۶۹، ۳۶۴ و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۴، و علل الشرائع، و مقاتل الطالبيين، و نور الابصار، و نزهة الجليس، و عيون أخبار الرضا.

(۲) راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبی فراس ص ۲۰۴.

«... إن لنا عليكم حقا برسول اللّه، و لكم علينا حق به؛ فإذا أنتم أديتم لنا ذلک وجب علينا الحق لكم ...».

و لم يؤثر عنه فی ذلک المجلس غير ذلک ... و هو معروف و مشهور بين أرباب السير و التاريخ ...

و من الواضح أن اقتصاره على هذه الكلمة فی ذلک المجلس الذی يقتضی إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، و على الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده- إن اقتصاره على هذا- يعتبر أسلوبا رائعا لتركيز المفهوم الذی يريده الإمام (ع) فی أذهان الناس، و إعطائهم الانطباع الحقيقی عن البيعة، و عن موقفه منها، و من جهاز الحكم، فی نفس مجلس البيعة، حتى لا يبقى هناک مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب فی هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه و سخطه، و قد يكون له الحق فی ذلک و قد لا يكون ...

يضاف إلى كل ذلک أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون:

«... و أما ذكرک صاحبک (يعنی المأمون، و المأمون جالس)، الذی أجّلنی؛ فما أحلنی إلا المحل الذی أحله ملک مصر ليوسف الصديق (ع)، و كانت حالهما ما قد علمت ...».

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة و فی اكثر من مناسبة: «إن من أخذ برسول اللّه؛ لحقيق بأن يعطى به»، و ذلک عند ما عرض له المأمون بالمن عليه بأن جعله ولی عهده، و فی غير هذه المناسبة أيضا ...

المأمون يعترف بأحقية آل علی بالأمر:

و لعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفة (ع) مع المأمون،

عند ما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين و العلويين سواء بالنسبة لقرباهم من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛ و ذلک من أجل أن يثبت- بزعمه- أن له و لبنى أبيه حقا فى الخلافة؛ فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) فى انتزاع اعتراف من المأمون بأن العلويين هم الأقرب ...

و تكون النتيجة- على حسب منطق المأمون، و منطق أسلافه كما قدمنا- هى: أن العلويين هم الأحق بالخلافة و الرئاسة، و أنه هو، و آباءه غاصبون، و معتدون ...

فبينما المأمون و الرضا (ع) يسيران؛ إذ قال المأمون:

«... يا أبا الحسن، إنى فكرت فى شىء؛ فنتج لى الفكر الصواب فيه: فكرت فى أمرنا و أمركم، و نسبنا و نسبكم؛ فوجدت الفضيلة فيه واحدة، و رأيت اختلاف شيعتنا فى ذلک محمولا على الهوى و العصبية ...

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لک، و إن شئت أمسكت ...

فقال له المأمون: إنى لم أقله إلا لأعلم ما عندک فيه ...

قال له الرضا (ع): أنشدک اللّه يا أمير المؤمنين، لو أن اللّه تعالى بعث نبيه محمدا (ص)؛ فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام، يخطب إليک ابنتک، كنت مزوجه إياها؟ ...

فقال: يا سبحان اللّه، و هل أحد يرغب عن رسول اللّه (ص)؟!.

فقال له الرضا (ع): أ فتراه كان يحل له أن يخطب إلىّ؟ ...

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال:

«أنتم و اللّه، أمس برسول اللّه رحما ...» «١».

---

(١) كنز الفوائد للكراجكى ص ١۶۶، و الفصول المختارة من العيون و المحاسن ص ١۵، ١۶، و البحار ج ۴٩ ص ١٨٨، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٠.

و كانت هذه ضربة قاضية و قاصمة للمأمون. لم يكن قد حسب لها أى حساب. و لم يكن ليتمكن فى مقابل ذلک من أى عمل ضد الإمام (ع)؛ بعد أن كان هو الجانى على نفسه؛ ف «على نفسها جنت براقش».

و بعد كل ذلک فقد قدمنا قول ابن المعتز:

و أعطاكم المأمون حق خلافة لنا حقها، لكنه جاد بالدنيا

و خلاصة الأمر:

انه (ع) لم يكن يدخر وسعا فى إحباط مسعى المأمون، و تضييع الفرصة عليه، و إفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه ...

و التأكيد على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له؛ و لذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولاية العهد اعترافا بشرعية الخلافة العباسية، أو بشرعية أى تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلک حقا للامام قد اغتصبه الغاصبون، و اعتدى عليه فيه المعتدون؛ فليس للمأمون حق فى أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد ...

و كذلک ليس للمأمون بعد: أن يدعى العدل و الانصاف، فضلا عن الايثار و التضحية فى سبيل الآخرين؛ بعد أن فضح الإمام اهدافه من لعبته تلک، و عرف كل أحد أنها لم تكن شريفة و لا سليمة ...

الاكذوبة المفضوحة:

و بعد ... فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، و ابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلک التى ذكرناها آنفا و هى:

أن المأمون قال لعلى بن موسى: علام تدعون هذا الأمر؟! ...

قال: «بقرابة على و فاطمة من رسول اللّه (ص) ...»

ص: ۳۳۱

فقال المأمون: «إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول اللّه (ص) من هو أقرب إليه من على، أو من هو فى قعدده. و إن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول اللّه (ص)؛ فإن الأمر بعدها للحسن، و الحسين؛ فقد ابتزهما على حقهما، و هما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه ...».

فلم يحر على بن موسى له جوابا «۱» ... انتهى ...

و هی واقعة مزیفة و مجعولة من أجل التغطیة علی الواقعة الحقیقیة، التی جرت بینهما، و التی تنسجم مع کل الأحداث و الوقائع، و جمیع الدلائل و الشواهد متظافرة علی صحتها، ألا و هی تلک التی قدمناها آنفا ...

و الدلیل علی زیف هذه الروایة: أنها لا توافق نظرة أئمة أهل البیت و رأیهم فی الخلافة و مستحقها؛ لأنهم یرون- کما تدل علیه تصریحاتهم المتکررة، و أقوالهم المتضافرة-: أن منصب الإمامة لا یکون إلا بالنص.

و أما الاستدلال بالقرابة؛ فقد قلنا فی الفصل الأول من هذا الکتاب:

أن أول من التجأ إلیه أبو بکر، ثم عمر. ثم الامویون، فالعباسیون، ثم أکثر، إن لم یکن کل مطالب بالخلافة ... و أنه إذا کان فی کلام الأئمة و شیعتهم ما یفهم منه ذلک، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم.

و بعد ... فهل یخفی علی الإمام (ع) ضعف و وهن هذه الحجة؛ مع أننا نراه یصرح فی أکثر من مناسبة بأن القرابة لا تجدی و لا تفید- کما سنشیر إلیه- و انه لا بد فی الإمام من جدارة و أهلیة فی مختلف الجهات، و علی جمیع المستویات.

و لقد کان علی المأمون- لو صحت هذه الروایة- أن یغتنمها فرصة،

---

(۱) راجع: عیون الاخبار ج ۲ ص ۱۴۰، ۱۴۱، طبع مصر سنة ۱۳۴۶، و العقد الفرید ج ۵ ص ۱۰۲، و ج ۲ ص ۳۸۶، طبع دار الکتاب العربی ...

ص: ۳۳۲

و یعلنها علی الناس جمیعا، و یشهّر بالإمام (ع)؛ لیسقطه- و من ثم ... یسقط العلویین کلهم من أعین الناس ... و یسلبهم و إلی الابد السلاح الذی کانوا یحاربونه و یحاربون آباءه به ... مع أن ذلک هو ما کان یبحث عنه المأمون لیل نهار، و یدبر المکاید، و یعمل الحیل، من أجله، و فی سبیله ...

وعدا عن ذلک کله ... کیف یمکن أن تنسجم هذه الروایة مع مواقف الإمام، و تصریحاته المتکررة حول مسألة الامامة، و بأی شیء تثبت، و حول أوصاف الإمام و وظائفه، و التی لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلی عشرات الصفحات؟!!.

و کذلک ... مع احتجاج الإمام (ع) علی العلماء و المأمون فی اکثر من مناسبة بالنص، و أیضا مع موقفه (ع) فی نیشابور؟! اللهم إلا أن یکون أعلم أهل الأرض- باعتراف المأمون قد نسی حجته، و حجة آبائه، و کل من ینتسب إلیهم، و یذهب مذهبهم ...

تلک الحجة- التی عرفوا و کل المتشیعین لهم بها علی مدی الزمان- نسیها- فی تلک اللحظة فقط؛ لأن المأمون هو الذی یسأل، و الرضا هو الذی یجیب!!!.

و بعد؛ فهل يستطيع أن يشك فى ذلک أحد ... و هو يرى رسالة الرضا، التى كتبها للمأمون تلبية لطلبه، و جمع له بها أصول الاسلام، و التى صرح فيها بالنص على على (ع). بل و ذكر فيها الائمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى (ص) كلهم بأسمائهم، حتى من لم يكن قد ولد بعد منهم؟!. و هذه الرسالة مشهورة و قد أوردها و استشهد بها غير واحد من المؤرخين و الباحثين «١» ...

(١) و كان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحى فى كتابه: نظرية الامامة ص ٣٨٨، و قال: إنها من المخطوطات الموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٨.

ص: ٣٣٣

و فيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، و أروعه، و أوفاه ...

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل اللّه كالنبى، كما يتضح من مناظرته الشهيرة لعلماء وقته، التى أوردها غير واحد من كتب التاريخ، و الأدب، و الرواية، و ذكرها فى العقد الفريد أيضا قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. و إن كان قد تصرف فيها (أى فى المناظرة)؛ فحرف فيها، و حذف منها الكثير ... و أشار إليها أيضا أحمد أمين فى ضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٧، و غيره ...

فلما ذا لا يلزمه الإمام بمقالته التى كان يلزم نفسه بها؟!. أم يمكن أن لا يكون مطلعا على مقالة المأمون هذه، التى سار ذكرها فى الآفاق؟!.

و يحسن بنا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف فى نقل مثل هذه القضايا، حسب أهواء الناقلين لم يكن بالأمر الذى يخفى على أحد؛ فقد رأينا:

أن جواب أحمد بن حنبل فى المحنة بخلق القرآن، يرويه كل من الشيعة، و المعتزلة، و أهل السنة بصور ثلاثة مختلفة. و مناظرة هشام لأبى الهذيل العلاف يروى المعتزلة أن الغلبة فيها كانت لأبى الهذيل، بينما يروى الشيعة، و يؤيدهم المسعودى «١» أن الغلبة فيها كانت لهشام. إلى غير ذلک من عشرات القضايا بل المئات ...

و لكن الأمر هنا مختلف تماما؛ إذ أن مختلق الرواية هنا قد غفل عن أن روايته المفتعلة تتنافى كليا مع نظرة الأئمة عليهم السلام و رأيهم فى الخلافة و مستحقها ... و يبدو أنه لم يكن مطلعا على الآراء المختلفة الشائعة آنذاک فى مسألة الإمامة؛ و لذا نراه ينسب إلى الإمام (ع) رأيا لا يقول به، و لا يقره. و إنما هو يناسب رأى الشيعة الزيدية القائلين بإمامة ولد على (ع) من فاطمة؛ بشرط أن يكون بليغا، شجاعا، عادلا مجتهدا،

(١) مروج الذهب ج ۴ ص ٢١.

يخرج بالسيف ضد كل ظلم و انحراف إلخ ... و بأن إمامة على (ع) قد ثبتت بالوصف و الإشارة إليه، لا بالتصريح و النص عليه «۱».

كما أنه غفل عن أن الذين كانوا يحتجون بالقرابة و الإرث هم العباسيون، الذين كانوا إلى عصر المهدى- كما قدمنا- يدّعون انتقال الخلافة إليهم عن طريق على (ع)، و محمد بن الحنفية، و فى عصر المهدى عدلوا عن ذلک؛ لما يتضمنه من اعتراف للعلويين. و رأوا أن يجعلوا إمامتهم عن طريق العباس و أبنائه ... و حاولوا تقوية هذه النحلة بكل وسيلة، و بذلوا من أجلها الأموال الطائلة للعلماء و الفقهاء، و الشعراء.

و لم يكن لتخفى على أحد أبيات مروان بن أبى حفصة المتقدمة:

هل تطمسون من السماء نجومها — أو تسترون إلخ...

و لا قوله:

أنى يكون و ليس ذاک بكائن — لبنى البنات وراثة الأعمام

و قد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. على هذا البيت بقوله:

ما للطليق و للتراث و إنما — صلى الطليق مخافة الصمصام«۲»

و كيف يخفى كل ذلک على الإمام (ع)، خصوصا بعد أن كان الجدل فى هذا الموضوع قائما على قدم و ساق فى زمن هارون، بل و فى زمن المأمون كما يظهر من قول ابن شكلة المتقدم:

فضجت أن تشد على رءوس — تطالبها بميراث النبى

---

(۱) مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۷ ر ۱۹۸.

(۲) مقتل الحسين للمقرم ص ۱۱۹، و الاغانی ج ۹ ص ۴۵، طبع ساسی، و الادب فی ظل التشیع ص ۲۰۱، و ضحی الاسلام ج ۳ ص ۳۱۳، و قاموس الرجال ج ۲ ص ۳۹۳، و غیر ذلک.

و من قول القاسم بن یوسف و هی قصیدة طویلة فلتراجع «۱» إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه ... و بعد کل تلک الوقائع الشهیرة التی حدثت قبل خلافة المأمون، و اثناءها بالنسبة لدعوی العباسیین هذه؛ فلا یمکن أبدا أن تجری المحاورة بین أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) و بین المأمون أعلم خلفاء بنی العباس علی هذا النحو من السذاجة و البساطة ... اللهم إلا إذا کان أعلم أهل الأرض، لا یری و لا یسمع، أو أنه کان یعیش فی غیر هذا العالم، أو فی سرداب تحت الأرض ...

و اللهم إلا إذا کان القائل: ما للطلیق و للتراث إلخ ... أعلم بالحجة للدعوی التی یدعیها أعلم أهل الأرض من مدعی الدعوی نفسه ... و هل لم یکن یحسن أن یقول للمأمون- لو سلم أنه احتج بالقرابة-: إن قرابة العباس لا تفیده؛ بعد أن تخلی عنها یوم الانذار. و بعد أن کان من الظالمین، الذین حرمهم اللّه من عهده، حیث قال تعالی: «لا ینال عهدی الظالمین». و بعد أن ترک الهجرة معه (ص). و بعد أن حارب النبی (ص) یوم بدر. و بعد جهله بالدین و احکامه؛ و لقد قال سبحانه: «أ فمن یهدی إلی الحق أحق أن یتّبع، أمّن لا یهدّی إلا أن یهدی، فما لکم کیف تحکمون ...» «۲». إلی آخر ما هنالک ...

و أخیرا ... و بعد أن لم یبق مجال للشک فی زیف هذه الروایة و افتعالها ...

فإننا نری أن لنا کل الحق فی أن نسجل هنا: أنه لم یخف علینا، و نأمل أن لا یخفی علی أحد سرّ ذکر ابن عبد ربه هذه الروایة المزیفة المفتعلة، بعد ذکره لروایة احتجاج المأمون علی علماء وقته فی أفضلیة علی (ع) علی جمیع الخلق، و التی تصرف فیها ما شاء له حقده و نصبه،

---

(۱) الاوراق للصولی ص ۱۸۰. و قد تقدم شطر منها فی بعض فصول هذا الکتاب.

(۲) یونس آیة ۳۵.

الحذف و التحریف؛ فإنه- علی ما یبدو- لیس إلا من أجل التشویش علی تلک، و إبطال کل أثر لها، ظلما للحقیقة، و تجنیا علی التاریخ ...

الموقف الثامن:

و أعتقد أنه أعظمها أثرا، و أعمها نفعا، و هو ما کتبه (ع) علی وثیقة العهد، التی کتبها المأمون بخط یده ...

فإننا إذا ما رجعنا إليه نجد: أن كل سطر فيه، بل كل كلمة لها مغزى عميق، و دلالة هامة، تلقى لنا ضوءا كاشفا على خطته (ع) فى مواجهة مؤامرات المأمون، و خططه، و أهدافه ...

فلقد كان يعلم: أن هذه الوثيقة ستقرأ فى مختلف الأقطار الإسلامية؛ و لذلک نراه (ع) قد اتخذها وسيلة لإبلاغ الامة الحقيقة كل الحقيقة، و تعريفها بواقع نوايا و أهداف المأمون. و أيضا تأكيد حق العلويين، و كشف المؤامرة التى تحاک ضدهم ...

فبينما نراه (ع) يبدأ كلامه- فيما كتبه فى الوثيقة المشار إليها- بداية غير طبيعية، و لا مألوفة فى مناسبات كهذه حيث قال: «الحمد للّه الفعال لما يشاء، و لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه ...» ... لا يأتى بعدها بما يناسب المقام، و يتلائم مع سياق الكلام، من تمجيد اللّه، و الثناء عليه على أن ألهم أمير المؤمنين!! هذا الأمر ... بل نراه يأتى بعبارة غريبة، و غير متوقعة؛ ألا و هى قوله: «يعلم خائنة الأعين، و ما تخفى الصدور الخ ...».

أ فلا توافقنى- قارئى العزيز- على أنه (ع) يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوى على خيانة مبيتة، و أن هناک صدورا تخفى غير ما تظهر؟!. ثم ... أ لا توافقنى على أن هذه العبارة تعريض بالمأمون

ص: ٣٣٧

نفسه؛ من أجل تعريف الناس بحقيقة نواياه و أهدافه؟!. هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الاسلامى؛ لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلک بالفعل ...

و إذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد؛ فإننا نراه يقول: «... و صلاته على نبيه محمد خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين ...» فإننا إذا لاحظنا: أنه لم تجر العادة فى الوثائق الرسمية فى ذلک العهد بعطف «الآل» على «محمد»، ثم توصيفهم ب «الطيبين الطاهرين»- نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، و هجوم آخر عليه؛ حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، و سنخه، و محتده؛ و على أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، و ليس لكل من سواهم، حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، و لا مثل تلک المزية ...

ثم نراه (ع) يعقب ذلک بقوله: «... إن أمير المؤمنين ..... عرف من حقنا ما جهله غيره ...» ...

فما هو ذلک الحق الذى جهله الناس كلهم، حتى بنى العباس، فيما عدا المأمون؟! ...

فهل يمكن أن تكون الامة الاسلامية قد انكرت أنهم (ع) ابناء بنت رسول اللّه (ص)؟!!. أ ليس ذلک منه (ع) إعلان للامة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلک على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، و اعتدى عليهم به المعتدون؟! ... بل أ ليس ذلک ضربة للمأمون نفسه، و أن خلافته ليست شرعية، و لا صحيحة؛ لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!.

نعم ... إن الحق الذى جهله الناس هو حق الطاعة. و لم يكن

ص: ۳۳۸

الإمام (ع) يتقى المأمون، و لا غيره من رجال الدولة، فى إظهار هذا الحق، و بيان أن خلافة الرسول (ص) إنما كانت فى على (ع)، و ولده الطاهرين، و أنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، و الانقياد لهم. و قد اعلن (ع) ذلک فى نيشابور كما قدمنا ... و رأيناه يصرح به، و يطلب من الناس أن يعلم شاهدهم غائبهم به، فى محضر من رجال الدولة فى خراسان، ففى الكافى: بسنده عن محمد بن زيد الطبرى قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، و عنده عدة من بنى هاشم، و فيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى؛ فقال: «يا إسحاق، بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا!!. لا و قرابتى من رسول اللّه (ص) ما قلته قط، و لا سمعته من آبائى قاله، و لا بلغنى عن أحد من آبائى قاله، و لكننى أقول: الناس عبيد لنا فى الطاعة، موال لنا فى الدين؛ فليبلغ الشاهد الغائب ...» «۱».

و ستأتى الاشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى فى الفصل الآتى .. و ليتأمّل فى عبارته الأخيرة. فليبلغ إلخ ... و ليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه خطابه:

اسحاق بن موسى بن عيسى العباسى!!! و فى الكافى أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسى أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتک مفترضة؟. فقال: نعم. قال:

مثل طاعة على بن أبى طالب (ع)؟. قال: نعم «۲».

و المراد بأبى الحسن هو الرضا (ع)؛ لأنه هو الذى كان فى خراسان، و هو الذى يروى عنه معمر بن خلاد كثيرا ... و مثل ذلک كثير لا مجال لتتبعه ...

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۱۸۷، و أمالى المفيد ص ۱۴۸ ط النجف و أمالى الطوسى ج ۱ ص ۲۱، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۹۶.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۱۸۷؛ و الاختصاص ۲۷۸، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۰۳ عنه ...

ص: ۳۳۹

و يقول (ع) فى وثيقة العهد، بعد تلک العبارة مباشرة: «... فوصل أرحاما قطعت، و آمن أنفسا فزعت، بل أحياها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت».

فهو كما ترى ... فى حين يشكر المأمون، و يكتب تحت اسمه: «بل جعلت فداک» (حسب رواية الإربلى فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلک بالازراء ضمنا على آبائه العباسيين. و يذكر بما اقترفوه فى حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبونهم فى كل سهل و جبل، كما قدمنا ...

هذا ... و لا بأس أن نقف قليلا عند قوله: «و انه جعل إلى عهده، و الامرة الكبرى- إن بقيت- بعده ...».

فإننا لا نكاد نتردد فى أنه (ع) يشير بقوله: «إن بقيت بعده» إلى ذلک الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، و بين المأمون. و أنه يعتمد توجيه الأنظار إلى عدم طبيعية هذا الأمر، و إلى عدم رغبته فيه.

و إنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع فى أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، و لو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلک، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، و وصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ حيث لا بد حينئذ أن «يحل العقدة التى أمر اللّه بشدها». و لا بد أيضا أن تنكشف خيانته للملإ، و يظهر ما يخفيه فى صدره، على حد تعبيره (ع) ...

و إلا فما هو الداعى له (ع) لاقحام هذا الشرط- إن بقيت- فى أثناء مثل هذا الكلام ...

و إننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلک: فمن حل عقدة أمر اللّه بشدها، و فصم عروة أحب اللّه إيثاقها ...». و تأملنا قوله السابق:

ص: ۳۴۰

يعلم خائنة الأعين، و ما تخفى الصدور. و قوله اللاحق: لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ... فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، و يقول للناس جميعا: إنه لا يشک فى أن المأمون سوف ينقض العهد، و يحل العقدة.

و يلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر اللّه بشده، و أحب إيثاقه ... و هذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، و يؤكد عليه كثيرا، و نص عليه آنفا، و هو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذى جهله غيره، و اغتصبه هو و آباؤه، منه (ع) و من آبائه ...

و إذا ما وصلنا إلى قوله (ع): «... بذلک جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية الخ ...».

فإننا نراه كأنه يستشهد لاطاعته المأمون، و عدم اصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، و العلويين، و شيعته للهلاک، و الاضطهاد- يستشهد لذلک- بما جرى لسالفه: و هو أمير المؤمنين على (ع)، حيث صبر على الفلتات «۱» التى كانت من خلفاء عصره، و لم يعترض (ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضى قدما فى مخططاتهم، التى كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، و تكريس الأمر الواقع، و تثبيته، لأنه يخدم مصالحهم، و يرضى مطامحهم ...

- لم يعترض على (ع) على ذلک- لأنه خاف من شتات الدين،

(۱) و من المحتمل جدا أنه علیه السلام: یشیر إلی تعبیر عمر- کانت بیعة أبی بکر فلتة إلخ-.

و لکنه عمم الکلام بحیث یشمل غیر بیعة أبی بکر أیضا؛ باعتبار أن بیعة عمر و عثمان، و معاویة و غیرها، کانت أیضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها علی بیعة أبی بکر التی کانت فلتة ...

ص: ۳۴۱

و اضطراب حبل المسلمین؛ و لقرب أمر الجاهلیة ... و هذا مما قد نص علیه علی (ع) نفسه فی أکثر من مورد، و أکثر من مناسبة؛ قال (ع):

«... و أیم اللّه، لو لا مخافة الفرقة بین المسلمین، و أن یعود الکفر، و یبور الدین، لکنا علی غیر ما کنا لهم علیه ...»، و یقول: «إن اللّه لما قبض نبیه، استأثرت علینا قریش بالأمر، و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس کافة؛ فرأیت أن الصبر علی ذلک أفضل من تفریق کلمة المسلمین، و سفک دمائهم؛ و الناس حدیثوا عهد بالاسلام، و الدین یمخض مخض الوطب، یفسده أدنی و هن، و یعکسه أدنی خلف ...» «۱».

و هکذا تماما کان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفید علی، و وارثه؛ و الذی کان زمانه لا یبعد حال الناس فیه عن حال الجاهلیة، فإنه آثر أن یصبر علی هذه المحنة، خوفا من شتات الدین، و اضطراب حبل المسلمین؛ و ذلک بتعریض نفسه، و شیعته، و العلویین للهلاک، أو علی الأقل للاضطهاد، الأمر الذی سوف تکون له أسوأ النتائج علی الدین و الامة، کما قلنا ...

و إذا ما قرأنا بعد ذلک قوله (ع): «... و قد جعلت اللّه علی نفسی،- إن استرعانی علی المسلمین، و قلدنی خلافته- العمل فیهم عامة، و فی بنی العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله (ص) ...» ... فإن ما یسترعی انتباهنا هو تنصیصه علی بنی العباس خاصة و أنه سوف یعمل فیهم بطاعة اللّه، و رسوله ... «فلا یسفک دما حراما، و لا یبیح فرجا و لا مالا، إلا ما سفکته حدوده، و أباحته فرائضه إلخ ...».

فإن هذا التنصیص إنما هو فی مقابل «الأرحام التی قطعت، و فزعت،

(۱) راجع شرح النهج للمعتزلی ج ۱ ص ۳۰۷، ۳۰۸ و غیر ذلک.

ص: ۳۴۲

و تلفت، و افتقرت ...، من العلویین، علی ید بنی العباس، الذین فعلوا بهم، أکثر من فعل بنی أمیّة معهم، حسبما قدمنا ...

و تعهده و التزامه بأن يعمل فى المسلمين عامة، و فى بنى العباس خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله ... هو التزام بنفس الخط الذى التزم به على (ع)، و تعهد بانتهاجه. الأمر الذى كان سببا فى ابعاده عن الخلافة فى الشورى، و اضطلاع عثمان بها. بل كان ذلک هو السبب فى ابعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلک أيضا، و ما جرى بعده.

و علىّ (ع) هو نفس ذلک الذى استشهد به آنفا، و بيّن أنه صبر على الفلتات، و لم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ ...

و الالتزام بخط على (ع) لن يرضى المأمون، و العباسيين، و الهيئة الحاكمة. و لن يكون فى مصلحتهم، حسبما المحنا إليه فى فصل: جدية عرض الخلافة ...

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن ينبه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، و منطلقات سياسات خصومهم، التى عرفت جانبا منها فى القسم الأول من هذا الكتاب ...

و من هنا نعرف السر فى قوله (ع): «... و أن أتخير الكفاة جهدى و طاقتى ...». فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق فى كل نصب و عزل- تماما كالإمام على (ع)- من مصلحة الامة، و على وفق رضا اللّه، و تعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلک من الاعتبارات، التى لا يعترف بها الاسلام، و لا يقيم لها وزنا ...

و إذا ما قرأنا قوله (ع): «... و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا، و أعوذ باللّه من سخطه إلخ ...».

ص: ٣٤٣

فإننا ندرک للتوّ أنه (ع) يريد ضرب العقيدة، التى كان قد شجعها الحكام، و روّج لها علماء السوء ... من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم فى منأى و مأمن من أى مؤاخذة، أو عقاب، مهما اقترف من جرائم، و أتاه من موبقات؛ فهو فوق القانون، و لا يجوز لأحد الخروج، أو الاعتراض عليه، فى أى من الظروف و الأحوال، حتى و لو رمى القرآن بالنبل، و قتل ابن بنت رسول اللّه، فضلا عما عدا ذلک من الجرائم و الموبقات ...

و الإمام ... الذى يعرف كيف كانت سيرة المأمون، و سائر خلفاء بنى العباس، و من لف لفهم، و التى عرفت فيما تقدم طرفا منها، و الذين كانوا يتمتعون بهذه الحصانة الزائفة ... قد أراد أن يوجه ضربة قاضية لهم جميعا، حتى للمأمون، و أشياعه، و كل من كان من الطواغيت و الظلمة على شاكلتهم، و يبين لهم، و للملإ أجمع: أن الحاكم حارس للنظام و القانون، و لا يمكن أن يكون فوق النظام و القانون؛ و لذا فلا يمكن أن يكون فى منأى عن العقاب و القصاص، لو ارتكب أى جريمة، أو اقترف أية عظيمة.

فالمأمون، و آباؤه، و أشياعهم، كانوا يضحون بكل شىء فى سبيل أنفسهم، و مصالحهم الشخصية، و يقترفون كل عظيمة فى سبيل تدعيم حكمهم، و تقوية سلطانهم ... أما الامام (ع) فهو مستعد لأن يقدم نفسه- إن اقتضى الأمر- للعقاب و النكال، عند صدور أية مخالفة، و حصول أى تجاوز عما يرضى اللّه تعالى، و عن سنة رسوله ...

و بعد كل ما تقدم ... نراه يعبر عن عدم رضاه بهذا الأمر، و عدم تهالكه عليه؛ لعلمه بعدم تماميته له؛ و يقول بصريح العبارة: إنه أمر لا يتم؛ لأن «... الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك ...». كما أن فى هذا تنويه مهمّ منه (ع) بذكر الركن الثانى من أركان إمامة أئمة

ص: ٣۴۴

أهل البيت عليهم السلام، و هو أن اللّه تعالى اختصهم بأمور غيبية، و علوم لدنية، منعها عن سائر الناس.

و هذان الكتابان: الجفر، و الجامعة، هما من الكتب التى أملاها رسول اللّه (ص) على على أمير المؤمنين (ع)، و كتبها بخط يده. و قد أظهر الأئمة عليهم السلام بعض هذه الكتب التى بخط على (ع)، و باملاء الرسول (ص) لعدة من كبار شيعتهم، و استشهدوا بها فى موارد عديدة فى الأحكام «۱» ...

و فى الحقيقة ... إن الامام (ع)، و إن قبل ولاية العهد مكرها من المأمون ... و لكنه يريد بكلامه هذا، و استشهاده بالجفر و الجامعة أن يقول له، و لكل من كان على شاكلته بصريح العبارة: «... قد انبأنا اللّه بأخباركم، و سيرى اللّه عملكم، و رسوله، و المؤمنون، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، و يجزيكم على ظلمكم و بغيكم علينا، و انتهاككم الحرمات منا، و لعبكم بدمائنا و أعراضنا، و أموالنا ...».

ثم نراه يترقى فى صراحته، حيث يقول: «... لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ...». أى أنه لو لم يقبل بهذا الأمر لتعرض لسخط المأمون ... و الكل يعلم ما ذا كان يعنى سخط أولئک الحكام، الذين كانوا لا يحتاجون إلى أى مبرر لاقترافهم أى جريمة، و اقدامهم على أى عظيمة ...

و أخيرا ... و رغم أن المأمون قد تقدم منه (ع)، و طلب منه أن يشهد اللّه، و الحاضرين على نفسه ... نراه يأبى أن يكون المأمون، و لا أى من الحاضرين شاهدا على نفسه، و لا جعل لهم على نفسه سبيلا؛ لأنه

---

(۱) راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج ۱ من ص ۵۹ حتى ص ۸۹، فقد اسهب القول حول هذه الكتب، و استشهادات الأئمة بها، و غير ذلک ...

ص: ٣۴۵

كان يعلم بما كانت تكنه صدورهم، و تضطرم به قلوبهم عليه. بل جعل اللّه فقط شهيدا عليه، و استعان بالآية الكريمة، التى تقطع الطريق على كل أحد، و تكتفى باللّه شهيدا، حيث قال: «و أشهدت اللّه على نفسى (و كفى باللّه شهيدا) ...».

و إذا كان لا بد من كلمة:

و إذا كان لا بد فى نهاية المطاف من كلمة؛ فاننا نقول: إن أولئک الذين عاشوا فى تلک الفترة، و وقفوا على الظروف و الملابسات التى اكتنفت هذا الحدث التاريخى الهام- إن هؤلاء و لا شک- كانوا أقدر منا على فهم جميع ما كان يرمى إليه الامام (ع) من كل كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد ...

و إذا كان هناک من يرى: أن بعض الفقرات تحتمل غير ما قلناه ...

فاننا نرى: أن كون بعض الفقرات الاخرى لا يحتمل غير ما قلناه، و أيضا بما أن ما ذكرناه هو الذى يساعد على الجو العام، الذى توحى به النصوص التاريخية الكثيرة جدا، و التى قدمناها و سيأتى شطر منها- إن ذلک- هو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرهى إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد ...

ملاحظات هامة:

إن من الامور الغريبة حقا أن نرى نفس الخليفة يكتب وثيقة العهد- الطويلة جدا!!- بخط يده ... و أغرب منه أنه تقدم إلى الامام (ع)، و قال له: «اكتب خطک بقبول هذا العهد. و أشهد اللّه و الحاضرين عليک،

ص: ۳۴۶

بما تعده فى حق اللّه و رعاية المسلمين «۱» ...».

و هذا إن دل على شىء، فإنما يدل على مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى المأمون، و أنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، و إن استلزم ذلک كل تلک الامور؛ و إلا ... فما هو الداعى لأن يكتب له العهد بخط يده!!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!!! ... ثم ما الداعى لأن يطلب من الإمام ذلک!!!.

هذا ... و لا بأس أيضا بملاحظة تعبير المأمون ب «قبول»!!!. ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب «خط يده»!!!. ثم طلب منه أن يشهد اللّه و الحاضرين على نفسه!!!.

حقا ... إنها للعبقرية السياسية:

و على كل حال ... فلا شک أن المحاورات السياسية تعتبر من الصنائع المستظرفة؛ و ذلک لما تتضمنه من تعريضات و كنايات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسية، التى يلتزم بها المتحاورون ...

و لذا ... نلاحظ أنه (ع) ... و إن كان يضمن كلامه الشكر للمأمون، بل و يكتب تحت اسمه- حسب رواية الاربلى فقط-: بل جعلت فداک ...

و لكن يبطن كلامه، و يضمنه تعريضات عميقة؛ بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، و ذلک يعنى: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، و لا حاد عن نهجه، الذى اختطه لنفسه، بوحى من رسالة اللّه، و تعاليم محمد (ص)، و خطى جده على (ع) ... لم يحد عنه قيد شعرة، و لا هادن فيه، و لا حابى أحدا، حتى فى هذا الموقف ...

(۱) مآثر الانافة ج ۲ ص ۳۳۲.

ص: ۳۴۷

و لعمرى ... لو كان ما كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقة العهد من شخص عادى آخر، لكان يقال عنه الشىء الكثير تعظيما و تبجيلا؛ حيث إنه لم يضل عن خطته التى اختطها لنفسه، و لا حاد عن نهجه قيد أنملة ... مع أن المأمون كان قد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، و لم يكن هو مستعدا، و لا متوقعا لذلک؛ لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلک ...

و هذا و لا شک مما يزيد من عظمة الإمام، و يعلى من شأنه، و يستدعى المزيد من التعظيم و التبجيل له ...

و لكن الحقيقة هى: أنه- و هو الإمام المعصوم- غنى عن كل تلكم التقريظات، و عن ذلكم التعظيم و التبجيل ...

الموقف التاسع:

شروطه (ع) على المأمون لقبول ولاية العهد، و هى:

«أن لا يولى أحدا، و لا يعزل أحدا، و لا ينقض رسما، و لا يغير شيئا مما هو قائم، و يكون فى الأمر مشيرا من بعيد «۱»»؛ فأجابه المأمون إلى ذلک كله!!!.

و فى ذلک تضييع لجملة من أهداف المأمون ... إذ أن:

(۱) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكى ص ۲۴۱، و نور الابصار من ص ۱۴۳، و عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۰، و ج ۲ ص ۱۸۳، و مواضع اخرى، و مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۳، و علل الشرائع ج ۱، ص ۲۳۸، و إعلام الورى ص ۳۲۰، و البحار ج ۴۹ ص ۳۴ و ۹۵، و غيرها، و كشف الغمة ج ۳ ص ۶۹، و ارشاد المفيد ص ۳۱۰، و أمالى الصدوق ص ۴۳، و اصول الكافى ص ۴۸۹، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۶۸، ۲۶۹، و معادن الحكمة ص ۱۸۰، و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۶۵.

ص: ۳۴۸

۱- السلبية تعنى الاتهام:

فإن من الطبيعى أن تثير سلبيته هذه الكثير من التساؤلات لدى الناس، و لسوف تكون سببا فى وضع علامات استفهام كبيرة، حول الحكم، و الحكام، و كل اعمالهم و تصرفاتهم؛ إذ أن السلبية إنما تعنى: أن نظام الحكم لا يصلح حتى للتعاون معه؛ بأى نحو من أنحاء التعاون؛ و إلا فلما ذا يرفض- حتى ولى العهد- التعاون مع نظام هو ولى العهد فيه، و يأبى التأييد لأى من تصرفاته و أعماله؟!! ...

٢- رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام:

و لقد قدمنا: أن من جملة أهداف المأمون هو أن يحصل من الإمام (ع) على اعتراف ضمنى بشرعية حكمه و خلافته، كما صرح هو نفسه بذلك «و ليعترف بالملك، و الخلافة لنا».

و الإمام ... بشروطه تلك يكون قد رفض الاعتراف بشرعية النظام القائم، بأى نحو من أنحاء الاعتراف، و لم يعد قبوله بولاية العهد يمثل اعترافا بذلك، و لا يدل على أن ذلك الحكم يمثل الحكم الاسلامى الأصيل ...

هذا ... و قد عضد شروطه هذه، بسلوكه السلبى مع المأمون، و الهيئة الحاكمة، طيلة فترة ولاية العهد، يضاف إلى ذلك تصريحاته المتكررة، التى تحدثنا عنها فيما سبق ...

٣- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره فى الحكم:

و الأهم من كل ذلك: أن شروطه هذه كانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسئولية عن أى تصرف يصدر من الهيئة الحاكمة. و ليس

ص: ٣٤٩

للناس- بعد هذا- أن ينظروا إلى تصرفات و اعمال المأمون و حزبه، على أنها تحظى برضى الإمام (ع) و موافقته. و لا يمكن لها- من ثم- أن تعكس وجهة نظره (ع) فى الحكم و رأيه فى أساليبه، التى هى فى الحقيقة وجهة نظر الاسلام الصحيح فيه. الاسلام ... الذى يعتبر الائمة (ع) الممثلين الحقيقيين له، فى سائر الظروف، و مختلف المجالات ...

و انطلاقا مما تقدم: نراه (ع) يرفض ما كان يعرضه عليه المأمون، من: كتابة بتولية أو عزل إلى أى إنسان ... و يرفض أيضا: أن يؤم الناس فى الصلاة مرتين ... إلى آخر ما سيأتى بيانه.

و فى كل مرة كان يرفض فيها مطالب المأمون هذه نراه يحتج عليه بشروطه تلك؛ فلا يجد المأمون الحيلة لما يريده، و تضيع الفرصة من يده.

و لا بد من ملاحظة: أنه عند ما أصر عليه المأمون بأن يؤم الناس فى الصلاة، و رأى عليه السلام: انه لا بد له من قبول ذلك- نلاحظ-: أنه اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جده رسول اللّه (ص)، لا كما يخرج الآخرون ...

و لم يكن المأمون يدرک مدى أهمية هذا الشرط، و لا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا؛ فقال له و لعله بدون اكتراث: أخرج كيف شئت ... و كانت نتيجة ذلک ... أنه (ع) قد أفهم الناس جميعا:

أن سلوكه و أسلوبه، و حتى مفاهيمه، تختلف عن كل أساليب و مفاهيم و سلوک الآخرين. و أن خطه هو خط محمد (ص)، و منهاجه هو منهاج على (ع)، ربيب الوحى، و غذى النبوة، و ليس هو خط المأمون و سواه من الحكام، الذين اعتاد الناس عليهم، و على تصرفاتهم و أعمالهم.

و لم يعد يستطيع المأمون، أن يفهم الناس: أن الحاكم: من كان، و مهما كان، هذا هو سلوكه، و هذه هى تصرفاته. و أن كل شخصية:

من و مهما كانت، و إن كانت قبل أن تصل إلى الحكم تتخذ العدل،

ص: ۳۵۰

و الحرية: و المساواة، و غير ذلک شعارات لها، إلا أنها عند ما تصل إلى الحكم، لا يمكن إلا أن تكون قاسية ظالمة، مستأثرة بكل شيء، و مستهترة بكل شيء؛ و لذا فليس من مصلحة الناس أن يتطلعوا إلى حكم أفضل مما هو قائم، حتى و لو كان ذلک هو حكم الإمام (ع) المعروف بعلمه و تقواه و فضله الخ ... فضلا عن غيره من العلويين أو من غيرهم- لم يعد يستطيع أن يقول ذلک- لأن الواقع الخارجى قد أثبت عكس ذلک تماما؛ إذ قد رأينا: كيف أن الإمام (ع) بشروطه تلک، و بسائر مواقفه من المأمون و نظام حكمه ... يضيع على المأمون هذه الفرصة، و لم تجده محاولاته فيما بعد شيئا. بل إن كثيرا منها كان سوءا و وبالا عليه، كما سيأتى ...

۴- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته:

و لعل من الواضح: أن شروطه تلک قد مكنته من أن يقطع الطريق على المأمون، و لا يمكنه من استغلال الظروف لتنفيذ بقية حلقات مؤامرته؛ إذ لم يعد بإمكانه أن يصر على الإمام أن يقوم بأعمال تنافى و تضر بقضيته هو، و قضية العلويين، و من ثم تؤثر على الامة بأسرها ... وعدا عن ذلک فإن هذه الشروط، قد حفظت له (ع) حياته فى حمام سرخس، حيث كان المأمون قد حاک مؤامرته للتخلص من وزيره و ولى عهده مرة واحدة، كما سيأتى بيانه ... مما يعنى أن سلبيته (ع) مع النظام كانت أمرا لا بد منه؛ إذا أراد أن لا يعرض نفسه إلى مشاكل، و أخطار هو فى غنى عنها ... و الذى أمّن له هذه السلبية ليس إلا شروطه تلک، التى جعلت من لعبة ولاية العهد لعبة باهتة مملة لا حياة فيها، و لا رجاء ...

ص: ۳۵۱

و لعل الأهم من كل ذلک ... أنها ضيعت على المأمون الكثير من أهدافه من البيعة، التى صرح الإمام (ع) أنه كان عارفا بها، و لم يكن له خيار فى تحملها، و الصبر عليها، إلى أن يقضى اللّه أمرا كان مفعولا ...

وعدا عن ذلک کله أن تعاونه مع النظام إنما یعنی أن یحاول تصحیح السلوک، و تلافی الأخطاء، التی کان یقع فیها الحکم، و الهیئة الحاکمة ...

و ذلک معناه أن ینقلب جهاز الحکم کله ضد الإمام، و یجد المأمون- من ثم- العذر، و الفرصة لتصفیته (ع) من أهون سبیل؛ فشروطه تلک أبعدت عنه الخطر- إلی حد ما- الذی کان یتهدده من قبل المأمون، و أشیاعه، و جعلته- کما قلنا- فی منأی و مأمن من کل مؤامراتهم و مخططاتهم ...

۵- الإمام ... لا ینفذ ارادات الحکم:

و لعل من الأهمیة بمکان ... أن نشیر إلی أنه (ع) کان یرید بشروطه تلک أن یفهم المأمون: أنه لیس علی استعداد لتنفیذ إرادات الحکم، و الحاکم، و لا علی استعداد لأن یقتنع بالتشریفات، و الامور الشکلیة؛ فإنه ... بصفته القائد و المنقذ الحقیقی للامة؛ لا یمکن أن یرضی بدیلا عن أن ینقذ الامة، و یرتفع بها من مستواها الذی أوصلها إلیه الطواغیت و الظلمة، الذین جلسوا فی مکان رسول اللّه (ص)، و أوصیائه علیهم السلام، و حکموا بغیر ما أنزل اللّه ...

إنه یرید أن یخدم الامة، و یحقق لها مکاسب تضمن لها الحیاة الفضلی، و العیش الکریم، و لا یرید أن یخدم نفسه، و یحقق مکاسب شخصیة علی حساب الآخرین؛ و لذلک فهو لا یستطیع أن یقتنع بالسطحیات و الشکلیات التی لا تسمن، و لا تغنی من جوع ...

ص: ۳۵۲

۶- لا زهد أکثر من هذا:

إنه مضافا إلی أن مجرد رفض الإمام کلا عرضی المأمون: الخلافة، و ولایة العهد، دلیل قاطع علی زهده فیه ... فإن هذه الشروط کان لها عظیم الفائدة، و جلیل الأثر فی الاظهار لکل أحد أن الإمام لیس رجل دنیا، و لا طالب جاه و مقام. و ما أراده المأمون من إظهار الإمام علی أنه لم یزهد بالدنیا، و إنما الدنیا هی التی زهدت فیه ... لم یکن إلا هباء اشتدت به الریح فی یوم عاصف ... و لم تفلح بعد محاولات المأمون و عمله الدائب؛ من أجل تشویه الإمام و النیل من کرامته ...

و لقد قدمنا: أن الإمام (ع) قد واجه نفس المأمون بحقیقة نوایاه، و أفهمه أن خداعه لن ینطلی علیه، و لن تخفی علیه مقاصده؛ و لذا فان من الافضل و الأسلم له أن یکف عن کل مؤامراته و مخططاته ... و إلا فإنه إذا ما أراد اجبار الإمام علی التعاون معه؛ فلسوف یجد أنه (ع) علی استعداد لفضحه، و کشف حقیقته و واقعه أمام الملأ، و افهام الناس السبب الذی من أجله یجهد المأمون لیزج بالإمام (ع) فی مجالات لا یرغب، بل و اشترط علیه أن لا یزجّ فیها- کما فعل فی مناسبات عدیدة- الأمر الذی لن یکون أبدا فی صالح المأمون، و نظام حکمه ...

و من هنا رأیناه (ع) یجیب الریان عند ما سأله عن سر قبوله بولایة العهد، و اظهاره الزهد بالدنیا- یجیبه-: ببیان أنه مجبر علی هذا الأمر، و یذکره بالشروط هذه، و التی تعنی أنه قد دخل فیه دخول خارج منه، کما تقدم ...

و هكذا ... و بعد أن كان (ع) سلبيا مع النظام، و بعد رفضه لكلا عرضى المأمون، و بعد أن اشترط هذه الشروط للدخول فى ولاية العهد؛ فليس من السهل على المأمون، و لا على أى إنسان آخر أن ينسب

ص: ٣٥٣

إليه (ع): أنه رجل دنيا فقط، و أنه ليس زاهدا فى الدنيا، و إنما هى التى زهدت فيه.

و على كل حال: و رغم كل محاولات المأمون تلك ... فقد استطاع الإمام (ع)؛ بفضل وعيه، و يقظته، و احكام خطته: أن يبقى القمة الشامخة للزهد، و الورع، و النزاهة، و الطهر، و كل الفضائل الانسانية ...

و إلى الابد.

الموقف العاشر:

موقفه (ع) فى صلاتى العيد ... ففى إحداهما:

«بعث المأمون له يسأله: أن يصلى بالناس صلاة العيد، و يخطب، لتطمئن قلوب الناس، و يعرفوا فضله، و تقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة؛ فبعث إليه الرضا (ع)، و قال: قد علمت ما كان بينى و بينک من الشرط فى دخولى فى هذا الأمر؛ فاعفنى من الصلاة بالناس.

فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ فى قلوب العامة، و الجند، و الشاكرية هذا الأمر؛ فتطمئن قلوبهم، و يقروا بما فضّلک اللّه تعالى به ...

و لم يزل يراده الكلام فى ذلک. فلما ألح عليه قال: يا أمير المؤمنين، إن أعفيتنى من ذلک، فهو أحب إلىّ، و إن لم تعفنى خرجت كما كان يخرج رسول اللّه (ص)، و كما خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) قال المأمون: أخرج كيف شئت ...

و أمر المأمون القواد، و الحجاب، و الناس: أن يبكروا إلى باب أبى الحسن (ع)؛ فقعد الناس لأبى الحسن فى الطرقات، و السطوح:

من الرجال، و النساء، و الصبيان، و صار جميع القواد، و الجند إلى بابه (ع)؛ فوقفوا على دوابهم حتى طلعت الشمس ...

ص: ٣٥۴

فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل، و تعمم بعمامة بيضاء من قطن، و القى طرفا منها على صدره، و طرفا بين كتفيه، و مس شيئا من الطيب، و تشمر. ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ...

ثم أخذ بيده عكازة، و خرج، و نحن بين يديه، و هو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق، و عليه ثياب مشمرة ...

فلما قام، و مشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء، و كبر أربع تكبيرات؛ فخيل إلينا: أن الهواء و الحيطان تجاوبه. و القواد و الناس على الباب، قد تزينوا، و لبسوا السلاح، و تهيئوا بأحسن هيئة ...

فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة: حفاة، قد تشمرنا. و طلع الرضا و وقف وقفة على الباب، و قال: «... اللّه اكبر، اللّه اكبر على ما هدانا، اللّه اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام، و الحمد للّه على ما أبلانا». و رفع بذلک صوته، و رفعنا أصواتنا ...

فتزعزعت مرو بالبكاء، فقالها: ثلاث مرات؛ فلما رآه القواد و الجند على تلک الصورة، و سمعوا تكبيره سقطوا كلهم عن الدواب إلى الأرض، و رموا بخفافهم، و كان أحسنهم حالا من كان معه سكين قطع بها شرابة جاجيلته و نزعها، و تحفى ... و صارت مرو ضجة واحدة، و لم يتمالک الناس من البكاء و الضجة.

فكان أبو الحسن يمشى، و يقف فى كل عشر خطوات وقفة يكبر اللّه أربع مرات؛ فيتخيل إلينا: أن السماء، و الأرض، و الحيطان تجاوبه.

و بلغ المأمون ذلک؛ فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، و خفنا كلنا على دمائنا؛ فالرأى أن تسأله أن يرجع ...

فبعث المأمون إلى الإمام يقول له: إنه قد كلفه شططا، و أنه ما

ص: ۳۵۵

كان يحب أن يتعبه. و يطلب منه: أن يصلى بالناس من كان يصلى بهم ...

فدعا أبو الحسن بخفه؛ فلبسه، و رجع ...

و اختلف أمر الناس فى ذلک اليوم، و لم ينتظم فى صلاتهم إلخ ...» «۱».

و لقد قال البحرى يصف هذه الحادثة و الظاهر أنه يمين بن معاوية العائشى الشاعر على ما فى تاج العروس:

ذكروا بطلعتک النبى؛ فهللوا ... لما طلعت من الصفوف و كبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابسا ... نور الهدى يبدو عليک فيظهر

و مشيت مشية خاشع متواضع ... للّه، لا يزهى، و لا يتكبر

و لو أنّ مشتاقا تكلف غير ما في وسعه لمشى إليک المنبر«۲»

و مما يلاحظ هنا: أنه فى هذه المرة أرسل إليه من يطلب منه أن يرجع. و لكننا فى مرة أخرى نراه يسارع بنفسه، و يصلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض ...

و على كل حال ... فإننا و إن كنا قد تحدثنا فى هذا الفصل، و فى فصل: ظروف البيعة و سنتحدث فيما يأتى عن بعض ما يتعلق بهذه الحادثة؛ إلا أننا سوف نشير هنا إلى نقطتين فقط ... و هما:

---

(۱) قد ذكرنا بعض مصادر هذه الرواية فى فصل: ظروف البيعة ... فراجع ...

(۲) مناقب آل أبى طالب، لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۲. و لكن هذا الشعر ينسب أيضا للبحترى فى المتوكل عند ما خرج لصلاة العيد ... و انتحال الشعر، و كذلک الاستشهاد بشعر الآخرين فى المواضع المناسبة ظاهرة شائعة فى تلک الفترة و من يدرى فلعل الشعر للبحترى و نسب للبحرى أو لعله للبحرى و انتحله أو نسب للبحترى. و لعل البحترى قد صحف و صار: البحرى ... و لعل العكس.

ص: ۳۵۶

۱- الأثر العاطفى، و القاعدة الشعبية:

فنلاحظ: أننا حتى بعد مرور اثنى عشر قرنا على هذه الواقعة، لا نملک أنفسنا و نحن نقرأ وقائعها، من الانفعال و التأثر بها؛ فكيف إذن كانت حال أولئک الذين قدر لهم أن يشهدوا ذلک الموقف العظيم؟!!.

و غنى عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة و تقدير فى نفوس الناس و قلوبهم، و على مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع) ...

۲- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع):

و إذا كان هدف المأمون من الاصرار على الإمام بأن يصلى بالناس هو أن يخدع الخراسانيين و الجند و الشاكرية، و يجعلهم يطمئنون على دولته المباركة فإنه من الواضح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) فى مثل تلک الحالة، و ذلک التجمع الهائل، و تلک الثورة العاطفية فى النفوس، كان ينطوى على مجازفة و مخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، و أشياعه؛ حيث لا بد و أن يثير تصرفه هذا حنق تلک الجماهير التى كانت فى قمة الهيجان العاطفى، و يؤكد كراهيتها له ... و على الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال ...

و بعد هذا ... فإنه إذا كان المأمون يخشى من مجرد اقامة الإمام للصلاة ... فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها ... و كذلک لا معنى لأن يخشى ذلک الهيجان العاطفى، و تلک الحالة الروحية، التى أثارها فعل الإمام (ع) و تصرفه فى هذا الموقف ... فذلک إذن ما لم يكن يخافه و يخشاه ...

فمن أى شىء خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم

ص: ٣٥٧

و أبعد أثرا، و أشد خطرا ... إنه خشى من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، و خطب الناس، بعد أن هيأهم نفسيا، و أثارهم عاطفيا إلى هذا الحد- خشى- أن يأتى بمتمم لكلامه الذى أورده فى نيشابور: «و أنا من شروطها ...» لا سيما و أنه ظهر إليهم على الهيئة التى كان يخرج عليها النبى محمد (ص)، و وصيه على (ع) و هو أمر جديد عليهم ... مما من شأنه أن يجعل المأمون و أشياعه لا يأمنون بعد على انفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل ... و لسوف يحول الامام مروا من معقل للعباسيين و المأمون، و عاصمة، و حصن قوى لهم ضد أعدائهم- من العرب و غيرهم- سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين و المأمون، حصن لأئمة أهل البيت ... ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلک هو أهون الشرّين و اقل الضررين.

و لقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، و أصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة فى أى موقف تؤاتيه فيه الفرصة، و يقتضى الأمر فيه ذلک. و لم ينس بعد موقفه فى نيشابور، و لا ما كتبه فى وثيقة العهد، و لا غير ذلک من مواقفه (ع)، و تصريحاته فى مختلف الأحوال و الظروف ...

الموقف الحادى عشر:

و أخيرا ... فقد كان سلوک الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها، يمثل ضربة لكل خطط المأمون و مؤامراته. ذلک السلوک المثالى، الذى لم يتأثر بزبارج الحكم و بهارجه ...

و يكفى أن نذكر هنا ما وصفه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم و عاملهم، حيث قال:

«ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، و ما رأيته قطع على

ص: ٣٥٨

أحد كلامه حتى يفرغ منه، و ما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، و لا مد رجليه بين يدى جليس له قط، و لا اتكأ بين يدى جليس له قط، و لا شتم أحدا من مواليه و مماليكه قط، و لا رأيته تفل قط، و لا رأيته يقهقه فى ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم. و كان إذا خلا، و نصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب و السائس.

و كان قليل النوم بالليل، يحيى اكثر لياليه من أولها إلى الصبح. و كان كثير الصيام؛ فلا يفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر، و يقول: ذلک صوم الدهر. و كان كثير المعروف و الصدقة فى السر، و اكثر ذلک يكون منه فى الليالى المظلمة؛ فمن زعم أنه رأى مثله فى فضله؛ فلا تصدقوه ...» «۱».

و هذه الصفات بلا شک قد أسهمت اسهاما كبيرا فى أن يكون الإمام (ع) هو الارضى فى الخاصة و العامة، و أن تنفذ كتبه فى المشرق و المغرب، إلى غير ذلک مما تقدم ...

الحكم ليس امتيازا و إنما هو مسئولية:

و قد اعترض عليه بعض أصحابه؛ عند ما رآه يأكل مع خدمه و غلمانه، حتى البواب و السائس؛ فأجابه (ع): «مه؛ إن الرب تبارک و تعالى واحد، و الام واحدة، و الأب واحد، و الجزاء بالأعمال ...» «۲» ...

و قال له أحدهم: أنت و اللّه خير الناس، فقال له الإمام: «لا تحلف يا هذا، خير منى من كان أتقى للّه تعالى، و اطوع له؛ و اللّه ما

---

(۱) كلام ابراهيم بن العباس هذا معروف و مشهور، تجده فى كثير من كتب التاريخ و الرواية؛ و لذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۰۱، و الكافى للكلينى، و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

نسخت هذه الآية: «و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند اللّه اتقاكم ...» «۱».

و قال لإبراهيم العباسى: إنه لا يرى أن قرابته من رسول اللّه (ص) تجعله خيرا من عبد أسود، إلا أن يكون له عمل صالح فيفضله به «۲».

و قال رجل له: ما على وجه الأرض اشرف منک أبا. فقال:

التقوى شرفتهم، و طاعة اللّه أحظتهم «۳».

و ما نريد أن نشير إليه و نؤكد عليه هنا، هو أنه (ع) يريد بذلک أن يفهم الملأ: أن الحكم لا يعطى للشخص- من كان، و مهما كان- امتيازا، و لا يجعل له من الحقوق ما ليس لغيره، و إنما الامتياز- فقط- بالتقوى و الفضائل الاخلاقية ... و كل شخص حتى الحاكم سوف يلقى جزاء أعماله: إن خيرا فخير، و إن شرا فشر؛ و عليه فما يراه الناس من سلوک الحكام، ليس هو

السلوک الذی یریده اللّه، و تحکم به النوامیس الاخلاقیة، و الانسانیة. و الامتیازات التی یجعلونها لأنفسهم، و یستبیحون بها ما لیس من حقهم لا یقرها شرع، و لا یحکم بها قانون ...

و بکلمة مختصرة: إن الإمام (ع) یری: أن الحکم لیس امتیازا، و إنما هو مسئولیة ...

و علی کل حال ... فان سلوک الامام (ع)، لخیر دلیل علی ما کان یتمتع به من المزایا الاخلاقیة، و الفضائل النفسیة ... و یکفی أنه لم یظهر منه (ع) طیلة الفترة التی عاشها فی الحکم إلا ما ازداد به فضلا بینهم، و محلا فی نفوسهم، علی حدّ تعبیر أبی الصلت. و علی حدّ تعبیر شخص

---

(۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶، و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

(۲) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۷.

(۳) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶. و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

آخر: أقام بینهم لا یشرکهم فی مآثم من مآثم الحکم ... بل لقد کان لوجوده أثر کبیر فی تصحیح جملة من الأخطاء و الانحرافات التی اعتادها الحکم آنئذ ... حتی لقد استطاع أن یؤثر علی نفس المأمون، و یمنعه من الشراب و الغناء، طیلة الفترة التی عاشها معه، إلی آخر ما هنالک، مما لسنا هنا فی صدد تتبعه و استقصائه ...

و فی نهایة المطاف نقول:

و حسبنا هنا ما ذکرنا من الأمثلة، التی نحسب أنها تکفی لأن تلقی ضوءا کاشفا علی الخطة التی اتبعها الامام (ع) فی مواجهة خطط المأمون و مؤامراته ... تلک الخطة التی کانت تکفی لأن لا تبقی الصورة التی أرادها المأمون فی أذهان الناس، و لا مبرر للشکوک لأن تبقی تراود نفوسهم ...

و لقد نجحت تلک الخطة نجاحا أذهل المأمون، و أعوانه، و جعلهم یتصرفون بلا رویة، و یقعون بالمتناقضات ... حتی لقد أشرف المأمون منه علی الهلاک، حسبما صرح به المأمون نفسه ... و کانت النتیجة أن دبر فیه المأمون بما یحسم عنه مواد بلائه. کما وعد حمید بن مهران، و جماعة من العباسیین ...

القسم الرّابع من خلال الأحداث

١- مع بعض خطط المأمون ...

٢- كاد المريب أن يقول خذونى ٣- ما يقال حول وفاة الإمام ...

۴- دعبل و المأمون ...

۵- كلمة ختامية ...

ص: ٣۶٣

مع بعض خطط المأمون

التوجيهات الراضية غير مقبولة:

كل ما تقدم يلقى لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون تجاه الإمام (ع)، و على كثير من الأحداث التى اكتنفت ذلک الحدث التاريخى الهام ...

و إننا حتى لو سلمنا جدلا، و غضضنا النظر عن كل تلک الأسئلة، و علامات الاستفهام التى يمكن استخلاصها مما تقدم ... فإننا لا نستطيع- مع ذلک- أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، و سلامة طوية.

و لا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و بعدها تجاه الإمام، الذى كان يكبر المأمون ب «٢٢» سنة، و الذى كان مجبرا على قبول هذا الأمر، و مهددا بالقتل إن لم يقبل. و لم لا يتركه و شأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذى تتهافت النفوس عليه، و تزهق الأرواح من أجله؟! ...

نعم ... إننا لا نستطيع أن نسلم بذلک، و نحن نرى منه تلک التصرفات و المواقف المشبوهة، بل و المفضوحة تجاه الإمام (ع)، و التى لا تبقى مجالا للشک فى حقيقة نواياه و أهدافه من كل ما أقدم و ما كان عاقدا العزم على الاقدام ...

ص: ٣۶۴

و هذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلک التصرفات، و من أجل بيان تلک الخطط ...

المأمون يفضح نفسه:

و قد تعجب إذا قلنا لک: إن المأمون نفسه يصرح ببعض خططه، التى كانت تصرفاته تدور فى فلكها، و يعلن بعض الدوافع، و يبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، و بالنسبة لقضية ولاية العهد فإليک ما أجاب به حميد بن مهران، و جمعا من العباسيين، عند ما عاتبوه و لاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع)، يقول المأمون:

«... قد كان هذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه؛ فأردنا أن نجعله ولى عهدنا؛ ليكون دعاؤه لنا؛ و ليعترف بالملک و الخلافة لنا؛ و ليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى فى قليل و لا كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه.

و قد خشينا إن تركناه على تلک الحال: أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتى علينا ما لا نطيقه ...

و الآن ... فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، و أخطأنا فى أمره بما أخطأنا، و أشرفنا من الهلاک بالتنويه باسمه على ما أشرفنا؛ فليس يجوز التهاون فى أمره. و لكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه ...»

ثم طلب منه حميد بن مهران: أن يسمح له بمجادلة الإمام (ع)، ليفحمه، و ينزله منزلته، و يبين للناس قصوره، و عجزه؛ فقال المأمون: «لا شىء أحب إلى من هذا».

ص: ۳۶۵

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون و العباسيون، و أشياعهم و باءوا كلهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة «۱» ...

و الذى يعنينا الحديث عنه هنا:

هو قوله: و قد خشينا إن تركناه على تلک الحال ... إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا؛ فإنها أوضحت أن المأمون الذى كان يخشى الإمام خشية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، و تحاشى الاصطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلک إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم ...

و لا يرد: أن كلام المأمون مع حميد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد فى بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السلام، و إنما بدا له ذلک حين قوى مركز الامام عليه السلام، و استحكم أمره ... لا يرد ذلک ...

لأن كلامه هذا لا ينفى أنه كان يريد من أول الأمر ذلک، بل هو يؤكد ذلک، لأنه يصرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عند ما رأى افتتان الناس به عليه السلام، فأراد أن يعمل عملا يفقد الإمام عليه السلام مركزه، و يقضى على كل نشاطاته، و يذهب بما له من القدرة و النفوذ نهائيا، و إلى الأبد.

و لقد تحدثنا فيما سبق عن بعض تصرفاته التى تدور فى فلک خططه تلک مثل: فرضه للرقابة على الامام (ع)، و التضييق عليه؛ فلا يصل إليه إلا من أحب، و عزله عن شيعته و مواليه، و أيضا تفريقه الناس عنه، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و كذلک قضية صلاة العيد، و غير ذلک مما تقدم.

(۱) راجع: شرح ميمية أبى فراس ص ۱۹۶، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۷۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۸۳، و مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۹۶ ...

و نزيد هنا بعض الامور الاخرى، التى و إن كان قد سبق الحديث عن بعضها؛ و لكنه كان حديثا من زاوية اخرى، و من أجل استفادة أمور غير الامور التى نحاول استفادتها منها هنا ... و ذلک أمر طبيعى، و لا يكون تكرارا ما دام أن الواقعة الواحدة قد يكون لها دلالات متعددة، و افادات مختلفة ... و لذا فإننا نقول:

لما ذا على البصرة فالأهواز:

إن من جملة الامور التى كانت من جملة خطط المأمون للتأثير على مكانة الإمام (ع) و حتى على معنوياته النفسية ... الطريق الذى أمر رجاء ابن أبى الضحاک «۱» قرابة الفضل بن سهل، و الذى كان من قواد المأمون، و ولاته- أمره- بسلوكه، عند ما أرسله ليأتى بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو مهما كلفه الأمر ...

فقد أمره: أن يجعل طريقه بالإمام «على البصرة، و الاهواز، ففارس. و حذره كثيرا من المرور على طريق الكوفة، و الجبل، و قم ...» «۲».

(۱) و ذكر أبو الفرج، و المفيد: أن المرسل هو الجلودى، و لكن الصحيح هو الذى ذكرناه ...

إذ من الخطأ أن يرسله المأمون لاحضار الرضا عليه السلام؛ لأن ذلک يضر بقضيته، و يفسد عليه ما كان دبره؛ لأنه موجب لسوء ظن الرضا عليه السلام، و العلويين، و سائر الناس، و تنبههم مبكرا لحقيقة الأمر، و واقع القضية ...

و ذلک لأن الجلودى هو الذى أمره الرشيد: أن يغير على دور آل أبى طالب، و يسلب نساءهم إلخ ما تقدم ... كما أنه كان عدوا متجاهرا للامام، و قد سجنه المأمون بسبب معارضته للبيعة للرضا عليه السلام بولاية العهد!! و لعل سر خطأهم هو أن الجلودى كان واليا على المدينة من قبل المأمون، حين استقدام المأمون للامام إلى مرو، حسبما جاء فى كتاب:

الامام الرضا ولى عهد المأمون ص ۳۵.

(۲) تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۸۷، و تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۷۶، و ينابيع المودة ص ۳۸۴، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص ۲۳۶، و اثبات الوصية ص ۲۰۵

بل لقد ورد: أن المأمون قد كتب إلى الرضا نفسه، يقول له:

«لا تأخذ على طريق الجبل و قم. و خذ على طريق البصرة، فالأهواز، ففارس ...» «۱».

و سر ذلک واضح؛ فإن أهل الکوفة، و قم، کانوا معروفین بالتشیّع للعلویین «۲» و أهل البیت. و مرور الامام (ع) من هذین البلدین، و خصوصا الکوفة، التی کانت تعتبر من المراکز الحساسة جدا فی الدولة ... سوف

و إعلام الوری ص ۳۲۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، ۱۸۰، و الکافی ج ۱ ص ۴۸۶، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۴۰ و البحار ج ۴۹ ص ۹۱، ۹۲ ۱۱۸ و ۱۳۴، و کشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، و غیر ذلک کثیر.

(۱) اصول الکافی ج ۱ ص ۴۸۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹ و ۱۸۰، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۵، و معادن الحکمة ص ۱۸۰، و إثبات الوصیة للمسعودی ص ۲۰۴، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۳، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۴.

(۲) تشیع أهل الکوفة و قم أشهر من أن یحتاج إلی بیان، أو إقامة برهان ... لکننا نورد- مع ذلک- بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول:

أما الکوفة: فقد تقدم قول محمد بن علی العباسی أنها و سوادها شیعة علی و ولده ... و فی الطبری، و ابن الأثیر، و غیرهما تجد قول عبد اللّه بن علی للمنصور، عند ما استشاره فی أمر محمد بن عبد اللّه بن الحسن: «... ارتحل الساعة حتی تأتی الکوفة، فاجثم علی أکتافهم، فانهم شیعة أهل هذا البیت، و أنصاره الخ ...». و فی قضیة وفاة السید الحمیری، التی ذکرها المرزبانی فی کتابه أخبار السید الحمیری دلالة واضحة علی تشیع الکوفیین، و انحراف البصریین ...

و لأجل ذلک نری المأمون یستقبل و فدا من أهل الکوفة فی منتهی الغلظة و الجفاء، فراجع مروج الذهب ج ۳ ص ۴۲۱. و فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۹۳: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهیم بن عبد اللّه بن الحسن فی الکوفة مائة ألف سیف مغمدة، و أعرب عن مخاوفه من تشیع أهل الکوفة للعلویین، و ولائهم لهم ... بل إننا لا نستبعد أن یکون بناء

ص: ۳۶۸

یکون من نتیجته: أن یستقبله أهلها بما یلیق بشأنه: من الاجلال، و الاعزاز و التکریم.

و لا شک أن الإمام (ع) سوف یستطیع أن یستقطب المزید من الناس،

المنصور لبغداد هو من أجل أن یبتعد عن الکوفة، و أهلها، و یأمن علی نفسه؛ قال البلاذری فی فتوح البلدان ص ۴۰۵: «أخذ المنصور أهل الکوفة بحفر خندقها. و ألزم کل امرئ للنفقة علیه أربعین درهما. و کان ذاما لهم؛ لمیلهم إلی الطالبیین، و إرجافهم

بالسلطان ...». و قد تقدم أنه عند ما ذهب إليهم العباس بن موسى، أخو الامام الرضا عليه السلام يدعوهم للبيعة، لم يجبه إلا البعض منهم، و قال له آخرون: «إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيک؛ فلا حاجة لنا فی دعوتک. و إن كنت تدعو إلی أخيک، أو بعض أهل بيتک، أو إلی نفسک أجبناک ...».

و علی كل حال ... فقد كانت الكوفة مصدرا لثورات كثيرة علی الامويين و العباسيين علی حد سواء، تلک الثورات التی كانت كلها تقريبا بقيادة علوی، أو داعية إلی علوی ...

و لم ينس المأمون بعد ثورة أبی السرايا التی كادت تغير الموازين، و تقلب ماجريات الأحداث ... إلی غير ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه ...

و أما تشيع القميين، فذلک أعرف و أشهر. و قضيتهم مع جبة دعبل التی أهداه إياها الامام لا يكاد يجهلها أحد ... و عند ما طلب المأمون من الريان أن يحدث بفضائل علی عليه السلام، و أجاب بأنه لا يحسن شيئا، قال المأمون: «سبحان اللّه!! ما أجد أحدا يعينی علی هذا الأمر، لقد هممت أن أجعل أهل قم شعاری و دثاری ...» ....

و لعل تشيع أهل قم هذا هو الذی دفع بالمأمون لأن يوجه إليهم عامله علی بن هشام؛ لينكل بهم، و يحاربهم حتی يهزمهم، و يدخل البلد، و يهدم سورها، و يجعل علی أهلها مبلغ سبعة ملايين درهم، بدلا من مليونين، و هو ما لم يكن يدفعه أی بلد آخر يضاهی بلدهم فی عدد السكان و غير ذلک من المميزات، فكيف بالسبعة ... و مع أنه كان قد خفض الخراج عن السواد، و بعض البلدان الاخری؛ فلما سمعوا بذلک طالبوا بتخفيض الخراج عنهم أيضا؛ ففعل ذلک ... و كان تخفيضه عنهم بزيادة المليونين إلی سبعة، كما قلنا ... راجع فی تفصيل ذلک: الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۹۳، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۲۱۲، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۵، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۹۰، و تاريخ التمدن الاسلامی مجلد ۱ جزء ۲ ص ۳۳۷، و فتوح البلدان للبلاذری ص ۴۴۰، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۶۰.

ص: ۳۶۹

و يؤثر عليهم بما حباه اللّه من الفضائل و الكمالات الأخلاقية، و بما آتاه اللّه من العلم و الحكمة، و الورع و التقوی، الذی سار ذكره فی الآفاق، حتی لا يكاد يجهله أحد ... و إذا كان أهل نيشابور، بل و حتی أهل مرو، معقل العباسيين و المأمون، قد كان منهم تجاه الإمام ما لا يجهله أحد ...

حتی إنهم كانوا بين صارخ، و باک و متمرغ فی التراب إلخ ... و حتی لقد خاف المأمون و أشياعه علی دمائهم- إذا كان هؤلاء هكذا- فكيف تری سوف تكون حالة أهل الكوفة و قم، معقلی العلويين، و المحبين لأهل البيت، و المتفانين فيهم، لو أنهم رأوا الإمام (ع) بينهم، و بالقرب منهم ... يقول الراوندی فی ذلک: «إن المأمون أمر رجاء بن أبی الضحاک: أن لا يمر بالإمام عن طريق الكوفة؛ لئلا يفتتن به أهلها ...» «۱»!!.

و المأمون لا يريد أن يفتتن الناس بالامام، و إنما الذى يريده هو عكس ذلک تماما ... إنه يريد أن يضع من الامام لا أن يرفع ...

أما أهل البصرة: فعثمانية، يدينون بالكف، و يقولون: كن عبد اللّه المقتول، و لا تكن عبد اللّه القاتل ... بل لقد كانت البصرة معقلا مهما للعباسيين، الذين حرق دورهم زيد النار، ابن الامام الكاظم، كما قدمنا؛ و لهذا نلاحظ: أن دور البصريين فى التشيع لم يكن يضارع دور غيرهم، لا روائيا، و لا كلاميا ...

و أما ما ربما يحتمله البعض: من أن المأمون كان يأمل أن يخرج من البصرة، أو غيرها من يخلصه من الإمام (ع) نهائيا ... فلا أرى أنه يتفق مع أهداف و أغراض المأمون، التى كان يرمى إليها من وراء لعبته تلک ...

---

(١) الخرائج و الجرائح، طبعة حجرية ص ٢٣٦.

ص: ٣٧٠

الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه:

إنه برغم شروط الإمام على المأمون، و التى أشرنا إليها فيما سبق، فإننا نرى المأمون كل مدة يحاول أن يجرى اختبارا للامام، ليعرف حقيقة نواياه، و أنه هل أصبح له طمع بالخلافة، و طموح لها «١»، ليعجل عليه بما يحسم عنه مواد بلائه ... أم لا.

فكان يأتى كل مدة إليه، يطلب منه أن يولى فلانا، أو أن يعزل فلانا، أو أن يصلى بالناس ... بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده فى إدارة شئون الخلافة «٢» بحجة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم، و يدير دفة السلطان!! هذا ... إن لم نقل: أنه كان يريد من وراء ذلک: أن يجعل ذلک ذريعة للقضاء على الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، و ليكون بذلک قد قضى على العلويين جميعا، و إلى الأبد.

أو على الأقل كان يريد بذلک: أن يوجد للامام أعداء فى الأوساط ذات القوة و النفوذ ...

و أيا ما كانت نوايا المأمون و أهدافه، فإن الإمام (ع) كان يرفض ذلک كله بكل عزم و إصرار، و يذكره بالشروط تلک، و يقول له:

«إن وفيت لى وفيت لک ...» ... و هذا تهديد صريح له من الإمام (ع). و لا نعجب كثيرا- بعد أن اتضحت لنا نوايا المأمون و أهدافه- اذا رأينا المأمون يتحمل هذا التهديد، بل و يخضع له، و يقول: «بل أفى لک»!! ...

(۱) و ما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن على عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، و يأمل فيها ... أم لا!!.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۱۵۱، و كشف الغمة ج ۳ ص ۶۸ و ۸۷، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۴ و ۱۶۶ و ۱۶۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۴ و ۱۵۵ و ۱۷۱، و غير ذلک.

ص: ۳۷۱

و هكذا ... فقد كان الإمام (ع) يضيع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، و لا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، و لا من تنفيذ ما يريد تنفيذه ...

الاختبار لشعبية الإمام (ع):

كما أنه كان كل مدة يقوم بعملية اختبار لشعبية الإمام (ع)، و لمدى ما يتمتع به من تأييد فى الاوساط الشعبية، ليعرف إن كان أصبح (ع) يشكل خطرا حقيقيا؛ ليعجل بالقضاء عليه أم لا ... فكان كل مدة يكلفه بأن يؤمّ الناس بالصلاة للعيد، أو ما شاكل ... و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى ما يعتمر قلب المأمون من الخوف و الخشية منه (ع). (راجع: السبب الثالث من فصل البيعة، و الموقف العاشر فى فصل: خطة الإمام «ع»).

سؤال ... و جوابه:

و لعلک تقول: إذا كان المأمون يخشى الإمام (ع) إلى هذا الحد؛ لما يعلمه من نفوذه و مكانته؛ فلما ذا لا يتخلص منه بذلک الاسلوب التقليدى الذى انتهجه أسلافه من الامويين، و العباسيين، و تبعهم عليه هو فيما بعد، و كذلک من أتى بعده ... و ذلک بأن يدس إليه شربة من السم، و هو فى المدينة، من دون أن يحتاج إلى اشخاصه إلى مرو، و البيعة له بولاية العهد، و تزويجه ابنته، إلى غير ذلک من الامور التى من شأنها أن تعزز من مركز الإمام، و ترفع من شأنه، و توجه إليه الانظار و القلوب، حتى يضطر فى نهاية الأمر لأن يعود إلى ما جرت عليه عادة أسلافه، و أتباعه!!.

ص: ۳۷۲

و لكن الجواب على هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم يكن يريد فى بادئ الأمر موت الامام، و لا كان هو يستطيع أن يفعل ذلک.

و لو أن ذلک كان قد حدث لوقع المأمون فى ورطة، لها أول و ليس لها آخر؛ حيث إنه كان بأمس الحاجة إلى حياة الامام (ع)؛ و ذلک لما قدمناه من الأسباب و الظروف التى كانت تحتم على المأمون أن يلعب لعبته تلک، التى و إن كانت تنطوى على

مخاطرة جريئة، إلا أنه كان- كما قدمنا- قد رسم الخطة، و أحكم التدبير للتخلص من الامام (ع) بمجرد أن يحقق مآربه، و أهدافه، بالطريقة التى لا تثير شک أحد، و لا توجب تهمة أحد؛ و قد حدث ذلک بالفعل، كما سيمر علينا ...

و أما كتمه لفضائل الإمام (ع):

و من جملة الامور التى كانت تدور فى فلک خطة المأمون، التى لخصها بأنه يريد الوضع من الامام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر- محاولاته كتم فضائل الامام (ع) و مزاياه عن الناس ما استطاع إلى ذلک سبيلا ... و قد تقدم: أنه عند ما سأل رجاء بن أبى الضحاک، الذى تولى إشخاص الرضا (ع) من المدينة إلى مرو، عن حال الرضا (ع) فى الطريق؛ فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، و زهده و تقواه، و ما ظهر له من الدلائل و البراهين، قال له المأمون: «... بلى يا ابن أبى الضحاک، هذا خير أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم؛ فلا تخير أحدا بما شهدت منه؛ لئلا يظهر فضله إلا على لسانى ...»!!.

و هكذا ... فإن المأمون و إن استطاع أن يمرر الكثير، إلا أنه لم يكن يجد بدا فى كثير من الأحيان من أن يظهر على حقيقته و واقعه. و هذا هو أحد تلک المواقف التى مرت و سيمر معنا بعضها، التى اضطر فيها

ص: ٣٧٣

المأمون لأن يكشف عن وجهه الحقيقى ... و إن كان قد حاول- مع ذلک- أن يتستر بما لا يسمن و لا يغنى من جوع.

و لا أعتقد أن المأمون كان يجهل: أن ما يأتى به لم يكن لينطلى كله على أعين الناس، بل كان يعلم ذلک حق العلم، و لكن كما يقولون:

«الغريق يتشبث بالطحلب».

- و لكن ... بالرغم من محاولات المأمون تلک ... فإننا نرى أن فضائل الإمام و مزاياه كانت كالعرف الطيب، لم تزل تظهر، و تنتشر و تذاع ...

بل و لعل محاولات المأمون تلک، التى كانت ترمى للحط من الإمام و اسقاطه، قد أسهمت كثيرا و ساعدت على إظهار فضائله، و شيوعها، كما سيتضح.

الشائعات الكاذبة!!

و كان بالاضافة إلى ما تقدم يحاول ترويج شائعات كاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلويين عامة، و من الإمام (ع)، و سائر الأئمة عليهم السلام خاصة ...

فهذا أبو الصلت يسأل الإمام (ع)، فيقول: «يا ابن رسول اللّه، ما شىء يحكيه الناس عنكم؟! ...

قال (ع): ما هو؟! قال: يقولون: إنكم تدّعون: أن الناس لكم عبيد!!.

قال (ع): يا عبد السلام، اذا كان الناس كلهم عبيدنا- على ما حكوه- فممن نبيعهم؟!» إلخ «۱».

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۴.

و نرى أنه (ع) يقول- و عنده جماعة من بنى هاشم، فيهم إسحاق ابن عيسى العباسى-: «يا إسحاق، بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا. لا ... و قرابتى من رسول اللّه ما قلته قط، و لا سمعته من آبائى قاله، و لا بلغنى عن أحد من آبائى قاله الخ ...».

و قد تقدمت هذه الرواية فى فصل: خطة الامام ...

كما أن هشام بن ابراهيم العباسى، الذى وضعه الفضل بن سهل ليراقب الرضا (ع)، و يضيق عليه، كان يشيع عن الرضا (ع): أنه أحل له الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلک قال: «كذب الزنديق الخ «۱» ...».

بهذه الشائعات الكاذبة، و امثالها أراد المأمون الحط من كرامة الامام و تضعيف مركزه، و زعزعة ثقة الناس به، و بالعلويين بصورة عامة ...

و لكن كما يقولون: حبل الكذب قصير؛ إذ أن أقوال الامام (ع) و أفعاله و جميع جهات سلوكه، سواء قبل توليته للعهد أو بعدها ...

كانت تناقض هذه الشائعات، و تدحضها «۲» ... الأمر الذى كان من شأنه

---

(۱) رجال المامقانى ج ۳ ص ۲۹۱، و قاموس الرجال ج ۹ ص ۳۰۹، و وسائل الشيعة ج ۱۲ ص ۲۲۷، و مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۴۵۲، عن رجال الكشى ص ۴۲۲. و البحار ج ۴۹ ص ۲۶۳، عن قرب الاسناد ص ۱۹۸.

و كان هشام بن ابراهيم هذا جريئا على المأمون؛ لأنه هو الذى رباه، و شخص إلى خراسان فى فتنة ابراهيم بن المهدى، راجع الأغانى ط ساسى ج ۹ ص ۳۱. و يسمى: العباسى مع أنه لم يكن عباسيا: إما لأن المأمون ولاه تربية ولده العباس، أو لأنه ألف كتابا فى امامة العباس نص على ذلک الكشى ط النجف ص ۲۲۳ و غيره.

(۲) و کیف یمکن أن نصدق مثل هذا الذی لا یقره العقل، و لا یقبل به القرآن، علی الامام الذی کان یتخذ لنفسه أسلم، و أروع منهج، ألا و هو منهج القرآن، حتی إنه عند ما أنکر رؤیة النبی للّه تعالی، و استدل علی ذلک بالآیات، و قال له أبو قرة: فتکذب بالروایات؟! قال الامام علیه السلام: إذا کانت الروایات مخالفة للقرآن کذبتها، و ما أجمع المسلمون

ص: ۳۷۵

أن یثیر شکوک الناس، و ظنونهم فی المأمون نفسه؛ فلم یر بدا من أن یضرب عن هذا الاسلوب صفحا، و یتجه إلی غیره بتخیل أنه أجدی و أکثر نفعا و أقل ضررا!! ...

و بقی فی کنانته سهم أخیر، کان یحسب أنه سوف یصیب الهدف، و یحقق الغایة: التی هی تشویه سمعة الامام (ع)، و الحط من کرامته ...

ألا و هو:

التركیز علی افحام الامام (ع):

فبدأ یجمع العلماء، و أهل الکلام من المعتزلة، و هم أصحاب جدل، و کلام، و استدلال، و تنبه للدقائق من الامور، لیحدق هؤلاء بالرضا (ع) و تجری فیما بینهم و بینه محاورات، و مجادلات، من أجل أن ینقصوا منه مجلسا بعد مجلس، و أن یکسروه فی أعظم ما یدعیه هو و آباؤه (ع):

من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه (ص)، و علومه ... و الذی هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، علی ما یدعیه الشیعة المفتونون بالرضا (ع)، و بسائر آبائه و أبنائه الأئمة الطاهرین ...

و حتی لا یبقی من ثم مجال لأبی نؤاس لأن یقول فیه عند ما رآه خارجا من عند المأمون:

مطهرون نقیّات ثیابهم		تجری الصلاة علیهم أینما ذکروا

من لم یکن علویا حین تنسبه		فما له فی قدیم الدهر مفتخر

علیه: أنه لا یحاط به علما، و لا تدرکه الابصار، و لیس کمثله شیء ... راجع: تفسیر البرهان طبعة حجریة ص ۱۰۵۷، ۱۰۵۸. نقلا عن الکافی ... و مثل ذلک کثیر لا مجال لاستقصائه ...

اللّه لما برى خلقا فأتقنه صفّاكم و اصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى و عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السور«۱»

هذه الأبيات التى سارت بها الركبان، و التى هى تعبير صادق عن هذه الحقيقة التى أشرنا إليها، و التى كانت تقض على المأمون و كل أسلافه و أتباعه مضاجعهم، و تنغص عليهم حياتهم ... و عليه:

و إذا استطاع المأمون أن يظهر للملإ أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، و يدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر الأول و الأساس لكل المشاكل، و الاخطار، و ينهار المذهب الشيعى حينئذ بانهيار فكرة الامامة فيه، التى هى المحور، و الاساس له، و يتحقق من ثم- حلمه الكبير، الذى طالما جهد و شقى من أجل تحقيقه.

و أعتقد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا يتعرض بعد هذا للامام (ع) بسوء، و أنه كان سوف يبقى على حياته (ع) إبقاء لحجته، و أنه خال من شرائط الإمامة، و ليأفل من ثم ... نجمه، و نجم العلويين من بعده ... و إلى الأبد ...

---

(۱) شهرة هذه الأبيات تغنينا عن ذكر مصادرها، و قد أعطاه عليه السلام ما كان معه، و هو مائة دينار، و البغلة التى كان يركبها ... لكن بعض الباحثين يرى أن أبا نؤاس لم يعش إلى زمان تولى الرضا العهد، بل مات قبل ذلک بثلاث سنوات أى فى سنة ۱۹۸ ه. و من ثم هو ينكر الحادثة الاخرى، التى تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لم يمدح الامام عليه السلام، فقال أبياته المشهورة: «قيل لى أنت أشعر الناس طرا فى فنون إلخ ...».

و لكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان فى وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۵۷؛ فانه قال: «و فيه (أى فى الرضا عليه السلام) يقول أيضا- و له ذكر فى شذور العقود سنة احدى أو اثنتين و مائتين-: مطهرون نقيات إلخ ...».

بل يكفى دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الأبيات، و تلک له و النص على أنه قد قالها فيه عليه السلام ...

و من أجل ذلک- بكل تأكيد- أخذ يجمع العلماء «۱» و يجلبهم من أقاصى البلدان، و يأمرهم بتهيئة أشكل المسائل و أصعبها، و طرحها على الامام (ع) علّه يقطعه عن الحجة، و لو مرة واحدة؛ ليحط بذلک من كرامته، و يشوه سمعته، و يظهر عجزه و عيه، و يرى الناس أن ما يدعيه من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه و علومه لا حقيقة له، و لا واقع وراءه ...

قال الصدوق علیه الرحمة: «... کان المأمون یجلب علی الامام (ع) من متکلمی الفرق، و أهل الأهواء المضلة کل من سمع به؛ حرصا علی انقطاع الرضا (ع) عن الحجة مع واحد منهم إلخ ...» «۲».

و قال ابراهیم بن العباس: «سمعت العباس یقول: .... و کان المأمون یمتحنه (أی یمتحن الامام (ع)-) بالسؤال عن کل شیء؛ فیجیبه الجواب الشافی ...» «۳».

و قال أبو الصلت: «... فلما لم یظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فی نفوسهم ... جلب علیه المتکلمین من البلدان؛ طمعا فی أن یقطعه واحد منهم؛ فیسقط محله عند العلماء؛ و بسببهم یشتهر نقصه عند العامة؛ فکان لا یکلمه خصم من الیهود، و النصاری، و المجوس، و الصابئین، و البراهمة، و الملحدین، و الدهریة، و لا خصم

---

(۱) مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عند ما أخبروه أنه یقوم بمهمة التدریس، کما أشرنا إلیه!! ...

(۲) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۱۰۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۹، و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۹۱.

(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۳۷، و إعلام الوری ص ۳۱۴، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۰۷، و یراجع أیضا: مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۵۰، و غیر ذلک.

ص: ۳۷۸

من فرق المسلمین المخالفین له إلا قطعه، و الزمه الحجة، و کان الناس الخ ...» «۱».

و قال المأمون لسلیمان المروزی: «... إنما وجهت إلیک لمعرفتی بقوتک، و لیس مرادی إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط ...» «۲».

و تقدم قوله لحمید بن مهران، عند ما طلب منه هذا أن یولیه مجادلته؛ لینزله منزلته: «ما من شیء أحب إلیّ من هذا ...».

بل لقد صرح المأمون نفسه: بأنه کان یرید أن یجعل من جهل الامام- نعوذ باللّه- ذریعة و وسیلة إلی خلعه؛ لیشتهر بین الناس أنه قد خلع بسبب جهله، و قلة معرفته؛ فقد ورد أنه عند ما أخبره الرضا بصفات حمل جاریته، قال المأمون:

«فقلت فی نفسی هذه و اللّه فرصة؛ إن لم یکن الأمر علی ما ذکر، خلعته؛ فلم أزل أتوقع أمرها إلخ ...» «۳».

إلی غیر ذلک مما قد امتلأت به کتب الأخبار و السیر ...

و حتی مع الامام الجواد قد حاول ذلک:

و لا نستبعد أيضا: أن يكون قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، و مثير الاحزان ص ۲۶۳، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، و شرح ميمية أبى فراس ص ۲۰۴.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۷۸، و عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۷۹، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۹۷.

(۳) الغيبة للشيخ الطوسى ص ۴۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۲۴، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۷، و مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۳۳ عن الجلاء و الشفاء ...

هذا ... و لا بأس بملاحظة قوله: إنها و اللّه فرصة!! ... الدالة على أنه كان يتحين الفرص لذلک.

الإمام الجواد (ع) أيضا، و الذى كان لا يزال صغير السن؛ فأغرى العباسيين بأن يقفوا ذلک الموقف؛ ليفسح المجال ليحيى بن أكثم ليطرح مسائله الصعبة على الإمام الصغير؛ ليعجز عنها، و يظهر للملإ: أن إمام الشيعة طفل صغير، لا يعلم و لا يعقل شيئا، و ان كل ما يدعونه فى الامام ما هو إلا زخرف باطل، و ظل زائل ...

و يلاحظ: أنه قام بهذه اللعبة قبل أن يسلم إليه ابنته، التى كان قد عقد له عليها فى حياة أبيه الرضا (ع)، و جعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن اكثم و يجيبه على مسائله!! و معنى ذلک: أنه لو توقف و لو فى مسألة واحدة لامتنع عن اعطائه زوجته، و كانت النتيجة هى: أن يشتهر ذلک بين الناس كلهم، و يصبح حديث كل الندوات و المحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله و عيّه ...

لكن الامام الجواد كان كأبيه قد أعاد على المأمون كيده و مكره، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ... و لقد سبقه إلى ذلک المنصور مع الامام الصادق (ع)؛ حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقيها على الامام؛ لأنه رأى أن الناس قد فتنوا به «۱» ... و جرى على منواله فى ذلک المعتصم مع الجواد أيضا، و غيره مع غيره ... و كان اللّه هو المؤيد و الناصر و المسدد ...

ملاحظة لا بد منها:

و مما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية و المناظرات، الكلامية للمأمون!! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، و هدأت ثائرة العلويين و الشيعة، أو صد الباب كليا تقريبا،

(۱) راجع: البحار ج ۴۷ ص ۲۱۷.

ص: ۳۸۰

و انصرف عن ذلک نهائیا ... اللهم إلا بعض مناظرات نادرة و محدودة جدا فی بغداد، لا تقاس بتلک التی کانت تجری فی مرو على الاطلاق ...

الإمام یقول: المأمون سوف یندم:

هذا ... و لم یکن من الغریب: أن یعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، و حقیقة نوایاه من مثل هذه التصرفات، و کان (ع) یقول: «... إذا سمع احتجاجی على أهل التوراة بتوراتهم، و على أهل الانجیل بإنجیلهم، و على أهل الزبور بزبورهم، و على الصابئین بعبرانیتهم، و على أهل الهرابذة بفارسیتهم، و على أهل الروم برومیتهم، و على أصحاب المقالات بلغاتهم؛ فإذا قطعت کل صنف، و دحضت حجته، و ترک مقالته، و رجع إلى قولی، علم المأمون أن الموضع الذی هو بسبیله لیس بمستحق له؛ فعند ذلک تکون الندامة منه ...» «۱».

نعم ... إنه سوف یندم کثیرا عند ما یرى: أن کل ما کان یدبره ینقلب علیه، و یؤدی إلى عکس النتیجة التی کان یرجوها منه ... حتى إن الناس کانوا یقولون: «و اللّه، إنه أولى بالخلافة من المأمون. فکان أصحاب الأخبار یرفعون ذلک إلیه؛ فیغتاظ و یشتد حسده ...» «۲» ...

و هکذا ... فإن هذا القول یعتبر تحقیقا لنبوءة الإمام: من أن المأمون سوف یندم، إذا علم أن الموضع الذی هو بسبیله لیس بمستحق له ...

و لقد علم المأمون، و لکن بعد فوات الأوان بذلک، و بأنه قد ساعد بأعماله تلک على اتساع القاعدة الشعبیة للإمام (ع)، و إظهار مزایاه

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۷۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۵، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۶.

(۲) کشف الغمة ج ۳ ص ۸۷، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹.

ص: ۳۸۱

و فضائله، التی کان یجهد المأمون فی طمسها و إخفائها، بل لقد ساعد على ترسیخ عقیدة الشیعة فی نفوسهم، و شد إلیها قلوب الکثیرین؛ حیث قد ثبت بالفعل: أن الإمام أعلم أهل الأرض على الاطلاق و أفضلهم و أتقاهم إلى آخر ما هنالک من الکمالات و الفضائل الأخلاقیة، و لم یعد ذلک مجرد دعوى لا یدعمها دلیل، و لا یؤیدها برهان ...

و كان على المأمون أن يتبع أسلوبا جديدا، يضمن له تحقيق غاياته فى التخلص من الإمام (ع)، و القضاء عليه اجتماعيا، و نفسيا، بل و حتى جسديا أيضا ...

و بقى فى كنانته سهم آخر، ظن أنه سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه ... ألا و هو:

الاقتراح العجيب:

و كل قضايا المأمون تثير عجبا، و هو أن يذهب الإمام إلى بغداد، و قبل أن نتكلم عن هذا الاقتراح العجيب ... يحسن بنا أن نتكلم عن بغداد أولا، و عن موقفها من البيعة للرضا (ع)، و عن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذى أقدم عليه المأمون من دون رضا منها ... فنقول:

موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الاطلاق و هى عاصمتهم، و حصنهم، الذى يلوذون به، و يلجئون إليه ...

و العباسيون هم الذين نقموا على المأمون بسبب جعل ولاية العهد للرضا (ع)، و خلعوا المأمون بمجرد سماعهم لذلك النبأ الذى نزل عليهم نزول

ص: ٣٨٢

الصاعقة، فشغبوا فى بغداد، و أخرجوا الحسن بن سهل منها، و بايعوا لإبراهيم بن المهدى، المعروف: بابن شكلة المغنى، الذى كان عاملا للمأمون على البصرة «١»، و الذى كان من ألدّ أعداء الإمام على بن أبى طالب و ولده ...

و موقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، و قد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس- يعنى العباسيين، و مواليهم «٢»- ينقمون عليه مكان الإمام منه، و مكان بيعته له بولاية العهد «٣».

و الفضل بن سهل أيضا قال للمأمون: «... ثم أحدثت هذا الحدث الثانى إنك جعلت ولاية العهد لأبى الحسن، و أخرجتها من بنى أبيك.

و العامة و العلماء، و الفقهاء، و آل عباس، لا يرضون بذلك. و قلوبهم

---

(١) مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٨.

(٢) لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية. و لم يشر التاريخ، و لو من بعيد إلى شىء من ذلك من غيرهم على الاطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم ...

(۳) الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۲۵، و ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، و الکامل لابن الأثیر ج ۵، و غیر ذلک ...

و قال فی النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۷۴: «أنه بسبب ولایة العهد للرضا قامت الفتن، و اضطربت البلاد»، و قریب منه ما فی مقدمة ابن خلدون ص ۲۱۱، و واضح: أن ذلک قول مبالغ فیه ... حیث لم یحدث بسبب البیعة شیء أصلا إلا فی بغداد، و أما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فیها، و استوسقت للمأمون کما نص علیه الذهبی، و غیره حسبما تقدم، و حتی فی بغداد نفسها کان أکثرها یؤید المأمون فی ذلک باستثناء العباسیین، و من لف لفهم؛ قال فی تاریخ أبی الفداء ج ۲ ص ۲۲: «و امتنع بعض أهل بغداد عن البیعة» ... و یتفق المؤرخون: علی أن بغداد انقسمت إلی قسمین: قسم یقول: نلبس الخضرة، و نبایع، و قسم یأبی ذلک. إلی أن غلب الممتنعون؛ لأن من بینهم رجال الدولة، و بایعوا لإبراهیم بن المهدی ...

ص: ۳۸۳

متنافرة عنک، و الرأی: أن تقیم بخراسان، حتی تسکن قلوب الناس علی هذا إلخ ...» «۱».

و سیأتی أن المأمون قد کتب للعباسیین، بعد وفاة الإمام: أن الأشیاء التی کانوا ینقمونها علیه قد زالت ... إلی غیر ذلک مما لیس فی تتبعه کثیر فائدة ...

و أما نصب ابن شکلة:

لقد رضی العباسیون بابن شکلة حاکما علیهم، مع علمهم بانحرافه عن علی، و نصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختیارهم له ...

و یکفی دلالة علی انحرافه عن علی (ع)، و ولده ما تقدم: من أن المأمون کان یظهر التشیع، و ابن شکلة یظهر التسنن «۲»، و أنه غیر المأمون بتشیعه فقال:

إذا الشیعی جمجم فی مقال فسرک أن یبوح بذات نفسه

فصل علی النبی و صاحبیه وزیریه و جاریه برمسه

و غیره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجی سرک أن تراه یموت لحینه من قبل موته

فجدد عنده ذکری علی وصل علی النبی و أهل بیته«۳»

و قال ابراهیم هذا مرة للمأمون: إن علیا لیس من البلاغة فی شیء؛

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶. و واضح أن من مصلحة الفضل: أن يضخم الأمر و يهول به على المأمون؛ لأنه يريد أن يردعه عن الذهاب إلى بغداد، التى يعرف أنه سوف يتعرض فيها لأهوال و أخطار قد لا يكون له القدرة على تحملها.

(۲) استعمال المسعودى لكلمة «التسنن» هنا يفند ما ادعاه أحمد أمين المصرى: من أنه هو المصطنع لهذه الكلمة، و أول من استعملها ... و الظاهر أنه قرأها فيه أو فى النجوم الزاهرة، أو وفيات الأعيان ترجمة على بن الجهم أو غيرها ... ثم نسى.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷ و راجع ص ۲۳۱/ ۲۳۲ من هذا الكتاب.

ص: ۳۸۴

حيث إنه رآه فى منامه، فسأله مسألة؛ فقال له الإمام (ع): «سلاما سلاما» ... فعند ما أفهمه المأمون: أنه (ع) يشير بذلك إلى قوله تعالى:

«و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» خجل، و ندم على إخباره المأمون بما كان «۱» ...

و عن صلاح الدين الصفدى فى شرح الجهورية: أنه لما مات ابراهيم ابن المهدى سأل الواثق عن وصيته؛ فوجده قد أمر بمال عظيم: أن يفرق على أولاد الصحابة، إلا أولاد على (ع)؛ فقال الواثق: «و اللّه، لو لا إطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، و لا انتظرت دفنه»، ثم انصرف الواثق و هو يقول: «منحرف عن شرفه، و خير أهله؛ و اللّه، لقد أدليته فى قبره كافرا.» «۲».

إلى غير ذلك من الدلائل و الشواهد التى يطول بذكرها المقام ...

المأمون ... هو الذى ينقل لنا اقتراحه العجيب:

و لكن رغم موقف بغداد ذاک، و رغم أنه كان يعلم به، و يعلم بكل ما جرى فى بغداد بسبب جعله ولاية العهد للرضا نرى المأمون يحاول أن يرسل الامام إلى بغداد، ليكون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسيين، و فى نفس معقلهم، و محل قوتهم، و حيث لهم كل النفوذ و السيطرة.

يرسله- وحده!!- و يبقى هو خليفته فى خراسان ...

و يرفض الامام، و يصر على الرفض، حتى يئس المأمون من قبوله ...

يقول المأمون: «رحم اللّه الرضا (ع)، ما كان أعلمه، لقد

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۲۷۱، و نزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۳.

(۲) نزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۴.

أخبرنى بعجب. سألته ليلة، و قد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداک، أرى لک أن تمضى إلى العراق، و أكون خليفتک بخراسان؛ فتبسم، ثم قال: لا ... لعمرى ...» إلى أن يقول المأمون: «فجهدت الجهد كله، و أطمعته فى الخلافة، و ما سواها، فما أطمعنى فى نفسه ...» «۱».

و لما ذا هذا العرض:

عجيب إذن!! ... هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد!! الخلافة ... التى لم يكن يعدلها عنده فى الدنيا شيء!!. الخلافة ... التى قتل من أجلها المئات و الالوف!!، و خرب المدن و دک الحصون!! ...

و التى قتل من أجلها أخاه، و من معه، و قواده، و وزراءه!! ... الخلافة هذه ... أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها- حسب منطقه- لرجل غريب!!، و فى مقابل أى شيء؟! فى مقابل أن يذهب إلى العراق!!.!.

و لقد عرفنا الخلافة التى بذلها، لكن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحديد!!.

و لما ذا يجهد الجهد كله؟! و لما ذا يبذل الخلافة؟!، و لما ذا يبذل ما سواها؟! لما ذا كل ذلک؟!!. أ ليس هو ذا القوة و السلطان؟!؛ فلم لا يجبر الإمام (ع) على ذلک، كما أجبره على قبول ولاية العهد؟!! ...

أ لم يكن باستطاعته أن يرسله مقيدا مصفدا بالحديد؟!! ... و لما ذا يسمح له بأن يعصيه و يخالف أمره؟! ... أ فلا يعتبر ذلک جريمة يستحق عليها أقسى العقوبات؛ باعتبار أنه يعرض الخليفة و الخلافة، و هيبتهما للخطر؟! ...

(۱) الغيبة للطوسى ص ۴۸، و مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۷، و البحار ج ۴۹ ص ۵۸ و ۱۴۵.

نعم ... إنه يريد أن يذهب الإمام إلى بغداد، و لكنه يريد فى نفس الوقت أن يذهب راضيا و غافلا عما يهدف إليه المأمون من وراء ذهابه هذا ... و إلا فإن ذهابه لن يجديه نفعا؛ لأنه قد جرب معه الاكراه و الاجبار من قبل، فى قضية ولاية العهد، و رأى أن الإمام قد اتخذ ذلک وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة على المأمون ...

كما أن بذله للخلافة لم يكن مجازفة بها؛ لأنه كان مطمئنا إلى أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غدا ... و بالشكل الأفضل و الأكمل؛ لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه ...

نعم ... إنه يريد أن يرسله إلى العراق- بغداد- و طلب منه أن يذهب وحده، و يبقى هو خليفة له فى خراسان؛ ليواجه المحنة، التى لن يكون له القدرة على تحملها، و الصمود فى وجهها ... و يتخلص المأمون منه بذلک من أهون سبيل ...

المأمون يتحرک نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الامام القاطع جعله يفكر فى الأمر بنحو آخر؛ فلقد تحرک هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل و ولى عهده الامام الرضا (ع)، الذى كان هو الشجا المعترض فى حلق المأمون ...

و لقد كان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتى يدخلوا بغداد، فتقوم قائمة بنى العباس، و يثورون، و يعصفون، و تعم الفوضى، و يختل النظام ... و قد يتخلص المأمون حينئذ من الامام (ع) على يد من يرتفع به حقده، و يخرجه غضبه عن طوره ...

و إن لم يكن ذلک، و جبنوا عن الإقدام عليه ... و بعد أن يكون الناس قد رأوا أن وجود الامام- و ليس قتل الأمين- هو المانع و العائق

ص: ۳۸۷

من عودة المياه إلى مجاريها بين المأمون، و بين العباسيين بنى أبيه، الذين أصبح يرى الناس: أن لهم- كغيرهم- الحق فى الخلافة ... فإن المأمون سوف يجد- من ثم- العذر و المبرر لخلعه من ولاية العهد؛ من أجل أن تستقر البلاد، و تذهب الأحقاد و الإحن، و تعود الامور إلى حالتها الطبيعية بينه و بين بنى أبيه، و المحبين و المتشيعين لهم ... و لتكون هذه- و بعد ملاحقتها بحملة دعائية واسعة- ضربة قاضية لسمعة الامام، و طعنة نجلاء فى كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيّما سعادة ...

لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلک ... و لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين، الذين فى بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، و يدركوا ما ترمى إليه مخططاته ... فقد يثورون ضده هو، و يوصلون إليه ما يسوؤه و يزعجه؛ كما حدث ذلک من قبل ... فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، و مع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، و لعقبهم من بعدهم ... إلا أنهم لم يدركوا ذلک رغم أنه كتب إليهم به صراحة ... و استمروا على مناوءته و محاربته ...

و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع):

كما أنه كان يخشى أن الامام، الذى رأى المأمون منه العجائب، و الذى أصبح قريبا من العباسيين، و أشياعهم، و قريبا من محبيه و مواليه أيضا- كان يخشى أن يتمكن- من قلب ما يدبره، و يخططه، و جعله وبالا عليه ... و قد تقدم ان أباه موسى (ع) قد أفسد على الرشيد قلوب شيعته، رغم أنه كان فى سجونه و تحت نظره و مراقبته الدقيقة ...

ص: ۳۸۸

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جلّ، إن لم يكن كل مؤامراته، و تدبيراته ... بل لقد كان يجعلها كلها فى صالحه هو، و دمارا، و وبالا على المأمون مدبرها، و مخططها الحقيقى ...

و قد يكون الامام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحى عن ولاية العهد. و لكن ذلک و لا شک سوف يعيد الامور إلى سيرتها الاولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، و الوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. و لن يسكت العلويون و لا الخراسانيون، بل حتى و لا العرب عن أمر كهذا. و لن يعيد الامور إلى سيرتها الاولى بيعة أو مناورة أخرى من أى نوع كانت، و على أى مستوى كانت.

كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟!

و هكذا ... و بعد أن رأى المأمون نفسه قد فشل فى تحقيق الجزء الأهم من خطته، ألا و هو أن يضع منه (ع) قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ... بل لقد رأى نفسه يحصد غير ما يزرع، و أن النتائج التى كان يحصل عليها هى تماما عكس ما كان ينتظر و يؤمل؛ و ذلک بسبب و عى الإمام و حنكته، و يقظته ...

و رأى أنه قد حارب الإمام بجميع الاسلحة التى كان يمتلكها، من المكر و الخديعة، و الدهاء إلخ ... لكن أسلحة الإمام كانت أمضى و أقوى من كل ما كان يمتلكه المأمون. و من أين للمأمون علم الامام و زهده، و تقواه و فضله، و فضائله النفسية، و شخصيته الفذة، و سائر صفاته و خصاله الحميدة، صلوات اللّه و سلامه عليه؟ ...

و إذا كان قد تأكد لديه أن محاولاته تلک لم تكن تثمر إلا أن يزداد الامام رفعة بين الناس، و محلا فى نفوسهم، و إلا اتساع قاعدته الشعبية

ص: ۳۸۹

باطّراد. و أنه هو نفسه قد ساعد على اتساعها ... حتى لقد اضطر هو نفسه لأن يستجير بالامام لينقذه من أولئک الذين شغبوا عليه بسبب قتله الفضل ابن سهل ... إلى آخر ما هنالک مما قدمناه ... إذا كان كذلک. فإنه قد أصبح يرى نفسه مستحقا لذلک التأنيب القاسى الذى تلقاه من حميد بن مهران، و جمع من العباسيين؛ حيث قال له حميد: «... ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد على، بل ما أخوفنى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتک، و التوثب على مملكتک. هل جنى أحد مثل جنايتک؟!» ... و قد تقدم جواب المأمون لهم فى أول هذا الفصل؛ فلا نعيد ...

و يلاحظ هنا: أن قول حميد بن مهران: «ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد على» قد كان بعد البيعة للرضا (ع) بولاية العهد؛ فكأنه كان على علم بخطة المأمون، و أهدافه من البيعة!! ...

نعود فنقول: إنه كما أصبح يرى نفسه مستحقا لذلک التأنيب القاسى أصبح أيضا يرى: أن من الضرورى العثور على وسيلة تسهل عليه الخروج من ذلک المأزق الحرج، الذى أوقع نفسه فيه ... حتى لا ينتهى به الأمر إلى تلک النهاية المرعبة، التى كان يخشاها كل الخشية، و تمتلئ نفسه فرقا و رعبا منها ...

فما هى تلک الوسيلة؟!، و أين يجدها؟! و هل يستطيع أن يحصل عليها؟! و كيف؟؟ ...

... و لقد وجد الوسيلة و هى سهلة جدا، و لكنها غير مأمونة العواقب، و هذه الوسيلة هى:

تصفية الإمام (ع) جسديا:

و التدبير فيه- و بسرعة- بما يحسم عنه مواد بلائه ... و واضح:

ص: ۳۹۰

أن قتل الإمام (ع) جهارا سوف يثير مشاعر العلويين و الشيعة، سواء من الخراسانيين، أو من غيرهم، بل هو يثير الامة بأسرها. و لسوف يعطيهم، و خصوصا العلويين الفرصة، بل و الحق فى القيام بوجه نظام الحكم من جديد ... و بكلمة ... سوف يخسر المأمون حينئذ كل ما كان يرى نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لم تكن النتيجة أسوأ من ذلک بكثير ...

و أسوأ مما يتصور.

و إذن ... فلا بد للقضاء على الإمام من إعمال الحيلة، و احكام الخطة، و دراستها دراسة كافية و وافية.

قضية حمام سرخس:

و حاول أن يقضى على الامام (ع)، و الفضل معا، مرة واحدة فى حمام سرخس. و لكن يقظة الامام (ع)، و وعيه قد حال دون ذلک؛ حيث إنه رفض الذهاب إلى الحمام. و أصر المأمون بدوره على ذلک، و أعاد عليه الرقعة مرتين!!. لكن الامام قد بيّن له بيانا قاطعا: أنه لن يدخل الحمام بأى وجه من الوجوه ... كما أنه (ع) قد حاول أن يدفع المكيدة عن الفضل؛ فقال للمأمون: «و لا أرى للفضل أن يدخل الحمام غدا ...». لكن المأمون يصر على أن يدخل الفضل الحمام، و يمتنع من تحذيره؛ حيث قال للامام: «و أما الفضل فهو أعلم و ما يفعله ...» «۱».

مقتل الفضل بن سهل:

و نجح المأمون فى تنفيذ أحد جزئى مهمته، و فشل فى تنفيذ الجزء

(۱) قد تقدم بعض مصادر هذا النص فی فصل: شخصیة الامام الرضا، عند ذکر التجاء المأمون إلی الرضا (ع) عند ما شغب علیه الجند، بسبب مقتل الفضل.

الآخر، و الأهم منها؛ فقد نجا الامام (ع) بفضل وعیه و یقظته، و وقع الفضل فی الشرک وحده و قتل بتدبیر من المأمون، فرضی بذلک العباسیون. و قتل قتله، فرضی الحسن بن سهل، و الخراسانیون.

و مجمل قضیة قتل الفضل هنا: «أن المأمون لما رأی إنکار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلی بنی علی، و أنهم نسبوا ذلک إلی الفضل بن سهل، و رأی الفتنة قائمة و لا یستطیع أن یقتل الفضل جهارا لمکان أخیه الحسن بن سهل، و کثرة من معه من الرجال «۱» فأعمل الفکرة فی ذلک، و دس جماعة لقتل الفضل ...

و الذین قتلوا الفضل کانوا خمسة اشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب؛ فأخذوا و جیء بهم إلیه؛ فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!! ...

فقال لهم: أنا أقتلکم باقرارکم، و أما ما ادعیتموه: من أنی أنا أمرتکم بذلک؛ فدعوی لیس لها بینة. ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، و حمل رءوسهم إلی الحسن أخی الفضل، و أظهر الحزن علیه ...» «۲»!! کما أنه قد اقصی قوما من قواده سماهم الشامتة؛ و اظهر علیه أشد الجزع کما نص علیه الیعقوبی. و واضح أن قتله لقتلة الفضل، ثم إرساله رءوسهم إلی الحسن، ثم إظهاره للحزن علیه لخیر دلیل علی دهائه و حنکته السیاسیة ...

بل ذکر المسعودی، و یظهر ذلک من غیره أیضا: أن المأمون قتل

(۱) راجع لطف التدبیر ص ۱۶۴- ۱۶۶.

(۲) راجع فی ذلک: الآداب السلطانیة ص ۲۱۸، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، و لطف التدبیر ص ۱۶۴- ۱۶۶ و مآثر الانافة ج ۱ ص ۲۱۱، و الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۹۱ و ۱۹۲، و الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۲۷، و وفیات الأعیان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۱۴، و مرآة الجنان ج ۲ ص ۷، و اثبات الوصیة ص ۲۰۷.

و لیراجع تجارب الامم ج ۶ ص ۴۴۳.

الفضل بن سهل بيده، و أنه باشر قتله بنفسه «۱»، و لعله اتهم هؤلاء من أجل أن يبعد التهمة عن نفسه لاسباب سياسية لا تكاد تخفى و من أهمها أن لا يفسد عليه الحسن بن سهل و من معه و الخراسانيين.

و تحسن الاشارة هنا إلى ما قدمناه من عرض المأمون على الفضل أن يزوجه ابنته- على الرغم من استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوى قرباهم، فرفض الفضل العرض، و شكر المأمون، و جهد المأمون الجهد كله فى اقناعه، فلم يفلح!!. و قال له: لو صلبتنى ما فعلته «۲».

فإن عرضه هذا، و جهده فى اقناعه ما كان إلا شركا منه للتجسس و الايقاع بالفضل على يدها، كما فعل بالجواد و الرضا (ع) ... و عند ما لم يفلح فى اقناع الفضل، و فشلت مؤامرته، دبّر قضية حمام سرخس، و نجح فى تدبيره ذاک كما عرفنا ...

و قبل أن نمضى فى الحديث يحسن بنا أن نشير الى ما ذكره الاصفهانى فى أغانيه، فيما يتعلق بمقتل الفضل، حيث قال ما ملخصه: إن ابراهيم ابن العباس الشاعر كان من خواص الفضل بن سهل. و جعله كاتبا لعبد العزيز بن عمران؛ فلما دبر المأمون قتل الفضل، و ندب إليه عبد العزيز ابن عمران. علم ابراهيم بذلک، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، و عاتبه عليه ... و بعد قتل المأمون للفضل و لقتلته سأل من أين سقط الخبر للفضل؛ فعرف أنه من جهة ابراهيم؛ فطلبه؛ فاستتر، و تحمل ابراهيم بالناس على المأمون. و جرد فى أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسى،

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، و يظهر أيضا من: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۸.

(۲) الوزراء و الكتاب ص ۳۰۷.

ص: ۳۹۳

و كان جريئا على المأمون، لأنه رباه، فلم يجبه المأمون الى ما سأل «۱».

إلى آخر ما قال.

ظاهرة قتل الوزراء:

و تحسن الاشارة هنا: إلى أن قتل الوزراء كان ظاهرة شائعة فى حياة الخلفاء العباسيين؛ حتى إن أحمد بن أبى خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم «وزير»، مع قبوله بالقيام بكل أعمال الوزير و وظائفه ...

و هنا لطائف و ظرائف تتعلق بهذا المطلب، ليس هنا محل ذكرها ...

و لنعد الآن للحديث عن موقف المأمون فنقول:

لا بد من العودة الى سنة معاوية:

إنه رغم فشل المأمون فی قضية حمام سرخس، لم ييأس، و لم يهن فی الوصول إلی ما كان يطمح إلی الوصول إليه؛ فاستمر يعمل الحيلة و يدبر المكيدة للإمام (ع).

و كان عليه: أن لا يعرض نفسه للخطأ الذی وقع فيه فی قضية الفضل؛ حيث أعلن القتلة فی وجهه بأنه هو الذی أمرهم بقتله؛ مما كان سببا فی ثورة الجند عليه، و تعرض لخطر عظيم جدا، لو لم يلتجئ الی الامام، الذی أنقذ موقفه، و فرق الناس عنه، كما تقدم ...

و لم ير وسيلة أسهل و أسلم من تلک التی سنها سلفه معاوية، الذی

---

(١) الأغانی ط الساسی ج ٩ ص ٣١.

قدمنا فی فصل: آمال المأمون و آلامه: أن المأمون قد ارتضی سيرته، ورد سيرة أبی بكر و عمر و علی و هذه الوسيلة هی: «السم» ...

و دسّ إليه السم فی العنب، أو فی ماء الرمّان، و مضی الإمام (ع) شهيدا، صابرا محتسبا ... و هذه هی نفس الطريقة التی تخلص بواسطتها، من قبل: من محمد بن محمد، صاحب أبی السرايا، و لا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلک فی محمد بن جعفر، الذی مات هو الآخر- كالرضا (ع) و الفضل بن سهل- فی طريق بغداد «١».

كما و يلاحظ: أنه لما مات محمد بن جعفر نادی منادی المأمون: «ألا لا تسيئن الظن بامير المؤمنين؛ فان محمد بن جعفر جمع بين أشياء فی يوم واحد. و كان سبب موته أنه جامع و افتصد، و دخل الحمام فمات» «٢» و هكذا ... مات اللذان تكرههما بغداد، فی نفس طريق بغداد ... و لم يعد هناک ما يعكر صفو العلاقات بينه، و بين بنی أبيه العباسيين و أشياعهم، و أصبح باستطاعته ان يكتب إليهم:

«... إن الأشياء التی كانوا ينقمونها عليه قد زالت، و أنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلی بن موسی الرضا (ع)، و قد مات؛ فارجعوا إلی السمع و الطاعة، و انه يجعل ولاية العهد فی ولد العباس ...» «٣».

---

(١) و لعل ابن قتيبة يشير إلی هذا فی معارفه طبع سنة ١٣٠٠ ص ١٣٣ حيث يقول: «و ظفر بمحمد بن جعفر، فحمله إلی المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحد ...»!!.

و لكننا نراه مع ذلک، عند ما يؤتى بجنازة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، و حمله! و قال: هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة، و صلى عليه و قضى دينه!!! ... بل إننا لا نستبعد أن يكون هو المدبر لشائعة غلبة السوداء على الحسن بن سهل أخى الفضل. و هكذا ...

فيكون قد قضى على كل أولئک الذين تكرههم بغداد و تخشاهم، و تخلص منهم واحدا بعد الآخر.

(٢) تاريخ جرجان ص ٤٠٤.

(٣) راجع فى ذلک: الطبرى ج ١١ ص ١٠٣٠، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٩،

ص: ٣٩٥

فرجعوا إليه، و انقادوا له، و لكن بعد التخلص ممن كان يكره و يكرهون، و يخاف و يخافون ...

رجع إلى بغداد، فأطاعته، و انقادت له؛ لأنه قضى على من كانت تخافهم، و تخشاهم، و حقق لها ما كانت ترجوه، و تصبو إليه، و غفرت له قتله أخاه، و نسيته حتى كأنه أمر لم يكن!! ... بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين؛ لأنه استطاع أن يثبت أقدام بنى أبيه فى الحكم و السلطان إلى ما شاء اللّه ...

رجع إلى بغداد، إلى بنى أبيه؛ لأن رجوعه إليهم كان ضروريا؛ من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهة ... و لأنهم هم الدرع الواقى له، و الحصن الحصين من جهة أخرى ... هذا بالاضافة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست فى الحقيقة بخلافة ... إلى غير ذلک من أمور و اعتبارات.

نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هذا ... و كما تنبأ الامام (ع) من قبل بأن أمر البيعة لا يتم، و تنبأ أيضا بأنه يموت و يدفن بخراسان ... لم يكن ليصعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم فى النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع)، سيما و أنه كان على علم أكثر من أى إنسان آخر بحقيقة نوايا المأمون و أهدافه ... و بالفعل نرى الامام (ع) يصرح بذلک فى أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم ...

و تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧، و ابن الأثير ج ٥ ص ١٩٣، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٨، و تاريخ أبى الفداء ج ٢ ص ٢٤، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٣، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۴۴. و غير ذلک.

ص: ٣٩٦

و من جهة أخرى؛ فرغم محاولات المأمون للتستر على جريمته النكراء تلك خوفا من ثورة الرأى العام ضده ... فإنه لم يستطع إخفاء الحقيقة، و طمس الواقع بل شاع الأمر، و افتضح المأمون ... بل سيمر معنا أنه هو نفسه قد فضح نفسه ...

الحقد الدفين:

و أخيرا ... فإن ما أقدم عليه المأمون من الغدر بالامام (ع)، و دس السم إليه لخير دليل على فشل المأمون فى سياسته، الفشل المزرى و المهين ...

حتى إنه عند ما عجز عن أن ينال من الامام (ع) حيا، أراد أن ينال منه ميتا؛ بدافع من حقده الدفين، الذى لم يعد يستطيع أن يتحمل مضاعفاته؛ فكتب إلى السرى عامله على مصر، يخبره بوفاة الرضا، و يأمره بغسل المنابر، التى دعى له عليها، فغسلت ... كما تقدم ... و هذا إن دل على شىء؛ فإنما يدل على أن الحقد كان قد أكل قلبه، و أعمت البغضاء بصره و بصيرته ...

كما أنه يدل على خسّة فى النفس، و إسفاف فى التفكير، و شعور بالعجز، و بالنقص أيضا ...

ص: ٣٩٧

كاد المريب أن يقول: خذونى.

و مع غض النظر عن كل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصريحات المأمون الدالة على أنه سوف يدبر فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه، و عن تأكيدات الإمام و تصريحاته بأنه سوف يموت شهيدا بسمّ المأمون، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلک، لكنه تجاهل الأمر، و غير الحديث «١» ...

و لسوف نغض النظر أيضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم يمت حتف أنفه، و إنما مات مقتولا بالسم. و أن قتلته هما عبيد اللّه، و الحمزة، ابنا الحسن «٢»، و اللذان لم يكن بينهما و بين الإمام (ع) ما يوجب ذلک ... بل إن كان لهما دور ما، فإنما هو باشارة من يهمه مثل هذا الأمر ...

بل لقد ورد: أن المأمون رمى بنفسه على الأرض، و جعل يخور كما يخور الثور، و يقول: «ويلک يا مأمون، ما حالک، و على ما

---

(١) راجع: عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٩، و علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٧، و أمالى الصدوق ص ٤٢، ٤٣، و غير ذلک ...

(٢) راجع: غيبة الشيخ الطوسى ص ٤٩، و البحار ج ٤٩ ص ٣٠٦.

ص: ۳۹۸

أقدمت. لعن اللّه فلانا و فلانا، فإنهما أشارا على بما فعلت ...» «۱».

لسوف نغض النظر عن كل ما تقدم، و حتى عن رسالته للسرى، عامله على مصر، و التى أشرنا إليها غير مرة ...

و الذى نريده هنا:

و لا نريد هنا إلا أن نضع بعض علامات الاستفهام على بعض تصرفات المأمون، و أقواله حين وفاة الامام (ع)، حيث رأيناه: قد ارتبک فى أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباک ...

الأسئلة التى لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لما ذا يستر موت الرضا (ع) يوما و ليلة؟! «۲».

و لما ذا يقول للامام، و هو بعد لم يمت: «... ما أدرى أى المصيبتين على أعظم: فقدى إياک، أو تهمة الناس لى: أنى اغتلتک و قتلتک» «۳»؟!.

---

(۱) إثبات الوصية للمسعودى ص ۲۰۹.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، و كشف الغمة ج ۳ ص ۷۲، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، و إرشاد المفيد ص ۳۱۶.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۷۲، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۱، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۹. و عبارة مقاتل الطالبيين: «و أغلظ من ذلک على، و أشد:

أن الناس يقولون: إنى سقيتک سما» ...

ص: ۳۹۹

و لما ذا يظهر التمارض، بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب «۱» ...؟!

و كيف مات الامام (ع) فى مرضه من العنب، و لم يمت المأمون منه أيضا؟! ...

و لما ذا يحضر محمد بن جعفر، و جماعة من آل أبى طالب، و يشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما «۲»؟!!.

و لما ذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى!! كل يوم برغيف واحد و ملح ليأكله!! ... الأمر الذى لم يفعله حتى عند ما مات أبوه الذى ولد منه، و أخوه الذى قتله، و فعل برأسه ما فعل؟!!.

و هل يمكن أن نصدقه حينما نسمعه يقول: «و قد كنت أؤمل أن أموت قبلک» «۳»!!. هذا مع علمه بأن الامام (ع) كان يكبره ب (۲۲) سنة؟!! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، و لا واقع وراءه؟!!.

و لما ذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الامام (ع) من أكله، ثم يقول له: «لا بد من ذلک، و ما يمنعک منه، لعلک تتهمنا بشىء؟!» و بعد أن أكل منه الامام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتنى ...» «۴»؟!

و لما ذا؟ و لما ذا؟ إلى آخر ما هنالک مما يضيق عنه المقام ...

---

(۱) إعلام الورى ص ۳۲۵، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و مقاتل الطالبيين ص ۵۶۶، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص ۲۵۸، و غير ذلک ...

(۲) روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، و مقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و كشف الغمة ج ۳ ص ۷۲ و ۱۲۳، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، و إعلام الورى ص ۳۲۹.

(۳) نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

(۴) أمالى الصدوق ص ۳۹۳، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۴، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۳، و إعلام الورى ص ۲۲۶، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۱، و غير ذلک.

ص: ۴۰۰

كاد المريب أن يقول: خذونى:

و بعد ... فهذه بعض الأسئلة، التى تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاد الامام (ع) ... تحتاج إلى جواب ... و أنى لها من المأمون الجواب الصحيح، و الصريح. و لكن مواقفه و تصرفاته هذه، هى الجواب الكافى و الشافى، فلقد قيل، و ما أصدق ما قيل: «كاد المريب ان يقول:

خذونی ... کما أن المؤرخین بدورهم قد أجابوا عنها بکل صراحة أحیانا، و باللف و الدوران- لأسباب مختلفة- أحیانا أخری ...

فإلی الفصل التالی، لنقف علی بعض أقوال و مواقف المؤرخین، بالنسبة لسبب وفاة الامام (ع) ...

ص: ۴۰۱

ما یقال حول وفاة الامام (ع)

ما ذا تری بعض الفرق فی الحکام:

قبل کل شیء نود أن نشیر إلی أمر مهم، کنا قد أشرنا إلیه من قبل، و له- إلی حدّ ما- صلة فیما نحن بصدده ... و هو: أن بعض فرق المسلمین تری: أن الحکام تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و القیام ضدهم، و الوقوف فی وجههم بحال من الأحوال ...

مهما کانت هویتهم، و أیا کان سلوکهم، حتی و لو أنهم ارتکبوا أعظم المحرمات، و انتهکوا جمیع الحرمات ...

أی ... أنهم حتی لو قتلوا الابریاء- و لو کانوا أبناء محمد-، و هدموا الکعبة ... مع ذلک کله- تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و لا الوقوف فی وجههم ...

هکذا ... تعتقد الفرق الاسلامیة- کما قلنا- ... و من المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحدیث، و عامة أهل السنة، قبل الامام الاشعری، و بعده. و هو أیضا قائل بهذه المقالة و معتقد بهذه العقیدة ...

و لقد أیدوا هذه العقیدة بمختلف أنواع التأیید، حتی لقد وضعوا فی

ص: ۴۰۲

تأییدها الروایات علی لسان النبی (ص)، مع عدم تنبههم إلی أن ذلک ینافی صریح القرآن، و یصادم حکم العقل و الوجدان ...

انعکاسات هذه العقیدة علی التراث:

و طبیعی أن ینعکس ذلک إلی حد کبیر علی کتابهم و مؤرخیهم «۱»، و حتی علی علمائهم، و فقهائهم أیضا، حیث کان لا بد لهم من التستر علی کل هفوات أولئک الحکام، و کل مخازیهم و موبقاتهم، مما کان من نتیجته- بطبیعة الحال- إخفاء کثیر من الحقائق، و طمسها، حتی إذا لم یتمکنوا من ذلک، تراهم یحاولون اللف و الدوران، و توجیهها بما لا یسمن و لا یغنی من جوع ... هذا إن لم تخولهم غیرتهم، و تدفعهم حمیتهم إلی تشویهها، و التغییر و التبدیل فیها؛ بحیث تبدو مستهجنة، و غریبة، و لتسقط من ثم عن الاعتبار ... و قد یختلقون فی کثیر من الأحیان فی مقابلها، ما ینسجم مع نظرتهم الضیقة، و تعصبهم المقیت، أو یوافق هوی نفوسهم، و یرضی حکامهم، الذین کانوا یرون أنهم یقربونهم من اللّه زلفی ...

إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:

و لقد أراد الحكام- لسبب أو لآخر- إخفاء كل الحقائق التى ترتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا، و وجدوا من العلماء، و الكتاب، و المؤرخين، من لا يألوا جهدا، و لا يدخر وسعا من أجل تنفيذ إرادتهم تلك، التى يرون: أنها إرادة اللّه

(۱) راجع تمهيد الكتاب ...

ص: ۴۰۳

- حسب عقيدة الجبر التى ابتدعوها- ... حتى إنک قد لا تجد فى كثير من الكتب التاريخية، حتى اسم الأئمة الأطهار عليهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، و بيان نشاطاتهم ...

و ليس ذلک لأنهم عليهم السلام كانوا غير مشهورين، و لا معروفين ...

أو لأنهم ممن لا يعتنى بشأنهم، و لا يلتفت إليهم ... لا ... أبدا. فقد كان ذكرهم يسرى فى جميع الآفاق فى الدولة الاسلامية المترامية الأطراف:

إما حبا و تشيعا، و اما عداء و نصبا ...

و قد ذكر الجاحظ فى رسالته: «فضل هاشم على عبد شمس»- و هو الكاتب المعروف فى عصره، و بعد عصره ... و حتى الآن، و الذى تعرض فى كتبه لمختلف الموضوعات التى شاع التكلم بها فى زمانه، و منها موضوع رسالته المشار إليها ... و الذى كان يظهر الحياد فى كتاباته، و إن كان المعتزلة- أهل نحلته- مثل الاسكافى و غيره يتهمونه بالنصب و العداء لأهل البيت عليهم السلام، و مما يدل على نصبه و تعصبه: أنه قد ألّف كتابا فى نقض فضائل الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) «۱»- الجاحظ هذا- يقول فى رسالته المشار إليها:

«... و من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبيون فى نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسک، شجاع، جواد، طاهر، زاک، فمنهم خلفاء، و منهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن ... هكذا إلى عشرة ... و هم: الحسن بن على، بن محمد، ابن على، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، بن الحسين، ابن على. و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، و لا من العجم إلخ ...» «۲».

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷.

(۲) آثار الجاحظ ص ۲۳۵.

ص: ۴۰۴

هذا ... و يجب أن لا يفوتنا هنا: التنبيه على أن الجاحظ كان فى البصرة، و الامام العسكرى (ع) كان فى سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشديدة.

و توفى الجاحظ قبل وفاة العسكرى بخمس سنين ...

و قد كان عمره (ع) عند ما ألف الجاحظ رسالته فى حدود اثنتين و عشرين سنة، لو فرض ان الجاحظ كان قد ألفها فى آخر يوم من أيام حياته ...

و لم يكن الامام العسكرى اعرف، و لا أشهر من آبائه الطاهرين (ع)، سيما الامام على، و الحسن، و الصادق، و الرضا عليهم السلام ...

بل كان الأئمة (ع)، بعد الرضا (ع)- مع نباهة شأنهم، و علو أمرهم- يسمون: ب «ابن الرضا»، و ذلک يدل على أنه (ع) كان أنبه من أبنائه الطاهرين، فكان يقال ذلک- يعني: ابن الرضا- للجواد، و الهادى بعده، بل و للعسكرى أيضا «۱»، و يؤيد ذلک قول أبى الغوث، اسلم بن مهموز المنبجى فى داليته المعروفة، التى يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضا فحسبک من هاد يشير إلى هاد«۲»

نعم ... إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسرى ذكرهم فى الآفاق، قد لا تجد حتى أسماءهم فى كثير من الكتب التاريخية ... مع أنک تجد ما شاء اللّه: من قصص المغنين، و الجوارى، و الاعراب، بل و حتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، و لا يغنى من جوع ...

---

(۱) راجع: قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۲۴۸، و الرسالة التى فى آخر ج ۱۱ من قاموس الرجال ص ۵۸.

(۲) سفينة البحار ج ۲ ص ۵۲۹، و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۱۳۳.

ص: ۴۰۵

كل ذلک خيانة للحقيقة، و تخليا عن الأمانة، التى أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التى تأتى بعدهم؛ حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، و يظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، و أيا كانت الأحوال ...

و إلا ... فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، و يبوءوا باثم الخيانة ...

هذا ... و لم يكن المجال مفسوحا أمام شيعة أهل البيت (ع)، ليتمكنوا من إظهار الحقائق كاملة؛ و ذلک بسبب ملاحقة الحكام لهم، و محاولات القضاء عليهم أينما كانوا، و حيثما وجدوا، و بأى ثمن كان ... و من قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، و قادتهم، القادة إلى الحق ...

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، و يرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار و الأمصار؟! ... و كيف لا يتنافى ذلک مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، و شيعتهم و مواليهم؟!، و محاولاتهم تصغير شأنهم، و طمس ذكرهم؟!.

سرّ اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

و للإجابة على هذا السؤال نقول: إن سرّ اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولا: إلى أن الحق فى الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء عليهم معناه القضاء على ذلک الحق، و تكريس الامور لهم، و فى صالحهم ...

و ثانيا: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئک الحكام، و لا يرضون عن أعمالهم، و سلوكهم الذى كان يتنافى مع مبادئ الاسلام و تعاليمه ...

ص: ۴۰۶

و ثالثا: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوكهم المثالى، و بشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، و على حكمهم ذاک غير الأصيل ...

إلى غير ذلک من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الاولى من الكتاب ...

و أما السبب فى تشجيعهم- فى تلک الحقبة من الزمن للعلم و العلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسية معينة، و فى الحدود التى كانت لا تشكل عليهم خطرا فى الحكم؛ لأن الحكم كان فى نظرهم هو كل شىء، و ليس قبله و لا بعده شىء، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله، و فى خدمته، حتى العلماء و المفكرون ...

و لم يكن جمعهم للعلماء من حولهم، و الاتيان بهم من كل حدب و صوب، إلا:

۱- ليكون أولئک العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية فى الامة تحت نظرهم، و سيطرتهم ...

۲- ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، و الوصول إلى كثير من مآربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة ...

۳- ليظهروا للناس بمظهر المحبين للعلم و العلماء؛ ليقوى مركزهم فى نفوسهم، و تتأكد ثقتهم بهم؛ إذ كان لا بد لهم، بعد أن تركوا أهل البيت عليهم السلام، من الاستعاضة عنهم بغيرهم، و دفع شكوك و شبهات الناس عن أنفسهم ...

۴- محاولة التشويش بذلک على أهل البيت عليهم السلام، و طمس ذكرهم، و اخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلى ذلک سبيلا ... و لكن ...

يأبى اللّه إلا أن يتم نوره ...

ص: ۴۰۷

و يتفرع على ما سبق:

و إذا تحقق لدينا أنهم إنما كانوا يقدرون العلم و العلماء لاهداف سياسية معينة كما أوضحنا ... فلسوف لا نستغرب إذا رأينا:

أنهم كانوا إذا شعروا بالخطر يتهددهم من قبل أية شخصية، و لو كانت علمية، لا يترددون فى القضاء عليها، و التخلص منها، بأى وسيلة كانت ...

قال أحمد أمين: إن المنصور كان «يقرب المعتزلة إذا شاء، و يقرب المحدثين و الفقهاء، ما لم تقض تعاليم أحدهم بشىء يمس سلطانه؛ فهناک التنكيل ...» «۱».

و قال السيد أمير على: «... كان خلفاء بنى العباس يسحقون كل اختلاف معهم فى الرأى بصرامة. و حتى الفقهاء المعاصرون كانوا عرضة للعقاب؛ إذا تجرءوا على الافصاح عن رأى لا يتفق و مصلحة الحاكمين ...» «۲» ...

و لقد رأينا المنصور يدس السم لأبى حنيفة، و يضيق على الإمام الصادق- الذى لم يبايع لمحمد بن عبد اللّه العلوى-، و ضيق على من تلاه من ذريته، و لا حق تلامذته و محبيه ...

لكنه لم يقتل عمرو بن عبيد، و لا أهانه بل مدحه بقوله:

كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد...

رغم أن عمرا هذا كان قد بايع لمحمد بن عبد اللّه العلوى، و رغم أن مذهبه يفرض عليه الخروج على النظام؛ لأن من أصول المعتزلة الخمسة،

(۱) ضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۰۲، و لا بأس أيضا بمراجعة ج ۲ ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) روح الاسلام ص ۳۰۲.

ص: ۴۰۸

التى يكون الانسان بها معتزليا هو: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و عملا بهذا الأصل كان عمرو هذا قد خرج مع يزيد الناقص سنة ۱۲۶ ه.

على الوليد بن يزيد- لم يفعل المنصور مع ابن عبيد إلا كل ما يقتضى الاجلال و التكريم بخلاف ما فعله مع أولئک- لأن عمرا- بخلافهم- قد تخلى عن مذهبه، و مالأ النظام، و كان المنصور، و من تبعه من الخلفاء يستفيدون منه، و من أضرابه، و لم يروا بأسا فى مبايعته لمحمد لكنهم لما لم يكونوا يستفيدون من أولئک نكلوا بهم، و فعلوا بهم الافاعيل رغم امتناعهم عن مبايعة محمد ... و إلا فما قيمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، كزرارة، و هشام، و محمد بن مسلم، و أضرابهم «۱» ...

عود على بدء:

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون- لسبب أو لآخر- اخفاء كل الحقائق التى ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهما؛ فكان لهم ما أرادوا على أيدى حفنة ممن يطلق عليهم اسم: «علماء»، فتلاعبوا، و دسوا، و شوهوا ما شاءت لهم قرائحهم، و أوحاه لهم تعصبهم المذهبى المقيت ...

و لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، و الطبرى،

(۱) يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون القاء أسباب النزاع بين العلماء؛ بهدف صرفهم عن واقع الامة، و عما يجرى و يحدث فى مخادع الخلفاء، و داخل قصورهم. و لعل ذلک هو السر فى عنايتهم بالترجمة، و إدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الاسلامية ... و لذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلک كالمقريزى فى النزاع و التخاصم ص ۵۵، و غيره ... و لكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، و لعلنا نوفق لذلک فى مجال آخر ...

ص: ۴۰۹

و أبو الفداء، و ابن العبرى، و اليافعى و ابن خلكان ... كانوا من أولئک الذين ظلموا الحقيقة و التاريخ، بل و أنفسهم، عند ما أرخوا للامة الاسلامية، و كتبوا فى أحوالها، و أوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الانصاف و الحيدة فيما أرخوا، و فيما كتبوا ...

و لعل من جملة سقطات هؤلاء الشنيعة، التى لم يخف على أحد تعصبهم فيها، و انقيادهم للحكام، و الهوى الأعمى فى بيانها، قضية:

«كيفية وفاة الإمام الرضا (ع) ...»؛ حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه: «أكل عنبا؛ فأكثر منه؛ فمات ...» «۱».

و كأنّ ابن خلدون، الاموى النزعة، يريد أن يتابعهم فى ذلک؛ حيث قال فى تاريخه: «و لما نزل المأمون مدينة طوس، مات على الرضا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث و مائتين، من عنب أكله ...» «۲».

و لعله نسى ما ذكره هو نفسه من ثورة ابراهيم بن موسى على المأمون لاتهامه اياه بقتل أخيه. كما سيأتى.

ما عشت أراک الدهر عجبا:

و هو كلام عجيب حقا:

فهل يعقل و يتصور أن يصدر هذا العمل من أى إنسان عادى، فضلا عن الإمام، الذى شهد بعلمه، و حكمته، و زهده، كل من عرفه، و كل من أتى من المؤرخين على ذكره؟!.

---

(۱) الكامل ج ۵ ص ۱۵۰، و الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۳۰، و تاريخ أبو الفداء ج ۲ ص ۲۳، و مختصر تاريخ الدول ص ۱۳۴، و مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۲، و وفيات الأعيان طبع سنة ۱۳۱۰ ه ج ۱ ص ۳۲۱. لكن بعضهم قد حكى سمه بلفظ: قيل ...

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۰.

أ فهل يمكن أن يسمح أحد لنفسه أن يصدق بأن شخصا عاقلا، و حكيما، كالإمام (ع)، يسمح لنفسه بالاقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

و هل عرف عن الإمام فى سابق عهده: أنه كان اكولا، أو نهما إلى هذا الحد؟!، أى إلى حد أنه ينتهى به ذلک إلى قتل نفسه؟! ...

أم أن الزهد و التقوى و العلم، فضلا عن العقل و الحكمة ... تقضى و تحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذى من شأنه أن يؤدى بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسى ما كتبه فى رسالته الذهبية، التى كتبها للمأمون، و التى هى من أشهر و أجلّ الوثائق المأثورة عنه؟! ...

أم أنه (ع) لم يكن قد رأى العنب فى حياته؛ فأراد أن يغتنم هذه الفرصة الذهبية، لينال أكبر قدر تصل إليه يده؟! ...

لا ... لا هذا، و لا ذاک، و لا ذلک ...

و إنما العصبية المذهبية، و الهوى الأعمى ... هما اللذان فرضا على الإمام (ع) أن يأكل العنب، و يكثر منه، و يموت هذه الميتة ... حتى و لو لم يقبل بها العقل، و يصدق بها الوجدان ...

إن الإمام (ع) لو كان هو الحاكم، و المتسلط لم يمت هذه الميتة، بل كان مات على حسب ما اشتهى، و بالكيفية التى أراد ...

دعک من هؤلاء و أمثالهم؛ فإننى لا أرى: أن كلاما كهذا يستحق من العناية أكثر من ذلک ... بل لا أرى أنه يستحق شيئا من العناية على الاطلاق ...

دعک منه ... و ذره لأهله فى سنبله!! ...

و تعال معى لننظر الى ما يقوله الآخرون، ممن أرخو للامة، و تحدثوا عن ماضيها؛ فقد نجد فى كلامهم ما ينقع الغلة، و يشفى الغليل ...

ص: ۴۱۱

قول فريق آخر من المؤرخين:

و إننا بعد القاء نظرة سريعة و عابرة على أقوال المؤرخين فى هذا المجال، نستطيع أن نلاحظ: إلى أى حد اضطربت كلماتهم فى هذه القضية، و تباينت اتجاهاتهم ...

فعدا عن أولئک القلة الذين تحدثنا عنهم آنفا نرى:

فريقا ثانيا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بيان السبب، ثم سكتوا، أو عقبوا ذلک بقولهم: «و قيل: إنه مات مسموما» و من هؤلاء اليعقوبى فى تاريخه ج ۳ ص ۸۰. و إن كان يظهر من عبارته اختيار مسموميته، و ابن العماد فى شذرات الذهب، و غيرهم.

و لعل هؤلاء ممن جازت عليهم لعبة المأمون، و انطلت عليهم حيلته، و أقنعتهم الحجج الواهية الآتية التى يسوقها الفريق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع) ... أو لعلهم لم يكونوا بصدد بحث هذا الأمر و تمحيصه ...

أو لأنهم لم يستطيعوا أن يصدعوا بالحقيقة؛ لما كانوا يخشونه من سطوة الحكام، و بطشهم. و لم يريدوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، فآثروا السكوت، و اهمال ذلک، على أمل أن يقيض اللّه من يصدع بالحق و يكشف عن الواقع ... إلى غير ذلک من الاحتمالات، التى قد يجد بعضها شواهد تاريخية كثيرة ...

رأى فريق ثالث فى ذلک:

و هناک فریق آخر یری أنه (ع) مات مسموما، و أن الذی دس إلیه السم هم العباسیون ... و هذا هو رأی السید أمیر علی، و أشار إلیه

ص: ۴۱۲

أحمد أمین «۱» أیضا ...

و هذا الرأی لیس له أی شاهد أو سند تاریخی إلا ما نقل عن الاربلی انه قال: «فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلی أولاد علی، سقوا علی بن موسی سما؛ فتوفی بطوس فی رمضان» «۲». و هو عدا عن أنه کلام مبهم؛ فإن، الشواهد کلها علی خلافه ... کما قدمنا و سیأتی ...

و لذا فهو لا یحتاج إلی کبیر عناء فی رده و تفنیده ...

و رأی آخر یقول:

إنه (ع) مات مسموما من قبل المأمون، و لکن بإشارة الفضل، و اغرائه.

و نری نحن بدورنا: أن المأمون لم یکن بحاجة إلی حث و اغراء، بعد أن کان یری أن وجود الإمام (ع) یشکل خطرا محققا علیه، و علی کل بنی أبیه من بعده. و نحن- و إن کنا لا نستبعد أن یکون هذا الرأی قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون- السلطة- إلا أننا لا نضایق فی أن الفضل، الذی قتل قبل الإمام (ع) بمدة!!! کان من الراغبین فی التخلص من الإمام، و لا سیما إذا لاحظنا: أنه کان یشکل عقبة کبری فی طریق نفوذه و قوته و سلطانه ... و لکننا لا نوافق علی أن المأمون کان لا یرید ذلک، و إنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذی کان قد قتل قبل ذلک بزمان!!! ...

---

(۱) روح الاسلام للسید أمیر علی ص ۳۱۱، ۳۱۲. و أما أحمد أمین فقد أشار إلیه فی عبارته الآتیة عما قریب بقوله: «فان کان حقا قد سم، یکون سمه أحد غیر المأمون؛ من دعاة البیت العباسی».

(۲) الامام الرضا ولی عهد المأمون ص ۱۰۲، عن خلاصة الذهب المسبوک ص ۱۴۲.

ص: ۴۱۳

و قد تحدثنا فی فصل: أسباب البیعة لدی الآخرین، و غیره من الفصول، و سیأتی الحدیث بما فیه الکفایة إن شاء اللّه تعالی ...

و رأی فریق خامس یقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، و لا يقبل أبدا بأنه (ع) مات مسموما، و يورد لذلک الحجج و البراهين التى رأى أنها كافية للدلالة على أنه (ع) لم يمت مسموما.

و نذكر من هؤلاء سبط ابن الجوزى، حيث قال- بعد أن أورد خبر وفاته، و حكى القيل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فيه عنب قد أدخلت فيه الابر المسمومة، من غير أن يظهر أثرها، فأكله، فمات- قال بعد ذلک: «و زعم قوم: أن المأمون سمه، و ليس بصحيح؛ فإنه لما مات على توجع له المأمون، و أظهر الحزن عليه، و بقى أياما لا يأكل طعاما، و لا يشرب شرابا «۱»، و هجر اللذات إلخ ...» «۲».

لكن عبارة سبط ابن الجوزى هذه تقتضى أنه ينكر أن يكون المأمون هو الذى سمه، و لا ينكر أن يكون (ع) قد مات بسم غير المأمون.

و قد تابعه الاربلى فى كشف الغمة على ذلک، محتجا بعين ما احتج به، و أضاف إلى ذلک: أن سمه إياه يتنافى مع اكرامه له، و أنه كان ينبه على علم الرضا، و شرف نفسه و بيته إلخ ...

---

(۱) فى تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۱: أن المأمون بقى ثلاثة أيام مقيما عند قبر الرضا (ع)، يؤتى كل يوم برغيف و ملح؛ فيأكله. ثم انصرف فى اليوم الرابع.

(۲) تذكرة الخواص ص ۳۵۵.

و أما أحمد أمين فيقول: إن ذلک بعيد؛ لأن المؤرخين «يروون حزن المأمون الشديد عليه، كما يروون أن المأمون بعد موته، و بعد انتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة ... إلى أن قال: فإن كان حقا قد سم، يكون قد سمه أحد غير المأمون، من دعاة البيت العباسى ...»

ثم استشهد لذلک أيضا بمناظرة المأمون للعلماء فى تفضيل الإمام على (ع)، و التى ذكرها ابن عبد ربه فى العقد الفريد، و بأنه ظل يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه «۱».

و صاحب كتاب عصر المأمون يستند فى استبعاده لذلک إلى تلک الرعاية التى أظهرها المأمون له، و ذلک الاحترام و التقدير، الذى كان يحيطه به، و خصوصا بعد أن توثقت عرى المودة بينهما بالمصاهرة ... و يضيف إلى ذلک أيضا: أن نفسية المأمون، و خلقه، يأبيان- على زعمه- عليه ذلک ...

و عقد ولاية العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدليل القاطع على حسن نية المأمون، و سلامة طويته ...

و الدكتور أحمد محمود صبحى يرى: أن قضية مسمومية الرضا (ع) هى من مختلقات الشيعة «الذين لم يجدوا تناقضا بين الحظوة التى كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولاية العهد، و تزويجه أخته «٢»، و بين أن يدس له المأمون السم فى العنب، ثم يصلى عليه، و يدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد؛ فقد أصبح مقدرا على الأئمة منذ الحسن: أن يكون قاتلوهم هم:

الخلفاء، أو بإيعاز منهم ...» «٣».

---

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) قد اتفق المؤرخون تقريبا على أن المأمون قد زوج للرضا عليه السلام «ابنته» و ليس اخته.

و لم يذكر أنها اخته إلا شاذ منهم لا يعتد به، و هو الذى يتشبث به الدكتور هنا، و لعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الامام مع سن ابنته آثروا أن يجعلوها اخته ... و أيا كانت الحقيقة فان مقصود المأمون هنا حاصل ...

(٣) نظرية الإمامة ص ٣٨٧.

هذه هى الحجج، التى حاول هؤلاء إقامتها على صحة ما ذهبوا إليه، من براءة المأمون من دم الامام (ع).

ملخص ما سبق:

و من أجل التسهيل على القارئ نعود فنوجز ما ذكروه من الأدلة فى النقاط التالية:

١- عقده له ولاية العهد من بعده ...

٢- إكرامه و تقديره له، و تنبيهه على شرفه، و علمه و فضله، و بيته.

٣- تزويجه ابنته، الأمر الذى كان سببا فى توثيق عرى المودة بينهما.

۴- احتجاجه على العلماء فى تفضيل على (ع) على جميع الخلق ...

۵- إظهاره الحزن و التوجع لوفاته، و هجره الطعام و الشراب، و اللذات لذلک.

۶- دفنه له بجوار أبيه الرشيد، و صلاته عليه ...

٧- بقاؤه بعد وفاته على لباس الخضرة حتى دخل بغداد ...

٨- إنه ظل يظهر العطف على العلويين رغم كثرة خروجهم عليه ...

٩- إن نفسية المأمون و خلقه يأبيان عليه ذلک ...

١٠- إن ذلک من مختلقات الشيعة؛ حيث كتب على أئمتهم بعد الحسن أن يموتوا بسم الخلفاء، أو بإيعاز منهم ...

آفة ذلک: هل هو الجهل، أم التعصب:

هذا ملخص أدلة ما ذهبوا إليه من عدم دس المأمون السم للإمام (ع)، و نحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم يطلعوا على الحقائق اطلاعا كافيا، يخولهم

إصدار أحكام صائبة، فى قضايا هى من أكثر المسائل التاريخية تعقيدا، بل و غموضا و ابهاما، كقضية حقيقة ظروف و علاقات المأمون بالرضا؛ فحكموا على الامور حكما سطحيا، لا يلبث أن ينهزم أمام المنطق السليم و النظر الصائب.

و إما أنهم جروا على ديدن أسلافهم فى التعصب على الأئمة (ع)، و المجاراة لأهوائهم، و لخلفائهم فى طمس معالم الحقيقة، التى كان يضر أولئک الخلفاء أكثر من غيرهم إظهارها، و معرفة الناس لها ...

نحن ... و ما يقوله هؤلاء:

إن كل ما ذكره هؤلاء لا يمكن أن يمنع المأمون من التدبير فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر من قبل بوزيره الفضل بن سهل، الذى أراد أن يزوجه ابنته، و كما دبر فى قائده الكبير هرثمة بن أعين، الذى قتله فور وصوله إلى مرو، دون أن يستمع لشكواه، أو يصغى إلى دفاعه عن نفسه «١»، و كما دبر فيما بعد بطاهر و أبنائه «٢» و غيرهم،

---

(١) هكذا ذكر بعض المؤرخين. و قال ابن خلدون فى تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥ و ٢٤٩: إنه حبس، ثم دس عليه المأمون من قتله ... و فى معارف ابن قتيبة ص ١٣٣ طبع سنة ١٣٠٠ ه.

قال: «... فلما سمع حاتم بن هرثمة ما صنع أبوه كاتب الأحرار هناک، و الملوک، و دعاهم إلى الخلاف؛ فبينما هو على ذلک أتاه الموت؛ فيقال: إن سبب خروج بابک كان ذلک ...».

و من يدرى فلعل المأمون قد دبر بحاتم بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر فى الكثيرين قبله و بعده ...

و فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٦: أن أهل بغداد ثاروا، و أعلنوا العصيان بسبب قتل هرثمة. هذا ... و يقال: إن الفضل بن سهل قد عمل على قتل هرثمة. و لا بأس بمراجعة تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ٢٨٩، و غيره ...

(٢) فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٦٠، و مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٦، و وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٧، طبع سنة ١٣١٠: إن سبب وفاة طاهر هو أن المأمون عند ما ولاه

و غيرهم، ممن كان يختلهم واحدا فواحدا- على حد تعبير عبد اللّه بن موسى فى رسالته له- سواء من العلويين أو من غيرهم ...

مع أن هؤلاء كانوا وزراءه و قواده، و لهم من الفضل عليه، و على دولته ما لا يمكن أن يخفى على أحد؛ فإنهم هم الذين وطدوا له دعائم حكمه، و بسطوا نفوذه و سلطانه على البلاد، و أذلوا له العباد، و قامت دولته بأسيافهم، و على أكتافهم ...

لقد ختلهم واحدا فواحدا ... مع أنه كان يظهر لهم من الحب و التقدير ما لا يقل عما كان يظهره للامام ... و حسبنا أن نذكر هنا: أنه قتل أخاه و عمل برأسه ما تقدمت الاشارة إليه من أجل الملك و السلطان فكيف لا يقتل الرضا من أجل الملك و السلطان، أيضا ... ثم يتستر على فعلته بتلك الظواهر التى لا تضره؟! أم يعقل أن يكون الرضا أعز من هؤلاء جميعا ... و حتى أعز عليه من أخيه الذى قتله؟! ...

و أما تظاهره بالحزن و الاسى لوفاة الامام (ع) إلخ ... فما أدرى إن كان هؤلاء يريدون من ذلك الأفعى الداهية: أن يظهر الفرح و الاستبشار بموت الامام (ع)!!.

و هل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظيم عليه «١» و تتبع قتلته

خراسان، أهداه غلاما ليخدمه، و دفع إليه سما لا يطاق، فسمه الخادم فى كامخ، فمات من ليلته. و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٢٤: أن الذى أهداه الغلام هو أحمد ابن أبى خالد وزير المأمون، ليقتله إذا فارق الطاعة؛ فقتله بأمر من المأمون ... و فى تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٩٢: أن المأمون تآمر عليه فقتله ... و المؤرخون متفقون على أن المأمون كان يضمر له الشر و الخيانة ...

و النتيجة هى: أن طاهرا يموت- بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، و يبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك و الشبهات.

(١) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٣٢٢، و مآثر الانافة ج ١ ص ٢١١.

و قد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل فى ما تقدم فلا نعيد ...

و قتلهم. و أرسل رءوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟!. و لكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر بابراهيم ابن شكلة، و أسقطه و حجبه و عزله عما كان فى يده «۱».

و قتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن اكثم إلى الرقة، لينوب عنه فى تقديم التعازى، لولده عبد اللّه، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر ...؟! «۲».

و قتل محمد بن جعفر، ثم جاء و جمل نعشه، و قال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة؟! ...

و غيرهم و غيرهم، ممن لا مجال هنا لتتبع أسمائهم و أحوالهم ... أما مواقفه و تصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، و لا أعارها أى منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟! ...

و كيف يتفق كل ما ذكرناه- و خصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، و تخريبه بغداد، و أيضا قتله لسبعة من أخوة الإمام و اضطهاده للعلويين كما سنبينه، و كتابه للسرى عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ ... كيف يتفق كل ذلک، و سائر أفاعيله التى قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون و نفسيته؟! ... و لا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته و خلقه الكريم؟!. و هل قتل أولئک مع إظهار المحبة و الاكرام لهم

---

(۱) لطف التدبير ص ۱۶۶.

(۲) و لقد كان يؤكد براءته من تلک الجرائم بأساليب مختلفة اخرى، و يرضى جميع الأطراف، فهو يرضى العباسيين بقتل الرضا. و يرضى العلويين باستقدام الجواد- ولد الرضا- من المدينة، و إكرامه إياه. و يقتل الفضل، و يرضى الحسن أخاه، بما ذكرنا، و يقتل طاهرا، و يرضى أبناءه بتوليتهم مكانه، و يبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا ...

حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، و على هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حنكة المأمون و دهائه السياسى ...

لا يتنافى مع نفسيته و خلقه الكريم؛ و يتنافى قتل الإمام مع الاكرام و المحبة له و للعلويين مع نفسيته و خلقه الكريم أيضا؟! ...

و أيضا هل بعد كل ذلک، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، و دس السم إليه؟! و لقد بينا فى فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، و تزويج ولده الجواد، و تزويج الفضل أيضا ... و تحدثنا أيضا عن السبب فى لباسه الخضرة، و دوافع ولاية العهد، و غير ذلک من أمور.

بل نجرؤ على القول هنا: إن المأمون قد اكره الامام (ع) على هكذا زواج؛ إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهدا فى الدنيا ... يقدم و يرغب فى زواج طفلة و من هى بالنسبة إليه بمنزلة حفيدته، بل أصغر؛ حيث كان يكبرها بحوالى أربعين

سنة ... ثم لا يكون هناک سرّ آخر يكمن وراء مثل هكذا زواج؟!، إلا أن يدعى هؤلاء: أن ذلک يتفق مع العقل و الحكمة، و ينسجم مع زهد الامام فى الدنيا، و انصرافه عنها ...

و إذا كان ثمة سرّ آخر يكمن وراء ذلک الزواج، فان ما تجدر الاشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يستطيع التصريح بحقيقة الأمر، و واقع القضية إلى آخر ما قدمناه فى فصل: ظروف البيعة.

و أما قوله بتفضيل على (ع) على جميع الخلق ... فاننا إن لم نقل:

أنه كان من ضمن المخطط، الذى كان قد رسمه للوصول إلى مآربه و أهدافه- كما اتضح فى فصل ظروف البيعة ... فاننا- و نحن نرى تباين مواقفه و تصريحاته- نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق فى مواقفه السياسية من مواقف عقائدية ...

و أما إكرامه للعلويين ... فقد تقدم تصريحه فى كتابه للعباسيين: بأن ذلک ما كان منه إلا سياسة و دهاء ... و تقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع)

ص: ۴۲۰

قد أخذهم بلبس السواد، و منعهم من الدخول عليه ... و أنه كان يختلهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد اللّه بن موسى.

و سيأتى بيان أنه قتل سبعة من اخوة الإمام (ع) ... و أنه أمر الولاة و الحكام بالقبض على كل علوى ...

و أما ما ذكره أحمد أمين: من كثرة خروج العلويين عليه ...

فإننا لم نجد، و لم نسمع ذكرا فى التاريخ لثورة قامت ضد المأمون، بعد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبد الرحمن بن أحمد فى اليمن، و التى كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، و ظلمهم ... و سوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيهم كما سيأتى ...

و لم يبق ثمة إلا نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشيعة ... و أنهم انما اختلقوها و ابتدعوها بدافع من الشعور بالحاجة إلى مثل هذه التزويرات؛ إذ قد كتب إلخ ...

فهى دعوى تكذبها جميع الشواهد و الدلائل التاريخية ... هذا بالاضافة إلى أن السنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشيعة له بها، و الشيعة إنما يعتمدون فى ذلک على كتب أهل السنة، التى استفاضت فى اتهام المأمون بذلک، و التى يؤيدها الكثير مما قدمناه فى هذا الكتاب، و غيره ...

و هكذا ... يتضح أن كل ما ذكره هؤلاء لا يصلح ما نعا و لا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشهاد الإمام (ع) ... بل جميع الدلائل و الشواهد متضافرة على خلاف ذلک حسبما فصلناه فى الفصلين المتقدمين و غيرهما، و لو لا أن تعداد مواقف

المأمون مع الإمام و تصريحاته يستلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضطرنا إليه ... لا استطعنا أن نحشد الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد، التى تؤكد سوء نية المأمون، و خبث طويته تجاه الإمام (ع) ... فما استند إليه هؤلاء فى حكمهم ذاک،

ص: ۴۲۱

لا يصلح للاستناد إليه، و لا للاعتماد عليه، و إن صيغ بعبارات منمقة، و أساليب مختلفة، فيها الاغراق و المبالغة أحيانا، و يبدو عليها الاتزان و الموضوعية أحيانا أخرى ...

و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالى:

و إلا ... فاننا نرى: أن لنا كل الحق فى توجيه السؤال التالى إلى كل من يكابر، و يصر على براءة المأمون، و حسن نيته، و السؤال هو:

إنه إذا كان قد عرض ولاية العهد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد اللّه بن موسى؛ فلما ذا لم يجعل ولد الرضا «الجواد» وليا لعهده، مع أنه كان زوج ابنته، و ولد ولى عهده، الذى أظهر عليه الحزن و الجزع، و مع أنه كان قد اعترف له بالعلم، و الفضل و التقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!! ...

و لا مجال هنا للإصغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه ...، إذ أن جعله وليا للعهد لا يعنى تسليمه بالفعل أزمة الحكم و السلطان ... و قد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، و أخوه الأمين البيعة لمن كانوا أصغر من الجواد سنا، و لمن لم يكن له من العقل و الحكمة و الدراية ما كان للجواد (ع) ...

هذا بالاضافة إلى أن صغر سنه لم يكن ليضره، بعد أن كان من أهل بيت زقوا العلم زقا، و بعد أن شهد المأمون، و اعترف له العباسيون بالعلم و الفضل، بعد ذلک المجلس الذى أجاب فيه يحيى بن اكثم عن مسائله، حيث كان العباسيون قد بذلوا له الأموال الطائلة ليقطعه عن

ص: ۴۲۲

الحجة!! «۱». راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرة ...

رأى الفريق السادس: الرأى الحق:

و أما ذلک الفريق الذى يرى: أنه (ع) مات مسموما دون شک، و الذين أشار إليهم سبط ابن الجوزى بقوله: «و زعم قوم أن المأمون قد سمه»- أما هؤلاء، فكثيرون:

و يمكننا أن نقول: إن ذلک مما تسالم علیه الشیعة رضوان اللّه علیهم، ما عدا المرحوم الإربلی فی کشف الغمة، و نسب ذلک أیضا إلی السید ابن طاوس، و إلی الشیخ المفید قدس سره، و لکن ربما یستظهر من المفید أنه یذهب إلی مسمومیته؛ حیث ذکر أنهما- أی المأمون و الرضا- قد اکلا معا عنبا، فمرض الرضا، و تمارض المأمون!! ...

و اتفاق الشیعة علی ذلک لخیر دلیل علی أنه (ع) قد قضی شهیدا؛ لأنهم هم أعرف و أخبر بأحوال ائمتهم من غیرهم، و لیس لدیهم ما یوجب کتم الحقائق، أو تشویهها. فإذا ما سنحت لهم فرصة لاظهارها أظهروها، دون تکتم علی شیء، أو تشویه لشیء ...

و من أهل السنة، و غیرهم، طائفة کبیرة من العلماء، و المؤرخین، یعتقدون بأنه (ع) لم یمت حتف أنفه، أو علی الأقل یرجحون ذلک، و إن لم یغین کثیر منهم من فعل ذلک، أو أمر به ... و نذکر من هؤلاء علی سبیل المثال لا الحصر:

---

(۱) راجع الصواعق المحرقة، و الفصول المهمة، لابن الصباغ، و ینابیع المودة للحنفی، و اثبات الوصیة للمسعودی، و البحار، و اعیان الشیعة، و إحقاق الحق ج ۲ نقلا عن:

أخبار الدول للقرمانی، و نور الأبصار، و أئمة الهدی للهاشمی، و الاتحاف بحب الأشراف و مفتاح النجا فی مناقب أهل العبا إلخ ...

ص: ۴۲۳

ابن حجر فی صواعقه ص ۱۲۲.

و ابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمة ص ۲۵۰ و المسعودی فی اثبات الوصیة ص ۲۰۸، و فی التنبیه و الاشراف ص ۲۰۳، و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، و إن کان فی مکان آخر من مروجه قد حکی ذلک بلفظ: قیل ...

و القلقشندی فی مآثر الانافة فی معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۱.

و القندوزی الحنفی فی ینابیع المودة ص ۲۶۳، و غیرها ...

و جرجی زیدان فی تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الثانی جزء ۴ ص. ۴۴.

قال: «و فکر فی بیعته علی الرضا، فأعظم أن یرجع عنها، و خاف إذا رجع أن یثور علیه أهل خراسان، فیقتلوه، فعمد إلی سیاسة الفتک، فدس إلیه من أطعمه عنبا مسموما، فمات».

و ذکر ذلک أیضا فی آخر صفحة من کتابه: الأمین و المأمون.

و أبو بكر الخوارزمى يقول فى رسالته: «و سم على بن موسى الرضا بيد المأمون» و قد تقدم شطر كبير من هذه الرسالة ... و يؤيد قوله هذا بعض ما تقدم بالاضافة إلى عدة روايات ليس هنا محل ذكرها ...

و أحمد شلبى فى: التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٠٧ يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا، و خلع الخضرة إلخ ...

و أبو الفرج الأصفهانى يقول فى مقاتل الطالبيين: «و كان المأمون عقد له على العهد من بعده، ثم دس إليه- فيما ذكر- بعد ذلك سما فمات».

و ذكر استشهاده أيضا أبو زكريا الموصلى فى تاريخ الموصل ١٧١/ ٣٥٢.

ص: ۴۲۴

و ابن طباطبا فى الآداب السلطانية ص ٢١٨.

و الشبلنجى فى نور الابصار ص ١٧۶، ١٧٧ طبع سنة ١٩۴٨ يروى ذلک أيضا.

و يروى ابن حجر عن الحاكم فى تاريخ نيسابور أنه قال: «استشهد على بن موسى الرضا بسناآباد» ...

و هو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان «١».

و السمعانى أيضا فى أنسابه ج ۶ ص ١٣٩، يذهب إلى استشهاده (ع).

و ينقل القندوزى ذلک عن محمد پارسا البخارى فى كتاب فصل الخطاب.

كما و ينقله عن اليافعى؛ فراجع ص ٣٨۵ من ينابيع المودة ...

و فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال ص ٢٧٨ ينقل ذلک عن سنن ابن ماجة القزوينى ...

و ينقل ذلک أيضا عن السلامى فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ خراسان «٢».

و عن البيهقى فى تاريخ بيهق.

و عارف تامر فى كتابه: الامامة فى الاسلام ص ١٢۵ يقول بذلک أيضا ...

و نقله فى احقاق الحق (الملحق) ج ١٢ ص ٣۴۶ فصاعدا عن:

النبهانی فی جامع کرامات الأولیاء ج ۲ ص ۳۱۱.

و عن السید عباس بن علی بن نور الدین فی نزهة الجلیس ج ۲ ص ۶۵.

و عن المناوی فی الکواکب الدریة ج ۱ ص ۲۵۶.

و عن ابن طلحة فی مطالب السؤل ص ۸۶ ...

---

(۱) تهذیب التهذیب لابن حجر ج ۷ ص ۳۸۸، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۵۴.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶.

و عن الهاشمی الأفغانی فی کتابه: «أئمة الهدی ص ۱۲۷.

و عن البدخشی فی: مفتاح النجا ص ۱۸۱ (مخطوط).

و عن الجوزجانی الحنفی فی: طبقات ناصری ص ۱۱۳.

و ذکر ذلک أیضا صاحب کتاب عیون الحدائق ص ۳۵۷.

و أخیرا فقد قال الدکتور کامل مصطفی الشیبی فی کتابه: الصلة بین التصوف و التشیع ص ۲۲۶: «... و مات الرضا مسموما، کما یری أکثر المؤرخین».

و هذا غیض من فیض ... و حسبنا ما ذکرنا هنا؛ فإننا لو أردنا تتبع ما قیل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلی وقت طویل ...

هذا کله ... بالنسبة إلی أقوال المؤرخین ...

صدی قتل الرضا فی نفس زمن المأمون:

و أما إذا راجعنا کتب التاریخ أنفسها؛ فإننا نستطیع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم علی ید المأمون کان شائعا و معروفا بین الناس فی ذلک الزمان، أعنی: زمن المأمون نفسه، و متسالما علیه فیما بینهم ...

فلقد تقدم فی الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس یتهمونه: بأنه قد اغتاله و قتله بالسم!!.

و ورد أيضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا و قالوا: إن هذا قتله و اغتاله- يعنون المأمون-، و اكثروا من القول و الجلبة، حتى أرسل إليهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبی الحسن يخبرهم:

أن أبا الحسن لا يخرج فی ذلک اليوم؛ خوفا من الفتنة «۱» ...

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۳۰، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۹، ۳۰۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۲.

ص: ۴۲۶

كما و أن عبد اللّه بن موسى يصرح فی رسالته التی أرسلها إلى المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من اطعامه العنب المسموم، و ستأتی هذه الرسالة بتمامها فی أواخر هذا الكتاب ...

و سئل أبو الصلت الهروی: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه إياه و محبته له؟!.» فجاء فی آخر جوابه قوله: «فلما أعيته الحيلة فی أمره اغتاله؛ فقتله بالسم ...» «۱».

فإن هذا السؤال يكشف عن أن ذلک كان معروفا آنذاک بين الناس لكن الناس كانوا فی حيرة من ذلک؛ بسبب ما كانوا يرونه من اكرام المأمون للرضا (ع) فی الظاهر ...

و عن الطالقانی: «إنه كان متى ظهر للمأمون من الرضا علم و فضل، و حسن تدبير حسده على ذلک، و حقده عليه، حتى ضاق صدره منه؛ فغدر به فقتله».

بل لقد ذكر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهيم ابن الإمام موسى (ع) على المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخيه على الرضا (ع) «۲».

و يؤيد ذلک: أنه قد نقل الاتفاق من كل من ترجم لإبراهيم هذا على أنه مات مسموما، و أن المأمون هو الذی دس إليه السم، و قد أنشد ابن السماک الفقيه، حينما ألحده:

مات الإمام المرتضى مسموما | و طوى الزمان فضائلا و علوما

قد مات بالزوراء مظلوما كما | أضحى أبوه بكربلاء مظلوما

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، ۱۲۹.

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۱۵.

ص: ۴۲۷

إلى آخر الأبيات «۱» ... و ابراهيم هذا هو الذى كان قد خرج على المأمون فى اليمن قبل ذلک أيضا. كما أن المأمون قد دس السم إلى أخية زيد ابن موسى «۲»، الذى كان قد خرج عليه قبلا بالبصرة، و إن كان اليعقوبى يذكر أن المأمون قد عفا عن زيد و ابراهيم «۳» ... لكن من الواضح أن عفوه عنهما فى الظاهر بسبب خروجهما عليه فى البصرة و اليمن، لا ينافى أنه دس إليهما السم بعد ذلک بأعوام؛ بسبب مطالبتهما بدم أخيهما الرضا (ع).

كما أن بعض المصادر التاريخية تذكر: أن «أحمد بن موسى» أخا الامام الرضا ... لما بلغه غدر المأمون بأخيه الرضا، و كان آنذاک فى بغداد، خرج من بغداد للطلب بثأر أخيه، و كان معه ثلاثة آلاف من العلوية. و قيل: اثنا عشر ألفا ...

و بعد وقائع جرت بينه و بين «قتلغ خان»، الذى أمره المأمون فيهم بأمره، و الذى كان عاملا للمأمون على شيراز ... استشهد أصحابه، و استشهد هو، و أخوه «محمد العابد» أيضا «۴» ...

(۱) حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۴۰۸، و البحار ج ۴۸ ص ۲۷۸ باختصار.

و لكن فى وفيات الأعيان ج ۱ ص ۴۹۱ و صفة الصفوة ج ۳ ص ۱۷۷ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۱۶، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۳، و الطبرى فى أحداث سنة ۱۸۳:

أن وفاة محمد بن السماک كانت سنة ۱۸۳ ه. و أما وفاة ابراهيم فهى إما سنة ۲۱۰، أو سنة ۲۱۳؛ فلا يمكن أن يكون ابن السماک هو المتولى لحده، فضلا عن أن ينشد الشعر المذكور ... اللهم إلا أن يكون ابن السماک اثنين، أحدهما الفقيه، و الآخر: القصاص، أو لعل هناک تصحيف عمدى، أو عفوى من الراوى ...

(۲) البحار ج ۴۸ ص ۳۱۵، و كذا هامش ص ۳۸۶ منه و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۷۸ و عمدة الطالب ص ۲۲۱. و حياة الامام موسى بن جعفر.

(۳) مشاكلة الناس لزمانهم ص ۲۹.

(۴) راجع: كتاب قيام سادات علوى ص ۱۶۹ (فارسى)، و أعيان الشيعة ج ۱۰ من المجلد ۱۱ ص ۲۸۶، ۲۸۷، نقلا عن كتاب: الانساب، لمحمد بن هارون الموسوى

ص: ۴۲۸

و أيضا ... فإن شرطة المأمون قد قتلوا «هارون بن موسى» أخا الرضا؛ حيث إن هارون هذا كان فى القافلة التى كانت تقصد خراسان، و كانت تضم (۲۲) علويا، و على رأسها السيدة فاطمة أخت الرضا (ع) «۱».

فأرسل المأمون إلى هذه القافلة؛ فقتل و شرد كل من فيها، و جرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه و هو يتناول الطعام فقتلوه «۲». و أما زعيمة القافلة السيدة فاطمة بنت موسى (ع)؛ فيقال إنها هى الاخرى قد دس إليها السم فى ساوة؛ و لهذا لم تلبث إلا أياما قليلة و استشهدت «۳».

و آخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون: «حمزة بن موسى»، أخا الإمام (ع)؛ حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون «۴».

فيكون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)؛ لأنهم طالبوه بدم أخيهم، أو كادوا. و ألحق بهم ما شاء اللّه ممن تابعهم، أو خرج معهم ...

و يقول الكاتب الفارسى، على أكبر تشيد: «إن كثيرا من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان، أيام تولى الإمام العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل؛ و ذلک بسبب استشهاد الإمام (ع)، و أمر المأمون الحكام، و أمراء البلاد بقتل، أو القبض على كل علوى.» «۵».

النيشابورى. و راجع أيضا: مدينة الحسين (السلسلة الثانية) ص ۹۱، و البحار ج ۸ ص ۳۰۸، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۴۱۳ و فرق الشيعة هامش ص ۹۷ عن بحر الأنساب ط بمبئى و غير ذلک.

(۱) قيام سادات علوى ص ۱۶۱.

(۲) جامع الأنساب ص ۵۶، و قيام سادات علوى ص ۱۶۱، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲.

(۳) قيام سادات علوى ص ۱۶۸.

(۴) حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲.

(۵) قيام سادات علوى ص ۱۶۰.

ص: ۴۲۹

و فى الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلک:

بل إن دعبلا المعاصر للإمام و المأمون، يرثى الإمام (ع) فيقول:

شككت: فما أدرى أمسقى شربة فأبكيک أم ريب الردى فيهون

أيا عجبا منهم: يسمونک الرضا و يلقاک منهم كلحة و غضون

فدعبل لم يكن شاكا فى الأمر. بدليل البيت الثانى، أعنى قوله:

أيا عجبا منهم يسمونک إلخ ... و بدليل مرثيته الاخرى للإمام، التى يقول فيها:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه من ذى يمان و لا بكر و لا مضر

إلا و هم شركاء فى دمائهم كما تشارک أيسار على جزر

الى آخر الأبيات ... و مهما شككت فى شىء، فإننى لا أشک فى أن أقوال دعبل هذه هى التى دعتهم لاتهامه بالزندقة، و المروق من الدين ...

و يقول السوسى:

بأرض طوس نائى الأوطان إذ غره المأمون بالأمانى

حين سقاه السم فى الرمان«۱»

و القاضى التنوخى أيضا يقول:

و مأمونكم سم الرضا بعد بيعة فآدت له شم الجبال الرواسب«۲»

و أبو فراس أيضا يقول فى شافيته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۲۸، و فی الغدیر ج ۳ ص ۳۸۰ هکذا: «تود ذری شم الجبال إلخ ...».، و لعل الصواب فیه: «تهد ذری الخ ...».

ص: ۴۳۰

عصابة شقیت من بعد ما سعدت و معشر هلکوا من بعد ما سلموا

لا بیعة ردعتهم عن دمائهم و لا یمین، و لا قربی، و لا ذمم

و هکذا ... یتضح بما لا مجال معه للشک: أن کون المأمون هو الذی اغتال الإمام قد کان معروفا لدی الناس، و شائعا بینهم منذ ذلک الحین ...

و لا غرابة فی ذلک فلقد کان وعد حاجبه، و جمعا من العباسیین بأنه سوف یدبر فی الإمام بما یحسم عنه مواد بلائه!!.

الإمام و آباؤه علیهم السلام یخبرون بشهادته:

و بعد کل ما تقدم ... نری أنه لا بد لنا قبل أن نأتی علی آخر هذا الفصل من الاشارة إلی أن الإمام نفسه قد أخبر أکثر من مرة بأنه سوف یقضی شهیدا بالسم، بل لقد أخبر بذلک آباؤه الطاهرون، و غیرهم ممن عاشوا فی ذلک الزمان ...

و نستطیع أن نقسم هذه الروایات الکثیرة جدا إلی ثلاث طوائف:

۱- طائفة وردت علی لسان النبی (ص)، و الأئمة (ع): یخبرون فیها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) فی طوس، و هذه علی ما یبدو خمسة أحادیث.

۲- طائفة وردت عن الإمام نفسه، یخبر فیها بهذا الأمر، و بأن المأمون نفسه هو الذی سوف یقدم علی ذلک، و أنه سوف یدفن فی طوس إلی جنب هارون ...

و هذه الطائفة کثیرة جدا- و فی بعضها یصرح بذلک للمأمون نفسه، کما المحنا إلیه- حتی إنه زاد فی قصیدة دعبل؛ من أجل تتمیم قصیدته قوله:

ص: ۴۳۱

و قبر بطوس يا لها من مصيبة الحت على الأحشاء بالزفرات«۱»

۳- تلک الطائفة التی تشرح لنا کیفیة دس السم إلیه. و أنه بالعنب، أو بادخال الابر المسمومة فیه، أو بالرمان، أو بهما معا، أو بغیر ذلک ...

و هذه الطائفة کثیرة أیضا، و قد ورد بعضها عن الإمام نفسه. و قال بعض الکتاب: إنه تتبع هذه الروایات، فوجد انها تنتهی إلی ستة أشخاص، هم:

أبو الصلت عبد السلام الهروی، و الریان بن شبیب، و هرثمة بن أعین «۲» و محمد بن الجهم، و علی بن الحسین الکاتب، و عبد اللّه بن بشیر «۳» ...

و لکننی قد راجعت بدوری هذه الروایات؛ فوجدت: أن عددا آخر غیر هؤلاء قد رووا ذلک أیضا ...

و حتی الزیارة تؤکد علی استشهاده (ع):

و أخیرا ... فقد ورد فی الزیارة الجوادیة قول الامام الجواد (ع):

---

(۱) ینابیع المودة ص ۴۵۴، و مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۸، و البحار ج ۴۹ ص ۲۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۳، ۲۶۴.

(۲) لم یکن هرثمة حیا حین وفاة الامام، لأنه بعد مقتل أبی السرایا ذهب إلی مرو، فلم یمهله المأمون، و تخلص منه بعد أیام قلائل من وصوله، فروایته لکیفیة وفاة الامام علیه السلام لا تصح، إلا أن یکون هرثمة اثنین ... هذا و یلاحظ بعض التشابه بین روایة هرثمة، و روایة أبی الصلت ... فلعل الأمر قد اشتبه علی الراوی، أو أنه قد ذکر اسم هرثمة لحاجة فی نفسه قضاها ...

(۳) القائل بذلک هو علی موحدی فی کتابه: ولایة عهدی امام رضا ...

ص: ۴۳۲

«السلام علیک من إمام عصیب، و امام نجیب، و بعید قریب، و مسموم غریب «۱» ...»

و فی کامل الزیارة لابن قولویه، و هو من الکتب المعتمدة، و الموثوقة، و غیره: قد ورد قولهم (ع) فی زیارته: «قتل اللّه من قتلک بالأیدی و الألسن «۲»». و فقرة أخری فی زیارته تقول: «السلام علیک أیها الشهید السعید، المظلوم المقتول ... إلی أن قال: لعن اللّه أمة قتلتک، لعن اللّه أمة ظلمتک «۳»».

و أما قولهم (ع): أيها الصديق الشهيد، فهى موجودة فى غير مورد من زيارته، و فى مختلف الكتب الموردة لها.

القمة الشامخة الخالدة:

و الآن ... و بعد أن أصبح الصبح واضحا لكل ذى عينين، و بان و ظهر ما جهد المأمون و من يدور فى فلكه فى إخفائه و طمسه- الآن- قد آن لنا أن نقول:

فليكد المأمون كيده، و ليسع سعيه، و ليناصب جهده؛ فلقد بقى الإمام (ع)، رغم كل مؤامراته و دسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه الاهواء، و لم تنل منه العوادى ... و يبقى- و إلى الأبد- كعبة الزوار، و مهوى الأفئدة، من شرق الأرض و غربها ...

أما المأمون ... فيبوء بعارها و شنارها، و يذهب إلى ... لعنة اللّه و التاريخ.

---

(١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣.

(٢) كامل الزيارات ص ٣١٣، و مفاتيح الجنان ص ٥٠١، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧٠

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٩.

ص: ٤٣٣

دعبل و المأمون!!:

الموقف الجرىء

جاء فى أمالى الشيخ ج ١ ص ٩٨، ٩٩، و أمالى المفيد ص ٢٠٠، ٢٠١، و ط الحيدرية فى النجف ص ١٩٢- ١٩٣ و الاغانى ٨ ص ٥٧، و الغدير ج ٢ ص ٣٧٥، ٣٧٦ عنه، و عن ابن عساكر فى تاريخه ج ٥ ص ٢٣٣ و أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص ٩٤- ٩٥ ما يلى:

عن يحيى بن أكثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه اللّه، و آمنه على نفسه؛ فلما مثل بين يديه، و كنت جالسا بين يدى المأمون؛ فقال له: أنشدنى قصيدتک «الرائية»؛ فجحدها دعبل، و أنكر معرفتها؛ فقال له: لک الأمان عليها كما آمنتک على نفسک؛ فأنشده:

تأسفت جارتى لما رأت زورى | و عدت الحلم ذنبا غير مغتفر

ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائبها | و قد جرت طلقا فى حلبة الكبر

أجارتی: إن شیب الدهر یعلمنی ذکر المعاد، و أرضانی عن القدر

لو کنت ارکن للدنیا و زینتها إذن بکیت علی الماضین من نفر

ص: ۴۳۴

أخنی الزمان علی أهلی فصدعهم تصدع الشعب لاقی صدمة الحجر

بعض أقام، و بعض قد أصار به داعی المنیة و الباقی علی الأثر

أما المقیم: فأخشی أن یفارقنی و لست أوبة من ولی بمنتظر

أصبحت أخبر عن أهلی و عن ولدی کحالم قص رؤیا بعد مدکر

لو لا تشاغل عینی بالاولی سلفوا من أهل بیت رسول اللّه لم أقر

و فی موالیک للحرین مشغلة من أن تبیت لمشغول علی أثر

کم من ذراع لهم بالطف بائنة و عارض بصعید الترب منعفر

أمسی الحسین و مسراهم لمقتله و هم یقولون هذا سید البشر

یا أمة السوء ما جازیت أحمد فی حسن البلاء علی التنزیل و السور

خلفتموه علی الأبناء حین مضی خلافة الذئب فی إنفاد ذی بقر

قال یحیی: و أنفذنی المأمون فی حاجة؛ فقمت، فعدت إلیه، و قد انتهی إلی قوله:

لم یبق حی من الأحیاء نعلمه من ذی یمان، و لا بکر، و لا مضر

إلا و هم شرکاء فی دمائهم کما تشارک أیسار علی جزر

قتلا، و أسرا، و تخویفا و منهبة فعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلوا و لا أرى لبنى العباس من عذر

قوم قتلتم على الاسلام أو لهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

أبناء حرب، و مروان، و أسرتهم بنو معيط، ولاة الحقد و الوغر

اربع بطوس على قبر الزكى بها إن كنت تربع من دين على وطر

ص: ۴۳۵

قبران فى طوس: خير الناس كلهم و قبر شرهم، هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و لا على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه؛ فخذ من ذاک أو فذر

قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، و قال:

«صدقت و اللّه يا دعبل».

ص: ۴۳۶

كلمة ختامية:

و فى الختام:

فإننى أرجو أن اكون قد وفقت فى هذه الدراسة، للكشف عن الحقائق التى أريد لها أن تبقى طى الكتمان ... و أن يكون القارئ قد وجد فيها ما يصح أن يكون جوابا على الاسئلة الكثيرة، التى قد يثيرها لديه هذا الحدث التاريخى الهام، الذى لم يكن طبيعيا و عادّيا، كسائر ما يجرى و ما يحدث ...

الإكثار من النصوص التاريخية فى الكتاب:

و لعل المطلع على هذا الكتاب يكون قد لاحظ: أننى أكثرت فيه من النصوص التاريخية، و لم يكن هدفى من ذلک إلا أن لا يجد القارئ كبير عناء فى استخلاص الحقائق، بعيدا عن نزوات العاطفة، و عترات الميول ...

و لا شک أنه يكون قد لاحظ أيضا: أننى لم أحاول انتقاء ألفاظه، و لا صياغة جمله صياغة فنية أنيقة ... و إذا كنت مقتنعا بأن ذلک من مميزاته، و حسناته؛ لاعتقادى بأن ذلک هو ما تفرضه طبيعة البحث

ص: ۴۳۷

الموضوعى الهادئ ... فلسوف لا أستغرب، و لا أتألم إذا كان هناک الكثيرون، ممن يعتقدون أنه عيب و نقص، كان بالامكان تجنبه، و الابتعاد عنه ... و مع ذلک: فلن أجد نفسى مغبونا حين أقدم- بإخلاص- اعتذارى لهم، و طلب المسامحة، و غض النظر منهم ...

رجاء و اعتذار:

و إذا كان يجوز لى أخيرا: أن أطلب من إخوانى الاعزاء شيئا؛ فان رجائى الأكيد من كل من يقرأ كتابى هذا: أن يتحفنى بملاحظاته، و أن ينبهنى لما يجده، أو يراه خطأ، أو نقصا؛ فان الإنسان- إلا من اصطفى اللّه- معرض للخطأ و للصواب ... و إذا كان كثيرا ما يكون له فضل فيما أصاب؛ فكثيرا ما يكون له العذر أيضا فيما أخطأ ...

شكر و تقدير:

هذا ... و لا يسعنى هنا الا أن أتقدم بجزيل شكرى، و عميق تقديرى لسماحة حجة الاسلام المحقق السيد مهدى الروحانى، و لأصحاب السماحة و الفضيلة، من أساتذتى و إخوانى، الذين تفضلوا بمطالعة هذا الكتاب؛ حيث كان لآرائهم الصائبة، و توجيهاتهم السديدة، و ملاحظاتهم الدقيقة أكبر الأثر على هذا الكتاب، إن فى الشكل، و إن فى المحتوى ...

و أخيرا ... فإننى أتقدم أيضا بخالص شكرى، و فائق تقديرى للقارئ الكريم، الذى جعلنى مدينا له، بما منحنى من وقته، و عقله، و فكره ...

و أرجو أن أكون قد وفقت للفوز بثقته أيضا ...

و لا أطيل عليک- قارئى الكريم-؛ فقد كان الفراغ من نقله إلى

ص: ۴۳۸

المبيضة ليلة الأحد السابع من صفر، الساعة التاسعة منها سنة ۱۳۹۶ ه.

ق. الموافق ۸ شباط سنة ۱۹۷۶ م ش.

و الحمد للّه، و له المنة، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين ...

نزيل قم المقدسة جعفر مرتضى الحسينى العاملى

ص: ۴۳۹

رسالة نقد، و جوابها

و بعد ... فان سماحة الأخ الجليل، و الفاضل النبيل، الشيخ عفيف النابلسى حفظه اللّه، قد تفضل مشكورا برسالة ... أبدى فيها رضاه و اعجابه بالكتاب، ثم أشار فيها إلى المآخذ التالية:

۱- لقد ورد فى ص ۱۳۳: أن زبيدة، زوجة الرشيد، كانت تتشيّع ...

مع أن سلوكها، و ظروفها، و أجواءها، و أيضا تاريخ أهلها و ذويها- كل ذلک يبعدها كل البعد عن نسبة التشيع لها؛ لا بمعناه الخاص، و لا العام، الذى يعنى الوقوف مع الامام الكاظم عليه السلام ضد خصومه، و التعاطف معه، و الاستنكار للظلم ...

و إرادة الرشيد طلاقها لعله لمضايقتها له، فى محاولاتها منعه من التمتع بحسناوات القصر ... و أما إحراق قبرها فهو لعدم تمييز العامة بين قبرها، و بين قبور آل بويه ...

۲- جاء فى ص ۱۳۳ أيضا: أن نكبة البرامكة يقال: ان سببها هو تشيعهم للعلويين، و هذا لا يتلاءم مع موقف يحيى حينما شكا إلى الرشيد أمر الكاظم عليه السلام، و شحن صدره غيظا على العلويين، و بالأخص على الامام الرضا عليه السلام منهم ... مع أن هذا ينافى ما ذكر فى ص ۲۶۳ من أن البرامكة كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام ...

۳- ما جاء فى هامش ص ۳۵۵ من عدم الجزم بأن الابيات، التى أولها:

ذكروا بطلعتک النبى محمدا إلخ ...

هى للبحترى، و قد كان اللازم الجزم بذلک؛ لانسجام هذه الابيات مع سائر ابيات قصيدة البحترى ... هذا بالاضافة إلى أن الشاعر يقول: (حتى انتهيت الى المصلى لابسا) و معلوم أن الامام عليه السلام لم يصل إلى المصلى، بل رجع من وسط الطريق ... الأمر الذى يدل على أن الأبيات قد قيلت فى غير الامام عليه السلام، و قضية صلاته ...

ص: ۴۴۰

أما نحن فنقول:

و نستميح سماحة الأخ العذر، إذا أشرنا الى ما يلى ...

١- أما بالنسبة إلى النقطة الأولى، و هى تشيع زبيدة، فاننا نقول: إننا لربما نجدهم فى كتب التاريخ يقولون عن مثل المغيرة بن شعبة، و الاشعث بن قيس و امثالهما ممن بايع عليا عليه السلام فى خلافته، و كذلك كل من ناصر قضايا أهل البيت سياسيا، و بذل نفسه فى سبيلها: إنه من شيعة على عليه السلام و أهل البيت ... من دون نظر إلى سلوكه، و ميوله، و عقائده، و مذهبه ... و هذا الاطلاق كان فى الصدر الأول طبعا ... و المقصود منه: أنه من أتباع على و أهل البيت و انصارهم ...

و إذا تجاوز ناتلك المرحلة ... فاننا لا بد و أن نؤكد على الفرق بين كلمتى «شيعى»، و «تشيع» ... فان «الشيعى» فى اصطلاحهم هو من كان من الامامية، أو الزيدية، أو الكيسانية، أو غيرهم من فرق الشيعة.

و كلمة: «يتشيع»، أو «فيه تشيع» يقصد منها فى كتب المتقدمين من أهل السنة- كما يرى العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى- كل من كان يحب عليا عليه السلام، و أهل بيته الطاهرين، صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين ... و نشأت هذه الكلمة على شكل تهمة و طعن؛ بتاثير من الاجهزة الحاكمة، كمعاوية و المروانيين بعده، ثم كل الحكام المعادين لأهل البيت عليهم السلام؛ فكانت المحبة لأهل البيت- مجرد المحبة- تعدّ عند الناس أتباع السلطة الحاكمة جريمة كبرى، و عظيمة لا تغفر ... قال الكميت رحمه اللّه ...

بأى كتاب أم بأية سنة	ترى حبهم عارا على و تحسب
و طائفة قد كفرتنى بحبكم	و طائفة قالوا مسىء و مذنب
يعيبوننى من خبّهم و ضلالهم	على حبكم، بل يسخرون و أعجب

فمحبة آل الرسول كانت فى دولة بنى أمية تعدّ تشيعا، استبشاعا لها، و تقبيحا لأمرها، ثم زالت بشاعتها فى عصر بنى العباس لأمور تاريخية ذات طابع خاص، حتى كان يطلق على كل من كان من غير الشيعة كلمة «التشيع» ...

ص: ۴۴۱

و لأجل هذا قال ابن النديم فى الفهرست: إن الامام الشافعى كان شديد التشيع، و قالوا فى محمد بن جرير الطبرى: فيه تشيع يسير، و موالاة لا تضر ... مع أن من الواضح: انهما ليسا من الشيعة ... و هذا الاطلاق يوجد كثيرا فى كتب التراجم و الرجال فى مقام الجرح و التعديل ...

و على كل حال ... فان هذا الفرق بين «الشيعة» و «المتشيعة» قد خفى على سيدنا آية اللّه الامام شرف الدين رحمه اللّه؛ حيث إنه ... قد ذكر عددا ممن كان فيه «تشيّع» فجعلهم من «الشيعة» ...

و لعل الذى أوقعه فى الاشتباه هو أن بعض «أهل الجرح و التعديل» ممن تغلب عليه نزعة النصب، قد عدّ جماعة من هؤلاء «المتشيعة» من الروافض، توهينا لنزعتهم، و تسفيها لرأيهم فى محبة على عليه السلام و أهل بيته الطاهرين.

و هارون الرشيد كان ناصبيا، و قد تقدم فى فصل «موقف العباسيين من العلويين» و غيره بعض مواقفه و أفعاله ... فلعله لما رأى حب زوجته لأهل البيت أراد طلاقها ...

و واضح ... أن «التشيع» على النحو الذى ذكرناه، لا يتنافى، و لا يتعارض مع الاعلان عن مواقف هى ضد الجهة التى يتعاطف معها، بوحى من مصالحه المعيشية و الأمنية و نحوها ... كما أنه لا يتنافى، و لا يتعارض مع عدم الالتزام العملى بالتعاليم المذهبية، بل إنه قد يكون مستهترا عملا، و ينتهج سلوكا شاذا، و بعيدا عن روح و تعاليم الدين الحنيف. و مع ذلک يدّعى أنه ملتزم بدين، و منتم إلى مذهب، شأن الكثيرين من السياسيين من المعاصرين و غيرهم ... كما أنه لا ملازمة بين التشيع و بين وجوب القيام بثورة مسلحة ضد نظام الحكم القائم ... و عليه ... فتشيّع زبيدة ربما يكون مقتصرا على هذا التعاطف و الحب لأهل البيت، و لا يتنافى ذلک مع ما ذكره سماحة الأخ الكريم.

كما أن من البعيد جدا: أن لا يكون قبر زبيدة، أعظم عباسية فى التاريخ متميزا، و معروفا لدى الناس، حتى العامة منهم ... كما أن تعليل طلاقه لها بأنها:

كانت تضايقه، و تمنعه من التمتع بحسناوات القصر، ما هو إلا اجتهاد فى مقابل النص!! ...

ص: ۴۴۲

۲- و أما البرامكة، فان ما ذكره الأخ لم يغب عن بالى وقتها، و هو صحيح مائة بالمائة ... و لكنه لا يعنى أن النص الآخر كذب محض؛ إذ ربما يكون القصد منه: ليس أنهم كانوا يتشيعون حقيقة، و إنما المراد أنه: حين رأى الرشيد نفوذهم و قوتهم، و خافهم على الملک، تعلل عليهم بذلک؛ ليقتلهم، و يتخلص منهم ...

كما أنه ليس من البعيد ... أنهم كانوا يجارون التيّار، فيتظاهرون بالتشيع للعلويين؛ ليحافظوا على مكانتهم فى العامة ... فى نفس الوقت الذى كانوا يتآمرون فيه على آل على عليه السلام، و يبغون لهم فيه الغوائل، تماما، كما كان المتوكل يكرم الهادى عليه السلام فى الظاهر، و يبغى له الغوائل فى الباطن و الشواهد التاريخية على مثل هذا كثيرة جدا ...

۳- و أما قضية الشعر ... فاننا لا نصرّ على أنه للبحرى ... و إن كنا قد اشرنا إلى أن من الجائز أن يكون البحترى قد أخذه على سبيل الاستشهاد، و التضمين؛ فان ذلک أمر شائع و معروف بين الشعراء ... كما أننى قد بينت أن من الجائز أن يكون البحترى قد صحف عمدا أو سهوا فصار: البحرى ... كما أنه قد يكون العكس هو الصحيح. و أما أنه لم يصل الى المصلى، فان للشاعر ان يدعى ذلک اذا كان الامام (ع) قد قرب منه على سبيل المبالغة.

و بعد ... فاننا نستميح الأخ الشيخ العذر، و نسأل اللّه له دوام التوفيق و التسديد.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى ...

۲۲/ ۱/ ۱۴۰۰ ه. ق.

ص: ۴۴۳

وثائق هامة

۱- رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع).

۲- وثيقة ولاية العهد.

۳- رسالة المأمون الى العباسيين.

۴- رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون.

۵- رسالة سفيان إلى هارون.

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى.

ص: ۴۴۵

رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع)

هذه الرسالة:

هذه الرسالة هى التى أرسلها الفضل بن سهل إلى الامام (ع)، يطلب فيها منه القدوم، من أجل عقد ولاية العهد له ...

و قد اطلعت عليها فى وقت متأخر، و تحدثت عن بعض ما يمكن استخلاصه منها فى بعض فصول الكتاب ...

و نظرا لأهميتها ... فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامة، ليطلع عليها القارئ بنفسه ...

و قد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعى، الشافعى، القزوينى، المتوفى سنة ۶۲۳ ه. فى كتابه: «التدوين».

و الكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما فى مكتبة «ناصرية» القسم الثانى رقم ۷۸۲ فى لكنهو. و الاخرى: خطية أيضا موجودة فى الاسكندرية ... و هناک نسختان مصورتان عنهما: إحداهما: فى مكتبة دفتر تبليغات اسلامى فى قم مصورة عن نسخة لكنهو، و الاخرى:

فى مكتبة المرعشى النجفى العامة فى قم مصورة فى طهران عن نسخة الاسكندرية.

ص: ۴۴۶

و هی فی النسخة المصورة عن لکنهو موجودة فی المجلد الثانی ... و فی المصورة عن مکتبة الاسکندریة موجودة فی ج ۴ ص ۵۱. و نقلها عن هذه النسخة السید المرعشی النجفی فی ج ۱۲ من ملحقات الإحقاق ص ۳۸۱، ۳۸۲:

نص الرسالة:

قال فی التدوین: و النص لنسخة: لکنهو:

و لما عزم المأمون علی تفویض العهد إلیه (أی إلی الرضا)، بسعی ذی الرئاستین الفضل بن سهل ... کتب إلیه ذو الرئاستین:

بسم اللّه الرحمن الرحیم:

لعلی بن موسی الرضا، و ابن رسول اللّه المصطفی، المهتدی بهدیه، المقتدی بفعله، الحافظ لدین اللّه، الخازن لوحی اللّه، من ولیه الفضل ابن سهل، الذی بذل فی رد حقه إلیه مهجته، و وصل لیله فیه بنهاره ...

سلام علیک أیها المهتدی و رحمة اللّه و برکاته.

فانی أحمد إلیک اللّه الذی لا إله إلا هو، و أسأله أن یصلی علی محمد عبده و رسوله.

أما بعد:

فإنی أرجو أن اللّه قد أدّی لک، و أذن لک فی ارتجاع حقک ممن استضعفک، و أن یعظم مننه علیک، و أن یجعلک الامام الوارث. و یری أعداک، و من رغب عنک، منک ما کانوا یحذرون ...

و إن کتابی هذا عن إزماع من أمیر المؤمنین، عبد اللّه الامام المأمون

ص: ۴۴۷

و منی: علی رد مظلمتک علیک، و إثبات حقوقک فی یدیک، و التخلی منها إلیک، علی ما أسأل اللّه الذی وقف علیه: أن تبلغنی ما أکون بها أسعد العالمین، و عند اللّه من الفائزین، و لحق رسول اللّه من المؤدین.

و لک علیه من المعاونین، حتی أبلغ فی تولیتک و دولتک کلتا الحسنتین «۱».

فإذا أتاک کتابی- جعلت فداک- و أمکنک أن لا تضعه من یدک، حتی تسیر إلی باب أمیر المؤمنین، الذی یراک شریکا فی أمره، و شفیعا فی نسبه، و أولی الناس بما تحت یده ... فعلت ما أنا بخیرة اللّه محفوفا، و بملائکته محفوظا، و بکلاءته محروسا. و إن اللّه کفیل لک بکل ما یجمع حسن العائدة علیک، و صلاح الامة بک ...

و حسبنا اللّه و نعم الوکیل، و السلام علیک و رحمة اللّه و برکاته ...

و کتبت بخطی ...

---

(۱) الظاهر انها: الحسنیین، لأنها اقتباس من الآیة الکریمة ...

ص: ۴۴۸

وثیقة ولایة العهد

مصادر الوثیقة:

نذکر من المصادر التی أوردت هذه الوثیقة، علی سبیل المثال لا الحصر:

القلقشندی فی صبح الأعشی ج ۹ من ص ۳۶۲، إلی ص ۳۶۶، و أکملها بذکر ما کتبه الرضا (ع) و الشهود فی نفس الجزء من ۳۹۱ و حتی ۳۹۳، و أوردها أیضا فی مآثر الانافة فی معالم الخلافة ج ۲ من ص ۳۲۵ حتی ص ۳۳۶.، و هی أیضا فی شرح میمیة أبی فراس من ۲۹۹ إلی ۳۰۳. و فی نور الابصار ۱۴۲، ۱۴۳، و فی البحار ج ۴۹ ص ۱۴۸، إلی ۱۵۳، و مسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ من ص ۱۰۲ إلی ص ۱۰۷، و الفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص ۲۹۳، و وسیلة النجاة لمحمد مبین الهندی ابتداء من ص ۳۸۷، طبع لکنهو، و رواها أیضا الکاشانی فی معادن الحکمة، و الشبراوی فی الاتحاف بحب الاشراف مختصرا و ابن شهر اشوب فی مناقب آل أبی طالب، و الاربلی فی کشف الغمة، و السید الامین فی المجالس السنیة، و أعیان الشیعة، و ابن الجوزی فی التذکرة، و ذکر الأخیران إنها قد ذکرها عامة المؤرخین. و عن التفتازانی إن الوثیقة کانت موجودة فی عهده، و الاربلی أیضا یقول

ص: ۴۴۹

بأنها کانت موجودة فی عهده، و أنه فی سنة سبعین و ستمائة اطلع علی وثیقة العهد الأصلیة، و نقلها فی کتابه حرفا فحرفا ... و أشار إلیها أیضا ابن الطقطقی فی الفخری فی الآداب السلطانیة.

و غیر هؤلاء کثیر ... و نحن نذکر الوثیقة موافقة لما فی صبح الاعشی، و مآثر الانافة، فنقول:

نص الوثیقة:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ:* هذا كتاب كتبه عبد اللّه بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، لعلى بن موسى بن جعفر، ولى عهده ...

أما بعد:

فإن اللّه عز و جل اصطفى الاسلام دينا، و اصطفى من عباده رسلا دالين عليه، و هادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، و يصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة اللّه إلى محمد (ص)، على فترة من الرسل، و دروس من العلم، و انقطاع من الوحى، و اقتراب من الساعة، فختم اللّه به النبيين، و جعله شاهدا لهم، و مهيمنا عليهم. و أنزل عليه كتابه العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل و حرم، و وعد و أوعد، و حذر و أنذر، و أمر به، و نهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ ليهلک من هلک عن بينة، و يحيا من حيّ عن بينة، و إن اللّه لسميع عليم ...

فبلغ عن اللّه رسالته، و دعا إلى سبيله بما أمره به: من الحكمة، و الموعظة الحسنة، و المجادلة بالتى هى أحسن، ثم بالجهاد و الغلظة،

حتى قبضه اللّه إليه، و اختار له ما عنده (ص)؛ فلما انقضت النبوة، و ختم اللّه بمحمد (ص) الوحى و الرسالة، جعل قوام الدين، و نظام أمر المسلمين بالخلافة، و اتمامها و عزها، و القيام بحق اللّه فيها بالطاعة، التى يقام بها فرائض اللّه تعالى و حدوده، و شرائع الاسلام و سننه، و يجاهد بها عدوه ...

فعلى خلفاء اللّه طاعته فيما استحفظهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسلمين طاعة خلفائهم، و معاونتهم على إقامة حق اللّه و عدله، و أمن السبيل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البين، و جمع الالفة.

و فى خلاف ذلک اضطراب حبل المسلمين، و اختلالهم، و اختلاف ملتهم، و قهر دينهم، و استعلاء عدوهم، و تفرق الكلمة، و خسران الدنيا و الآخرة فحق على من استخلفه اللّه فى أرضه، و ائتمنه على خلقه، أن يجهد اللّه نفسه، و يؤثر ما فيه رضا اللّه و طاعته، و يعتد لما اللّه مواقفه عليه، و مسائله عنه. و يحكم بالحق، و يعمل بالعدل فيما أحله اللّه و قلده؛ فإن اللّه عز و جل يقول لنبيه داود: «يا داود إنا جعلناک خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق، و لا تتبع الهوى، فيضلک عن سبيل اللّه، إن الذين يضلون عن سبيل اللّه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب».

و قال اللّه عز و جل: «فو ربک لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»، و بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات، لتخوفت أن يسألنى اللّه عنها».

و أيم اللّه، إن المسئول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه و بين اللّه، ليعرض على أمر كبير، و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الامة. و باللّه الثقة، و إليه المفزع و الرغبة فى التوفيق و العصمة، و التسديد و الهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة، و الفوز من اللّه بالرضوان و الرحمة ...

ص: ۴۵۱

و أنظر الامة لنفسه، و أنصحهم للّه فى دينه و عباده، من خلائقه فى أرضه، من عمل بطاعة اللّه و كتابه، و سنة نبيه (ص) فى مدة أيامه، و بعدها، و أجهد رأيه فيمن يوليه عهده، و يختاره لامامة المسلمين و رعايتهم بعده، و ينصبه علما لهم، و مفزعا فى جمع الفتهم، و لمّ شعثهم، و حقن دمائهم، و الأمن بإذن اللّه من فرقتهم، و فساد ذات بينهم و اختلافهم، و رفع نزغ الشيطان و كيده عنهم، فإن اللّه عز و جل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الاسلام و كماله، و عزه، و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم من عظمت به النعمة، و شملت فيه العافية، و نقض اللّه بذلک مكر أهل الشقاق و العداوة، و السعى و الفرقة، و التربص للفتنة.

و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، و ثقل محملها، و شدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة اللّه، و مراقبته فيما حمله منها، فأنصب بدنه، و أسهر عينه، و أطال فكره فيما فيه عز الدين، و قمع المشركين، و صلاح الامة، و نشر العدل، و إقامة الكتاب و السنة. و منعه ذلک من الخفض و الدعة، و مهنأ العيش، علما بما اللّه سائله عنه، و محبة أن يلقى اللّه مناصحا له فى دينه، و عباده، و مختارا لولاية عهده، و رعاية الامة من بعده: أفضل من يقدر عليه: فى دينه و ورعه، و علمه، و أرجاهم للقيام فى أمر اللّه و حقه، مناجيا بالاستخارة فى ذلک، و مسألته إلهامه ما فيه رضاه و طاعته، فى آناء ليله و نهاره. معملا فى طلبه و التماسه فى أهل بيته: من ولد عبد اللّه بن العباس، و على بن أبى طالب فكره، و نظره. مقتصرا ممن علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغا فى المسألة عمن خفى عليه أمره جهده و طاقته ... حتى استقصى أمورهم معرفة، و ابتلى أخبارهم مشاهدة، و استبرأ أحوالهم معاينة، و كشف ما عندهم مساءلة، فكان خيرته بعد

ص: ۴۵۲

استخارته اللّه، و إجهاده نفسه فى قضاء حقه فى عباده و بلاده، فى البيتين جميعا:

على بن موسى، بن جعفر، بن محمد ابن على، بن الحسين، بن على، بن أبى طالب لما رأى من فضله البارع، و علمه النافع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلمه من الناس ...

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا، فعقد له بالعقد و الخلافة من بعده «۱» ...

واثقا بخيرة اللّه فى ذلک، إذ علم اللّه أنه فعله إيثارا له، و للدين، و نظرا للاسلام و المسلمين، و طلبا للسلامة، و ثبات الحجة، و النجاة فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين.

و دعا أمير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و خاصته، و قواده، و خدمه فبايعوا مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة اللّه على الهوى فى ولده و غيرهم، ممن هو أشبک منه رحما، و أقرب قرابة.

و سماه «الرضا» «۲»؛ إذ كان رضا عند أمير المؤمنين.

(۱) فی بعض نسخ کشف الغمة فی الهامش: أنه (ع) کتب بقلمه الشریف تحت قوله:

«و الخلافة من بعده» قوله: «بل جعلت فداک».

(۲) فی بعض نسخ کشف الغمة فی الهامش: أنه (ع) کتب بقلمه الشریف تحت کلمة:

«الرضا» قوله: «رضی اللّه عنک و أرضاک، و احسن فی الدارین جزاک» و فی اخری:

أنه کتب تحت ذکر اسمه علیه السلام بقلمه الشریف: «و صلتک رحم، و جزیت خیرا»، و کتب بقلمه الشریف تحت الثناء علیه: «أثنی اللّه علیک فأجمل، و أجزل لدیک الثواب فأکمل».

ص: ۴۵۳

فبایعوا معشر أهل بیت أمیر المؤمنین، و من بالمدینة المحروسة، من قواده و جنده، و عامة المسلمین، لأمیر المؤمنین، و للرضا من بعده علی ابن موسی علی اسمه و برکته، و حسن قضائه لدینه و عباده، بیعة مبسوطة إلیها أیدیکم، منشرحة لها صدورکم، عالمین بما أراد أمیر المؤمنین، بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه و لکم فیها، شاکرین اللّه علی ما ألهم أمیر المؤمنین بها: من قضاء حقه فی رعایتکم، و حرصه علی رشدکم و صلاحکم، راجین عائدة ذلک فی جمع الفتکم، و حقن دمائکم، و لمّ شعثکم، و سد ثغورکم، و قوة دینکم، و رغم عدوکم، و استقامة أمورکم.

و سارعوا إلی طاعة اللّه، و طاعة أمیر المؤمنین؛ فإنه الأمن إن سارعتم إلیه، و حمدتم اللّه علیه، عرفتم الحظ فیه إن شاء اللّه.

و کتب بیده یوم الاثنین، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدی و مائتین ...

قال القلقشندی: «ثم إنه تقدم إلی علی بن موسی، و قال له:

اکتب خطک بقبول هذا العهد، و أشهد اللّه، و الحاضرین علیک بما تعده فی حق اللّه، و رعایة المسلمین، فکتب علی الرضا تحته إلخ ...».

صورة ما کان علی ظهر العهد، بخط الامام علی بن موسی الرضا علیهما السلام بسم اللّه الرحمن الرحیم:

الحمد للّه الفعال لما یشاء، و لا معقب لحکمه، و لا رادّ لقضائه، یعلم خائنة الأعین، و ما تخفی الصدور. و صلاته علی نبیه محمد، خاتم النبیین، و آله الطیبین الطاهرین ...

أقول- و أنا علی بن موسی الرضا بن جعفر-: إن أمیر المؤمنین عضده اللّه بالسداد، و وفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غیره؛

فوصل أرحاما قطعت، و أمن أنفسا فزعت، بل أحياها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضا رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره، و سيجزى اللّه الشاكرين، و لا يضيع أجر المحسنين ...

و إنه جعل إلىّ عهده، و الإمرة الكبرى- إن بقيت- بعده، فمن حلّ عقدة أمر اللّه بشدها، و فصم عروة أحب اللّه إيثاقها، فقد أباح اللّه حريمه، و أحل محرمه، إذ كان بذلک زاريا على الإمام، منتهکا حرمة الإسلام. بذلک جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و بائقة تبتدر ...

و قد جعلت اللّه على نفسى، إن استرعانى أمر المسلمين، و قلدنى خلافته: العمل فيهم عامة، و فى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، و طاعة رسوله (ص)، و أن لا أسفک دما حراما، و لا أبيح فرجا، و لا مالا، إلا ما سفکته حدود اللّه، و أباحته فرائضه. و أن أتخير الكفاة جهدى و طاقتى. و جعلت بذلک على نفسى عهدا مؤكدا، يسألنى اللّه عنه؛ فإنه عز و جل يقول: «و أوفوا بالعهد، إن العهد كان مسئولا».

و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا. و أعوذ باللّه من سخطه، و إليه أرغب فى التوفيق لطاعته، و الحول بينى و بين معصيته، فى عافية لى و للمسلمين ...

و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلک، و ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم، إن الحكم إلا للّه، يقضى بالحق «۱»، و هو خير الفاصلين ...

---

(۱) الظاهر أن الصواب هو «يقص الحق»، كما فى معالم الانافة.

لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه، و اللّه يعصمنى و إياه، و أشهدت اللّه على نفسى بذلک، و كفى باللّه شهيدا ...

و كتبت بخطى، بحضرة أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه، و الفضل ابن سهل، و سهل بن الفضل، و يحيى بن اكثم، و عبد اللّه بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حماد بن النعمان، فى شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، و بطنه.

و هو يسأل اللّه: أن يعرف أمير المؤمنين، و كافة المسلمين ببركة هذا العهد، و الميثاق. و كتب بخطه فى تاريخ المبيّن فيه ...

عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.

شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره و بطنه، و كتب بيده فى تاريخه.

بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلک.

الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه قراءة هذه الصحيفة، التى هى صحيفة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها و بطنها، بحرم سيدنا رسول اللّه (ص)، بين الروضة و المنبر، على رءوس الأشهاد، بمرأى و مسمع من وجوه بنى هاشم، و ساير الأولياء و الأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع

ص: ۴۵۶

المسلمين، و لتبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين: «و ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» ...

و كتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه «۱».

انتهى ...

---

(۱) و فى هامش نسخة مصححة قال مصححها: «قال العبد الفقير إلى اللّه تعالى، الفضل بن يحيى عفى اللّه عنه: قابلت المكتوب الذى كتبه الامام على بن موسى الرضا صلوات اللّه عليه، و على آبائه الطاهرين بأصله الذى كتبه الامام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. و الحقت ما فات منه، و ذكرت أنه من خطه. و ذلک يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع و تسعين و ست مائة الهلالية بواسط، و الحمد للّه، و له المنة ...» انتهى أقول: و الذى الحقه هو ما قدمناه فى هوامش الصفحات المتقدمة ...

ص: ۴۵۷

رسالة المأمون الى العباسيين

مصادر الكتاب:

هذا الكتاب مذكور فى طرائف ابن طاوس، الترجمة الفارسية من ص ۱۳۱، إلى ص ۱۳۵، نقلا عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه، صاحب كتاب حوادث الاسلام ... و فى البحار للعلامة المجلسى ج ۴۹ من ص ۲۰۸ إلى ص ۲۱۴، و فى قاموس

الرجال ج ۱۰ ص ۳۵۶، إلى ۳۶۰، و فى ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ۴۸۴، ۴۸۵ مختصرا، و نقل فى الغدير ج ۱ ص ۲۱۲ قسما منه عن عبقات الأنوار للهندى ج ۱ ص ۱۴۷، و أشار إليه غير واحد من المؤلفين ...

نص الكتاب:

كتب العباسيون كتابا إلى المأمون، و طلبوا منه الاجابة عليه؛ فأجابهم بما يلى:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم: و الحمد للّه رب العالمين، و صلى اللّه على محمد و آل محمد، على رغم أنف الراغمين ...

ص: ۴۵۸

أما بعد:

عرف المأمون كتابكم، و تدبير أمركم، و مخض زبدتكم، و أشرف على قلوب صغيركم و كبيركم، و عرفكم مقبلين و مدبرين، و ما آل إليه كتابكم قبل كتابكم، فى مراوضة الباطل، و صرف وجوه الحق عن مواضعها، و نبذكم كتاب اللّه و الآثار، و كلما جاءكم به الصادق محمد (ع)، حتى كأنكم من الامم السالفة، التى هلكت بالخسفة، و الغرق، و الريح، و الصيحة، و الصواعق، و الرجم ...

أ فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ ... و الذى هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد، لو لا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتكم؛ من سوء أخلاقكم، و قلة أخطاركم، و ركاكة عقولكم، و من سخافة ما تأوون إليه من آرائكم؛ فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائبا ...

أما بعد:

فإن اللّه تعالى بعث محمدا على فترة من الرسل، و قريش فى أنفسها، و أموالها، لا يرون أحدا يساميهم، و لا يباريهم، فكان نبينا (ص) أمينا من أوسطهم بيتا، و أقلهم مالا؛ فكان أول من آمن به خديجة بنت خويلد؛ فواسته بمالها. ثم آمن به أمير المؤمنين على بن أبى طالب سبع سنين، لم يشرک باللّه شيئا طرفة عين، و لم يعبد وثنا، و لم يأكل ربا، و لم يشاكل الجاهلية فى جهالاتهم، و كانت عمومة رسول اللّه إما مسلم مهين، أو كافر معاند، إلا حمزة؛ فإنه لم يمتنع من الاسلام، و لا يمتنع الاسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه ...

و أما أبو طالب: فإنه كفله و رباه، و لم يزل مدافعا عنه، و مانعا منه؛ فلما قبض اللّه أبا طالب، فهمّ القوم، و أجمعوا عليه ليقتلوه؛

ص: ۴۵۹

فهاجر إلى القوم الذين تبؤوا الدار و الإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم، و لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، و يؤثرون على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصة، و من يوق شح نفسه فأولئک هم المفلحون ...

فلم يقم مع رسول اللّه (ص) أحد من المهاجرين كقيام على بن أبى طالب (ع): فإنه آزره و وقاه بنفسه، و نام فى مضجعه. ثم لم يزل بعد مستمسكا بأطراف الثغور، و ينازل الأبطال، و لا ينكل عن قرن، و لا يولى عن جيش، منيع القلب، يؤمر على الجميع، و لا يؤمر عليه أحد. أشد الناس وطأة على المشركين، و أعظمهم جهادا فى اللّه، و أفقههم فى دين اللّه، و أقرأهم لكتاب اللّه، و أعرفهم بالحلال و الحرام.

و هو صاحب الولاية فى حديث «غدير خم»، و صاحب قوله:

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى»، و صاحب يوم الطائف. و كان أحب الخلق إلى اللّه تعالى، و إلى رسول اللّه (ص).

و صاحب الباب، فتح له، و سد أبواب المسجد. و هو صاحب الراية يوم خيبر. و صاحب عمرو بن عبد ود فى المبارزة. و أخو رسول اللّه (ص) حين آخى بين المسلمين ...

و هو منيع جزيل. و هو صاحب آية: «و يطعمون الطعام على حبه مسكينا، و يتيما، و أسيرا». و هو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء أهل الجنة، و هو ختن خديجة (ع). و هو ابن عم رسول اللّه (ص)، رباه و كفله. و هو ابن أبى طالب فى نصرته و جهاده. و هو نفس رسول اللّه (ص) فى يوم المباهلة.

و هو الذى لم يكن أبو بكر و عمر ينفذان أمرا حتى يسألانه عنه؛ فما رأى إنفاذه أنفذاه، و ما لم يره رداه. و هو دخل من بنى هاشم فى

ص: ۴۶۰

الشورى، و لعمرى لو قدر أصحابه على دفعه «۱» عنه (ع)، كما دفع العباس رضوان اللّه عليه، و وجدوا إلى ذلک سبيلا لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه؛ فإن اللّه تعالى يقول: «أ جعلتم سقاية الحاج، و عمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه و اليوم الآخر، و جاهد فى سبيل اللّه، لا يستوون عند اللّه».

و اللّه، لو كان ما فى أمير المؤمنين من المناقب و الفضائل، و الآى المفسرة فى القرآن خلة واحدة فى رجل من رجالكم، أو غيره، لكان مستأهلا متأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول اللّه بتلك الخلة، ثم لم يزل الامور تتراقى به إلى أن ولى أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بنى هاشم إلا بعبد اللّه بن عباس، تعظيما لحقه، و وصلة لرحمه، و ثقة به، فكان من أمره الذى يغفر اللّه له ...

ثم ... نحن و هم يد واحدة- كما زعمتم- حتى قضى اللّه تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بنى أمية إياهم ... و يحكم، إن بنى أمية إنما قتلوا من سل منهم سيفا، و إنا معشر بنى العباس قتلناهم جملا، فلتسألن أعظم

الهاشمية بأى ذنب قتلت، و لتسألن نفوس ألقيت فى دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد و الكوفة أحياء، هيهات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، و من يعمل مثقال ذرة شرا يره ...

و أما ما وصفتم فى أمر المخلوع، و ما كان فيه من لبس؛ فلعمرى ما لبّس عليه أحد غيركم؛ إذ هونتم عليه النكث، و زينتم له الغدر، و قلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيک، و هو رجل مغرب، و معک الأموال و الرجال، نبعث إليه، فيؤتى به؛ فكذبتم، و دبرتم،

---

(١) فى الترجمة الفارسية هكذا: «على دفع على (ع) عنها إلخ ...».

و نسيم قول اللّه تعالى: «و من بغى عليه لينصرنه اللّه ...».

و أما ما ذكرتم: من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن الرضا (ع)؛ فما بايع له المأمون إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا فى الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى فى الخاصة و العامة، و لا أشد فى ذات اللّه منه. و إن البيعة له لموافقة رضا الرب عز و جل. و لقد جهدت و ما أجد فى اللّه لومة لائم ...

و لعمرى، لو كانت بيعتى بيعة محاباة، لكان العباس ابنى، و سائر ولدى أحب إلى قلبى، و أجلى فى عينى، و لكن أردت أمرا، و أراد اللّه أمرا؛ فلم يسبق أمرى أمر اللّه.

و أما ما ذكرتم: مما مسكم من الجفاء فى ولايتى، فلعمرى ما كان ذلک إلا منكم بمظافرتكم عليه، على (خ د)، و ممايلتكم إياه، فلما قتلته و تفرقتم عباديد، فطورا أتباعا لابن أبى خالد، و طورا أتباعا لأعرابى، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفا على. و لو لا أن شيمتى العفو، و طبيعتى التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحدا، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه ...

و أما ما سألتم: من البيعة للعباس ابنى ... أ تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟! ويلكم، إن العباس غلام حدث السن، و لم يؤنس رشده، و لم يمهل وحده، و لم تحكمه التجارب. تدبره النساء، و تكفله الاماء، ثم ... لم يتفقه فى الدين، و لم يعرف حلالا من حرام، إلا معرفة لا تأتى به رعية، و لا تقوم به حجة، و لو كان مستأهلا، قد أحكمته التجارب، و تفقه فى الدين، و بلغ مبلغ أمير العدل فى الزهد فى الدنيا، و صرف النفس عنها ... ما كان له عندى فى الخلافة، إلا ما كان لرجل من عک و حمير، فلا تكثروا من هذا المقال، فإن لسانى لم

يزل مخزونا عن أمور و أنباء، كراهية أن تخنث النفوس عند ما تنكشف، علما بأن اللّه بالغ أمره، و مظهر قضاه يوما ...

فإذ أبيتم إلا كشف الغطاء، و قشر العظاء، فالرشيد أخبرنی عن آبائه، و عما وجده فی کتاب الدولة، و غیرها: أن السابع من ولد العباس، لا تقوم لبنی العباس بعده قائمة، و لا تزال النعمة متعلقة علیهم بحیاته، فإذا أودعت فودّعها، فإذا أودع فودعاها، و إذا فقدتم شخصی، فاطلبوا لأنفسکم معقلا، و هیهات، ما لکم إلا السیف، یأتیکم الحسنی الثائر البائر، فیحصدکم حصدا، أو السفیانی المرغّم، و القائم المهدی لا یحقن دماءکم إلا بحقها ...

و أما ما کنت أردته من البیعة لعلی بن موسی، بعد استحقاق منه لها فی نفسه، و اختیار منی له، فما کان ذلک منی إلا أن أکون الحاقن لدمائکم، و الذائد عنکم، باستدامة المودة بیننا و بینهم. و هی الطریق أسلکها فی إکرام آل أبی طالب، و مواساتهم فی الفیء بیسیر ما یصیبهم منه.

و إن تزعموا: أنی أردت أن یؤول إلیهم عاقبة و منفعة، فإنی فی تدبیرکم، و النظر لکم و لعقبکم، و ابنائکم من بعدکم ... و أنتم ساهون، لاهون، تائهون، فی غمرة تعمهون، لا تعلمون ما یراد بکم، و ما أظللتم علیه من النقمة، و ابتزاز النعمة. همة أحدکم أن یمسی مرکوبا، و یصبح مخمورا تباهون بالمعاصی، و تبتهجون بها، و آلهتکم البرابط، مخنثون، مؤنثون لا یتفکر متفکر منکم فی إصلاح معیشة، و لا استدامة نعمة، و لا اصطناع مکرمة، و لا کسب حسنة یمد بها عنقه، یوم لا ینفع مال و لا بنون إلا من أتی اللّه بقلب سلیم ...

أضعتم الصلاة، و اتبعتم الشهوات، و اکببتم علی اللذات، فسوف تلقون غیا. و أیم اللّه، لربما أفکر فی أمرکم، فلا أجد أمة من الامم استحقوا

ص: ۴۶۳

العذاب، حتی نزل بهم لخلة من الخلال، إلا أصیب تلک الخلة بعینها فیکم، مع خلال کثیرة، لم أکن أظن أن إبلیس اهتدی إلیها، و لا أمر بالعمل بها. و قد أخبر اللّه تعالی فی کتابه العزیز عن قوم صالح:

أنه کان فیهم تسعة رهط یفسدون فی الارض و لا یصلحون، فأیکم لیس معه تسعة و تسعون من المفسدین فی الأرض، قد اتخذتموهم شعارا، و دثارا، استخفافا بالمعاد، و قلة یقین بالحساب. و أیکم له رأی یتبع، أو رویة تنفع، فشاهت الوجوه، و عفرت الخدود.

و أما ما ذکرتم: من العثرة کانت فی أبی الحسن (ع) نور اللّه وجهه، فلعمری. إنها عندی للنهضة و الاستقلال، الذی أرجو به قطع الصراط، و الأمن و النجاة من الخوف یوم الفزع الاکبر. و لا أظن عملا هو عندی أفضل من ذلک، إلا أن أعود بمثلها إلی مثله، و أین لی بذلک، و أنی لکم بتلک السعادة ...

و أما قولکم: إنی سفهت آراء آبائکم، و أحلام أسلافکم، فکذلک قال مشرکوا قریش: «إنا وجدنا آباءنا علی أمة، و إنا علی آثارهم مقتدون». ویلکم، إن الدین لا یؤخذ إلا من الأنبیاء، فافقهوا، و ما أراکم تعقلون ...

و أما تعييركم إياى: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الانفة «۱» من ذلک، و لو ساستكم القردة و الخنازير، و ما أردتم إلا أمير المؤمنين ...

و لعمرى، لقد كانوا مجوسا فأسلموا، كآبائنا، و أمهاتنا فى القديم، فهم المجوس الذين أسلموا و أنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، و يأمرون بالمعروف، و يتقربون من الخير، و يتباعدون من الشر، و يذبون عن حرم المسلمين،

---

(۱) الظاهر أن الصواب: «فما أذهبكم عن الأنفة».

يتباهجون بما نال الشرک و أهله من النكر، و يتباشرون بما نال الاسلام و أهله من الخير ... منهم من قضى نحبه، و منهم من ينتظر، و ما بدلوا تبديلا.

و ليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فى عقله و تدبيره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. و اللّه، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا ...

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، و إذا مسه الخير منع، و لا تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية، و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالى أن ينال شهوته بقتل ألف نبى مرسل، أو ملک مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة، و تربده المطمورة، فشتت الأحوال ... فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات و الفضائح، و ما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ... و إلا فدونكم تعلوا بالحديد ...

و لا قوة إلا باللّه، و عليه توكلى، و هو حسبى».

رسالة عبد اللّه بن موسى الى المأمون

النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الاصفهانى، صاحب كتاب «الأغانى»، فى كتابه:

مقاتل الطالبيين ص ۶۳۰، ۶۳۱، فى معرض حديثه عن عبد اللّه بن موسى، بن عبد اللّه بن الحسن، بن على بن أبى طالب (ع)، الذى كان قد توارى فى أيام المأمون:

«... و أخبرنی جعفر بن محمد الورّاق الکوفی، قال: حدثنی عبد اللّه بن علی بن عبید اللّه العلوی الحسینی، عن أبیه، قال:

کتب المأمون إلی عبد اللّه بن موسی، و هو متوار منه، یعطیه الأمان، و یضمن له: أن یولیه العهد بعده، کما فعل بعلی بن موسی، و یقول:

«... ما ظننت أن أحدا من آل أبی طالب یخافنی، بعد ما عملته بالرضا ...».

و بعث الکتاب إلیه. فکتب إلیه عبد اللّه بن موسی:

«... وصل کتابک، و فهمته، تختلنی فیه عن نفسی ختل القانص، و تحتال علی حیلة المغتال، القاصد لسفک دمی ...

ص: ۴۶۶

و عجبت من بذلک العهد، و ولایته لی بعدک؛ کأنک تظن أنه لم یبلغنی ما فعلته بالرضا!! ففی أی شیء ظننت أنی أرغب من ذلک؟!.

أ فی الملک الذی قد غرتک نضرته و حلاوته؟!. فو اللّه، لأن أقذف- و أنا حی- فی نار تتأجج أحب إلیّ من أن ألی أمرا بین المسلمین، أو أشرب شربة من غیر حلها، مع عطش شدید قاتل ..

أم فی العنب المسموم، الذی قتلت به الرضا؟!.

أم ظننت أن الاستتار قد أملنی، و ضاق به صدری؟!. فو اللّه، إنی لذلک، و لقد مللت الحیاة، و أبغضت الدنیا، و لو وسعنی فی دینی أن أضع یدی فی یدک، حتی تبلغ من قبلی مرادک، لفعلت ذلک، و لکنّ اللّه قد حظر علیّ المخاطرة بدمی. و لیتک قدرت علی، من غیر أن أبذل نفسی لک، فتقتلنی، و لقیت اللّه عز و جل بدمی، و لقیته قتیلا مظلوما؛ فاسترحت من هذه الدنیا ...

و اعلم: أنی رجل طالب النجاة لنفسی، و اجتهدت فیما یرضی اللّه عز و جل عنی، و فی عمل أتقرب به إلیه؛ فلم أجد رأیا یهدی إلی شیء من ذلک، فرجعت إلی القرآن، الذی فیه الهدی و الشفاء، فتصفحته سورة سورة، و آیة آیة، فلم أجد شیئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة فی طلب مرضاته ...

ثم تتبعته ثانیة، أتأمل الجهاد أیّه أفضل، و لأی صنف، فوجدته جل و علا یقول: «قاتلوا الذین یلونکم من الکفار، و لیجدوا فیکم غلظة»، فطلبت أی الکفار أضر علی الإسلام، و أقرب من موضعی، فلم أجد أضر علی الاسلام منک، لأن الکفار أظهروا کفرهم، فاستبصر الناس فی أمرهم، و عرفوهم فخافوهم ... و أنت ختلت المسلمین بالإسلام، و أسررت الکفر، فقتلت بالظنة، و عاقبت بالتهمة، و أخذت مال اللّه من غیر حله، فأنفقته فی غیر حله، و شربت الخمر المحرمة صراحا،

ص: ۴۶۷

و أنفقت مال اللّه على الملهين، و أعطيته المغنين، و منعته من حقوق المسلمين، فغششت بالاسلام، و أحطت بأقطاره إحاطة أهله، و حكمت فيه للمشرک، و خالفت اللّه و رسوله فی ذلک، خلافة المضاد المعاند، فان يسعدنی الدهر، و يعنّی اللّه عليک بأنصار الحق، أبذل نفسی فی جهادک، بذلا يرضيه منی، و ان يمهلک، و يؤخرک، ليجزيک بما تستحقه فی منقلبک، أو تخترمنی الأيام قبل ذلک، فحسبی من سعيی ما يعلمه اللّه عز و جل من نيتی، و السلام ...».

و ثمة نص آخر:

و كان أبو الفرج قد ذكر قبل ذلک أی فی ص ۶۲۸، ۶۲۹ من نفس الكتاب نصا آخر هو إما رسالة أخری ... أو نص آخر لهذه الرسالة نفسها ... و الظاهر أنه رسالة اخری ... و كيف كان فقد قال أبو الفرج:

«و كان عبد اللّه تواری فی أيام المأمون، فكتب بعد وفاة الرضا يدعوه إلی الظهور، ليجعله مكانه، و يبايع له، و اعتد عليه بعفوه عمن عفا من أهله، و ما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد اللّه برسالة طويلة يقول فيها:

فبأی شیء تغرنی؟ ما فعلته بأبی الحسن– صلوات اللّه عليه– بالعنب الذی أطعمته إياه فقتلته.

و اللّه، ما يقعدنی عن ذلک خوف من الموت، و لا كراهة له، و لكن لا أجد لی فسحة فی تسليطک علی نفسی، و لو لا ذلک لأتيتک حتی تريحنی من هذه الدنيا الكدرة.

و يقول فيها:

هبنی لا ثأر لی عندک و عند آبائک المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا،

ص: ۴۶۸

الذين جاهروا فی أمرنا فحذرناهم، و كنت ألطف حيلة منهم بما استعملته من الرضی بنا و التستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا. و لكننی كنت امرأ حبب إلیّ الجهاد، كما حبب إلی كل امرئ بغيته، فشحذت سيفی، و ركبت سنانی علی رمحی، و استفرهت فرسی، لم أدر أی العدوّ أشد ضررا علی الإسلام، فعلمت أن كتاب اللّه يجمع كل شیء، فقرأته، فإذا فيه: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة» ...

فما أدری من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: «لا تجد قوما يؤمنون باللّه و اليوم الآخر يوادّون من حاد اللّه و رسوله، و لو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم»، فعلمت أن علیّ أن أبدأ بما قرب منی ...

و تدبرت، فإذا أنت أضر على الاسلام و المسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، و خالفوه، فحذرهم الناس، و قاتلوهم، و أنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسک الناس، و طفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه ...» ... ثم قال أبو الفرج:

و هى رسالة طويلة أتينا بها فى الكتاب الكبير ...

ص: ۴۶۹

رسالة سفيان الى هارون

مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميرى فى حياة الحيوان ج ۲ ص ۱۸۸، ۱۸۹، نقلا عن ابن بليان، و الامام الغزالى، و دحلان فى الفتوحات الاسلامية ط مصطفى محمد ج ۲ ص ۴۴۹ حتى ۴۵۳.

و أشار إليها ابن خلدون فى مقدمته، ص ۱۷ مستدلا بها على تدين الرشيد و التزامه ... و ذكر جرجى زيدان شطرا منها فى كتابه: تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول، جزء ۲ ص ۳۸۵، ۳۸۶، و المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۸۰. و نحن نذكرها هنا عن الدميرى مع بعض تعديلات عن دحلان.

مناقشة لا بد منها:

و لكن الرسالة تذكر أن الذى كاتبه الرشيد، و المجيب له هو سفيان الثورى ... و هذا لا يمكن أن يكون صحيحا؛ فان سفيان قد توفى فى خلافة المهدى متخفيا، فى سنة ۱۶۱ ه؛ و هارون لم يتولّ الخلافة إلا فى سنة ۱۷۰ ه.

ص: ۴۷۰

و لعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفيان بن عيينة، المتوفى سنة ۱۹۸ ه. عن إحدى و تسعين سنة ...

و لعل الراوى قد اشتبه عليه الأمر، عفوا، أو عمدا!! لحاجة فى نفسه قضاها ... و أيّاما كانت الحقيقة؛ فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية هامة؛ لأنها تصور لنا حقيقة الوضع فى تلک الفترة من الزمن ...

و تعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمى، و رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلک الوقت من مآثم، و ما يرتكبونه من موبقات ...

نص الرسالة:

و ملخص حکایة هذه الرسالة هی: أن الرشید أرسل إلی سفیان الثوری!!- و قد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عیینة- کتابا یتودد إلیه فیه، و یطلب منه أن یقدم علیه.

فلما وصل الکتاب إلی سفیان، رماه من یده، و قال لإخوانه:

لیقرأه بعضکم؛ فإنی أستغفر اللّه أن أمس شیئا مسه ظالم ...

فلما قرءوه، أمرهم أن یکتبوا إلی الظالم فی الجواب ما یلی:

«من العبد المیت سفیان، إلی العبد المغرور بالآمال هارون، الذی سلب حلاوة الإیمان، و لذة قراءة القرآن ...

أما بعد:

فإنی کتبت إلیک أعلمک: أنی قد صرمت حبلک، و قطعت ودّک، و قلیت موضعک، و أنک جعلتنی شاهدا علیک؛ بإقرارک علی نفسک فی کتابک: بما هجمت علی بیت مال المسلمین؛ فأنفقته فی غیر حقه،

و أنفذته بغیر حکمه، و لم ترض بما فعلته و أنت ناء عنی، حتی کتبت إلی تشهدنی علی نفسک، فأما أنا فإنی قد شهدت علیک، أنا و إخوانی الذین حضروا قراءة کتابک، و سنؤدی الشهادة غدا بین یدی اللّه الحکم العدل ...

یا هارون، هجمت علی بیت مال المسلمین بغیر رضاهم. هل رضی بفعلک المؤلفة قلوبهم، و العاملون علیها فی أرض اللّه، و المجاهدون فی سبیل اللّه، و ابن السبیل؟ أم رضی بذلک حملة القرآن، و أهل العلم؟! أم رضی بفعلک الأیتام و الأرامل؟!.

أم رضی بذلک خلق من رعیتک؟! ...

فشد یا هارون مئزرک، و أعدّ للمسألة جوابا، و للبلاء جلبابا، و اعلم أنک ستقف بین یدی اللّه الحکم العدل؛ فاتق اللّه فی نفسک، إذا سلبت حلاوة العلم و الزهد، و لذة قراءة القرآن، و مجالسة الأخیار، و رضیت لنفسک أن تکون ظالما، و للظالمین إماما ...

یا هارون، قعدت علی السریر، و لبست الحریر، و أسبلت ستورا دون بابک، و تشبهت بالحجبة برب العالمین. ثم أقعدت أجنادک الظلمة دون بابک و سترک، یظلمون الناس و لا ینصفون. و یشربون الخمر، و یحدون الشارب. و یزنون، و یحدون الزانی، و یسرقون، و یقطعون السارق. و یقتلون، و یقتلون القاتل.

أ فلا کانت هذه الأحکام علیک، و علیهم، قبل أن یحکموا بها علی الناس؟! فکیف بک یا هارون غدا، إذا نادی المنادی من قبل اللّه:

احشروا الظلمة، و أعوانهم أين الظلمة، و أعوان الظلمة؛ فتقدمت بين يدى اللّه، و يداک مغلولتان إلى عنقک، لا يفكهما إلا عدلک و انصافک، و الظالمون حولک، و أنت لهم إمام، أو سائق إلى النار.

ص: ۴۷۲

و كأنى بک يا هارون ... و قد أخذت بضيق الخناق، و وردت المساق، و أنت ترى حسناتک فى ميزان غيرک، و سيئات غيرک فى ميزانک على سيئاتک، بلاء على بلاء، و ظلمة فوق ظلمة؛ فاتق اللّه يا هارون فى رعيتک، و احفظ محمدا (ص) فى أمته. و اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليک، إلا و هو صائر إلى غيرک، و كذلک الدنيا تفعل بأهلها، واحدا بعد واحد؛ فمنهم من تزود زادا نفعه، و منهم من خسر دنياه و آخرته، و إنى أحسبک يا هارون ممن خسر دنياه و آخرته.

و إياک، ثم إياک أن تكتب إلىّ بعد هذا؛ فإنى لا أجيبک ...

و السلام ...» ...

ثم بعث بالكتاب منشورا، من غير طىّ، و لا ختم ...

ص: ۴۷۳

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى

نقاط رئيسية:

كنت قد وعدت القارئ الكريم فى فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد فى أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى المعروفة ب: «الشافية».

و قد حان الآن موعد الوفاء بذلک الوعد ... و قبل ذلک، لا بأس بالإشارة إلى:

أن أبا فراس قد ولد فى سنة ۳۲۰ ه.، و توفى فى سنة ۳۵۷ ه. عليه الرحمة و الرضوان ...

و فى زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، و آل بويه السلاطين، و آل حمدان الامراء ...

ولاء ... و شجاعة:

و أما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التى يتحامل فيها على العلويين، و التى أولها:

ص: ۴۷۴

بنی علی دعوا مقالتکم		لا ینقض الدر وضع من وضعه

فحمی أبو فراس، و نظم هذه القصیدة، التی سارت بها الرکبان.

و دخل بغداد، و أمر أن یشهر فی المعسکر خمسمائة سیف، و قیل: أکثر من ذلک ... ثم أنشد هذه القصیدة، و خرج من الناحیة الاخری «۱» و قد شرح هذه القصیدة عدد من الادباء و العلماء، منهم ابن خالویه، و منهم محمد بن أمیر الحاج حسینی.

و القصیدة هی:

الدین مخترم و الحق مهتضم		و فیء آل رسول اللّه مقتسم

و الناس عندک لا ناس فیحفظهم		سوم الرعاء و لا شاء و لا نعم

إنی أبیت قلیل النوم أرّقنی		قلب تصارع فیه الهم و الهمم

و عزمة لا ینام الدهر صاحبها		إلا علی ظفر فی طیه کرم

یصان مهری لأمر لا أبوح به		و الدرع و الرمح و الصمصامة الخذم

و کل مائرة الضبعین مسرحها		رمث الجزیرة و الخذراف و العنم

و فتیة قلبهم قلب إذا رکبوا		یوما و رأیهم رأی إذا عزموا

یا للرجال أ ما للّه منتصر		من الطغاة، أ ما للدین منتقم

بنو علی رعایا فی دیارهم		و الأمر تملکه النسوان و الخدم

---

(۱) راجع: شرح الشافیة، لمحمد بن أمیر حاج حسینی ص ۶، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۱۵۷، و رجال المامقانی ج ۳ ص ۳۰ من باب الکنی، و رجال أبی علی ص ۳۴۹، و الغدیر ج ۳ ص ۴۰۳ و الکنی و الألقاب ج ۱ ص ۱۳۷، و الفتونی فی کشکوله، و غیر ذلک.

محلئون فأصفى وردهم و شل | عند الورود و أوفى شربهم لمم
فالأرض إلا على ملاكها سعة | و المال إلا على أربابه ديم
فما السعيد بها إلا الذى ظلموا | و ما الشقى بها إلا الذى ظلموا
للمتقين من الدنيا عواقبها | و إن تعجل فيها الظالم الأثم
لا يطغين بنى العباس ملكهم | بنو على مواليهم، و إن رغموا
أ تفخرون عليهم لا أبا لكم | حتى كأن رسول اللّه جدكم
و ما توازن يوما بينكم شرف | و لا تساوت لكم فى موطن قدم
و لا لكم مثلهم فى المجد متصل | و لا لجدكم مسعاة جدهم
و لا لعرقكم من عرقهم شبه | و لا نثيلتكم من أمهم أمم
قام النبى بها «يوم الغدير» لهم | و اللّه يشهد، و الأملاک، و الامم
حتى إذا أصبحت فى غير صاحبها | باتت تنازعها الذؤبان و الرخم
و صيروا أمرهم شورى كأنهم | لا يعلمون ولاة الحق أيهم
تاللّه ما جهل الاقوام موضعها | لكنهم ستروا وجه الذى علموا
ثم ادعاها بنو العباس ملكهم | و ما لهم قدم فيها، و لا قدم
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا | و لا يحكم فى أمر لهم حكم
و لا رآهم أبو بكر و صاحبه | أهلا لما طلبوا منها و ما زعموا
فهل هم يدعوها غير واجبة | أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا

أمّا على فقد أدنى قرابتكم ... عند الولاية إن لم تكفر النعم

أ ينكر الحبر عبد اللّه نعمته ... أبوكم، أم عبيد اللّه، أم قثم

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن ... أباهم العلم الهادى، و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ... و لا يمين، و لا قربى و لا ذمم

هلا صفحتم عن الاسرى بلا سبب ... للصافحين ببدر عن أسيركم

هلا كففتم عن الديباج سوطكم ... و عن بنات رسول اللّه شتمكم

ما نزهت لرسول اللّه مهجته ... عن السياط فهلّا نزّه الحرم

ما نال منهم بنو حرب و ان عظمت ... تلك الجرائر إلا دون نيلكم

كم غدرة لكم فى الدين واضحة ... و كم دم لرسول اللّه عندكم

أ أنتم آله فيما ترون و فى ... أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

هيهات لا قربت قربى، و لا رحم ... يوما إذا أقصت الأخلاق و الشيم

كانت مودة سلمان لهم رحما ... و لم تكن بين نوح و ابنه رحم

يا جاهدا فى مساويهم يكتمها ... غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

ذاق الزبيرى عبء الحنث و انكشفت ... عن ابن فاطمة الأقوال و التهم

ليس الرشيد كموسى فى القياس و لا ... مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم«۱»

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت ... و معشر هلكوا من بعد ما سلموا

لبئسما لقيت منهم و ان بليت ... بجانب الطف تلك الأعظم الرمم

(۱) كان هذا البيت مقدما على الذى قبله فى بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيره؛ ليتحد السياق، و ينسجم المعنى ...

لا عن أبى مسلم فى نصحه صفحوا	و لا الهبيرىّ نجى الحلف و القسم
و لا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا	فيه الوفاء، و لا عن غيهم حلموا
أبلغ لديک بنى العباس مألكة	لا تدّعوا ملكها ملاكها العجم
أى المفاخر أمست فى منابركم	و غيركم آمر فيها، و محتكم
أنّى يفيدكم فى مفخر علم	و فى الخلاف عليكم يخفق العلم
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم	لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا	يوم السؤال، و عمّالين إن علموا
لا يغضبون لغير اللّه إن غضبوا	و لا يضيعون حكم اللّه إن حكموا
تنشى التلاوة فى أبياتهم سحرا	و فى بيوتكم الأوتار و النغم
إذا تلوا آية غنى إمامكم:	قف بالديار التى لم يعفها قدم
منكم علية أم منهم، و كان لكم	شيخ المغنين ابراهيم، أم لهم
ما فى بيوتهم للخمر معتصر	و لا بيوتهم للشر معتصم
و لا تبيت لهم خنثى تنادمهم	و لا يرى لهم قرد له حشم
الركن، و البيت، و الاستار منزلهم	و زمزم و الصفا، و الحجر، و الحرم
و ليس من قسم فى الذكر نعرفه	إلا و هم دون شک ذلک القسم

و بذلک ينتهى هذا الكتاب، و الحمد للّه أولا و آخرا، و صلى اللّه على خير خلقه أجمعين، محمد و آله الطيبين الطاهرين ...

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

ص: ۴۷۹

فهارس الكتاب:

۱- مصادر الكتاب ...

۲- محتويات الكتاب اجمالا ...

۳- محتويات الكتاب بالتفصيل ...

ص: ۴۸۱

مصادر الكتاب

الكتب التى راجعناها لهذا الكتاب كثيرة، نذكر منها ما يلى:

حرف الألف ۱- آثار الجاحظ للجاحظ ۲- الابانة لأبى الحسن الاشعرى ۳- الإتحاف بحب الاشراف للشبراوى الشافعى ۴- إثبات الوصية للمسعودى ۵- الاحتجاج للطبرسى ۶- أحسن التقاسيم للمقدسى ۷- إحقاق الحق (الملحق) للمرعشى النجفى ۸- أخبار السيد الحميرى للمرزبانى ۹- أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ۱۰- الأخبار الطوال للدينورى ۱۱- الاختصاص للشيخ المفيد ۱۲- الأدب فى ظل التشيع للشيخ عبد اللّه نعمة

ص: ۴۸۲

۱۳- الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ۱۴- الارشاد للشيخ المفيد ۱۵- أساس الاقتباس للقاضى اختيار الدين ۱۶- الاسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده ۱۷- الأعلام للزركلى ۱۸- اعلام الناس للإتليدى ۱۹- إعلام الورى للطبرسى ۲۰- أعيان الشيعة للسيد الأمين ۲۱- الأغانى للأصفهانى ۲۲- الأمالى للسيد المرتضى ۲۳- الأمالى للقالى ۲۴- الأمالى للصدوق ۲۵- الأمالى للشيخ الطوسى ۲۶- الأمالى للشيخ المفيد ۲۷- امبراطورية العرب لجون باجوت جلوب ۲۸- أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى لأنيس المقدسى ۲۹- الإمامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ۳۰- الإمامة فى الإسلام لعارف تامر ۳۱- الإمامة و السياسة لابن قتيبة ۳۲- الإمام الحسين للعلائلى ۳۳- الإمام الصادق و المذاهب الاربعة للشيخ أسد حيدر ۳۴- الإمام على الرضا ولى عهد المأمون ۳۵- الامين و المأمون لجرجى زيدان ۳۶- الأنساب للسمعانى ۳۷- أنساب الاشراف للبلاذرى

ص: ۴۸۳

- ب- ۳۸- کتاب بغداد لطیفور ۳۹- بحار الانوار للمجلسی ۴۰- البدایة و النهایة لابن کثیر ۴۱- البرهان فی تفسیر القرآن للبحرانی ۴۲- البصائر و الذخائر لأبی حیان ۴۳- البلدان للهمدانی ۴۴- البیان المغرب لابن عذاری ۴۵- البیان و التبیین للجاحظ- پ- ۴۶- پند تاریخ لخسروی (فارسی)- ت- ۴۷- التاج للجاحظ ۴۸- تاج العروس للزبیدی ۴۹- تاریخ ابن الوردی لابن الوردی ۵۰- التاریخ الاسلامی و الحضارة الإسلامیة لأحمد شلبی ۵۱- تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ۵۲- تاریخ التمدن الاسلامی لجرجی زیدان ۵۳- تاریخ جرجان للسهمی ۵۴- تاریخ الجنس العربی لمحمد عزة دروزه ۵۵- تاریخ الحکماء للقفطی ۵۶- تاریخ الخلفاء للسیوطی ۵۷- تاریخ الخمیس للدیار بکری

ص: ۴۸۴

۵۸- تاریخ الرسل و الملوک للطبری ۵۹- تاریخ الشیعة للمظفر ۶۰- تاریخ کربلاء لعبد الجواد الکلیدار ۶۱- تاریخ الموصل لابن زکریا ۶۲- تاریخ الیعقوبی لابن واضح ۶۳- تأویل مختلف الحدیث لابن قتیبة ۶۴- تتمة المنتهی للشیخ عباس القمی (فارسی) ۶۵- تجارب الامم لابن مسکویه ۶۶- التدوین للرافعی (مخطوط) ۶۷- تذکرة الخواص لابن الجوزی ۶۸- التربیة الدینیة للفضلی ۶۹- التنبیه و الاشراف للمسعودی ۷۰- تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی- ث- ۷۱- ثمرات الأعواد للهاشمی النجفی- ج- ۷۲- جامع الأنساب لروضاتی (فارسی) ۷۳- جامع الرواة للاردبیلی ۷۴- جعفر بن محمد لعبد العزیز سید الأهل ۷۵- الجواری (سلسلة اقرأ رقم ۶۰) جبور عبد النور- ح- ۷۶- الحسنیون فی التاریخ للساعدی

ص: ۴۸۵

۷۷- الحضارة الاسلامیة فی القرن الرابع الهجری لآدم متز ۷۸- حلیة الأولیاء لأبی نعیم ۷۹- حیاة الامام موسی بن جعفر للقرشی ۸۰- حیاة الحیوان للدمیری- خ- ۸۱- الخرائج و الجرائح للراوندی ۸۲- الخراج لأبی یوسف ۸۳- خلاصة تذهیب تهذیب الکمال للخزرجی الأنصاری ۸۴- خمسون و مائة صحابی مختلق للعسکری- د- ۸۵- دائرة المعارف لوجدی ۸۶- الدرة النجفیة للشیخ یوسف البحرانی ۸۷- دیوان ابن المعتز لابن المعتز شرح و تقدیم میشیل نعمان ۸۸- دیوان السید الحمیری للسید ۸۹- دیوان الطغرائی للطغرائی- ر- ۹۰- ربیع الابرار للزمخشری ۹۱- رجال الکشی ۹۲- رجال المامقانی ۹۳- رسائل الخوارزمی ۹۴- رسالة فی بنی أمیة للجاحظ

ص: ۴۸۶

۹۵- رسائل الجاحظ تحقیق عبد السلام هارون ۹۶- روح الاسلام للسید أمیر علی ۹۷- روض الأخیار المنتخب من ربیع الابرار لابن قاسم ۹۸- روضة الواعظین للفتال النیسابوری- ز- ۹۹- زندگانی حضرة إمام علی بن موسی الرضا لعطائی خراسانی (فارسی) ۱۰۰- زهر الآداب للقیروانی ۱۰۱- زینة المجالس لحسینی- س- ۱۰۲- سبائک الذهب للسویدی ۱۰۳- السرائر (المستطرفات) لابن إدریس ۱۰۴- سفینة البحار للشیخ عباس القمی ۱۰۵- السنة قبل التدوین لمحمد عجاج الخطیب ۱۰۶- السیادة العربیة و الشیعة و الاسرائیلیات لفان فلوتن- ش- ۱۰۷- شذرات الذهب لابن العماد ۱۰۸- شرح قصیدة ابن عبدون لابن بدرون ۱۰۹- شرح میمیة أبی فراس لحاج حسینی ۱۱۰- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۱۱۱- الشعر و الشعراء لابن قتیبة ۱۱۲- شیخ الامة: الإمام أحمد بن حنبل لعبد العزیز سید الأهل

ص: ۴۸۷

- ص- ۱۱۳- صبح الأعشی للقلقشندی ۱۱۴- صفة الصفوة لابن الجوزی ۱۱۵- الصلة بین التصوف و التشیع للشّیبیّ ۱۱۶- الصواعق المحرقة لابن حجر الهیثمی- ض- ۱۱۷- ضحی الإسلام لأحمد أمین ۱۱۸- ضیافة الاخوان لرضی الدین القزوینی- ط- ۱۱۹- طبقات الحنابلة لأبی یعلی الحنبلی ۱۲۰- طبقات الشعراء لابن المعتز ۱۲۱- الطبقات الکبیر لابن سعد ۱۲۲- طبیعة الدعوة العباسیة لفاروق عمر ۱۲۳- الطرائف لابن طاوس (الفارسیة)- ع- ۱۲۴- العبر فی أخبار من غبر للذهبی ۱۲۵- العبر و دیوان المبتدأ و الخبر و هو تاریخ ابن خلدون ۱۲۶- العتب الجمیل علی أهل الجرح و التعدیل لمحمد بن عقیل ۱۲۷- العثمانیة للجاحظ ۱۲۸- عصر المأمون للرفاعی ۱۲۹- العقد الفرید لابن عبد ربه

ص: ۴۸۸

۱۳۰- العقد الفرید للملک السعید لمحمد بن طلحة الوزیر ۱۳۱- علل الشرائع للصدوق ۱۳۲- العمدة لابن رشیق ۱۳۳- عمدة الطالب لابن مهنا ۱۳۴- عیون الأخبار لابن قتیبة ۱۳۵- عیون أخبار الرضا للصدوق ۱۳۶- عیون المعجزات للشیخ حسن بن عبد الوهاب ۱۳۷- العیون و الحدائق لمؤلف مجهول- غ- ۱۳۸- غایة الاختصار لتاج الدین بن محمد بن زهرة ۱۳۹- غایة المرام فی محاسن بغداد دار السلام للشیخ یاسین العمری الخطیب الموصلی ۱۴۰- الغدیر للامینی ۱۴۱- الغیبة للطوسی- ف- ۱۴۲- الفتوحات الاسلامیة لدحلان ۱۴۳- الفتوح لابن أعثم ۱۴۴- فتوح البلدان للبلاذری ۱۴۵- الفخری فی الآداب السلطانیة لابن الطقطقی ۱۴۶- فرج المهموم فی تاریخ علماء النجوم لابن طاوس ۱۴۷- فرق الشیعة للنوبختی

ص: ۴۸۹

۱۴۸- الفصول المختارة من العیون و المحاسن للسید المرتضی ۱۴۹- الفصول المهمة لابن الصباغ ۱۵۰- الفهرست لابن الندیم ۱۵۱- فوات الوفیات لمحمد بن شاکر- ق- ۱۵۲- القرآن الکریم ۱۵۳- قاموس الرجال للتستری ۱۵۴- قیام سادات علوی لعلی اکبر تشید (فارسی)- ک- ۱۵۵- الکافی للکلینی ۱۵۶- کامل الزیارات لابن قولویه ۱۵۷- الکامل فی التاریخ لابن الأثیر ۱۵۸- الکامل فی اللغة و الأدب للمبرد ۱۵۹- کشف الغمة للإربلی ۱۶۰- کفایة الطالب للکنجی ۱۶۱- الکنی و الألقاب للشیخ عباس القمی ۱۶۲- کنز الفوائد للکراجکی- ل- ۱۶۳- لطائف أخبار الاول للإسحاقی ۱۶۴- لطف التدبیر لأبی عبد اللّه الاسکافی

ص: ۴۹۰

- م- ۱۶۵- مآثر الانافة فی معالم الخلافة للقلقشندی ۱۶۶- مثیر الأحزان للشیخ شریف الجواهری ۱۶۷- مجمع الفوائد و مجمل العوائد السید مصطفی مرتضی (مخطوط) ۱۶۸- المحاسن للبرقی ۱۶۹- المحاسن و المساوی للبیهقی ۱۷۰- محاضرات تاریخ الامم الاسلامیة للخضری ۱۷۱- مختصر التاریخ للکازرونی ۱۷۲- مختصر تاریخ الدول لابن العبری ۱۷۳- مختصر تاریخ العرب للسید أمیر علی ۱۷۴- المختصر فی أخبار البشر، المعروف بتاریخ: أبی الفداء ۱۷۵- مدینة الحسین للسید محمد حسن الکلیدار ۱۷۶- مدینة العلم مجلة (السنة الاولی) ۱۷۷- مرآة الجنان للیافعی ۱۷۸- مروج الذهب للمسعودی ۱۷۹-

المستطرف للأبشيهى ۱۸۰- مسند الإمام الرضا للعطاردى ۱۸۱- مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ۱۸۲- مصباح المتهجد للكفعمى ۱۸۳- مطالب السئول لمحمد بن طلحة ۱۸۴- معادن الحكمة للكاشانى

ص: ۴۹۱

۱۸۵- المعارف لابن قتيبة ۱۸۶- معانى الاخبار للصدوق ۱۸۷- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسى ۱۸۸- مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى ۱۸۹- مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ۱۹۰- مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ۱۹۱- مقتبس الأثر و مجدد ما دثر للأعلمى ۱۹۲- مقدمة ابن خلدون ۱۹۳- مكاتيب الرسول للأحمدى ۱۹۴- الملل و النحل للشهرستانى ۱۹۵- مناقب آل أبى طالب لابن شهر اشوب ۱۹۶- من تاريخ الأدب العربى لطه حسين ۱۹۷- من تاريخ الزندقة و الالحاد لعلى الوردى ۱۹۸- منجد الاعلام لفردينان توتل ۱۹۹- المهدية فى الاسلام لسعد محمد حسن ۲۰۰- الموفقيات للزبير بن بكار ۲۰۱- ميزان الاعتدال للذهبى- ن- ۲۰۲- النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ۲۰۳- النزاع و التخاصم للمقريزى ۲۰۴- نزهة المجالس للصفورى الشافعى ۲۰۵- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل ۲۰۶- النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين ۲۰۷- نظرية الامامة لدى الشيعة لاحمد محمود صبحى

ص: ۴۹۲

۲۰۸- نهاية الارب للنويرى ۲۰۹- نهج البلاغة جمعه: الشريف الرضى ۲۱۰- نور الابصار للشبلنجىّ ۲۱۱- نور القبس المختصر من المقتبس (للمرزبانى) للحافظ اليغمورى- ه- ۲۱۲- الهادى (مجلة) ۲۱۳- الهاشميات للكميت- و- ۲۱۴- الوافى للفيض ۲۱۵- الورقة لابن الجراح ۲۱۶- الوزراء و الكتاب للجهشيارى ۲۱۷- وسائل الشيعة للحر العاملى ۲۱۸- وفيات الأعيان لابن خلكان ۲۱۹- وقعة صفين لنصر بن مزاحم ۲۲۰- الولاة و القضاة للكندى ۲۲۱- ولاية عهدى امام رضا لعلى موحدى (فارسى)- ى- ۲۲۲- يادبود هشتمين امام (فارسى) لعلى غفورى ۲۲۳- ينابيع المودة للقندوزى الحنفى

ص: ۴۹۳

و هناک مصادر عديدة أخرى أهملنا ذكرها إيثارا للاختصار؛ و لان اكثرها مشار إليه فى هوامش الكتاب ... هذا ...

و نود هنا أن نشير إلى أننا قد اعتمدنا فى بعض المصادر، كالطبرى، و حياة الحيوان، و العقد الفريد، و الكامل فى التاريخ، و نور الأبصار، و غير ذلک ... على طبعات مختلفة، حسب ما تيسر لنا فى الاوقات المختلفة ...

و الحمد للّه و صلاته على عباده الذين اصطفى ...